



مجلة كلية الآداب



مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية

الجزء الأول

- ✿ الألعاب الأولمبية، بدايتها وأنواعها.
- ✿ الثقافة الهرورية وعلاقتها بحوادث السير.
- ✿ مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النهطية ودور الإعلام في تشكيلها وتحسينها.
- ✿ تحليل تباين الخدمات الصحية في بلدية الزاوية.
- ✿ الهنطور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية.

مجلة كلية الآداب
نصف سنوية علمية محكمة - جامعة الزاوية

الجزء الأول

العدد الرابع والعشرون - ديسمبر 2017م

العدد الرابع والعشرون - ديسمبر 2017م

الترقيم الدولي: 9235 - 2521 Issn



رؤية للطباعة والدعاية والإعلان
شارع عبد المنعم رياض - 0925081003

مجلة كلية الآداب

مجلة علمية دورية فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب بجامعة

الزاوية العدد الرابع والعشرون الجزء الأول

ديسمبر 2017 م

مدير التحرير
د. المختار عثمان العفيف

رئيس التحرير
د. إبراهيم محمد سليمان

المشرف الفني

أ. أشرف الكوني

الهيئة الاستشارية

د. خالد محمد الباعزي
د. أكرم أبوبكر الهوش
د. البشير عبد الحميد مفتاح
د. مختار عمر برطشة
د. مولود علي بربيش
د. محمد الغرباوي

الترقيم الدولي: 9235- 2521- lssn

ترسل المراسلات باسم رئيس التحرير – جامعة الزاوية

www.aladab.zu.edu.ly

دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان
الزاوية- شارع عبد المنعم رياض- 0925031603

قواعد النشر

- 1- تنشر مجلة " كلية الآداب " الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدة والدقة والمنهجية، ولم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة الماجستير أو الدكتوراه للباحث.
- 2- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- 3- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، وأن يُشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لافي أسفل الصفحة.
- 4- يجب أن يُقدم البحث مطبوعاً بالحاسوب من نسختين، مرفقاً معهما قرص "CD" يتضمن البحث المطلوب نشره.
- 5- يجب أن يكتب الباحث اسمه، وعنوان البحث، ومكان عمله، ودرجته العلمية في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى من البحث.
- 6- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغة الأجنبية، على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- 7- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية "الماجستير" و"الدكتوراه" التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
- 8- تقبل المجلة نشر الإعلانات، خاصة تلك المتعلقة بالأنشطة العلمية.
- 9- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.
- 10- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط.

المحتويات

الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث
17-1	التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي	د. عفاف محمد عبدالسلام حسين
41-18	الألعاب الأولمبية: بدايتها وأنواعها	أ. عادل مصباح محمود نصرات
72-42	الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير	أ. عبدالرزاق ميلود إبراهيم المودي
90-73	مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية ودور الإعلام في تشكيلها وتحسينها	د. إبراهيم محمد سليمان
114-91	تحليل تباين الخدمات الصحية في بلدية الزاوية	د. ألفت عبدالسلام المقطوف
142-115	مظاهر الوسطية في الإسلام	د. عبدالباسط محمد أبو عيسى شكشم
155-143	بنية الفضاء الروائي في رواية نزيف الحجر	د. محمد علي البنداق
179-156	روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر	أ. محمد رمضان عبدالحميد إبراهيم
201-180	المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي	د. جميلة محي الدين البشتي
231-202	صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)	د. ناصر صدقي الهنقاري

المحتويات

الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث
263-232	أ. عفاف سالم محمد سعيد	السياسات السكانية في المجتمع الليبي (رؤية مستقبلية)
279-264	د. خالد الفلاح	السيرة النبوية وأثرها في تقرير أحكام السياسة الشرعية غزوة بدر الكبرى أنموذجا
298-280	د. ميلود محمد مولود الواعر	أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون
334-299	أ. عادل امحمد برقيق	المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية
359 -335	أ. رندة عبدالمولى	Age and second language acquisition : is there a critical period
396 -360	د. عبدالحكيم عمار نابي	الوطن العربي والعولمة

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

د. عفاف محمد عبد السلام حسين
كلية التربية/ جامعة الزاوية

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالبينات والهدى، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، والصلاة والسلام على أفضل رسله، وأشرف خلقه، سيدنا محمد الذي جعل سيرته قدوة لكل مؤمن في جميع شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، وأفائها بحاجات الناس في مختلف بيئاتهم وعصورهم، صلى الله وسلم عليه وعلى أصحابه حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد....

فإن الإسلام دين شامل للحياة كلها، وصالح لكل زمان ومكان، ينظم علاقات الإنسان مع الإنسان والإنسان مع الموجودات، والموجودات مع بارئها في بيان يجلي الحقائق، ويؤكد أن الله قد هيا لشريعة الإسلام أن تكون خاتمة الشرائع. بما حياها الله من شمول ويسر وقيم سامية.

ومن مبادئ الإسلام السامية التسامح الذي تدعو إليه نصوص القرآن والسنة. وهذه الساحة تنسع لمجالات الحياة المختلفة؛ لذلك فإن الإسلام يقرر أهمية التعايش والترابط بين أبناء المجتمع الواحد كالبنين المرصوص؛ حتى لا تتعطل مصالح أبنائه.

فمن القيم الأصيلة للمجتمع الإسلامي قيمة التسامح، والتي إذا سادت شعر الناس بالأمن والسعادة، وإن قيمة التسامح تصون شخصية المجتمع الفاضل الذي يهجر الناس فيه البغضاء والانتقام، فيتصافحون ويتسامحون، فيكونوا قد أحرزوا الخير كله ويتحقق فيهم قول الله تعالى: " {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } الشورى:40 وذلك خلاف الرغبة في التشفي والانتقام والاستحواذ لأن هذه الصفات خاصة بأهل الشر

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

الذين لا يعرفون التسامح ، وإذا اختفت معاني التسامح انتشر الهلع والذعر بين جنبات المجتمع ، والتسامح يورث التواضع ، وإن التواضع يورث القبول إذا وضع القبول في الأرض دل ذلك على ارتفاع قيمة التسامح في المجتمع.

ومن خلال استقراء النصوص واستنباط دلالاتها – مستفيدا من مشاهدات التاريخ والواقع المعاش داخل مجتمعنا – والتي تعمق موضوع البحث وتحقق غاياته اخترت أن يكون عنوان بحثي التسامح ودوره في بناء المجتمع.

وتظهر أهمية الموضوع في بيان أن التسامح صفة أصيلة من صفات المسلمين وأنها لا تنم عن الخوف والذل ، بل عن مكارم الأخلاق وعظم الإسلام .

بالإضافة لحاجة المسلمين إلى العمل بهذا الخلق الذي له أكبر الأثر على وحدتهم وتماسكهم، وقلة النزاع بينهم، وكذلك الحاجة إلى تصحيح موقف فئة من المسلمين في هذا الموضوع؛ إما إفراطاً في جانب العلاقات مع غير المسلمين، حتى يرى المقاطعة التامة لهم، وإما تقريظاً؛ حتى يرى البعض مساواتهم بالمسلمين، وأيضاً الحاجة إلى تصحيح ما لدى غير المسلمين من فهم خاطئ فيتعامل الإسلام مع غير المسلمين، ومعرفة ضوابط ذلك. فضلاً عما للموضوع من أهمية ، فقد اخترته للأسباب الآتية :

1. الإسهام في حل كثير من المشكلات ، وفض الخصومات بين أفراد المجتمع وإشاعة روح المحبة والمودة لا سيما في وقتنا الحاضر .
2. إبراز معالم الشريعة ، واستجلاء مواقفها في هذه القضايا (التسامح)، على أسس يرتكز عليها أبناء الإسلام ، لينبذوا بذور الشحناء والبغضاء ويلجئوا إلى التسامح والعفو والرحمة .
3. بيان النظرة الثاقبة للشريعة بالحث على التسامح للوصول إلى بناء المجتمع المترابط المتحاب.

وتكمن إشكالية البحث من خلال النقاط الآتية:

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

- جمع وترتيب المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث حتى يأخذ الموضوع هيكلًا وصورة كاملة إن شاء الله تعالى.
- بيان دور التسامح في بناء المجتمع .

وسوف تقتصر الدراسة على الكلام عن مفهوم التسامح وبيان مظاهره ودوره في بناء المجتمع، ولتحقيق ذلك قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، الأول: مفهوم التسامح ، والثاني مظاهره وآثاره ، والثالث دور التسامح في بناء المجتمع ، وخاتمة وفهارس ومراجع وأخيراً أسأل الله تعالى أن يوفقني لصالح القول والعمل، وأن يعصمني من الخطأ والزلل، و أن يلهمني رشدي، ويسدد عملي، و أن يزيدني علماً، و أن ينفعني بما علمني، إنه على كل شيء قدير، و بالإجابة جدير، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: مفهوم التسامح

المطلب الأول: تعريف التسامح:

التسامح في اللغة: جاء في اللسان في مادة (سَمَحَ) السَّامِح . والسماحة والجود ، تَسْمُح سَمَاحَةً وسماحاً و سُمُوحة جاء رجلٌ سَمِحٌ وامرأةٌ سَمِحةٌ . ومنه رجال مساميح، والإسماح إذا أعطى و جاد من كرم وسخاء والسماحة والسماح: الجود، سمح به؛ أي: جاد به، وسمح لي: أعطاني، فالمسامحة: المساهلة⁽¹⁾.

و خلاصة ما أوردته معاجم اللغة لهذه المادة اللغوية من معانٍ نختزلها في مدلولين، الأول: معنى الجود والكرم . والآخر: التساهل، فالمسامحة: المساهلة. أما في الاصطلاح وقف العلماء على تعريفات كثيرة:-

فعرفه المودودي بـ(أن نتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم على كونها باطلة في نظرنا ، وظلا نظن فيهم بما يؤلمهم ؛ رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم ولا نلجأ لوسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم مما يقومون به من أعمال).

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

أما عن محمد فاروق النبهان: فقد جعل نقطة اهتمامه في تعريفه للتسامح ، التعايش والتواصل أي التساكن . والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر (2)

كما عرفه الطاهر بن عاشور أن السماحة (سهولة المعاملة في اعتدال ، فهي وسط بين التضيق والتساهل . فهي ترجع إلى معنى الاعتدال والتوسط (3)) ومن خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنها أخذت بالفهم اللغوي للفظة السماحة ، وخصصته للمسلك التعاملى ، وتحديد علاقة المسلم بالآخر التي تتسع للفكر والرأي والمشاعر و التعايش وما يترتب على هذه الأمور من علاقات إيجابية وفاعلة.

المطلب الثاني: التسامح في القرآن والسنة

إن الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية قدّم ذلك التقدم الملحوظ . حمل بين طيّاته قوانين عدة مهمة عملت على نشره في شتى أرجاء العالم الأكبر . فمن أشهر هذه القوانين المهمة التي كان لها الدور الأكبر والطائل في تقدم المسلمين في مختلف الميادين هو قانون اللين واللاعنف والتسامح الذي أكدت عليه الآيات القرآنية فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة .

ففي القرآن هناك أكثر من آية تدعو إلى اللين والسلم والرفق ونبذ العنف والبطش ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، والإعراض عن الجاهلين ، إذ أن الإسلام لا يقرّ المواقف الوقتية التي تصنعها انفعالات النفس وتغلب عليها العاطفة ، كما لا يقرّ حب الاستغلاب والقهر و الانتقام ؛ لهذا تمثل الآية القرآنية قال تعالى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} النحل:125 فمدلول الآية يغلب عليه العفو والمسامحة على مقابلة العقاب بالمثل ، وهو عفو يتصل بغايات وجودية كبرى ، ومقاصد إنسانية نبيلة، وفيما يلي ذكر لبعض الآيات التي تتضمن معاني التسامح

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

قال تعالى: { وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } الفرقان:63 ، وقال تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } فصلت:34، وقال تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف:199 وقال تعالى: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } المؤمنون:96 وقال تعالى: { فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } آل عمران:159 وقال تعالى: { وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } النور:22، فهذه الآيات تدعو إلى مبادئ عظيمة تجسد التسامح قال بن كثير في قوله تعالى: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } المؤمنون:96 إن من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان ، كما قال عمر ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه (4) .

وقال السعدي: (هذه الآيات جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم) (5)

التسامح في السنة يتشارك مع ما جاءت به الآيات القرآنية . فهو المساهلة في كل جوانب الحياة وهذا ما سنذكره فيما يأتي من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه أبرز سجل ومصدق لسلوك منهجية السلام والتسامح في الأمة ، فهو قائد الحركة السلمية اللاعنافية فهناك الكثير من الأحاديث التي وردت في السنة المطهرة تدعو إلى التسامح وتؤكد عليه منها: عن عبد الله بن مسعود قال: قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو من تحرم النار عليه ، كل قريب هين لئين (6)، وقوله هين

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

من الهون والسكون والوقار والسهولة . وأما اللين فعلى كل قريب أي من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة ، وملاطفتهم بقدر الطاعة ، سهل في قضاء حوائجهم . والحديث أفاد بأن النار تحرم على كل سهل طلق حلیم الجانب (7).

وعن انس قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عنق الرسول وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء (8) .

وعن أبي مسعود كأنني أنظر إلى النبي يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (9) .

وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى" (10) .

قال ابن بطال: (فيه الحضُّ على السماحة وحسن المعاملة واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها وترك المشاحة والرقعة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم ' لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم في الدنيا والآخرة) (11)، ومن هذه النصوص نستدل على الآتي (12):

أولاً: إن السماحة والرفق ومقابلة السيئة بالحسنة بعداً إسلامياً أصيلاً يقره ديننا ويدعو إليه ، ويحارب التعصب وانفعالات النفس التي لا تقيد .

ثانياً: إن هذا المسلك الخلقي متصل بمقاصد وغايات نبيلة ، وبهذا لا يعدّ التسامح مسلكاً غائباً ولكنه مادة خلقية لغايات عظيمة . كما تؤكد هذا النصوص النبوية السابقة .

ثالثاً: التسامح لا يعني التساهل أو التنازل عن المبادئ والقيم . ولكن الاستفادة والتواصل مع الآخر كما جاء في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} الأعراف:199 الأعراف:199 فالعفو قرين الأمر بالمعروف وقرين هذين الأمرين الإعراض عن الجاهلين .

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

رابعاً: التسامح قاعدة مسلكية إسلامية ، تلزم المسلم الأخذ بها والتخلق بأخلاقها ، وله بهذا ثواب الله ورضاه في دنياه وآخرته وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { النور: 22 قال ابن كثير: أي كثرت منهم الإساءة والأذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم . ودلالة الآية أنه ينبغي للمؤمن أن يكون سمحاً ليناً رفيقاً بإخوانه . وإذا حصلت زلة أو أذى من أخيه ، فإنه ينبغي له المسامحة والإحسان إذا كان يرجو رحمة الله ويطمع فيما عنده.

خامساً: في النصوص دلالة على النظرة الاستشراقية البعيدة والعميقة التي يتسم بها المسلم وإدراكه للحقائق الوجودية ، والمصائر المستقبلية للموجودات بما فيها الإنسان .

المبحث الثاني: مظاهر التسامح

إن للتسامح مظاهر وصوراً تتضح على النحو الآتي:

الرحمة: اتصف الله بالرحمة قال تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ { غافر: 7 .

ومن أسماء الله الرحمن الرحيم ، إذ برحمته يهدي عباده إلى سبيل سعادتهم . وبرحمته نزل عليهم الشريعة الكفيلة بتحقيق الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة ، وبرحمته يدخل المؤمنين في جنته ، وبرحمته يغفر للمسيئين (13).

كما وردت أحاديث نبوية تؤكد على تخلق المسلمين بهذا الخلق ، فعن جرير بن عبد الله قال رسول الله: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) (14).

قال ابن حجر: الحديث يحث على استعمال الرحمة لجميع الخلق ، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم (15) فهي مشروعة لجميع الخلق فما بالك بين المسلمين في البلد الواحد .

ولقد كان قدوتنا النبي - صلى الله عليه وسلم - رحيماً مع كل الخلق ، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء: 107 حتى في الحرب مع العدو ، فعن رباح بن الربيع قال: كنا مع رسول الله في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء ، فبعث رجلاً فقال انظر

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

علام اجتمع هؤلاء ، فجاء الرجل على امرأة قتيل ، فقال: (ما كانت هذه لتقاتل ؟) قال وعلى المقدمة خالد بن الوليد ، فبعث رجلاً فقال: (قل لخالد لا تقتلن امرأة ولا عسيماً⁽¹⁶⁾). إذا كان النبي قد نهانا عن نساء وأطفال الكفار ، فكيف بما نراه اليوم في مجتمعنا من خطف وضرب للأطفال والنساء في بلاد المسلمين من إختوتهم المسلمين ، فهو تعطيل لهذا المبدأ (مبدأ الرحمة) .

تخليص الأسرى من الأسر وإطعامهم وكسوتهم: مبادئ الإسلام تدعو إلى الرفق بالأسرى، وتوفير الطعام والشراب والكساء لهم، واختزام آدميتهم، لقوله تعالى { وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } الإنسان: 8 .

وقد أوصى النبي أصحابه الكرام بحسن معاملة الأسرى ، وحث على إطعامهم وكسوتهم ، والإحسان إليهم والعناية بشأنهم حتى يحكم فيهم . فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله: (فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض) (17)، وقال الفقهاء: إن رأى الإمام قتل الأسرى فينبغي له ألا يعذبهم بالعطش والجوع، ولكنه يقتلهم قتلاً كريماً. (18)، فهذه تعليمات لأسرى الحرب المشركين ، فالأولى تطبيقها في أسرى المسلمين فيما بينهم ، فما نراه غير ذلك .

دفن جثث القتلى: من مظاهر التسامح بين المسلمين دفن جثث قتلاهم وإن كان بينهم خصومات وخلافات ، فعن عبد الله بن مسعود قال: بينما رسول الله ساجد وحوله ناس من قريش من المشركين ، إذ جاءه عقبة بن معيط بسلى جزور وقذفه على ظهر النبي فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة ~ فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك . فقال: (اللهم عليك بالملأ من قريش اللهم عليك أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وعقبة بن معيط وأمية بن خلف وأبي بن خلف) فلقد رأيتهم يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية وأبي فإنه كان رجلاً ضخماً فلما جرّوه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر (20) .

فدفن القتلى وعدم تركهم لوحوش الأرض والطيور، وإن كانوا أعداء، احتراماً لإنسانيتهم وانسجاماً مع مبادئ الرحمة والرفقة التي أولاها الإسلام عنايته في كل تشريعاته

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

فإذا كانت هذه أخلاق المسلمين مع أعدائهم فأولى بهم أن تكون مع إخوانهم المسلمين وإن كانت بينهم خلافات وخصومات وعدم ترك الجثث ملقاة كما ترى في بلاد المسلمين اليوم .

العفو عن المسيئين: عند التأمل في كثير من نصوص القرآن والسنة وسيرة الرسول وصحابته نجدها تدعو إلى العفو والتسامح كقوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} {الأعراف:199} وقوله تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } {الحجر:85}، وقد وصف العلماء هذا الصَّفْحَ الجميل عن المسيئين بأنه صفح عن علو من غير استسلام للشر ، أو خضوع للأشرار . فإذا كان ما يوجب العقاب فينبغي أن يكون في دائرة الأخذ بالحق من غير اعتداء حتى لا يظهر ذلك التسامح ذلاً ومدعاةً إلى تمرد الأشرار والتمادي في الباطل دون رادع . وعند ذلك لا يؤدي التسامح غرضه في بناء الكرامة الإنسانية وتعاون الأمة وتقديمها (21)، وقال تعالى: { وَإِنْ كَانَ نُوِ تُسْرَةً فَفَنْظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } البقرة: 280.

ففي هذه الآية (وجه الله الداننين إلى التيسير على المدينين المعسرين، فعلمهم الله بذلك سماحة النفس، وحسن التغاضي عن المعسرين) (22)، وقد طبق الرسول الكريم مبدأ التسامح والصفح الجميل في علاقاته حتى مع غير المسلمين في معاهداته وحروبه كما في قوله: (نصبر ولا نعاقب) (23)، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ، (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين سهل) (24)، قال القاري: (أي: تحرم على كل سهل طلق حلیم لين الجانب، قيل: هما يطلقان على الإنسان بالثقل والتخفيف، ... (قريب) أي: من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم قدر الطاعة (سهل) أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه أنه سمح القضاء سمح الاقتضاء سمح البيع سمح الشراء) (25).

إقامة العدل: هو إعطاء كل ذي حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين ، ودون النظر إلى الأمور العارضة كالحسب أو النسب ، أو المال أو القوة أو العداوة أو الموالاتة (26) كما

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } المائدة:8 قال الطبري في هذه الآية فإنه يقول: ولا يحملكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من عداوة (27)، ومن هذا المنطلق يجب على المسلمين تحقيق مبدأ العدالة مع الجميع تطبيقاً واقعياً مع من اختلفوا معهم .

حسن المعاملة: أمر الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة عند الدعوة له ، فقال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } النحل:125 ، فهذه الآية دعوة للمسامحة وعدم اتخاذ السيف وسيلة لها كما أمر الإسلام بالمجادلة بالحسنى، وقال تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } العنكبوت:46. فطابع الحكمة والمعاملة الحسنة في الإسلام كان قبل القتال حتى مع غير المسلمين في البلد الواحد . فعن بريدة قال: كان رسول الله إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: (اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، واغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً) (28).

المبحث الثالث: دور التسامح في بناء المجتمع:

مما لا شك فيه أن مجتمعنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الاجتماعي بين الناس أكثر من أي وقت مضى ، نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة ، والإنسان بطبعه الفطري لم ولن يستطيع أن يعيش لوحده في أي مكان في هذا العالم الواسع . فهو يحتاج لغيره لإكمال ذاته ولهذا اجتمعوا في القدم

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

وشكلوا عشائر وقبائل ثم أسسوا مجتمعات فظهرت فيها خصال كثيرة ، وتفشت عقليات مختلفة واجتمعت في بناء مجتمع إنساني يسوده الأمن والتسامح ، كما أن الأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية يجب أن تكون علاقات قائمة على المودة والمحبة ، حتى لو تباينت الأفكار والمواقف بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بالقيم والمبادئ . وإن التسامح من شأنه أن يفتح آفاقاً جديدة في فهم حقوق الآخرين وواجباتهم تجاه غيرهم وعدم فرض قيود على الآخرين ، وواجباتهم تجاه غيرهم مما يتيح قيم الحرية ويسهم في تكريس الأطر الديمقراطية، فالتسامح بدوره يصنع الأخوة ويقوي التآلف وينمي المحبة والتآزر . وإذا نظرنا إلى التسامح الإنساني ، فهو الإيمان بالمصير الموحد . فطالما جمعت الشدائد والمصائب أبناء هذا الوطن ، وهذا الاجتماع لن يكون إلا لقضية أو كارثة تكون عواقبها قاسية على الجميع دون استثناء كقضايا العصر ، من حروب وفساد وغيره . ومن هذا فالبشرية قادرة على دفن روح الجشع والعدوانية ، كما تستطيع تخطي الصعاب وتحقيق المستحبات بأجمل الصفات (التسامح) .

إلا أنه ما يؤسف له أن هناك من يسعى لترويج ثقافة الكراهية والعنف بغرض فرض نمط حياة معينة ويمارس سلوكيات وممارسات عفا عنها الزمن من قيم قديمة وتقليدية ومحاربة أي رغبة في التجديد أو أي نمط للتغيير . وإزاء الانغلاق والفوضى والعنف وعدم التسامح الذي يسود مجتمعنا ورغم بعض الإرهاصات الجادة هنا وهناك في مجتمعنا لتدعيم السلم الأهلي والأمن المجتمعي وتعزيز سيادة القانون إلا أن الواقع يشير إلى تفاقم مظاهر العنف و الفوضى مما يهدد تماسك المجتمع وأمنه وسلمه الاجتماعي ، والمؤشرات على ذلك كثيرة فلا يغيب يوم إلا نسمع عن خطف أو قتل أو إصابة مواطنين ، ناهيك عن الصراعات الحزبية ؛ نظراً لغياب التسامح ، وانتشار ظاهرة التعصب والعنف لاختفاء معنى التعايش بين الناس واحترام حريات الغير وروح التعاون .فلا سبيل إلى حل النزاعات وتجنب الصراعات إلا من خلال الحوار القائم على التسامح وترسيخ مفاهيمه وهذا ما دعا

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

إليه ديننا . فالعفو والتسامح هما السبيل الوحيد لتضامن أفراد هذا المجتمع المسلم وبناء دولته بناء راسخاً قوياً يقوم على أقوى الدعامات وأمتنها ألا وهو التسامح .
ولهذه الصفة الراقية والملكة الأخلاقية والإنسانية الرفيعة الواضح أثارها في المجتمع وأفراده ونذكر من هذه الآثار:

من عفا عفا الله عنه .

التسامح يقوي الأواصر الاجتماعية .

يفتح الآفاق لحياة جديدة مبنية على الحب واحترام الآخر .

يوحد المجتمع ويجعله مجتمعاً تعاونياً متماسكاً ..

دليل التحضر والإنسانية .

يزرع البهجة في النفس ويعمر القلوب بحب العمل المثمر للخير ومساعدته .

ويولد الأمن والاستقرار .

يسمو بصاحبه بأن يجعله ناكراً للذات رافضاً للأننا .

يزيل الكراهية والأحقاد الدفينة .

وسيلة لبناء الدولة .

إن التسامح والعفو يؤصلان المحبة والمودة والتواصل الدائم بين أفراد المجتمع ، بعكس القسوة والغلظة فإنهما تزيدان من بث الشحناء والنفرة في المجتمع وتقتل التواصل والألفة والتسامح ينعكس أساساً على الذات، سامح تسامح واغفر يغفر لك ، هذا من أحد قوانين الحياة ، فالجزء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
النور:22، والصفح ينبغي أن يكون تاماً وجميلاً لا مجرد التظاهر بالتسامح حتى يتحرر الفرد من الشحنات السالبة التي تؤرق مضجعه وتنهشه من داخله قال تعالى مخاطباً الرسول

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

وهو خطاب لكل مسلم: (فاصفح الصفح الجميل) الحجر 85، وفي حديث الرسول "ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم" (29)

فالتسامح يعمل على تحرير الفرد من المشاعر السلبية من حقد وبغض وأضغان لتحل محلها المشاعر الإيجابية، وهذا لمن شأنه أن تحقق له الراحة النفسية، فالتسامح إنسان سعيد ، هادئ البال ، مطمئن القلب ، طيب النفس، وفي المقابل فإن الفرد غير المسامح يعمل على إيذاء نفسه من خلال احتضان المشاعر السلبية في داخله والتي تعمل على نهشه وخلق الصراعات بداخله مما يجعله يعيش في حيرة وقلق واكتئاب، والتسامح إنسان محبوب يحظى بقبول اجتماعي، فلقد قالوا: "المسامح كريم"، وفي أمثالنا العربية: "العفو عند المقدرة من شيم الكرام"، فالتسامح يكسب قلوب الناس، وهذا لمن شأنه أن يغني شخصيته ويثري حياته، في حين أن الانتقام يجعل الإنسان محط نفور وكرهية، فيعيش معزولا ووحيدا، فمن فقد شخصا فكأنما فقد جزءا من شخصيته، فالتسامح يؤدي إلى الوحدة والتماسك: إذ أن الخصام والرغبة في الانتقام لا يمكنه إلا أن يعمل على تمزيق العلاقات بين الناس، بينما التسامح من الأخلاق الفاضلة التي تعتبر كاللحمة التي تشد الناس بعضهم بعضا، فتجعلهم يعيشون في وحدة وتماسك، فالتسامح إذن ينعكس إيجابيا على المجتمع.

والإنسان المسلم إنسان مسامح، ويعمل على إشاعة خلق التسامح بين الناس من خلال التربية والتوعية والإصلاح بين الناس، قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } الحجرات: 10 ومن أصلح بين الناس يجازيه الله بالأجر العظيم

قال تعالى {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} النساء 114.

والإصلاح بين الناس أفضل من صيام النافلة ومن صلاة النافلة ومن صدقة النافلة. فالنوافل يعود نفعها على الذات، أما الإصلاح فيعود نفعه على المجتمع ففي حديث الرسول: "ألا

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة⁽³⁰⁾.

الخاتمة :

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وبعد:

من خلال دراسة موضوع التسامح ودوره في بناء المجتمع خلص البحث إلى بعض النتائج والتوصيات أهمها:

- الإسلام دين سمح ، وسماحته تشمل جميع مجالات الحياة .
- الإسلام لم تقتصر سماحته على المسلمين فحسب بل أبعد من ذلك ليشمل غير المسلمين من اليهود والنصارى والمشركين، حتى في حالة الحرب، فهى الإسلام عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة،
- التسامح المنشود بين أبناء المجتمع الواحد يؤسس أشكال التفاعل الإيجابي الرشيد والتعاون الحضاري الإنساني الواعي ؛ لأنه قيمة إنسانية راقية ، وشيمة من شيم المجتمعات المدنية .
- وحدتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية ، هي أن نوظف عقولنا وأفكارنا بقلوب صافية نقية لتحقيق الأمن والسلام والتقدم لمجتمعنا العربي اللببي المسلم .
- يوصي البحث بدور العلماء والحكماء والعقلاء ووجهاء المجتمع في تحقيق التسامح تفعيل دوره في القضاء على كثير من الفرقة ونبذ الشحناء والقيم التقليدية الفاسدة كالتأثر وغيره .
- كذلك دور وسائل الإعلام بجميع أنواعها وأشكالها في الدعاية لهذه القيمة النبيلة والإشادة بدورها في دعم الإصلاح والسلم والأمن .

هوامش البحث

1. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، (مادة سمح) 489/2 ، معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (مادة سمح) ، 99/3 .
2. مفهوم التسامح في إطار الرؤية الإسلامية ،مجلة المنهل ، ع.518 ص
3. مقاصد الشريعة ، الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، ص ؟ الشركة التونسية للتوزيع
4. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : 774هـ)، 180/7 دار الفكر للنشر
5. تيسير الكريم الرحمن ،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي 313 تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة، الأولى 1420هـ-2000 م
6. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي 654/4 ر.2488 ،صححه الألباني 611/2 ،رقم 938
7. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري أبو العلا 160،161/7 دار الكتب العلمية ،بيروت
8. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله 2188/5 رقم 5472 ،صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي 379/4 رقم 1057
9. صحيح البخاري 1282/3 رقم 3290
10. رواه البخاري ، شرح ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ،تحقيق، أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، حديث 2076 مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م
11. شرح صحيح البخاري)) لابن بطلال ، 210 /6 .

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

12. التسامح الإسلامي، عبد الواسع محمد غاب، أمير فيصل 24، ع 21، 2013، مجلة الشريعة الدراسات

13. الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمان حسن الميداني، ص دار القلم دمشق، ط 2، 1987م

14. صحيح البخاري، 2688/6، رقم 8941

15. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، 440/12 دار المعرفة بيروت 1379هـ.

16. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، 488/3، رقم 16035، تحقيق أحمد محمد شاكر دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995م

17. مسند الإمام أحمد، 394/4، رقم 19535 .

18. التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدي الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: 897هـ) 3 / 353.

19. صحيح البخاري، 1163/3، رقم 3014، 1399/3، رقم 41.

20. العلاقات الدولية، وهبة الزحيلي. 62 مؤسسة الرسالة بيروت ط 4 - 11997

21. الأخلاق الإسلامية، لعبد الرحمن الميداني 2 / 467.

22. مسند الإمام أحمد، 538/2، رقم 10961.

23. رواه الترمذي 2488

24. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) 8 / 317.

د. عفاف محمد عبد السلام

التسامح ودوره في بناء المجتمع من منظور إسلامي

25. تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحديث ، عبد الرحمن اللطيف بن أبراهيم ،؟؟؟
دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط 1990 ، 1 م.

26. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، 95/10

27. صحيح الإمام مسلم ، 6/314. رقم 4497.

28. مسند الإمام أحمد ، 6/113 ،

29. أخرجه البخاري في الأدب المفرد 1/ 479 برقم (391) وأخرجه الترمذي في صفة القيامة (25 السمط) باب: سوء ذات البين هي الحالقة،

الألعاب الأولمبية : بدايتها وأنواعها

أ : عادل مصباح محمود نصرات
كلية التربية / جامعة الزاوية

التمهيد :

تعتبر بداية الألعاب الاولمبية والمتعلقة بممارسة الرياضة عند اليونانيين القدماء(الهيلينيين) جاءت بصفة عامة في " إلياذة " هوميروس ، على لسان ملك " الفيكيون " ، وكذلك جاء ذكرها في " الأوديسيا" .

إن إلقاء نظرة معمقة على التراث الفكري والفني والأدبي للإغريق كافية بأن توضح حقيقة لا خلاف عليها، وهي أنهم أخفقوا في النهوض والارتقاء بأفكارهم السياسية إلى المستوى الذي كان ينبغي عليهم أن يصلوا إليه، حيث فشل الإغريق في تحقق وحدة سياسية كبرى تجمع مدنهم وبلدانهم المختلفة، ويرجع سبب ذلك إلى جغرافية وتضاريس بلادهم الوعرة، والتي دفعتهم إلى إيجاد نظام سياسي غريب قائم على تكوين وحدات سياسية صغيرة نواتها المدينة (Polis)، والتي كانت أشبه بدويلات مدن إيطاليا في عصر النهضة .

فقد تمسكت مدن بلاد الإغريق (ش1) والمنتشرة في مساحات محدودة باستقلالها (Autonomia)، وحرصت على أن تكون مكتفية ذاتياً (Autarkia)؛ أي معتمدة على نفسها، لهذا فضلت في أن تكون حرة محدودة المساحة والسكان ضمن حدود جغرافية محددة ، على أن تندمج ضمن وحدة كبرى ، وهذا الأمر جعل مواطني كل المدن الكبرى يحسون بغيرة شديدة من هذه المدن؛ لأنهم كانوا يتمتعون بكلمة مسموعة في شؤونها، ويعبرون عنها في مجلس عام يضم كل مواطنيها، والذي كان يعقد في أسواقها العامة (Agors) ، كما أن كل مواطن وجد دوراً له في إدارة شؤون دولة مدينته؛ أي باختصار أصبحت الوحدة (Enosis) هي أزمة التاريخ اليوناني وقوته الطاردة، ومن العجيب أن سلاطين الفلسفة الإنسانية أمثال أرسطو وأفلاطون لم يحركوا ساكناً إزاء التخلي عن هذا التشبث بنظام الدويلات المنفصلة، بل أيدهم ودافعوا عن وجوده، وكذلك كما أنه لا ينكر أن

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

هناك تحالفات قامت بين دويلات المدن اليونانية المختلفة ولكن هذه التحالفات فشلت؛ لأنها كانت تنهار بمجرد انهيار الهدف الذي قامت من أجله الوحدة أو التحالف، ومثالا على ذلك حلف "ديلوس" الدفاعي الذي قام وأنشئ من أجل وقف زحف الفرس على المدن الإغريقية في آسيا الصغرى ، وفي جزر بحر إيجه ، كما فشلت التحالفات السياسية التي أقامها الإغريق في فترات متأخرة مثل "الحلف الأبولي" و"الحلف الأخي"، لأنها كانت أشبه بتحالفات شركاء المصلحة التي تغلب عليها الأناثية في أغلب الأحيان ،حيث سرعان ما كانت تنهار أمام الأزمات الكبرى، وخاصة إذا نشأ خلاف أو تعارضت المصالح بينهما .

ووفقاً للروايات التاريخية فإن الملك إفيثوس (Iphitos) ملك أهل إليس هو الذي أعاد تنظيم الاحتفالات والمسابقات الأولمبية القديمة عام 776 ق.م وذلك تكريماً لفوز العداء الإيلي (من إليس) كوربيوس (Korpios) في مسابقة الجرى عندئذ ، فأنتق ثلاثة ملوك هم إفيثوس ملك إليس ، وكليوسنتيس ملك بيسا (Pisa) ، ولوكورجوس (Lykourgos)، ملك أسبرطة (Sparte) على أن تقام هذه المسابقات كل خمس سنوات ، على أن تكون هناك هدية مقدسة لإيقاف الحروب و الاعتداءات كشرط أساسي لتطوير وتوسع تلك الألعاب والمسابقات (1) .

وعلى الرغم من هذا، فإن الباحثين والمتخصصين يرون أن الوحدة السياسية والقومية اليونانية تتجسد بالدرجة الأولى في اللقاءات الدولية ،التي تقام بين المدن الإغريقية منها المهرجانات الرياضية والثقافية التي ربطت بين عواطفهم وأفكارهم وعلاقاتهم، سواء كانت فردية أو جماعية ، لأن العنصر الديني كان صوتاً لا يعلن عليه بالنسبة إلى اليونانيين فقد اتخذت هذه المهرجانات صيغاً دينية في المقام الأول، وكانت قدسيته ملزمة فكانوا يلقون السلاح جانباً، ويهرعون إليها للاشتراك فيها حتى وإن كانوا في أعنف مراحل الكراهية والقتال، ولأنها كانت تقام إلى جوار الأمكنة المقدسة (2)

ويرى بعض الباحثين أن المهرجانات الرياضية والثقافية تبلورت في أربعة أشكال كبرى نظراً لروعتها وشمولها واستيعابها لأرقى المستويات الرياضية، وحرصها على جذب

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

أنظار أكبر عدد من جماهير الحجيج إليها ، فقد أطلق عليها مهرجانات كل الإغريق (Pan hellenic -) ، كما لقبها العالم الإغريقي إيسوقراط خطيب الوحدة الضائعة بأعياد التثناء (Panegyric)، حيث صنفت هذه المهرجانات والدورات إلى مجموعات، نذكر منها:

أنواع المهرجانات :

1. الدورة الأولمبية (olympia): "أقيمت في مدينة أوليمبيا شمال غرب البلوبونيز جنوب اليونان .

2. الدورة البيثية Pythian: أقيمت في مدينة دلفي على السفوح الجنوبية السفلى من جبل برناسوس.

3. الدورة الإثمية Isthmian : أقيمت الاحتفالات الإثمية عند مضيق كورنثا في وسط اليونان .

4. الدورة النيمية Nemean : أقيمت الاحتفالات النيمية شمال شرق البلوبونيز جنوب اليونان

فقد كانت هذه الدورات الرياضية تقام كل أربعة أعوام، ومدة انعقادها خمسة أيام متواصلة (3) ، حيث يفصل بين كل دورة متسع من الوقت عن الدورة الأخرى ، بشرط لا يتصادف انعقاد إحدهما مع دورة أخرى في نفس الوقت، وبذلك يكون في كل سنة مهرجان يذهب إليه الناس للاستمتاع به، إن هدف الأساسي من، هذه الدراسة هو التطرق للمهرجانات التي كانت في تلك الحقبة كلاً على حدة قصد استنتاج فكرة عامة شاملة نستخرجها من هذه الدراسة وذلك بالتركيز أولاً على إحداث الدورة الاولمبية باعتبارها أولى هذه المهرجانات، ولهذا سنتطرق في البداية للدورة الأولمبية، لكونها أساس بداية هذه المهرجانات الرياضية والتي كانت تقام في اليونان القديمة، لأنها كانت أكبر وأشمل هذه الدورات .

1. دورة الألعاب الأولمبية :

تعد الألعاب الأولمبية من أقدم وأعظم المهرجانات الدولية في العالم القديم، والتي كانت تقام لتمجيد وتكريم الإله والملك الأولمبي زيوس (Zeus) عام 776 ق.م⁽⁴⁾، (ش 2) رب

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

الأرباب الإغريقية وملك آلهة الأولمبوس (Olympus) ، حيث كان هذا المهرجان يقام في مدينة أولمبيا (olympia) الواقعة في أقصى الجانب الغربي من جزر البيلوبونيز (Peloponese) أو شبه جزيرة المورة، ذو الرهبة والجمال والخضرة الدائمة والمعروفة بالغابة المقدسة باسم " ألتيس" ، وهذه المدينة ظهرت نتيجة إهمال مدينة (pisa) والتي كانت تسيطر على إقليم شاسع نسبة إليها (Plsatis) وكان المهرجان يقام في بقعة مقدسة لزيروس عند ملتقى نهري كلاديوس (cladeus) والفايوس (Alphaeus) الشهيرين، حيث ظلت مدينة بيسا (Pisa) تنفرد بشرف إدارة هذا المهرجان، إلا أن سعي مدينة إيليس، (Elis) ورغبتها في استضافة هذه الدورة ، جعلها تتمكن من شرف الحصول على الاستضافة وذلك عام 572 ق.م وهذه المدينة توجد فيها قرية أولمبيا (Olympia) ، وهذا الاسم نسبة إلى كبير آلهة أولمب ، المدينة المجاورة لمدينة بيسا ، نظراً ، ؛ فقد استطاعت الاستحواذ على إدارة هذا المهرجان، خاصة أن مدينة إيليس تتحكم في إقليم شاسع باسم (Elatis) نسبة إليها ، وهي لا تقبل قوة وبأساً عن مدينة (Pisa) ، وقامت ببناء ملعب كبير يصل طوله ما بين 180 إلى 200 ياردة (الياردة = 0.9144 متر) إي من 165 إلى 183 متر، في نفس المنطقة الدينية جنباً إلى جنب مع المعبد والمسرح (5) ، فقد كانت تقام الألعاب الاولمبية عند اكتمال القمر الثاني ، وبعد منتصف الصيف (6)؛ لقد تضاربت الروايات والأساطير اليونانية حول الأشخاص الذين قاموا بتأسيس هذه المهرجانات ، خاصة أن الأناية والغيرة دخلت في قلوبهم جراء هذه الأساطير (7) ، فعلى سبيل المثال ادعى أهل دويلة (مدينة) بيسا أن مؤسس مدينتهم الملك بيلوبس (Peleps) هو الذي ابتدعها، كما ادعى الأخيون ورثة الحضارة الموكينية أن الملك بيلوبس (Peleps) هو الذي أسسها نظراً لأن ألعاباً جنائزية كانت تقام في ذكراه بعد موته (8) ، وكذلك ادعى الدوريون الذين غزوا شبه جزيرة الموره في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد ، والذين قضوا على حضارة الأخيين، أن بطلهم الأسطوري هيرقل (Herakles) هو أول من كسر احتكار القبائل الأخية لهذا المهرجان، وأعطى للعناصر الدورية دوراً فيها، وزعم الإسبرطيون، وهم من سلالة

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

الدوريين أيضاً، أن قائدهم الأسطوري لوكورجوس (Lykurgos) هو واضع التعديل السابق، فالرويات تجعل زيوس نفسه فائزاً أولمبيا في المصارعة على عوده كرونس (Kronos) ، وأبوللون يفوز على هيرميس (Hermes) في الجري ، ويفوز على أريس (Ares) في الملاكمة، وجميعهم آلهة يونانية، ومن البديهي أيضاً أن يدعي أهل مدينة إيليس (Elis) أن مشرعهم الأسطوري إيفيتوس هو مبدع وعراب هذا المهرجان، إلا أن أغلب الظن أن هذا المهرجان نشأ من تلقاء نفسه داخل بقعة دينية، وقد ساهمت فيه كافة العناصر الإغريقية⁽⁹⁾، إلا أن شرف استضافته وإدارته انحصر بين مدينتي بيسا وإيليس.

الجدير بالذكر أن الإغريق سعوا في ترسيخ قواعد هذه المهرجانات، حيث تكون يونانية شاملة الأصل، وبما أن هذه الأعياد تستمد قوتها وقداستها من الدين اليوناني، فقد اتفق الإغريق على مراعاة قدسية الأمن والسلام وقت حدوثها، وتوقف الاقتتال والحروب زمنها، وأن ترفع الأيدي عن السلاح (Eccheira) إلى حين انتهاء هذه الدورة واختتامها.

قد كان المرسلون والمنادون يخرجون من القرية الأولمبية ليعلنوا بداية الأيام المُحرم فيها الاقتتال، ولهذا لقبوا برسل الهدنة (Spondophoroi) ، وأن الغرض من وراء وقف الاقتتال والهدنة، هو تمكين الرياضيين والوفود من السفر عبر البحر والبر دون أن يتعرض لهم أحد من أعدائهم بأي سوء⁽¹⁰⁾، وما أن يعلن الرسل الهدنة، حتى يأتي الرياضيون والجماهير الحاضرة، والمتفرجون، وكذلك الوفود الرسمية، ورجال الأدب والفن والفكر والشعراء، والخطباء والسياسيون، وغيرهم من طالبي الشهرة، ويولون وجوههم نحو هذه القرية الأولمبية ، وسرعان ما تزداد حول هذه المدينة المقدسة الأسواق التجارية ومظاهر الاحتفالات ، والتي تكون عامرة بالأكواخ والخيام، وتسمع فيها الأناشيد والأغاني باللغة اليونانية بكافة لهجاتها. وكانت المباريات تحتوي على سباق بالقدم ، وسباق بالعربات والمصارعة ، والملاكمة ، والقفز ، وركوب الخيل العارية الظهر ، والسباحة وسباق التجديف⁽¹¹⁾، وكان الإعداد لها يستغرق حوالي شهر كامل قبل بداية فعاليات المسابقات،

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

التي تستغرق شهرين، وفي النهاية يكون إعلان الهدنة في كل العالم اليوناني والمستعمرات الخارجية ثلاثة أشهر (12).

لقد كان المهرجان الأولمبي يقام كل أربع سنوات في القمر الثاني⁽¹³⁾ والثالث من أشهر الصيف ، أي ما بين شهري يوليو وأغسطس، فالأول بداية السنة اليونانية والآخر في نهايتها، وقد رجح المؤرخون الإغريق التاريخ الذي وضعه تيمايوس (Timaeus) بأن يكون عام 776 ق.م كتاريخ لأول دورة أولمبية أقيمت ، فقد ربط هذا المؤرخ نظام تاريخ الانعقاد برقم العيد الأولمبي، مما جعلنا قادرين على تحديد تواريخ انعقاد هذه المهرجانات بدقة متناهية، في ذات الوقت يرى بعض الباحثين أن المدة الزمنية لهذا المهرجان هي خمسة أيام، وقد وصلت في العصر الكلاسيكي إلى سبعة أيام ، حيث كان المهرجان يقام على ساحة مقدسة (Altis) تقع عند سفح تلال كرونوس والد الرب زيوس، وهي تلال متوسطة الارتفاع ، حيث لا يزيد ارتفاعها عن 403 أقدام (=0.3048 متر) 122 متر تقريبا، وقد كانت القرية الأولمبية مقامة على مساحة من الفضاء يبلغ طولها 750 قدماً (228 متر تقريبا) ، وعرضها 50 قدماً (15 متر تقريبا) ، ومحاطة بأسوار ضخمة، نسبت الأساطير في إقامتها إلى بطل الإغريق هيراقليس، وكان لهذه القرية بوابتان؛ واحدة من الشمال الغربي، والثانية من الجنوب الغربي، ويتوسط القرية مذبح زيوس العتيق، وهو عبارة عن قاعدة أسطوانية يبلغ قطرها 128 قدماً (39 متر تقريبا)، وقد روت الروايات والأساطير أنها بنيت من رفات الشهداء ، ومعجونة بماء نهر الفايوس، ويحيط بالمذبح أربعة معابد، أكبرها معبد زيوس، والذي بدأ بناؤه المهندس ليبو (Libon) من مدينة إيليس (Ellis)، ولم يكتمل بناؤه إلا في عام 450 ق.م ، وكان مصمم على الطراز الدوري، وقد قام فنان أثينا الأول فيدياس (Pheidias) بنحت تمثال لزيوس، وهو جالس على عرشه، المصنوع من العاج والذهب ، وقد شمر هذا التمثال النحات فيدياس ، وكذلك شهر المعبد الذي وضع فيه، وبعد ذلك يأتي معبد هيرا زوجة زيوس، وهو المعبد الذي عرف باسم الهيرايوم (Heraeum) وهو أقل أهمية وحجماً، يليه معبد الربة الأم (Matroon)

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

ومحراب الملك الأسطوري بيلوبس (Pelops)، والجدير بالذكر أن هذه المعابد كانت محاطة بابنيه أخرى خصصت لإدارة المهرجان ، واستقبال الوفود الرسمية ومقار الإداريين والمشرفين على الفرق وغيرها، أن آلاف النصب التذكارية والتماثيل الجميلة التي كان الفائزون يقدمونها كقرايين للآلهة امتناناً منهم لوقوف الآلهة بجانبهم ساعة إحراز الفوز، ومن أشهرها تمثال بايونئوس (Paeonious) والذي أقامه أهل مسينيا (Messenia) وناوبا كتوس (Naupactus) احتفاءً بانتصارهم على الإسبرطيين في بيلوس عام 420 ق.م ، بمساعدة حلفائهم الأثينيين، والتمثال كان كانت عبارة عن مجسم لربة النصر ، وهي تهبط من السماء يحملها نسر كبير، لتحط على صخرة بينما تدفع الريح ثيابها. وحول المنطقة المقدسة كانت تنصب ملاعب الرياضة ، حيث تقام المباريات، فمن ناحيه الغرب يقع ملعب الجمنازيوم (Gymnasium)، بينما يقع ملعب سباق الخيل (Hippodrome) من ناحية الشرق ، وكذلك ملعب سباق الجري (stadium)، ويبلغ طول الملعب 600 قدم أولمبي، (أي ما يعادل 182مترا تقريبا)، وبالرغم من أن فيضان نهر الفايوس قد ألحق الكثير من الأضرار ، إلا أن الزائر لهذه المدينة القديمة، يرى ويتعرف على العلامات الظاهرة والمحفورة في الحجارة بأن الرياضيين يثبتون أقدامهم عليها قبل إعطاء إشارة البدء في جانبي الملعب، حيث بلغ عددها عشرون علامة، وهذا يعني أن الملعب الأولمبي كان يتسع لعشرين لاعباً فقط، يفصل بين كل لاعب وآخر علامات مقامة كل أربعة أميال أولمبية، (أي كل 1,28 متراً) ، وينقسم المهرجان الأولمبي إلى مرحلتين هما:

مراحل المهرجان الأولمبي :

أ - المرحلة الأولى: الطقوس والشعائر الدينية

في بداية هذه المرحلة، يقيم المشتركون في هذه المباريات الرياضية وذويهم صلوات الشكر وتقديم القرابين والأضاحي بأسمائهم وباسم الدولة المضيفة ، كما كانوا يؤدون قسماً أمام محراب الإله زيوس حامي العهود (Horkios) ⁽¹⁴⁾، وكان القسم يتلى على ضحاياه

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

في الغالب تكون ثيران أو خنازير برية⁽¹⁵⁾، مقسوم لأربعة أجزاء ، وكان ينضم إليهم في القسم المقدس ذويهم كرمزاً للوحدة الأسرية اليونانية وتماسكها، ويتضمن القسم تعهداً بأن كل لاعب عليه أن يقضى فترة كافية لا تقل عن عشرة أشهر بغرض الاشتراك في هذا المهرجان، وأنهم سيتنافسون بشرف ، دون حدوث أي سلوك غير سوي أو غير مشرف أو مناف لقواعد الرياضة والعرف والأخلاق⁽¹⁶⁾ .

أما القاصرين فقد كان يقوم أولياء أمورهم بالقسم نيابة عنهم ، وقد دونت المخالفات والعقوبات التي تحدث منظومة في شعر " البجي "، على لوحة برونزية وضعت تحت قدمي تمثال زيوس حامي العهود ، وهو عبارة عن تمثال ضخم من البرونز ، يشيخ بصولجانه الذي يرسل منه الصواعق على من يحنت بقسم اليمين ، وكان هذا التمثال مقاماً أمام برلمان المدينة (Bouleterion)⁽¹⁷⁾، فقد كان يقام في مدينة إيليس معسكر لتدريب الذين سيشترون لأول مرة ، ولتعودهم على السلوك الرياضي المتبع حسب نصوص وقواعد المتفق عليها .

ب- المرحلة الثانية : المباريات

كان الإعلان عن بدء المباريات يأتي بعد أداء القسم بحضور الكهنة أمام تمثال الإله زيوس، في معبده الكبير، حيث يتم نفخ الأبواق وبصيحات المنادين (kerykes)⁽¹⁸⁾، ثم يلي ذلك استعراض المتسابقين في الملعب، حيث يعلن المنظمون عن اسم كل مشترك في اللعبة والمدينة التي ينتمي إليها اللاعب .

كانت الدورة الأولمبية الأولى تعتمد أساساً على سباق الجري داخل الملعب لمسافة لا تزيد عن 200 ياردة لمرة واحدة (183 متر تقريبي)، حيث كان خط البداية يحدد بأحجار الحدود (Terma) أو الأعمدة المقطوعة (Truncated columns)، وكان المتسابقون يجرون في تشكيلات، وكل تشكيل يتكون من أربعة عدائين يرتدون الدروع ، ليتم إجراء تصفياتهم، ويقتصر السباق الثاني على أوائل التشكيلات، وهكذا حتى يبقى الفائز الأول الذي يعلن اسمه على الملأ عن طريق المنادين⁽¹⁹⁾، إلا أنه في عام 724 ق.م أصبح المتسابقون

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

يدورون حول حقل الملعب مرتين بالعودة إلى نقطة البداية (Diaulos)، وهذا السباق أشبه سباق ربع الميل الحالي، وفي عام 720 ق.م زيد السباق إلى مسافة أطول، حيث أصبح المتسابقون يقومون بالالتفاف حول الملعب عدة دورات، والتي يتراوح عددها ما بين 6،7،8،12،29 مرة، وهو ما يعرف بسباق المسافات الطويلة، وتبلغ إجمالي المسافة التي يجريها المتسابقون ما بين مليون إلى ثلاثة أميال (3.2 كم إلى 4.8 كم)، ومن الجدير بالذكر أن المهرجان الأولمبي في العهد القديم لم يعرف بما يسمى الآن سباق الماراثون (20)، في عام 708 ق.م أدخلت مباريات الألعاب الخمس (Pentathlon)، وهي تشمل على القفر العالي (haltuma)، حيث كان كل متسابق يقفز إلى أعلى حاملاً في يديه معادن تحفظ توازنه (haltuea)، تم ظهرت رياضة قذف القرص، وهي اللعبة التي عبر عنها تمثال ميرون الشهير لرامي القرص (Discobolus)، (ش 3)، والذي كان صيحة جديدة في الفن الإغريقي عام 450 ق.م لصناعة التماثيل، وقد بقيت منه نسخ كثيرة صنع مثلها الرومان وفق ما تطرق إليه كتاب الإغريق والرومان فيما بعد، ومنهم الكاتب بترونيوس (Petronius).

ثم يأتي بعد ذلك رمي الرمح، وكان المقصود به مدى إرسال السهم إلى أبعد نقطة، وليس دقة تسديده، ويلي رمي السهم المصارعة (Pale)، وكان يشترط أن يطرح المتصارع خصمه أرضاً ثلاث مرات لكي يعلن فوزه عليه، ولم تكن هناك قيود حول الإمساك بالمتصارعين مقارنة بالمصارعة التي تحدث اليوم، وأخيراً تأتي الملاكمة (Pygme) (21)، والتي أدخلت على الألعاب الأولمبية عام 688 ق.م، حيث كان المتلاكمون يلفون حول قبضات أيديهم ومعصمهم خيوطاً جلدية لتصبح مثل القفاز والذي يقلل من صلابة قبضة اليد، حتى لا تحدث إصابات كبيرة بين المتسابقين، وخير تعبير عن ملامح الملاكم ذلك التمثال البرونزي الذي يرجع إلى العصر الهلنيسي "عصر الواقعية وهو يصور ملاكماً كثيف اللحية جالساً ليستريح قليلاً، وملتفتاً ليستمع إلى نصائح مدربه ويرجح أن يكون هذا التمثال إلى لإثيني يدعى أبولونيوس (Apollonios) حوالي عام 150 ق.م،

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

فقد كانت الملاكمة تستمر حتى تضعف قوى أحد الملاكمين، فيعلن عدم قدرته على إتمام المباراة ، ويتضح من تمثال أبولونيوس مدى القسوة في الملاكمة ، والتي تتضح على وجه الملاكم ، وقطرات الدم التي تسيل من جرح أصيب به خلف أذنيه⁽²²⁾، أُضِيف إلى الألعاب الخمس لعبة جديدة وغريبة، وهي لعبة البانكراتيوم (pancrateum)⁽²³⁾، وهي خليط من لعبة المصارعة والملاكمة ، ويبدو أنها لعبة صعبة وقاسية وشديدة الغرابة أما خلال عام 680 ق.م ، أدخل سباق العربات التي تجرها الخيول، وعُرف المعمار الإغريقي بنظام معين لبناء ملاعب سباق الخيول (Hippodrome)، والتي تبلغ مساحتها ضعف مساحة ملعب الجري، فقد كانت العربات المتسابقة تقطعه ذهاباً وإياباً مابين ثمان واثنني عشرة مرة ، ويتبين مدى قدرة سائقيها على القيادة، فيتضح تفوق الخيول القوية المدربة تدريباً عالياً ، والعربة كانت تجرها أربعة خيول ، حتى نهاية القرن الخامس ق.م ، وبعده استبدلت الخيول بالبالغال التي لوحظ أنها إبطا سرعة من الخيول ، ومن ثم أعيد استعمال الخيول مرة أخرى وذلك باستخدام زوج من الخيول بدل أربعة وذلك عام 408 ق.م ، ورصد لها أعلى وأكثر الجوائز التي توزع على الفائزين ، وقد سجل الفن اليوناني سباق العربات على الواجهة الشرقية لمعبد بزيوس المقدس بأولمبيا ، والتي تبين إن السباق كان بين الملك بيلوبس والملك أونومانوس (Oenomanos)، بينما يقف زيوس بنفسه في الوسط ليحكم المباراة كما تم الكشف في حفائر دلفي على مجموعة من التماثيل أقامها بوليزالوس (Polyzalos) شقيق جيلون طاغية مدينة سيراكوزة بعد فوزه في سباق العربات عام 478 أو 474 ق.م حيث بقي من المجموعة تمثال سائق العربية الشهير (Charioteer) الذي يقف معتدلاً منتبها وهو يرتدي الزي الخاص بقواد عربات السباق، ويمثل روعة الفن الكلاسيكي وجماله⁽²⁴⁾، وقد اشترط في هذا السباق منذ عام 748 ق.م بأن يقفز المتسابقون من فوق ظهور الخيول قبل نهاية المباراة، ثم يكملون المسافة جرياً، وهم يمسونها بحبل، و في عام 520 ق.م أدخلت على السباق لعبة المبارزة ، وكان المتبارزون يتوشحون بالدروع ويضعون فوق رؤوسهم الخوذة ويحمون سيقانهم بأغطية ، حيث كان من شروط الاشتراك

الألعاب الأولمبية: بدايتها وأنواعها

في المباريات بأن يكون الرياضي رجلاً بالغاً، إلا أنه سمح باشتراك الصبيان فيما بعد ، إي عام 632 ق.م شرط أن يضمنهم أولياء أمورهم، وقد أصرت اللوائح أن يكون المتسابق يونانياً حراً⁽²⁵⁾، وحسن السيرة والسلوك، نظيف الماضي حتى لا يندس طهارة الشعائر، كما اشترط عليه أن يكون عضواً في مجتمع سياسي ، وقد حرمت هذه اللوائح إشراك الأجانب أو غير الإغريق الذين لقبوهم بالبرابرة (Barbaroi)، فيما عدا الرومان الذين لم يعتبرهم الإغريق برابرة أجنبية ، كما حُرّم إشراك العبيد في المباريات ، ولكن سمح لهم بحضورها قصد المشاهدة بعد استئذان السلطات، وكذلك الحال بالنسبة لغير الإغريق ، أما النساء والفتيات، فقد حرمت اللوائح دخولهن للمحراب المقدس حتى لا يندسونه، وبالتالي حُرّم عليهن مشاهدة المباريات الرياضية ، ويقول باوسانياس (Pausanias) إن ذلك كان قائماً بالنسبة للمتزوجات منهن، ولكن يبدو أن الحظر كان شاملاً واستثنى من ذلك خاميني (Chamyne) كاهنة ديميتير (Demeter) ربة القمح، لأنها كانت رمزا لطهارة الربة ، وعضواً شرفياً في المهرجان⁽²⁶⁾، أما فيما يخص نظام التحكيم، فقد كان مواطنو مدينة إيليس ينتخبون بالقرعة مجلساً من قضاة أهل إيليس، وكانوا يختارون من بين الأسر النبيلة⁽²⁷⁾، ليقوموا بالتحكيم بين المتسابقين هلالو ديكاوي (Hellandikai)، فقد كان في بداية الأمر يقوم بالتحكيم قاض واحد ، ثم زيد العدد إلى عشرة ، ثم إلى اثني عشر قاضياً، ورجع إلى عشرة مرة أخرى بعد عام 348 ق.م ، وكان أعضاء لجنة التحكيم يتميزون بلباسهم وهو عبارة عن عباءة أرجوانية، وبأكاليل أغصان الزيتون علي أجسامهم، كما خصص لهم مقاعد خاصة تطل على الملعب مباشرة، وكانت مهمتهم أساساً ، هي الإشراف على المهرجانات ، وتطبيق القانون، والنظام ، ومنع أي انفعال يؤدي إلى فوضى أو اضطرابات، وهذا ما جعل التحكيم بين المتبارين يمتاز بعدم التحيز، في ذات الوقت فقد سعى القضاة إلى إدخال نظام العقوبات والغرامات المالية، أي أنه إذا ثبت لدى القضاة أن لاعباً قد فاز بوسائل الغش أو الخداع أو مخالفة القوانين الخاصة باللعبة اعتبر خاسراً، ويحرم من مشاركته مدى حياته في المباريات التي تقام الألعاب الأولمبية بها، بالإضافة إلى

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

غرامة مالية تفرض عليه يقدمها إلى معبد زيوس، أو إقامة حد الجلد عليه على رؤوس الأشهاد من جمهرة الحاضرين ، فقد كانت أموال الغرامات المتراكمة يقام بها في مدينة إيليس صفاً من تماثيل برونزية لزيوس باسم مجموعة العقاب، كانت مقامة في مواجهة الأسوار الشرقية والشمالية(28)،

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه كيف كانت تدار هذه المباراة؟

بعد إتمام القسم والاستعراض يعين قضاة الفرق ، والأفراد المتنازلة، ثم يستبعد الخاسر، وتستمر المباريات بين المنتصرين، ليكون في النهاية فائز واحد يعلن عن فوزه (Olympianikos)، ويشترط الفوز أن يفوز اللاعب في ثلاث مباريات من أصل خمس، وإذا لم يجد لاعباً منزلاً ، فإنه ينتظر حتى ينزل الفائز في التصفيات، وقد كانت المباريات تتم على أنغام المزامير، لكي يتنافس المتبارون بحماس شديد ، طمعاً في الشهرة وتعطشاً للمديح ورغبة في الإحساس بأن الآلهة راضية عنهم بوقوفها معهم، ويجوز الفوز إذ ما امتنع رياضي أن يقبل التحدي من جانب معين، وبعد فوز الرياضي كان المتبارون يعلنون عن اسمه واسم البلد التي جاء منها هذا اللاعب (29). وهكذا كانت المباريات تستمر لمدة خمسة أيام متتالية ، وفي اليوم الأخير توزع الجوائز على الخمسة الأوائل الفائزين ، فقد كانت الجائزة الأولى عبارة عن امرأة تجيد أعمال المشغلات اليدوية الجميلة ، وموقد للنار ذي مقابض ، أما الجائزة الثانية فكانت جواد أنثى في أحشائها مهر صغير، في حين كانت الجائزة الثالثة عبارة عن إناء ضخم جديد ذي لون أبيض ، والجائزة الرابعة عبارة عن عملتين ذهبيتين من فئة (التالنت)، أما الخامسة فكانت إناء جديداً صغير الحجم ذا مقبضين، حيث كانت توزع هذه الجوائز وسط حفل كبير تشهده الجموع الذين كانوا يستقبلون الفائزين بالهتاف والتصفيق، ويصيحون لهم أنهم أبطال المهرجان (Olympianikoi)، ثم تتلى أسماءهم فيتقدم كل منهم ليستلم جائزته، وهي عبارة عن أغصان شجرة الزيتون المقدسة التي روت الأساطير ، وأن هيراكليس قد أتى بها إلى هذا المكان ، حيث إن أغصان شجرة الزيتون تقطع بطريقة دينية معينة وعن طريق صبي يتم

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

اختياره من أسرة نبيلة ، ويكون والده على قيد الحياة ، وعلى مائدة القرابين المشهورة المطعمة بالذهب والعاج، وكانت تُصَف بالأكاليل قبل تسليمها للفائزين، ويصبح الفائزون بعد ذلك متوجون (Stephanitaiagones)، ثم يختتم المهرجان بحفل كبير يقدم فيها الفائزون الأضاحي والقرابين فوق مذبح زيوس، وفوق رؤوسهم الأكاليل ثم يتبع ذلك بوليمة تقام على شرفهم في قصر الرئاسة (Prytaneum)، وكذلك معاش يقدم مدى الحياة للفائز (30)، وعندما يعود الفائز إلى مدينته منتصراً، كانت المدينة تخرج عن بكرة أبيها لاستقباله؛ لأنه رفع رأسها وكرامتها بين باقي المدن، وكان البطل يدخل المدينة ملتقاً بعباءة أرجوانية، ويركب عربة تجرها أربعة خيول بيضاء اللون، وتحيط به الجموع المصطفة في المدينة ، تقدمهم الراقصات تنشد أمزيج النصر له ، والتي كان ينظمها كبار شعراء المدينة خصيصاً لهذه المناسبة التاريخية، وفي ذات الوقت، يتوجه الراكب إلى المعبد الرسمي، حيث يخلع البطل الأكليل من فوق رأسه ويقدمه قرباناً للإله ، وبعد ذلك يذهب البطل لتسلم جائزته، والتي كانت في العادة جائزة ثمينة فمثلاً مدينة أثينا كان الفائز يحصل على خمسمائة دراخما (حوالي عشرين جنيهًا إسترلينيًا) ، وهو مبلغ باهظ الثمن في تلك الفترة، وإلى جانب الجائزة المالية كان الفائز يعطى عدة امتيازات شرفية أخرى، كالجلوس في أماكن الشرف في المسارح والمباريات، وفي مدينة إسبرطة كان يسمح للفائز بشرف القتال جوار شخص الملك (31).

2. الدورة البيثية Pythian في مدينة دلفي

تأتي في المرتبة الثانية من حيث ذو الأهمية بعد الألعاب الأولمبية ، حيث كانت تقام في مدينة دلفي (Delphi) وهي مدينة الإله أبوللون (Apollo) ، رب الشعر والموسيقى والشباب والعرافة ، والإله البحر، ولهذا كانت تقام على شرفه ، وقد قيل إنها تأسست بعد الحروب الدينية الأولى عام 582 ق.م، وقد نشأ هذا المهرجان من الاحتفالات الدينية للإله أبوللو، و كانت تقام في مدينة دلفي، حيث يتبارى المنشدون في مديح هذا الإله بإنشاد مديح منظوم في وزن بياني (Panaean)، وعلى أنغام الموسيقى ، وتحت إشراف كهنة دلفي ،

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

وبعد الحروب البيثية الطاحنة أصبح سهل كريسا(Crisa) في حوزة كهنة أبوللون، حيث إنشأ حلف الأمفكتيون الديني (Amphiction)، وعدل هذا المهرجان فأصبح يشمل مباريات رياضية تماماً مثل الألعاب الأولمبية ، حيث كان العداءون يتسابقون في المباريات إلى جانب مباريات العزف والإنشاد على القيثارة وعلى أنغام المزامير ،وقد نشأت المباريات الموسيقية من أسطورة تتحدث عن صراع الإله مع التنين بيثون رمز الشر ، وقد عادله الإغريق بالإله سث عند المصريين، وانتصاره عليه بعد أن أمطره بسهامه القاتلة وكان المهرجان الموسيقي الرياضي يقام كل أربع سنوات في شهر بوكاتيوس (Bucatius) منتصف أغسطس من السنة اليونانية (32)، وبعد ثلاثة أعوام من مهرجان أولمبيا،و في هذا المهرجان أعتاد كهنة دلفي إرسال مندوبين لإعلان السلام (Spondophoroi) إلى كافة المدن اليونانية ، وبعد انتهاء المباريات ، كانت الجوائز تقدم للفائزين في المباريات بعد قرار لجنة التحكيم التي تنتخب من جانب الحلف الأمفكتيوني، وكانت الجائزة المعتادة إكليلا بسيطاً من شجرة الغار المقدسة عند أبوللون ،وكانت موجودة في وادي تمبي الشهير (Tempe) بإقليم تساليا (Thessalia) في شمال اليونان ، إلى جانب سعف النخيل،وقد أعطيت شعبية أبوللون وشهرته في إعطاء النبؤات ، ولهذا المهرجان أهمية خاصة ، ولذا حرصت جماهير الشعب على مشاهدته والقدوم إليه أفواجا؛ إذ إنه في الغالب أن الإغريق توقفوا عن إقامة هذا المهرجان بعد عام 394 م مثلما حصل في الألعاب الاولمبية عند غزو الرومان لبلادهم في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس (33).

3. دورة المهرجانات الإستميةIsthmian

إن المهرجانات الإستمية كانت تقام على شرف الإله بوسيدون (Poseidon) ، رب البحار والمحيطات في ساحته الشهيرة عند خليج كورنثا وسط اليونان ،فقد أخذ منه هذا الاسم، وقد أنشأت هذه الدورة بعد عام 581 ق.م ، حيث كانت هذه الدورة تأتي في العام التالي مباشرة للألعاب الاولمبية ، وقد تمكن الأثريون حديثاً من التعرف على مكان هذه

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

الساحة ، وبالطبع أشرف أهل كورنثا "سادة البحار" على هذا المهرجان ، وكان مبعوثو أثينا يتبعون مكان الصدارة ، ويعقد المهرجان في أواسط الربيع كل أربع سنوات ، ولكنه عدل عام 582 ق.م ، فأصبح يعقد مرة كل عامين في السنة الثانية والسنة الرابعة من كل اولمبياد ، وكان مسموحاً لكل الإغريق الاشتراك فيه ماعدا أهل ديلوس ، وتضم الألعاب التي تقام ، مباريات في ألعاب القوى وسباق الخيل ، ومباريات مسرحية وموسيقية ومسابقات خاصة بالقوارب في الخليج⁽³⁴⁾، وقد ذكر المؤرخ ثيوكيدديس (Thucydides) أن الحروب البيلوبونيسية توقفت عام 413 ق.م لإعطاء قدسيه لهذا المهرجان، بالرغم من أن الحرب كانت في أصعب مراحلها، و كانت الجوائز الممنوحة للفائزين عبارة عن أكليل من شجرة الكرفس البري⁽³⁵⁾، وعند تدمير كورنثا انتقلت الإشراف على المهرجان إلى جزيرة سيكيون (Sycion) ، ثم عاد إلى كورنثا بعد إعادة بنائها على يد قيصر⁽³⁶⁾.

4. دورة المهرجانات النيمية

كانت المهرجانات النيمية تقام في سهل نيميا (Nemca) الذي يقع في محيط مدينة كليوني الصغيرة (Cleoneae)، إحدى مدن إقليم ازجوليس، حيث معبد وغابة زيوس، وقد قيل أنه نشأ أساساً من ألعاب جنازية (Funeral games)، كانت تقام على روح صبي سقط أثناء حملة السبعة ضد مدينة طيبة ، "وهي أسطورة قديمة" ، إلا أن البعض يرى إن هيراكليس هو من قام بتطويرها لتصبح ألعاباً تكريمية لزيوس رب الأرباب ، والجدير بالذكر إن هذا المهرجان كان يشتمل على مباريات رياضية منذ عام 573 ق.م على نمط مهرجان أولمبيا، أما وجه الخلاف بين الباحثين ، هو عدد المرات التي كان يقام فيها هذا المهرجان ، فقد كانت تعقد مرتين كل أربع سنوات ، الأولى كانت تنظم في صيف السنة الأولى من الدورة الاولمبية ، والثانية تنظم في شتاء السنة الرابعة منها ، ويرجح أنها كانت في بداية ظهورها ألعاباً جنازية ، وكانت تقام تقرباً لأله الطبيعة القديم ارخيمو (Archemore) إلا أن رواية أخرى نسبت أقامتها كم سبق وذكرنا لهرقل على شرف (Opheltes)⁽³⁷⁾، كما ذكرت الأساطير أن هذا الوادي كان يحتوى على شجرة

الألعاب الأولمبية: بدايتها وأنواعها

السرو (Cypress) ، التي كان لها عند زيوس قديستها، والتي كان يصنع من أغصانها التيجان ، ولقد صدق المثل الروماني القائل العقل السليم في الجسم السليم ، ولذا كانت اسم يامنبة عند الرياضية بان يتوج فائزاً في إحدى هذه المهرجانات ، ويوم يفوز في جميعها فإن الرياضي يعتبر نفسه قد وصل إلى غاية أمانيه وأحلامه ، لأنه يلقب بطل الدورات (Periodonikes) وهو شرف يرفعه إلى أعلى المراتب تصل إلى مرتبة التقديس (38)، لقد ساعدت عملية التجمهر والتجمع الحضارة اليونانية كثيراً، لذلك كانت هذه المهرجانات تتخذ شكلا وأهمية خاصة كوسيلة إعلام واستعلام ،وكمناسبة لبث الدعايات وتعريف الناس بموضوعات معينة ، ولذا حرص الأدياء الناشئون والفنانون المصورون على حضورها أملمين في كسب الاعتراف بمقدرتهم والوصول إلى الشهرة، فقد كانت جموع النظارة تتدفق على أماكن المهرجانات متحملمين مشقة السفر لا من أجل مشاهدة أبطالهم الرياضيين المفضلين فحسب بل من أجل مشاهدة مشاهير رجالات الفكر والفن وكبار الشخصيات السياسية ، فقد استعرض كلا من الخطيبين لوسياس و ايسوقراط بلاغتهما الخطابية في هذه المهرجانات ، فقد كانت هذه المهرجانات الثقافية والفنية تجرى في نفس الوقت الذي تقام فيه المباريات، كما أن هناك أدلة واضحة على أن بعض كبار الشخصيات مثل القائد الأثيني ثيميتوكليس (Themistocles) والفيلسوف أفلاطون قد زاروا القرية الأولمبية، ويقول لوكيانوس (Lucianus) أن هيرودوت قرأ فيها على الناس لأول مرة كُتبه التسع في التاريخ ، الذي أعطى لكل كتاب اسم ربة من ربوات الفنون (Musae)، ويروي باوزنياس انه شاهد تمثالاً للفيلسوف السوفسطاني جورجياس (Gorgias) في أولمبيا تكريماً لإمتاعه الناس ببلاغته ومقدرته على الجدل (39)، ولهذا كانت هذه التجمعات لأيام طويلة تؤدي إلى المصاهرات والتآلف بين الإغريق بعد أن يتناسوا خلافاتهم وحروبهم ولو لوقت قصير، وباختصار كان هذا التجمع لكل الإغريقين تجسداً حياً للقومية اليونانية بكامل أطيافها، وقد ألقى الخطيب إيسوقراط - نبي الوحدة اليونانية وخطيبها- خطبة بمناسبة المهرجان الأولمبي المثوي، ووضح فيها أهمية هذه المهرجانات وقضية الوحدة ، يقول فيها ينبغي علينا أن

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

نثنى على هؤلاء الذين أوجدوا لنا أعياد الثناء (Panegyric) (ويقصد المهرجانات الرياضية) وخلفوا لنا هذا التراث، بفضلهم أصبحنا نلتقي في مكان واحد بعد أن نعلن هدفه ونتوقف عن الاقتتال ، فنتلو الصلوات ، ونقدم للآلهة الأضاحي ، ونحس في نفوسنا إحساسا واحدا بأننا من أصل واحد، هناك يحسن كل منا معاملة الآخر من أجل المستقبل ، ونعيد ممارسة علاقاتنا المضيافة القديمة ، بل وتكون علاقات جديدة وليست هذه اللقاءات مضيعة الوقت لا لجمهير النظارة ولا لشخص الرياضي، لأن هذا الأخير كان يستعرض أمام الإغريق المجتمعين مواهبه الطبيعية ، أما الجمهور فإنه كان يجد المتعة ، والسرور في مشاهدة هذه الألعاب ، وليس هناك ما يجعل أحدهما يضيق بالآخر ذرعاً، لأن كل فريق يجسد ما يرضى كبرياؤه ، وذلك عندما يدرك المشاهدون أن الرياضيين يبذلون أقصى طاقاتهم لإدخال السرور عليهم ، ويدرك الرياضيون إن كل هذه الجموع قد جاءت لتعبر لهم عن إعجابهم بهم ، ولقد كانت كل أسرة تفخر بانتصارات أبنائها في مجالات الرياضة الأولمبية وغيرها، وأيضاً يحدثنا المؤرخ شيشرون في كتابه مجادلات تسكولية أن رياضياً من جزيرة رودس اسمه دياجوراس (Diagoras) اشتهر بفوزه في مباريات الملاكمة، حتى أن بنداروس تغنى بإحدى انتصاراته في الدورة الأولمبية السابعة ، ويستطرد شيشرون فيروي أن هذا الملاك عاش حتى بلغ به العمر أرذله ، وعاش ليرى ويسمع نبأ فوز ولدين له في الملاكمة في أولمبيا ، وذات يوم دخل عليه رجل من لاكونيا واقترب منه، وبعد أن هناه على فوز ولديه قال له تستطيع أن تموت الآن يا دياجوراس لأنك لن تعرف مرة أخرى بهجة ربانية مثل هذه اللهجة، ومن الواضح أن هذا اللاكوني أراد أن يحذر هذا الشيخ المسن من غيرة الآلهة وحقدتها إذا ما عاش ليشاهد انتصارات أخرى يحققها أبنائه (40)، وهكذا ظلت هذه المهرجانات طيلة فترة حكم اليونانيين إبان مجد بلادهم، والتي استمرت 1168منذ عام 776 ق.م وحتى عام 393 ق.م، وقد عقدت 293 مرة ، إلا إن اجتياحا للاستعمار الروماني كان سبب انهيارها وسقوطها تحت براثن هذا الاستعمار، فقد اعتبر

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

الإمبراطور الروماني المسيحي ثيودوسيوس (Theodosius) إن هذه المهرجانات هي رجساً من عمل الوثنية فألغاها عام 394 م⁽⁴⁰⁾.

الخلاصة:

نستخلص من هذا البحث أن الألعاب تمثل شكلا من أشكال تراث الأمم بكل ما يحتويه هذا التراث من متغيرات تؤثر إيجاباً أو سلباً فيه ، ويمكن اعتبار الألعاب احد أهم جوانب التراث الثقافي في المجتمع الإغريقي إذا اعتمدت فيه أساليب المنافسة المختلفة وطرق التدريب الفعالة وصولاً للفوز في هذه المنافسات المحلية والقومية ، فبعض الألعاب كانت تدخل ضمن مهرجانات مختلفة وفي أماكن متفرقة من البلاد الإغريقية وتقام حسب المناسبات الدينية وعند الاحتفال بالنصر في المعارك أو عند الاحتفال بدفع عدو خارجي عن الوطن وغيرها من المناسبات ، ومن أشهر هذه الألعاب هو الذي يقام في مدينة اولمبيا الذي احتوى على العديد من الألعاب وعرفت هذه الألعاب فيما بعد بالألعاب الاولمبية نسبة إلى هذه المدينة ويقام كل أربعة سنوات فيها في ذروة الاحتفالات الدينية التي كانت تقام في تلك المدينة وتتخللها هذه الألعاب .

إن دورة الألعاب الاولمبية لم تكن وليدة اللحظة بل أنها كانت منذ القدم ومرت بعدة مراحل إلى إن أصبحت بما نشاهده اليوم ، وبالتالي فإن الحياة بدون احتفالات هي طريق طويل دون استراحات، لهذا فإن الإغريق اهتموا بتوفير أكبر قدر ممكن من الراحة لأنفسهم، والتي تجسدت في الألعاب وتقديم الأضحيات والقربان، حيث أن هذه الاحتفالات لم تنظم لتوفير المتعة للطبقة العامة فهذا الحقبة، خاصة أن الاعتبارات الاجتماعية كانت تلعب دوراً محدوداً، بل أن الألعاب والاحتفالات في بلاد الإغريق كانت لها أصول دينية مقدسة ، ولم يكن ثمة احتفال شخصي أو عام واحد إلا وكانت الآلهة حاضرة، وهذه الآلهة مثلاً لبشر تماماً، فقد كان لها مناسباتها السنوية، إذ من الجرم دينياً إذ لم يحتفل بها، والتي منها أعياد الميلاد، والانتصارات، وهبوطها إلى حرمها المقدسة ، ونظراً لأن الحظ الطيب لا يأتي للبشر من خلال إرادة الخالدين ،فسوف يكون من الظلم عدم الاشتراك معهم في أفراحهم

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

التي هي إعلان عن السعادة التي يتمتع بها البشر الفانون من خلال هباتهم، وفي هذه الفترة الزمنية ظهرت الألعاب، التي اعتبرها اليونانيون عنصراً جوهرياً في كل احتفال، في شكل رقصات وألعاب وتسابق لأظهر القوة البدنية للأشخاص الذي ينحدروا من المدينة التي ينتمي إليها ، وللغوز بالجوائز المقررة في كل لعبة ، فقد كانت هذه الألعاب تؤدي أمام جمهور المشاهدين الذي تجمع في شكل صفوف على المدرجات أو على الدرج، تنظمها القوانين واللوائح التي فرضها القضاة والحكام لإعطائها نوعاً من المصادقية بين المدن وعدم التحيز لمدينة عن أخرى، وإن الأضحية كانت تقدم كالتقاربين للآلهة ذبحت فوق المحرقة لمساعدتهم على الفوز وجلب الحظ للمتسابقين، وأيضاً فقد اعتبرت إشارة عازفي الأبواق بدء دورة الألعاب والاحتفالات ، حيث يتنافس المشاركون في سباق للعربات، والجري، والملاكمة، والمصارعة، ورمي القرص، ورمي السهام ، وكان جوا يسوده نوعاً من المرح ، ذلك الذي جرت فيه هذه الألعاب الرياضية، ووزعت الجوائز على الفائزين والذين يعتبرون الأبطال الرياضيين الكاملين، والفائز يكون من المقربين من الآلهة، ولا ننسى أنه في نهاية هذه الألعاب تأتي المسابقات الموسيقية والأمسيات الشعرية والفكرية فالعقل السليم في الجسم السليم.

إن ما يميز الاحتفالات أن عدد المشاركين يزداد بدرجة كبيرة ، فقد كان يقوده موكب من الكهنة والشخصيات الهامة الرسمية بدلاً من تدافع الصفوف غير المنظمة من المحتفلين الأفراد الذين يحملون خنزيراً صغيراً أو شاة في اتجاه المذبح للتضحية به، فيزداد عدد الأضحيات حتى يمكن أن يصل إلى مائة ، مما يجعلها مجزرة وعيد ، وهو المثال النموذجي للاحتفال العام حيث تتجمع مدينة بأكملها معاً للاحتفال بعيد إلهة الحامية.

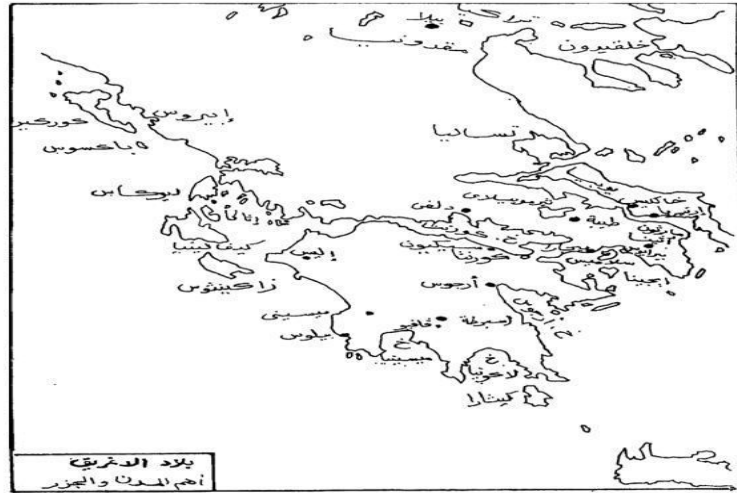
لقد كانت معظم الاحتفالات الكبيرة في كل مكان - وهذا يشير إلى الأصول القديمة، والطبيعة الريفية للحضارة الإغريقية- تقع في الأوقات الهامة من العام فقد كانت تتمتع بطقوس معينة وشعائر محددة تختلف في طبيعتها طبقاً لطبيعة الحدث المحتفل به، وكانت

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

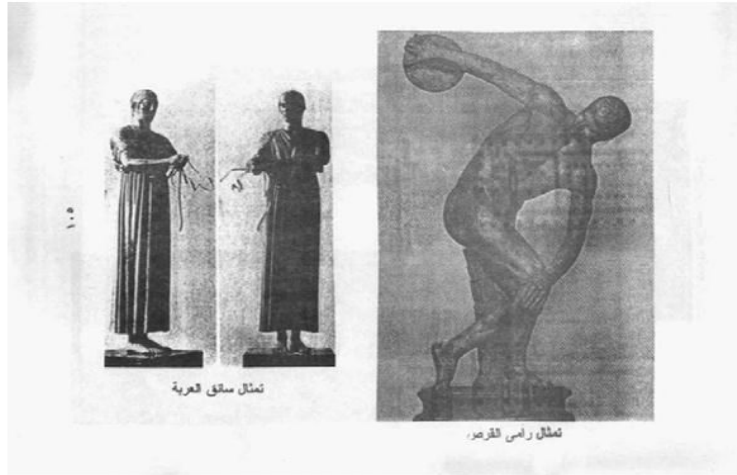
العناصر المشتركة في كل الأفراح، دون أي شك، هي الشعور بالامتنان للآلهة، والابتهاج بالتجمع معاً، بما أن تجمع الناس معا يجعل العالم أفضل، تماما كما نفعل اليوم. أن هذه التجمعات لأيام طويلة تؤدي إلى المصاهرات والتآلف بين الإغريق بعد أن يتناسوا خلافاتهم وحروبهم ولو لوقت قصير ، ويجمعهم ذلك في تماسكهم وتجسدهم للقومية الإغريقية بكامل أشكالها ، وكذلك عملية التجمهر والتجمع ساعد الحضارة الإغريقية على التطور والتعريف بها وبث الدعايات ، وتعريف الناس بموضوعات واهتمامات معينة ، بسبب حضور عدد كبير من الأدباء والفنانين والمصورين والفلاسفة والشعراء ورجال الفكر والسياسة ، الذين يبحثون عن الاعتراف بهم لكسب الشهرة ومشاهدتهم من قبل الناس ومحاورتهم ومنهم على سبيل المثال سقراط ولوسياس وغيرهم، إن الطقوس الدينية كانت تحتوي على بعض الحركات البدنية الراقصة والرياضية ، وبعض الألعاب كان يمارسها أو يشارك فيها الكهنة مثل المصارعة ، واستطاعت هذه الألعاب وضع حد للفوارق الطبقيّة بين أبناء المجتمع الواحد باعتبارها منبرا لفخر أبناء المدن بفائزيها، وكذلك النظام التربوي اظهر عناية بالتمارين وجمال جسد الإنسان وبالتالي أهمية الرياضة والتميز للمشاركة في الألعاب ، وما مكن الكهنة من المحافظة على الألعاب الاولمبية هو عندما وضعوا الهدنة المقدسة أثناء إقامة الألعاب لوقف الحروب والدعوة للسلام والأمان، إذا كان الدين قد عجز عن توحيد بلاد اليونان ، فإن الألعاب الرياضية الاولمبية قد أفلحت في توحيدها ، وذلك لأن الناس لم يذهبوا إلى أولمبيا ، ودلفي ، وكورنثة ، ونميا، ليعظموا الآلهة ، لان الآلهة يمكن تعظيمها في أي مكان ، بقدر ما كانوا يذهبون ليشاهدوا مباريات البطولة بين الرياضيين المختارين والاجتماع العام لطوائف اليونانيين المختلفين .

الملاحق

شكل رقم 1: خريطة بلاد الإغريق



شكل رقم 3: رمي القرص وسائق العربة



زكي حامد قانوس ، مدخل علم الإثار اليونانية ، ص105

شكل رقم 2: رأس زيوس (Zeus)



خالد الهدار، رأس المؤله زيوس، المقالة، العدد 9، صحيفة افاق اثرية، مايو 2012

قائمة المختصرات :

صفحة = ص

بدون تاريخ نشر = ب ت

بدون دار نشر = ب ن

جزء = ج

مجلد = مج

قبل الميلاد = ق.م

ول .وايريلديورانت = ول.ديورانت

المراجع :

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. أندريه إيمار وجانين اوبويه ، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة ، ت: فريد داغر ، فؤاد أبوريحان ، ط2، منشورات عويدات ، بيروت ، 1986 .
2. بيير ديفانبيه وآخرون ، معجم الحضارات اليونانية القديمة ، ج1 ، ت: احمد عبد الباسط حسن، م: فايز يوسف محمد ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011 .
3. روبرت ج. ليثمان، التجربة الإغريقية حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي(800-400 ق.م)، ت : منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2000 .
4. عبد اللطيف احمد على، التاريخ اليوناني:العصر الهللاذي،ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1976
5. عبدالله حسين، تاريخ ما قبل التاريخ، مطبعة الشباب الحديثة، القاهرة ، (د.ت) .
6. على عكاشة وآخرون ، اليونان والرومان ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، عمان، 1991.
7. فوزي مكاي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته من أقدم عصوره حتى 322 ق.م ، دار الرشد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1980 .
8. لجرجي ديمتري سرسق ، تاريخ اليونان ، (ب.د)، بيروت ، 1876 .
9. محمود إبراهيم السعدنى ، تاريخ وحضارة اليونان ، " دراسة تاريخية أثرية " ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة ، 2008 .
10. ممدوح درويش، تاريخ الألعاب الاولمبية، الإسكندرية،(رسالة دكتوراه غير منشورة)
11. محمود فهمي، تاريخ اليونان ، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة ، 1999 .
12. هـ . د . كيتو ، الإغريق ، ت : محمد صقر خفاجة ، راجعه : عبد الرزاق يسرى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1962 .
13. ول .وايريل ديورانت ، قصة الحضارة ، حياة اليونان ، ج2 ، مج 2 ، دار الجيل ، بيروت .

أ . عادل مصباح نصرات

الألعاب الاولمبية: بدايتها وأنواعها

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

1. F .A. Petrie An Introduction to Greek History , Antiquities and Literature , 2nd edition , Oxford University press ,1962 .
 2. F.Chamoux Greek Civilization Paris , 1962.
- F.E.N. Gardiner , Athletics of the Ancient world , Oxford , 1930

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

أ : عبد الرزاق ميلود إبراهيم المودي
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

مقدمة :

ساعدت التنمية الشاملة التي مر بها المجتمع الليبي ولا سيما الاقتصادية منها على استحداث شبكة من الطرق البرية التي ربطت جميع المناطق الحضرية والريفية ، كما أن هذه التنمية ساهمت في زيادة دخل المواطن مما أدى إلي قدرته على امتلاك سيارة أو أكثر، وبما أن حركة الانتقال بواسطة المركبات هي الأكثر استخداماً في المجتمع الليبي فإن ذلك أدى إلى زيادة حوادث المرور وترتب علي ذلك أثار اجتماعية واقتصادية وبشرية لها أضرارها الخطيرة على المجتمع .

وانطلاقاً من أهمية تنظيم سير المركبات على الطرق بشكل يحافظ علي مقومات المجتمع الرئيسية وفي مقدمتها العنصر البشري، ويساعد في حركة تنقل المواطنين بدون عناء ومشقة . ولأن للمرور أهمية خاصة في حياة المجتمع ، ولا نتصور مجتمعاً يمكن أن يمارس حياته اليومية في هدوء واستقرار دون وجود نسق ينظم الحركة اليومية لهذا المجتمع في إطار ما يعرف بنظام المرور . ولكي نعطي دليلاً علي أهمية هذا النظام بكافة عناصره وأجزائه المختلفة في حياة الناس ، نشير فقط إلي عنصر بسيط هو (إشارة المرور) فإذا حدث عطل في هذا العنصر أدي ذلك مباشرة إلي خلل في حركة السيارات وأثر ذلك علي مصالح الناس وأعمالهم اليومية ، فضلاً عن الحوادث التي يمكن وقوعها نتيجة توقف هذه الإشارة عن العمل حتى لو كان هذا التوقف لمدة محدودة .، والواقع أن نظام المرور بما يحوي من عناصر كل لا يتجزأ تعمل عناصره متساندة ويكمل كل منها الآخر في عملية تفاعلية لتلك العناصر التي تشكل نظام المرور بشكله العام . فإذا أشرنا إلي بعض تلك العناصر كالسيارة والإشارة وعلامات السير ورخص السائقين والسيارات. الخ

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

فإن الإنسان يأتي علي رأس تلك العناصر لأنه المستفيد الأول من هذا النظام أو لأنه هو الذي سن هذا النظام . كما أنه هو المشرف عليه وهو الذي يحافظ عليه أو لا يحافظ ، ولهذا فإن أهمية هذه الدراسة تكمن في كونها تركز علي الإنسان العنصر الفاعل في نظام المرور والمستفيد منه، وقد رأينا أن ندرس الثقافة المرورية لدى الإنسان ونربط بين هذه الثقافة والعوامل المسببة لحوادث السير كالمعرفة بالسرعة القانونية داخل المدينة وخارجها وعوامل تشتت الذهن أثناء القيادة وبعض مدلولات إشارات المرور .

قسمت الورقة البحثية إلى أربع محاور الرئيسية تمثلت في : المحور الأول عرض مفاهيمي عن مفهوم الثقافة والثقافة المرورية . والمحور الثاني : التطور التاريخي لحوادث المرور بالمجتمع الليبي . والمحور الثالث : أسباب حوادث المرور . أما المحور الرابع : الدراسات السابقة التي تناولت حوادث المرور بالمجتمع الليبي .

المحور الأول : عرض مفاهيمي عن مفهوم الثقافة و الثقافة المرورية :

أولاً : الثقافة :

1. مفهوم الثقافة :

يتفق علماء الأنثروبولوجيا الثقافية على أن الثقافة هي موضوع دراستهم ولكنهم يختلفون في تعريفها ، عرفها البعض بأنها " السلوك المكتسب " وعند البعض الأخر الثقافة ليست السلوك وإنما هي " تجريدات مأخوذة من السلوك ، وبينما يعتبر البعض الأشياء المادية مثل الأدوات والآلات والملابس والمنازل داخله في نطاق الثقافة يرفض ذلك آخرون ويقررون أن الثقافة تقتصر على الأفكار وأنماط السلوك وفيما يتعلق بالعلماء الذين يعرفون الثقافة بأنها مجموعة من الأفكار نراهم يختلفون في تحديد مركز أو مكان تلك الأفكار قال بعضهم أن مكانها هو " عقول الأفراد موضوع الدراسة " وقال البعض أن مركزها هو " عقول علماء الأنثروبولوجيا " ويرفض البعض ذلك التعريف من أساسه ويقررون أن الثقافة ليست الأفكار وإنما الأشياء والأفعال الخارجية التي يمكن ملاحظتها حسياً إلا أنه في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان هناك شبه اتفاق عام بين العلماء على الأخذ

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

بالتعريف الشهير الذي وضعه العلامة : تايلور " وافتتح به كتابه " الثقافة البدائية " وفيه يقول :

" الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع " (1).

2. عناصر الثقافة :

الوحدة الأساسية في الثقافة هو العنصر الثقافي وهو العنصر البسيط الذي لا يمكن تحليله إلى عناصر أبسط منه أو الذي لا يوجد حاجة علمية لتحليله إلى ما هو أبسط منه . ولا يوجد اتفاق بين العلماء على طبيعة تلك الوحدة الأساسية (2). إلا أنه بناءً على التقسيم الذي وصفه "هوايت" في تحديد مواقع العناصر الثقافية ويطلق عليها اصطلاح مواقع الثقافة . يحدد "هوايت" ثلاثة مواقع وهي :

1- أشخاص الإنسان ويقصد بذلك الأفكار والعقائد والاتجاهات الموجودة في عقول الأشخاص .

2- الأشياء وهي كل شيء مادي محسوس يعطيه الإنسان معنى محدداً وفي معظم الحالات يكون من صنعه أو على الأقل يبذل الإنسان بعض الجهد في إيجاده بصورة جديدة تختلف عن صورة الشيء في الطبيعة .

3- العلاقات وخطوط التفاعل والاتصال بين البشر بعضهم ببعض وبين البشر والأشياء . ويجب ملاحظة أن تقسيم الثقافة إلى قطاعات هو في الحقيقة عملية تحليلية تهدف إلى إخضاع هذا العدد الضخم من النظم والأنساق الثقافية إلى الدراسة العلمية. ولذلك لا تعبر تلك العملية التنظيمية عن الواقع الثقافي بدقة ، فإننا في حياتنا اليومية لا نشعر بذلك التقسيم لعدم وجوده واقعياً ، ولكن يوجد مركبات ثقافية ونظم ثقافية تتداخل فيها الأفكار والأشياء والعلاقات .

3. خصائص الثقافة :

ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع الثقافة والحفاظ عليها، ولكنه يشارك عدداً كبيراً من الحيوانات في المعيشة داخل مجتمع ، بدأ صغيراً واخذ ينمو ويتسع بمرور الزمن . وكل مجتمع بشري له ثقافة خاصة به تميزه عن باقي المجتمعات ، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوى بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما وتشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية وبالرغم من التباين الضخم بين ثقافات الإنسان سواء كانت تقليدية أو قروية أو تجارية أو صناعية فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشترك فيها جميع الثقافات وفيما يلي عرض موجز لتلك الخصائص .

أ- الثقافة إنسانية :

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً خاصاً وقدرات عقلية فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة ، ويتميز ذلك الجهاز العصبي كذلك بقدرته الفائقة على تغيير السلوك البشري من وقت لآخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة دون الحاجة إلى ضرورة حدوث تغيرات عضوية ، فمثلاً انتقل الإنسان العاقل من المناطق الدافئة إلى مناطق باردة جداً وتكيف معها عن طريق اختراع الملابس المصنوعة من الصوف والفراء وكذلك عن طريق اختراع بناء السكن في داخل الثلوج واستخدام شحوم الحيوانات للتدفئة وما إلى ذلك ، وانتقل الإنسان كذلك من المناطق الدافئة إلى المناطق الاستوائية وتكيف معها باختراع أفكار وأعمال جديدة مثل عدم استخدام الملابس واختراع مساكن تخفف من الحرارة والرطوبة وما إلى ذلك . وانتقل الإنسان من طور جمع القوت إلى طور الصيد وأخيراً إلى طور الرعي والزراعة دون ظهور تغيرات عضوية تذكر . وإنما الذي تغير هو ثقافته أي مجموع أفكاره وأعماله .

ب- الثقافة مكتسبة :

يكتسب الإنسان الثقافة من مجتمعه منذ مولده عن طريق الخبرة الشخصية، وبما أن كل مجتمع إنساني يتميز بثقافة معينة محددة بزمان ومكان معين ، فإن الإنسان يكتسب ثقافة

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

المجتمع الذي يعيش فيه منذ الصغر ، ولا تؤثر العوامل الفسيولوجية والسلالية في تلك العملية أي عملية التنشئة الثقافية والاجتماعية ، وهي عملية نقل ثقافة المجتمع ونظمه الاجتماعية إلى الطفل الذي يعيش فيه ، والمقصود بذلك أن أي طفل بشرى مهما تكن السلالة التي يرجع إليها يستطيع أن يلتقط ثقافة أي مجتمع إذا عاش فيه فترة زمنية كافية ، فمثلاً إذا أخذنا طفلاً زنجياً من قبيلة الإيمو في نيجيريا ووضعناه في أسرة ليبية منذ الصغر ، فإنه يتكلم العربية ولن يتكلم لغة الإيمو ، كذلك الحالة بالنسبة للنظم الثقافية الأخرى .

ج- الثقافة أفكار وأعمال :

يقوم الإنسان في كل مجتمع بإنشاء علاقات مع ثلاثة عوالم : العالم المادي والعالم الاجتماعي والعالم الفكري والرمزي . ولم يقف الإنسان مكتوف الأيدي أمام البيئة الجغرافية وعناصرها . وإنما أخذ يشكل فيها ويحولها إلى أدوات وآلات ومنازل ومدارس ومصانع . وهذه العناصر المادية تحولت إلى أعمال إنسانية بعد أن أثر فيها الإنسان . ويجب ملاحظة أن كل عمل إنساني لا يمكن أن يتم ما لم تسبقه فكرة وإرادة التنفيذ . وهكذا لا تخرج العناصر المادية للثقافة عن كونها أفكاراً مجسدة في أعمال . أما العالم الاجتماعي فيشتمل على النظم الاجتماعية التي تحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان فتوجد النظم الاقتصادية من تعاون وملكية خاصة وملكية مشاعة وما إلى ذلك . وكذلك توجد النظم السياسية التي تحدد ظاهرة السلطة والقوة في المجتمع وعلاقة الحاكم بالمحكومين ، وهناك النظم العائلية والعادات والتقاليد ، إذا حللنا تلك العلاقات الاجتماعية نجد أنها ترجع في النهاية إلى تصرفات إنسانية وأفكار أي إلى أعمال وأفكار . وفي علاقة الإنسان بعالم الأفكار المجردة والرموز نجد نظاماً ثقافياً تحدد تلك العلاقة بطابع معين في كل مجتمع إنساني . ومن أمثلة تلك النظم اللغة والدين والفن والقيم ، وهذه النظم وإن كان يغلب فيها جانب الأفكار والعقائد والقيم إلا أنها لا تخلو من أعمال . يتضح مما سبق أن الثقافة إذا نظرنا إليها كعناصر أو مركبات ونظم أو حتى قطاعات لا تخرج في النهاية عن كونها أفكاراً وأعمالاً اخترعها الإنسان لسد حاجاته الأولية والثانوية .

د- الثقافة الاجتماعية :

تدرس الثقافة في الجماعات والمجتمعات ، وذلك لأنها عادات المجتمعات وليست عادات الأفراد ، وإذا درس الأنثروبولوجي سلوك الأفراد ليستنتج منها أنماط الثقافة ، فإنه يدرس هؤلاء الأفراد كأعضاء في جماعة معينة وليس بصفتهم الفردية . إن دراسة الفرد كشخصية متميزة هو موضوع علم النفس وليس موضوع الأنثروبولوجي، وتختلف النظم الثقافية في مدى شمولها . فهناك نظم تطبق على جميع أفراد المجتمع الواحد ، وفي الغالب تتعلق تلك النظم بالمقومات الأساسية لوجود المجتمع واستمراره ومن أمثلة ذلك نظم الضبط الاجتماعي من عرف وقوانين . يتعرض المخالف لعقوبات متنوعة قد تصل إلى حد الإعدام . ولكن لا تتمتع كل النظم الثقافية بذلك الشمول في التطبيق ، بل أن عددا كبيرا من النظم يطبق على جماعة معينة داخل المجتمع الواحد ولا يطبق على الجماعات الأخرى ، ويمكن تقسيم النظم الثقافية على أساس مدى شمولها إلى ثلاثة أنواع :

1- العموميات : وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع ، ومن أمثلة ذلك اللغة في المجتمعات التقليدية خاصة ، فإنه يندر أن يعرف أحد من أفراد القبيلة لغة غير لغة قبيلته . ونقدم مثالا آخر من الثقافات وهو قانون العقوبات الخاص بمنع القتل والسرقة والاعتصاب ومعاقبة المخالف ، ومن الأمثلة التي نجدها في المجتمعات المختلفة والحضرية نظام المحارم الذي يمنع الزواج من أقرباء معينين وخاصة الأصول والفروع .

2- البدائل : وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معين ولل فرد الحرية في اختيار أحدهما وترك الباقي . ومن أمثلة ذلك بعض نظم الزواج في الثقافة الإسلامية فالمسلم يستطيع أن يتزوج ابنة عمه أو ابنة عمته أو ابنة خاله أو ابنة خالته أو من غير قريباته وحتى يستطيع أن يتزوج فتاة لا تدين بالإسلام إما بالمسيحية أو اليهودية . ويستطيع الصبي العربي أن يحترف النسيج أو الزراعة أو البرادة أو إصلاح السيارات أو النجارة وما إلى ذلك . ويجب هنا ألا يفهم أن هذه الحرية لا قيود

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

لها ولا حدود عليها وإنما هناك حدود تحددها الثقافة ذاتها . فبالنسبة لحق المسلم في الزواج لا يستطيع أن يتزوج من فتاة وثنية مثلاً . وفيما يتعلق بالحرف يعاقب الصبي إذا تعلم النشل أو السرقة من المنازل .

3- الخصوصيات : يشتمل كل مجتمع علي تقسيمات فرعية في داخله ، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين أعضائه ، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها ولا توجد في كثير من الأحيان عند غيرها . فمثلاً تختلف الملابس على أساس النوع في معظم المجتمعات . إذ لا يمكن للفتى العربي أن يسير في الطريق وهو يلبس (فستانا) أو حذاء عالياً . وإذا نظرنا إلى مجتمع المدينة مثلاً نجد بداخله المئات من التقسيمات الفرعية ، ويشمل كل قسم على جماعة متماسكة لها نظمها الثقافية الخاصة ، فهناك جماعات العمال والنجارين والتجار والطلاب والأطباء والمهندسين والصيدالة والمحاسبين والضباط والجنود وموظفي الشركات وموظفي الحكومة وما إلى ذلك ..

ثانياً:- الثقافة المرورية :

بناء على العرض السابق الذي ألقينا فيه الضوء على الثقافة باعتبارها أنها صناعة إنسانية . وأن لها خصائص مميزة ورغم أنها صناعة إنسانية إلا أنها تؤثر في الإنسان في عملية تبادل بينه وبين الثقافة . وأنه لا وجود على أرض الواقع لمجتمع إنساني دون ثقافة كما أنه لا وجود للثقافة دون مجتمع . يمكننا النظر إلى الثقافة المرورية على أنها ضرورية في المجتمع أيّاً كان مستواه الحضاري طالما توجد به حركة سير للمركبات . كما لكل مجتمع ثقافة مرورية تدعم نظام المرور وتكون عاملاً هاماً سلباً أو إيجاباً في حركة السير وعدد الحوادث ونوعها . كما أنها ذات علاقة مباشرة في زيادة حجم الحوادث أو قلتها . وإذا كانت الثقافة كما أسلفنا عبارة عن تجريدات من السلوك فإن الثقافة المرورية عبارة عن محصلة سلوك الكائن وليست تجريداً كما هي الثقافة بصفة عامة . فالسائق الذي يحافظ على نظام المرور ويتقيد به ، ويسير وفق تعليماته يكون قليل المساهمة في حوادث المرور

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

إن لم يكن غير مساهم فيها بشكل مباشر. وهذا يعنى أن لديه ثقافة مرورية تضبط سلوكه وحركته في السير بالمركبة. وإذا كان للثقافة قطاعات تتشكل على هيئة عناصر ثقافية صغرى وتشكل عند اتحادهما مع بعضها مركباً ثقافياً ومن ثم نماذج ثقافية . فإن ثقافة المرور ليست بعيدة عن ذلك . فإدراك السائق لمعاني إشارات المرور على اعتبار أنها صغرى في نظام المرور الأكبر . وتقيده بالتعليمات الخاصة بالسير في الاتجاهات المختلفة وتحديد السرعة داخل المدينة وخارجها ، تشكل عناصر أخرى من نظام المرور .

أما الذوق العام للسائق وعدم إقدامه على مضايقة الآخرين أثناء السير ، وتفهمه لظروف الآخرين وقيامه بمساعدتهم عند وقوع الحوادث ، فهي عبارة عن سلوكيات تعلمها واكتسبها خلال حياته ، وهي عناصر سلوكية خاصة بالسائق نفسه كما أنها عناصر صغرى في حركة السير التي هي جزء من نظام المرور . وكل ما تقدم يشكل المستوى الثقافي للسائق الذي نعتبره ثقافة مرورية لأنها تتعلق بنظام السير .

وبما أن للثقافة ثلاثة مواقع هي : أشخاص الإنسان ، والأشياء وعلاقات التفاعل . وهي عناصر هامة في مفهوم الثقافة . فالأمر كذلك بالنسبة للثقافة المرورية فمن حيث أشخاص الإنسان والتي يقصد بها الأفكار والاتجاهات التي في عقول الأشخاص ، تكون ما يفهمه الأمر من أفكار مرورية تساعد على القيام بواجباته كسائق نحو الطريق ونحو نظام المرور . فهو يدرك أن حقه في الطريق لا يعنى تعديه على حقوق الآخرين وأن أفضلية المرور له لا تعنى غض النظر عن حاجة الآخرين الطارئة أو المفاجئة . وهذه بدورها تفسر على أنها اتجاهات السائقين .

والأشياء في الثقافة هي كل شيء مادي محسوس يصنعه الإنسان . وهذا ما هو بالفعل في نظام المرور الذي تتبلور حوله ثقافة المرور ، فالسائق يستخدم السيارة ويتعامل مع إشارة المرور ويحمل رخصة قياده ولديه رخصة سير للمركبة وهذه جميعها أشياء محسوسة . أما الموقع الثالث وهو العلاقات وخطوط التفاعل فهي في الثقافة المرورية عبارة عن ملاحظة السائقين للمركبات التي تسير في الطرقات من الأمام والخلف واليمين واليسار .

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

لأن من شروط السائق الجيد قليل الحوادث والأخطاء ملاحظة حركة السير والتفاعل معها باستمرار دون غفلة وشروء الذهن ، كما أنه في نفس الوقت يهتم كثيراً بعلامات السير سواء ما كان على الطريق نفسه من إشارات أو على جانبي الطريق من تعليمات أو إشارات المرور المعروفة . فالسائق الجيد هو الذي يعرف ما رسم على طرق السير من علامات ، وما تعنيه اللوحات الموجودة على جانبي الطريق ، ولذا فإنه في عملية تفاعل مستمر مع كل ذلك .

وأخيراً يمكن أن نعرف الثقافة المرورية على أنها :

" كل ما يحمله السائق من أفكار واتجاهات يعيها وعيا تاما ويطبقها باهتمام وتتمثل في ما يجب أن يعرفه بالكامل عن نظام المرور . وما لديه من إحساس بالمسؤولية وما يتصف به من ذوق عام وأخلاق حميدة تمنعه من الحصول على حقه في الطريق على حساب الآخرين

المحور الثاني: التطور التاريخي لحوادث المرور في المجتمع الليبي

إن تطور عدد المركبات الآلية في ليبيا خلال العقود الماضية، وما صاحب ذلك من نمو وتطور لأوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي في مختلف المناطق، ساعد على توليد حركة يومية وفصلية بمعدلات مرتفعة لم تكن متوقعة بالنسبة لمجتمع نام كالمجتمع الليبي، في ظل ظروف طبيعية صعبة، ساعدت بدورها على فرض توزيع المجتمعات البشرية، وهو ما زاد في صعوبة التنقل بينها ، وبما أن الدوافع الاجتماعية والاقتصادية كانت أقوى، وهو الأمر الذي أسهم في زيادة حجم الحركة باستمرار، فقد انعكس ذلك على زيادة حوادث المرور اليومية وبالتالي السنوية(3)، وأمام هذا التطور الحضاري والتقدم التكنولوجي الهائل الذي أدى إلى تطور مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك تزايد حاجة الإنسان المعاصر إلى التنقل من مكان إلى آخر بغرض إشباع حاجاته المتنوعة، زاد الاهتمام بمختلف وسائل النقل، إلا أن وسائل النقل على اليابسة كانت ولا تزال الأكثر أهمية في عمليتي التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، إن تحسين الطرق بتعبيدها وتوسيعها وشق الجديد منها يساعد على إحراز التقدم في كل من وسائل الاتصال أو الانتقال ونشر الخدمات المادية

أ . عبد الرزاق ميلود المودي

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

والمعلوماتية والتعليمية والثقافية والصحية داخل المجتمعات، ومع تطور وسائل المواصلات وتزايد عددها وارتفاع سرعتها، وخاصة في مجال النقل البري، الأمر الذي ساعد على تقريب المسافات ونشر الخدمات المختلفة بين الأفراد، إلى جانب كونها وسيلة للتواصل بين الأسر والجماعات والمجتمعات بالشكل الذي أصبحت معه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمعظم النشاطات اليومية للإنسان المعاصر. إن ارتباط المجتمعات بالسيارة واعتمادهم عليها بشكل متزايد زاد من حدة المخاطر التي تصيب العديد من أفرادها، وهذا ما أوضحتها الإحصائيات الصادرة عن وزارة العدل، الإدارة العامة للمرور والنجدة بطرابلس خلال الأعوام 1985-2004 وفقاً للجدول التالي :

جدول (1) يوضح تطور ونوع حوادث المرور حسب النوع للفترة من (1985 – 2004) (4).

حوادث الأضرار	حوادث الإصابات البسيطة		حوادث الإصابات البليغة		حوادث قتل		مجموع الحوادث	السنة
	أشخاص	حوادث	أشخاص	حوادث	أشخاص	حوادث		
3111	5597	3040	3315	2433	1050	905	9489	1985
2525	4572	2717	2927	1283	1020	882	8307	1986
1466	3726	2246	2189	1690	963	796	6198	1987
1833	3367	1964	2799	2172	1007	851	6820	1988
2373	3527	1260	2893	2027	1925	942	7502	1989
2390	3507	2210	3008	2153	1312	1094	7847	1990
2470	3554	2161	2788	2062	1279	1056	7749	1991
2535	3934	2354	2389	2339	1435	1195	8423	1992
2703	4392	2606	3460	2443	1440	1207	9009	1993
2666	4125	2335	3298	2401	1180	998	8400	1994
2721	4384	2341	3319	3386	1296	1071	9519	1995
2771	4383	2403	3367	2336	1080	927	8437	1996
3210	3665	2661	3411	2438	1119	969	9278	1997
1642	2297	1252	1703	1231	1119	470	4595	1998
3267	4879	2681	3515	2410	1204	1012	9370	1999
3609	5462	2985	4155	2800	1504	1237	10667	2000
3580	5892	3265	4141	2814	1598	1311	11070	2001
3965	6575	3593	4483	3053	1751	1406	12017	2002
4140	5962	3381	5150	2955	1726	1423	11899	2003
3895	5596	9972	3329	18305	1485	1475	11643	2004
56872	89396	147227	65639	62731	26493	21227	178239	المجموع

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

مما تقدم يمكن القول أن مؤشر عدد الحوادث وعدد الأضرار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية سيظل في ارتفاع مادامت هناك حاجة للسيارة، كما أن المشكلة ستزداد تعقيداً مع الأيام حيث تدل مؤشرات النمو على زيادة ملحوظة في عدد السائقين مما يشكل ضغطاً متزايداً على الطريق في وضعها الراهن، وبالتالي ستتضاعف مشكلة التنسيق والتوازن بين العناصر الرئيسية وهي شبكة الطرق وتوزيعها وملئمتها للتطور المرتقب ونظام المرور والقوانين واللوائح المنظمة لحركة السير وجدية تطبيقها ، وكذلك إعداد الإنسان وتدريبه وتزويده بالأخلاقيات المرورية التي تتلاءم مع الحضارة العصرية للمجتمع النامي .

أنواع حوادث المرور:

تشهد ليبيا الكثير من حوادث المرور كنتيجة للتطور الهائل لعدد السيارات والازدحام الشديد الذي تسببه في الطرق والشوارع، وذلك نتيجة لطبيعة المجتمع النامي، الذي لا يزال في مراحله الأولى من التطور الاجتماعي والاقتصادي.

وتصنف حوادث المرور حسب النوع إلى ما يلي :

- 1- **حوادث الاصطدام** : وهي التي تقع بين مركبتين أو أكثر في حالة حركة على الطريق، ونتائجها تكون خطيرة في أحيان كثيرة، وأسبابها غالباً مردها السرعة، والانحراف المفاجئ، والاجتياز بدون عناية وتركيز.
- 2- **حوادث الدهس** : من يتعرض لهذه الحوادث غالباً ما يصاب بأضرار بليغة، قد تصل أحياناً إلى درجة الموت، وعادة ما تحدث داخل المدن لكثرة المشاة على طرقاتها.
- 3- **حوادث التدهور**: وتحدث غالباً نتيجة انفجار المركبة، أو بسبب السرعة الزائدة عن الحد المسموح به، وهي تخص مركبة واحدة دون أطراف أخرى(5).

المحور الثالث : أسباب حوادث المرور.

تشير معظم الدراسات والبحوث حول مشكلات حوادث المرور وأسبابها إلى أن العنصر البشري يشكل السبب المباشر والرئيسي في معظم الحوادث، وقد بلغت 86% من مجموع حوادث المرور التي كان سببها الخطأ الناتج عن العنصر البشري، فالتحليل السيكولوجي

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

والعلمي لمشكلة حوادث المرور، لا يقتصر على الأسباب الظاهرية فقط بل يتعداه إلى البحث عن الأسباب البعيدة وغير المباشرة، وعليه فإن أسباب حوادث المرور تنقسم إلى أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة .

أولاً: الأسباب المباشرة :

1- الأسباب الطبيعية والفنية :

تتعدد الأسباب المؤدية للحوادث المرورية خاصة وأنها لا تنشأ عن عامل واحد بل من عدة عوامل متضافرة ومتداخلة، ويمكن أن تنجم حوادث المرور عن عاملين هما :

عوامل شخصية وعوامل البيئية :

فالعوامل الشخصية ترجع إلى الشخص نفسه والعوامل البيئية متمثلة في سوء حالة الطريق أو سوء الإضاءة أو طول مسافة الطريق والتي قد تنشأ من عوامل خارجية كالزيارات العائلية والمواعيد وغيرها، مع وجود سبب مباشر للحادثة كالسرعة وعدم احترام قوانين وقواعد المرور.

وتنقسم العوامل الشخصية إلى عوامل جسمية أو بيولوجية وعوامل نفسية أو عقلية متمثلة في الاندفاع والعصبية والاكنتاب والقلق والتقدير الخاطئ أو قصور الذكاء .

والجدير بالذكر أن العوامل الخارجية وحدها أو العوامل الداخلية وحدها قد تسبب في عدد كبير من الحوادث، لكن تضافر هذين النوعين من العوامل عادة ما يؤدي إلى وقوع الحوادث بنسبة عالية كسوء الإضاءة مع ضعف الإبصار لدى السائق أو سوء حالة السيارة بين يدي سائق عصبي مندفع(6).

فالعناصر التالية منفردة أو مجتمعة تسهم في وقوع حوادث المرور، وهذه العناصر هي :

أ- السائق "العنصر البشري".

لسائق المركبة دور مهم في وقوع حوادث الطريق في الإخلال بمتطلبات الأمن والسلامة المرورية، فكلما كان السائق يقطراً مركزاً انتباهه على كل المركبات المحيطة به والطريق وفروعها خلال عملية قيادته للمركبة الآلية، استطاع هذا السائق تجنب وقوع الحوادث على

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

العكس من ذلك فعدم اليقظة والإهمال والتسبب عالياً ما يؤدي أو يساعد على وقوع حوادث مؤلمة ومأساوية يذهب ضحيتها آلاف البشر، وقد أثبتت العديد من التقارير وخاصة منها تقارير الولايات المتحدة الأمريكية أن دور العنصر البشري وعلاقته بحدوث المرور كبير جداً وفعال، فهو المسئول الأول عن الحوادث المرورية على الطرقات وهكذا فقد ورد في هذا التقرير ما يفيد أن السائق يشكل ما نسبته 8,5% من مجموع حوادث المرور، (7) وذلك ناتج عن السلوك البشري لهذا السائق والذي ربما يتأثر بعدة عوامل :

1- الحالة النفسية للسائق. وهي متعلقة بمدى يقظة السائق أثناء قيادته للمركبة الآلية، ويعتمد ذلك على الظروف الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها، وتزداد أهمية هذا العامل عن القيادة بدون وعي مع عدم استخدام حزام الأمان.(8) ويرى البعض أن أغلب الحوادث التي يتسبب فيها العامل البشري إنما ترجع إلى ثلاثة عناصر أساسية وهي:

- أ- الجهل بنظم وقواعد المرور وأدابه.
- ب- عدم الإلمام الكافي بفن وأصول القيادة.
- ج- عدم الاهتمام أو التقصير أو الإهمال المتعمد وعدم تقدير السائقين مسؤولياتهم والعواقب التي تنجم عن هذا التقصير.

2- السن: يلعب عمر الفرد دوراً أساسياً في سلوكياته وتصرفاته كسائق، حيث وجد أن السائقين في عمر الشباب هم ما بين (16 و 22 سنة) تزداد مخالفاتهم لقواعد وأنظمة المرور بسبب ضعف وعيهم وقلة خبرتهم وتجاربهم إضافة إلى تهورهم معاً ينتج عنه نسبة عالية من الحوادث، بخلاف من أهم أكبر منهم سنأومن خلال الإحصائيات المحلية التي تنشرها مكاتب الترخيص في ليبيا تبين أن الشباب هم أكثر الفئات عرضه لارتكاب حوادث السيارات. حيث تدل الإحصائيات لسنة 1979 على أن 27% من الحوادث القاتلة تحدث في سن دون العشرين، وأن نسبة 50% من المصابين من سائقي السيارات هم من فئات الأعمار بين 20-44 سنة.

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

- 3- السرعة لا شك أن السرعة هي أحد الأسباب المؤدية لحوادث المرور، أهمها، فكلما زادت سرعة السيارة كلما صعب التحكم فيها والسيطرة عليها ، كفقدان توازن السيارة وزيادة سرعة الرياح.
- 4- قصور المعرفة والخبرة بالقيادة، المعرفة والخبرة يعدان عاملين أساسيين في وقوع الكثير من الحوادث، إذ يجب أن يكون السائق على دراية ومعرفة تامة بعلامات وإشارات المرور وأن يتمكن من خلال الخبرة من التعامل بشكل سليم مع مركبه وكيفية تجنب المخاطر وفقاً للمواقف والظروف التي تواجهه.
- 5- الخمور والمخدرات وهما عنصران لهما دور رئيسي في وقوع حوادث المرور، فالسائق الواقع تحت تأثير شرب الخمور أو تعاطي المخدرات تنخفض حدة حواسه جميعها، كما يشمل تخدير أعصابه بشكل يبطئ من استجابته للظروف المؤدية إلى وقوع الحوادث، وترتفع مشكلة عدم السيطرة على المركبة الآلية في حالة قيادتها بسرعة عالية، عندئذ تكون النتيجة من أشنع الحوادث التي يذهب ضحيتها الأبرياء.
- 6- المشاة : وهم ممن يرتادون الطريق ويستخدمونه سيراً على الأقدام، وقد يشكلون أحد أسباب وقوع حوادث المرور، بعدم إتباعهم أصول سلامة الشوارع، كعدم السير على الأماكن المخصصة لهم، أو عدم الانتباه أثناء قطع الطريق، ففي عام 1987م سجلت نسبة (83%) من حالات الوفيات في ليبيا لذلك العام بحوادث المرور، كان المشاة هم السبب في وقوعها(9).
- 7- ضعف وسائل الضبط : ضعف وسائل الضبط للمخالفين لقواعد المرور والمحابة والمجاملة وعدم انتهاج مبدأ المساواة والعدالة في تطبيق القانون من قبل بعض إدارات ورجال المرور، مما يتسبب في خروج السائقين عن تلك القواعد والقوانين لنقص أو غياب الرادع العام؛ لأن التسامح والتخفيف من العقوبة على المخالفين لنظم المرور؛ يؤدي إلى التسبب والإهمال والاستهتار بقوانين المرور، وعدم تقييد مستعملي الطريق بأنظمة السلامة على الطرق، مثل عدم استعمال حزام الأمان للعديد من سائقي

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

المركبات أثناء القيادة واستعمال الهاتف النقال والاجتياز السريع دون الانتباه إلى إشارات المرور وعدم ترك مسافة الأمان بين مركبة وأخرى.... الخ.

8- المركبة الآلية : للسيارة دور مهم وأساسي في نهضة الأمم، وفي تحقيق البرامج التنموية الاجتماعية والاقتصادية، فهي تساعد في استغلال الثروات الطبيعية والمواد الخام بالبلاد بشكل أمثل، وكذلك الأمر بالنسبة للمنتجات وإلى جانب ذلك فإنها تعمل على التواصل الأسري بتقريبها للمسافات، ومن ثم المساعدة على تحقيق التواصل وخصوصاً في البلاد المترامية الأطراف(10).

فلقد كان للسيارة أثر كبير في حياة الإنسان في الحرب والسلم، وما صاحبها من إيجابيات وسلبيات مختلفة ومتعددة، فمن أبرز هذه السلبيات أنها اعتبرت أحد الأسباب أو العوامل الرئيسية في وقوع الكثير من حوادث المرور، وذلك نتيجة عطل أو خلل ناجم عن الحركة الذاتية المعدة التي قد لا ينتبه إليها قائد المركبة، كالعطل أو الخلل الذي يحصل أثناء قيادتها، ويزيد هذا الأمر تعقيداً، أن جميع السيارات خليط من أسواق مختلفة ولم تخضع لمواصفات أو فحوصات فنية تؤخذ في الاعتبار وضع البيئة، وغير ذلك من العوامل التي تدخل في هندسة السيارات وتشكل عملية سوء الصيانة للسيارة وعدم توفر قطع الغيار المناسبة أحد المشاكل الأساسية التي قد يكون لها ضلع في زيادة عدد حوادث السيارات وتفاقمها(11).

وعلى الرغم من أن المركبات تصنع بمواصفات فنية فقد ازداد الاهتمام بمواصفات الأمان والسلامة في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ في كافة المركبات، ويعتبر عدم الاهتمام من قبل السائق لمركبته والتأكد من سلامتها بالصيانة اللازمة من أهم العوامل التي قد تسبب في وقوع الحادث ومن أهم أنواع الخلل هي، الكابحات (الفرامل) والإضاءة والإطارات، فالسائق أو مالك السيارة يعد المسئول الأول والأخير عن صلاحية مركبته وذلك بإجراء الفحوصات الدورية وتفقد التجهيزات الفنية المتمثلة في الإضاءة والإطارات والكابحات (الفرامل) والحمولة المسموح بها وزناً وحجماً،(12) لأن الحادث قد يقع بسبب

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

سوء شحن البضاعة على المركبة، كما في حالة تجاوز الحمولة حافة المركبة على نحو يعرض المارة أو السيارات المجاورة للمخاطر.

وقد نص القانون رقم (11) لسنة 1984 في مادته الخامسة، على أنه: ((تقدم المركبة الآلية المطلوب لها الترخيص لفحصها فنياً من قبل مالكيها أو المسؤول عنها، وذلك في الزمان والمكان اللذين تحددهما الجهة المختصة بإصدار الترخيص. ويشمل الفحص الفني، تجربة أجهزة المركبة والتحقق من استيفائها لشروط المتانة والأمن وذلك كله وفقاً للتحديد الذي يصدر به قرار من وزارة العدل (13).

9- الطريق : أهتم الإنسان بالطريق واستخدامها منذ أقدم العصور، حيث يرجع إنشاء أول طريق في العالم إلى نحو (3500) سنة قبل الميلاد في العراق، ثم تطورت الطرق في عهد الإمبراطورية الرومانية في العديد من الدول الكبرى، وفي منتصف القرن الثامن عشر أهتم الفرنسيون ولأول مرة في عهد ((نابليون بونابرت)) ببناء وتطوير طرق جديدة وظهرت بعد ذلك الطرق الحديثة إلى حيز الوجود في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث ارتبطت بتطوير صناعة السيارات

ويلاحظ أن هناك علاقة بين هندسة الطرق وارتفاع وانخفاض حوادث السيارات حيث تقل الحوادث في الطرقات المعدة إعداداً مبنياً على دراسات علمية، وبصورة أمنية في جميع جوانبها وذلك من حيث الهندسة، والكيفية والاتساع والإشارات بمختلف أنواعه. فالطريق تشكل عاملاً مباشراً في وقوع الحوادث بسبب وجود بعض الأخطاء منها :

- 1- عدم تأمين الطريق بالعدد الكافي والإرشادات المرورية.
- 2- عدم كفاية الأرصفة بالمنشأة في المدن.
- 3- إهمال أماكن عبور المشاة على الطريق أو عند التقاطع وانعدام تنبيه السائقين إلى نقاط العبور.
- 4- وجود الحفر والمطبات على الطريق وعدم معالجتها بسرعة.

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

- 5- إقامة الأنشطة التجارية على حافة الطرق، مما يشد انتباه السائقين إليها، خاصة عند الازدحام أمام المحلات.
- 6- عدم تجهيز الطريق بالإضاءة الكافية وبذلك فإن سوء الإضاءة يعد سبباً في حوادث المرور.
- 7- عدم وجود إشارات ضوئية في بعض التقاطعات المهمة وعند مداخل المدن والمؤسسات التعليمية.
- 8- عدم التناسب فيما بين سرعة السيارات الحديثة وحالة الطريق من جميع نواحيها.
- 9- عدم وجود جسر للمشاة أمام المؤسسات التعليمية لتسهيل عملية عبور الطريق لمتريدين من وإلى هذه المؤسسات(14).

ثانياً: الأسباب غير المباشرة

وهي أسباب السلوك المتعلقة بالسرعة والمتمثلة في أسباب نفسية أهمها ما يلي:-

1- **الاضطرابات النفسية.** إن الاضطرابات والأسباب النفسية التي تصيب الإنسان كثيرة ومتنوعة، ومنها ما يهدم شخصية الفرد مما يكون كفيلاً بحرمان الفرد من الحصول على أمر مهم، ذلك أن المضطرب بانهيار الشخصية غالباً ما يكون غير قادر على كتمان غيظه وشعوره بالضعف والنقص، والاضطراب النفسي هو نوع من الأذى يصيب المرء الذي يسيطر عليه الوسواس أو القلق المستمد من عمله فيتنسب في حوادث مرورية تؤدي بحياة صاحبة أو تزهد أرواح الآخرين.

والاضطرابات النفسية كثيرة ومتنوعة منها:

- أ- اضطرابات الإدراك : ومن أهمها الهلوسة الشخصية والبصرية والحسية والتي تنجم عنها حوادث مرورية مروعة وبشعة.
- ب- اضطرابات التفكير: ومن أمثلتها اضطرابات التفكير الخيالي، والتفكير غير المنطقي واضطرابات سباق التفكير، ونشئت الفكر وعدم ترابطه وبطء التفكير أو سرعته.

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

- ج- اضطرابات الذاكرة : الذاكرة لها أهمية بالغة في عمليات التكيف الذاتي والتوفيق الاجتماعي، وهما أمران لازمان لقيادة المركبة الآلية، فالسائق الراضي على قدرته وإمكانياته يكون في حالة نفسية مضطربة تسبب بشكل مباشر في ارتكاب الحوادث.
- د- اضطرابات نفسية أخرى : وهي تكون متعلقة بالانتباه، من حيث الضعف وانعدام الانتباه أو يخوله وعدم استقراره أو عدم القدرة على التحكم، أما الاضطرابات الانفعال فهي تتضمن المرح الزائد عن الحد، وعدم الثبات الانفعالي واللامبالاة، والتوتر والفرع فتكون جميعها في وقوع الحوادث المرورية(15).
- 2- آليات التكيف. آليات التكيف هي من أسباب التي تؤدي إلى حوادث مرورية مختلفة نتيجة لوجودها أو سيطرتها على بعض السائقين بشكل زائد عن الحد المعتدل، وهي آليات التكيف واللاشعورية، ومنها ما يلي:
- أ- إنكار الحقيقة : وهو هروب الفرد من كل ما يراه ولا يتفق مبتغاة ولا يتمشى مع ما يرضاه لنفسه بالهروب والإهمال وعدم القبول .
- ب- أحلام اليقظة : وهي تأخذ صاحبها بعيداً عن الحقيقة والواقع ، ففي بعض الأحيان قد يسرح السائق في حلم اليقظة أثناء قيادته للسيارة ، فيصطدم بسيارة أخرى ، أو يدهس بعض المشاة على الرصيف أو الاصطدام بسور منزل ...الخ.
- ج- التدخين : يعتقد الكثير من الناس ومن بينهم بعض السائقين أن الإكثار من التدخين أثناء قيادة السيارة يزيد من درجة النشاط الجسدي ويجعلهم في صحوة دائمة ويبعد النعاس عنهم ويزيد من الانتباه والتركيز لديهم، إلا أن جميع العمليات العضلية تفسد بسبب التدخين ، وفي حالة فسادها يكون السائق غير مؤهل لقيادة المركبة خلال هذه الفترة ، مما يسبب في وقوع حوادث تكون نتائجها مفرعة جداً.
- د- المنبهات والمخدرات : أن جميع المنبهات تعمل على زيادة التوتر وزيادة الاستشارة وزيادة ضغط الدم وفقدان الشهية للطعام. هذه الأمور جميعها لها علاقة بالسلوك المتعلق بقيادة السيارة بشكل سلبي، أما المخدرات فهي تسبب شعور بالنشاط لفترة

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

محدودة وبعدها يشعر المرء بالنعاس، والكسل، والخمول، وفقدان الإحساس بالزمن والمكان، والهلوسة والإرهاق والأرق والقلق، مما يكون سبباً رئيسياً في وقوع الكثير من الحوادث المأسوية والمؤلمة.

أ- التكنولوجيا والتغير الاجتماعي .

يتفق علماء الاجتماع على أهمية التكنولوجيا في التغير الاجتماعي من حيث كون الاختراع يعد المحرك الأول للثقافة المادية، بينما تحتاج عناصر الثقافة اللامادية إلى فترة من الزمن لكي يتم دمجها مع الثقافة المادية، ولذلك فإن التكيف الاجتماعي مع الثقافة المادية يحتاج إلى فترة طويلة، الأمر الذي يجعل المجتمع في حالة عدم توازن مستمر نتيجة التخلف الزمني الذي يفصل بين الجانب المادي واللامادي للثقافة ويشير (وليام أوجبرن، 1922) إلى وجود هوة بين التغيرات في مختلف فروع الثقافة والتي من خلالها تحصل فترة عدم تكيف ومن ثم تقع مشكلة اجتماعية بسبب التضارب الذي حدث في معدلات التغير(16)، فلتكنولوجيا دور فعال في استغلال البيئة الطبيعية لتحقيق مصالح الإنسان وإشباع حاجاته المتنامية حيث ساعدت على تقريب المسافات الشاسعة وسهولة الاتصال الثقافي والاجتماعي والسياسي سواء داخل المجتمع الواحد أو بين مجتمعات وثقافات متعددة وأصبح بإمكان الإنسان اليوم تخزين المعلومات ونقلها والاستفادة من تجارب الآخرين بكل يسر وسهولة والى جانب أهمية التكنولوجيا في تنمية القدرة على استغلال الموارد والثروات الطبيعية بصورة مثلى فإنها تلعب كذلك دور مهم وفق وسائل الاتصال المتوفرة في نشر الأفكار والأيديولوجيات والقيم الجديدة للمجتمع(17)، فحوادث المرور المتكررة يومياً في مختلف مدن ليبيا وقراها تضيع بسببها الأرواح بالإضافة إلى الخسائر المادية، وسبب ذلك يرجع إلى القصور في معرفة آداب وقواعد ونظم ولوائح المرور وأتباعها والى افتقار المهارة اللازمة للقيادة وسوء التعامل مع السيارة وإهمال إصلاح الإعطاب واستخدام الإطارات المنتهية صلاحيتها وربما إلى التهور واللامبالاة عند بعض السائقين، وطالما أن التكنولوجيا هي

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

القدرة على تحويل البراعة العلمية إلى أهداف اجتماعية مفيدة وكلمة (مفيدة) تنسحب على الأهداف العسكرية والاقتصادية والاجتماعية على السواء والنظام السياسي والاجتماعي هو الذي يحدد المنفعة وفي إطار هذا التغيير يصبح التعليم أداة أساسية في نقل التكنولوجيا إلى القوة العاملة(18).

فهناك أهمية بالغة للجانب الاجتماعي والثقافي في عملية التغيير العلمي والتكنولوجي لا بد أن يصاحب هذا التغيير التكنولوجي تغيير في نمط الحياة القائمة وفي البناء الاجتماعي عامة وفي العلاقات الاجتماعية القائمة التي تتأثر بكل تأكيد في تغييرها بالتغيير التكنولوجي وأن كان ليس بشرط أن يسير التغيير التكنولوجي والتغيير الاجتماعي بمعدل واحد إذ أن من السهل أن يتقبل الناس مخترعاً تقنياً أو آلة حديثة، ولكنه من الصعب جداً أن يتقبل الناس قيمة اجتماعية أو ثقافية جديدة، ولعل الكثير من الآثار السلبية والسيئة الناتجة عن إدخال التكنولوجيا في العديد من المجتمعات ترجع إلى سرعة التغيير التكنولوجي في هذه المجتمعات، فمثلاً أدت الطفرة في اكتشاف النفط في العديد من المجتمعات من بينها المجتمع الليبي إلى تحسين وضع أفراد المجتمع اقتصادياً وهذا أدى إلى انتشار هائل وسريع للسيارات الخاصة وأصبح بإمكان الفرد العادي امتلاك سيارة وقيادتها، إلا أنهم لم يدركوا أثار السرعة والقيادة السليمة للسيارة واستعمالها وقت الحاجة مما أدى إلى ارتفاع نسبة حوادث السيارات في هذه المجتمعات.

خلاصة القول: أن الجانب المادي التكنولوجي متقدم على الجانب اللامادي في ثقافة الكثير من الشعوب وخاصة البلدان النامية أو التي في طور النمو(19).

ب-الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية :

لكل مجتمع أعياده ومناسباته الاجتماعية والدينية ، وفي المجتمع العربي بما في ذلك المجتمع الليبي يعتبر الأعياد الدينية مناسبات اجتماعية مميزة ، وهذا الوضع يجعل الجميع يتصرف بفرح وسرور وعاطفية بالغة ، الأمر الذي قد يجعل الفرد يقود سيارته بسرعة فائقة غير مبال بقواعد المرور وأدابه ، بما في ذلك عدم مراعاة الإشارة الضوئية المرورية

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

عند تقاطع الطرق ، وذلك بسبب الازدحام الشديد ورغبته في الوصول السريع إلى أقاربه أو مقاصده ، وينطبق هذا الوصف بشكل خاص على الشباب وصغار السن، الذين يعتبرون العيد فرحة ومناسبة للتباهي بالسيارات وقيادتها بشكل استعراضى خلال الرحلات والتنقل في المناطق السياحية، وربما يدرك الجميع في المجتمع الليبي كثافة المرور، وحركة السيارات في المدن وعلى الطرق الرئيسية في الأيام التي تسبق الأعياد، والأمر الذي يدفع بشرطة المرور لأخذ احتياطات إضافية وتوجيه الندوات المختلفة للناس للتقيد بقواعد المرور ومراعاة الحذر في القيادة(20).

إلا أن عدم إتباع إرشادات المرور للعديد من أفراد المجتمع يؤدي بالكثير منهم إلى قيادة المركبة الآلية بسرعة فائقة في كثير من الأحيان مما يؤدي إلى وقوع حوادث أليمة ومفزعة.

ويمكن ملاحظة حدوث زيادة معهودة على ازدحام السيارات في الطرق ، وخاصة الطريق السريع أمام أكاديمية الدراسات العليا مع عدم مراعاة آداب وقواعد المرور والافتقار إلى إشارات مرورية، وعدم وجود جسر عبور للمشاة . يؤدي إلى وقوع العديد من الحوادث الخطرة والمميتة التي يذهب ضحيتها العديد من الأفراد علاوة على الإصابات البليغة لفئة مهمة بالمجتمع، والتي تعتبر الفئة الفعالة في المجتمع الليبي والتي يعول عليها في تقدم المجتمع تكنولوجياً وتنموياً.

3- الأسباب الثقافية: تعد التغيرات والتأثيرات الثقافية – خاصة لمجتمع الشباب - وما يرافقها من وسائل اتصال مختلفة، (فضائيات، وأجهزة حاسوب وأنترنيت ، وبضائع، وتبادل صناعي ومعرفي وثقافي، وغير ذلك من مصادر المعرفة)، مؤثرة على حياة سكان المجتمعات النامية ، بحكم الإرث التاريخي والبيئة الطبيعية ومواردها وسوء التقسيم الإداري ، والبعد التاريخي للمركب النفسي للفرد، كل ذلك أدى إلى عدم التكيف بين الفرد وواقعه ، وأصبحت هذه الظاهرة تمثل حالة من التمرد ، تأخذ شكلاً إيجابياً أحياناً وسلبياً أحياناً أخرى ، أو يعكس شعوراً بالإحباط والفشل والتدهور في قيادة المركبة كأحد صور

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

هذا التمرد ، وعدم التكيف ، خاصة في الاعتقاد السائد بأن القيادة بسرعة ميزة شبابية لا بد أن يتميز بها قطاع الشباب ، وإنها تدخل ضمن الحرية الشخصية ، إضافة إلى تدني المستوى الثقافي العام الناتج عن ضعف القراءة والاطلاع وحضور الندوات والمحاضرات العامة ، وهذا يؤدي إلى تخلف في نضج العقل ، وابتعاد الفرد عن السلوك السوي والحضاري المتزن ، الذي يفضي إلى الوقوع في مثل هذه الحوادث(21).

المحور الرابع : الدراسات السابقة التي تناولت حوادث المرور بالمجتمع الليبي

إن حوادث المرور ظاهرة موجودة في كل المجتمعات سواء تلك المصنفة بدول العالم من حيث تقدمها التقني والصناعي وتلك المجتمعات المتخلفة صناعياً وتكنولوجياً ، إلا أن هناك بطبيعة الحال اختلافاً في الكم والكيف لتلك الحوادث بين تلك المجتمعات ويرجع ذلك التباين والاختلاف في نوع وعدد حوادث المرور في أغلب الأحيان أي الثقافة المرورية المرتبطة بالإنسان السائق نفسه على الرغم من وجود أسباب كثيرة ومتداخلة تؤدي إلى الحادث . ولا شك أن نوع الطرق واختلافها من حيث عرضها واتساعها وما يحيط بها من صخور وأشجار ودواب سبب من أسباب وقوع الحوادث ، كما أكدت بعض الدراسات أن وجود التقاطعات في الشوارع بشكل غير مدروس مع خلو تلك الشوارع من اللوحات الإرشادية للسائقين من أسباب وقوع الحوادث المرورية،(22) هذا العامل وما يندرج تحته من العوامل الخارجية عند الإنسان، والسبب لوقوع الحوادث المرورية هي المركبة والتي تعتبر العامل الوسيط في سلسلة العوامل المسببة للحوادث ولا يمكن الفصل بين السيارة وبين شخصية قائدها، فسلامة المركبة وصلاحيتها وتوفر جميع وسائل السلامة يساعد في تقليل الحوادث المرورية من خلال مساعدة السائق في التحكم بالمركبة ، وتشير بعض الدراسات في هذا الجانب إلى أن للمركبة وصيانتها أثر في نسبة الحوادث في المجتمع وهذا يستدعي صيانة متكررة ودورية للمركبة من أجل صلاحيتها للقيادة وبالتالي تلافى لحدوث وتجنب وقوع الحوادث المرورية الناتجة من ذلك، أما العامل الأكثر سبباً للحوادث كما تقول الدراسات بهذا الخصوص هو العنصر البشري المتمثل في السائق الذي له الدور الرئيسي

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

في وقوع الحوادث فخصائص السائق الثقافية والتعليمية والعمرية وخصائصه النفسية تلعب دوراً بارزاً في وقوع الحوادث المرورية ، فقد أكدت بعض الدراسات أن الحوادث المرورية تقل بين الفئات ذات المستوى التعليمي المتقدم لما يؤدي ذلك من إكساب للخبرة ورفع الكفاءة وحسن التصرف مع مستجدات الطريق. كما أن العوامل الانفعالية والاتجاهات النفسية السلبية تجاه بعض المواقف الاجتماعية في الحياة اليومية تؤدي إلى حالة نفسية مضطربة وغير مستقرة تكون عامل قوياً في ارتكاب حوادث مرورية (23).

1- دراسة سالم عبد الله أبو حلالة بعنوان "الأثار الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن حوادث الطرقات"، دراسة ميدانية بمنطقة الجفارة (24). تهدف الدراسة إلى معرفة الأثار الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن حوادث المرور على الطرقات العامة ومعرفة الأثار السلبية والضارة التي تسببها حوادث المرور على الطرقات العامة وحيث بلغت عينة الدراسة 160 مفردة ووزعت ثمانين منها على أسر الضحايا والثمانين الآخرة وزعت على المصابين في الحوادث واقتصرت عينة الدراسة على الرجال دون النساء حيث توزعت عينة الدراسة على السائقين والركاب والمشاة واعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي وقد استعان في جمع بياناته على استمارة المقابلة الشخصية والسجلات الرسمية من ذوي الاختصاص.

وجاءت نتائج الدراسة على النحو التالي :

- 1- من خلال توزيع أفراد العينة حسب الفروق العمرية تبين أن نسبة 38 % من مجموع أفراد العينة الكلية تتراوح أعمارهم ما بين 26- 40 سنة.**
- 2- أثبتت الدراسة أن اغلب أفراد العينة هم من مستويات تعليمية مختلفة حيث سجلت العينة الكلية نسبة 42% ممن هم في مستوى تعليمي ثانوي أو معهد متوسط.**
- 3- إن اغلب حوادث الضحايا والمصابين سجلت أعلى نسبة لها في شهر الصيف بنسبة 41%.**

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

- 4- أوضحت الدراسة إن أغلب أنواع حوادث الطرق كانت تصادم سيارة بسيارة أخرى نسبة 86%.
- 5- جاء في نتائج الدراسة إن نسبة 50% من أفراد العينة سجلت حالات وفاة فيما سجلت الإصابات 75% من أفراد العينة.
- 6- جاء في عينة الدراسة إن نسبة 26% من مجموع أفراد العينة من المتزوجين ونجد إن الأم هي المسؤولة عن رعاية الأطفال وتربيتهم بعد الحادث.
- 7- أوضحت الدراسة إن نسبة 94% من مجموع أفراد العينة يؤكدون على أن راتب الأب هو مصدر إعانة الأسرة والإنفاق عليها.
- 8- أوضحت الدراسة إن أعلى نسبة لعدد السيارات المتضررة في الحادث من (1 إلى 2) بنسبة 96%.
- 2- دراسة نعيمة عمر الخويلدي "الأثار الاجتماعية والنفسية لحوادث المرور"، دراسة ميدانية مطبقة على طلاب الأكاديمية الليبية للدراسات العليا(25). تهدف الدراسة إلى الكشف عن الأثار الاجتماعية والنفسية وأسباب ارتكاب حوادث المرور وأيضاً تهدف إلى التوصل إلى دور فاعل للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية للحد من حوادث المرور. وبلغت عينة الدراسة (373) مفردة ، وتم توزيعها على طلبة الأكاديمية الليبية للدراسات العليا طرابلس، واعتمدت الباحثة في دراستها على المهج الوصفي وقد استعانت في جمع بياناته على استمارة الاستبيان والسجلات الرسمية من ذوي الاختصاص وكانت أهم نتائج الدراسة على النحو التالي :
- 1- تبين أن الذكور أكثر ارتكاباً للحوادث من الإناث .
- 2- بلغت أعلى فئة عمرية لمجتمع الدراسة من (30-34) أعلى نسبة بنسبة 26.7%.
- 3- حظيت فئة أعزب بأعلى نسبة وقدرها 58.9% من مجموعة عينة الدراسة.
- 4- سجلت نتائج من تعرضوا إلى حادث مروري ما نسبته 40.5% من إجمالي العينة.
- 5- افتقار بعض الأسر للرعاية الاجتماعية الأسرية بنسبة 82.2% من عينة الدراسة

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

6- الاضطراب وتهور بعض السيارات في القيادة وكانت نسبة 89% من عينة الدراسة.
7- استعمال الهاتف النقال أثناء القيادة لارتكاب الحادث بنسبة 95% من إجمالي عينة الدراسة.

3- دراسة خليفة عثمان بقبق بعنوان "حوادث المرور في مدينة طرابلس أسبابها ونتائجها وكيفية الحد منها"، دراسة ميدانية بمدينة طرابلس (26) هدفت الدراسة إلى معرفة الأسباب التي تؤدي إلى حوادث المرور، وتحديد الإضرار الناجمة عنها داخل المدينة، والتعرف على الأماكن التي تكثر فيها حوادث المرور في تلك المنطقة وبلغت عينة الدراسة (500) مفردة وتم توزيعها على بعض الأساتذة والطلبة في الجامعة وعلى مجموعة من المواطنين في مواقع مختلفة من المنطقة، واعتمد الباحث على المنهج الوصفي ، وقد استعان في جمع بياناته على استمارة الاستبيان والتقارير وكذلك مراكز المرور والترخيص بالمنطقة الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

1- أوضحت الدراسة أن حوادث المرور على مستوى البلاد ككل مرتفعة جداً ومتزايد من عام إلى آخر، وكذلك الأضرار الناتجة عنها سواء كانت بشرية أو اقتصادية في منطقة .

2- اثبتت الدراسة أن حوادث المرور وأضرارها البشرية والاقتصادية في منطقة الدراسة ولمدة خمس سنوات مرتفعة جداً ومتزايد من عام إلى آخر.

3- لوحظ من الدراسة أن الأضرار البشرية متباينة حسب الفئات العمرية، وأيضاً حسب الأفراد المتضررين منها المشاة والراكبين والسائقين ، حيث سجلت فئة الشباب من سن (25 إلى 31) سنة أعلى عدد للأفراد والقتلى بواقع (229) شخص منهم (153) شخص مشاة و(70) شخص من الركاب و(76) شخص من السائقين .

4- اتضح من الدراسة أن حوادث النهار أكثر من حوادث الليل حيث سجلت الفترة الزمنية الواقعة من الساعة الواحدة بعد الظهر حتى الساعة السابعة مساءً 7056 حديثاً وتليها الفترة الواقعة من الساعة السبعة صباحاً وحتى الوحدة ظهراً 5831 حادثاً.

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

5- أظهرت الدراسة أن هناك اختلافا واضحا في عدد الحوادث المرورية الواقعة على مختلف الطرق ، حيث سجلت الطرق الرئيسية وقوع أكبر عدد من الحوادث ، تليها الطرق الفرعية، تم بعد ذلك الطريق الساحلي تم الطرق الواقعة داخل المدينة، وأخيراً الطرق الزراعية.

6- تبين من الدراسة أن العامل البشري هو المسؤول الأول عن وقوع الحوادث المرورية نتيجة لما يتركه من أخطاء المتمثلة في السرعة التي كانت في المرتبة الأولى تليها عدم ترك المسافة من الخلف، تليها عدم ترك الأسبقية تليها عدم احترام إشارات المرور، وتم عدم الالتزام باليمن، وبعدها القيادة في حالة سكر، تم أخيراً الاجتياز في وقت غير مناسب.

4- دراسة خالد حسين محمد أغليب ، بعنوان "حوادث المرور في منطقة زليطن ، أسبابها وسبل الحد منها" دراسة ميدانية بمنطقة زليطن(27)، والتي تهدف إلى إعطاء صورة واضحة عن حجم حوادث المرور لبيان اتجاهاتها وتطورها ومدى خطورتها ومعرفة الظروف التي وقعت فيها حوادث المرور على الطرق في منطقة الدراسة وإظهار الاختلافات المكانية لها سواء على الطرق الرئيسية أو داخل الأحياء السكنية أو طرق الفرعية ومعرفة العوامل المسببة للحوادث المرور ومعرفة الأماكن التي تزداد فيها الحوادث. وبلغت عينة الدراسة (300) مفردة وتم توزيعها على بعض السائقين وبعض رجال المرور توزيعاً عشوائياً، واعتمد الباحث في الدراسة على المنهج الوصفي، والرجوع إلى مكاتب المرور والتراخيص بالمنطقة وإضافة إلى استمارة الاستبيان .
وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- 1-** لوحظ أن السرعة و التهور وعدم الاحترام للآخرين وعدم احترام القوانين واللوائح الخاصة بالطرق هي السمة الرئيسية لمعظم السائقين .
- 2-** تبين من الدراسة عدم وجود إشارات مرورية على الطرق ووجود فتحات عشوائية بين الطرق وخاصة على الطريق الساحلي.

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

- 3- تبين من الدراسة أن معظم الطرق الموجودة بالمنطقة وخاصة الطرق الرئيسية والطريق الساحلي تحتاج إلى صيانة حيث أن هذه الطرق توجد بها حفر كبيرة سببت في الكثير من الحوادث.
- 4- قامة الأسواق الشعبية على الطريق الساحلي والمحلات التجارية وخاصة تجارة الأخشاب والحديد واستغلال أكثف الطرق في عرض البضائع، يؤدي إلى إرباك و عرقلة حركة المرور مما يؤدي إلى حوادث المرور.
- 5- اتضح من الدراسة أن مركبات الشحن والنقل لا يحكمها زمن معين عند دخولها مخطط المدينة مما يؤدي إلى عرقلة وإرباك حركة السير.
- 6- ارتفاع نسبة حوادث المرورية بالمنطقة في سنوات الأخيرة مقارنة بالسنوات السابقة وهذا يكشف عن وجود علاقة بين حوادث المرور والكثافة المرورية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي في البلد.
- 7- عدم استعمال السائقين حزام الأمان عند قيادتهم مركباتهم لعدم إدراكهم أهميته.
- 8- يوجد إهمال من قبل رجال المرور في تطبيق القوانين ومنح تراخيص القيادة بطريقة غير شرعية.
- 9- عدم وجود شبكة طرق جيدة بالمنطقة وعدم صيانة الطرق القديمة منها.
- 10- غياب دوريات المرورية على طرق وخاصة الطريق الساحلي والطرق الرئيسية والزراعية لضبط المخالفين لأداب وقواعد المرور .

توصيات ومقترحات

- ويمكن إيجاز أهم التوصيات والمقترحات في هذه الورقة البحثية علي النحو التالي:
- 1- بما أن بعض السائقين لازالوا يقودون سياراتهم بدون رخص القيادة وأن بعضهم لازالوا يرتكبون المخالفات المرورية لأسباب متعددة في مقدمتها الاستعجال وحالات الطوارئ. فإن الأمر يتطلب تكثيف الحملات المرورية بصفة دائمة . وتشديد العقوبات على من لا يحملون رخص قيادة . وعلى المخالفين بشكل خاص . فتشديد العقوبة في

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

مثل هذه الحالات سيؤدي دون شك إلى اختفاء هذه المخالفات بالتدريج ثم تزول في وقت قصير .

2- ولأن التأمين على السيارات عنصراً هاماً وضرورياً لأسباب لا تخفي علي أحد ولأن فئة لا يستهان بها . فإننا نرى ضرورة فرض التأمين على جميع السيارات فلا تصدر رخصة قيادة للسائقين أو رخصة سير للسيارة أو تجديد أي منهما إلا بعد إحضار ما يثبت الاشتراك في التأمين وبهذه الطريقة تحل الكثير من المشكلات المادية المترتبة على حوادث السير.

3- كما نوصي بتكثيف الدعاية المرورية والإرشادات التي تؤدي إلى تحسين العلاقة بين السائقين ورجال المرور . فالثقة بين الطرفين ليست علي المستوى المطلوب . والطرفان ينظران إلي بعضهما نظرة سلبية. فينبغي أن تركز الحملات الإرشادية علي كون رجل المرور صديق للجميع وأنه عنصر هام في السلامة . وأن هدفه مساعدة الآخرين وليس إلحاق الأذى بهم . وعلى الجانب الآخر لا بد أن يتم توجيه رجال المرور وإرشادهم إلى ضرورة الشعور بأن هذا السائق أخ وصديق وقريب . وأن الغرض من وجود رجل المرور هو مساعدته علي تجنب الكوارث وتقديم المساعدات المطلوبة له . حتى يشعر السائق بأهمية العلاقة بينه وبين رجل المرور وتتغير النظرة السلبية المتبادلة بينهما .

4- إن وسائل الإعلام مقصرة في أداء دورها في التوعية المرورية و لا بد من التنسيق بين المرور ووسائل الإعلام لاختيار البرامج المناسبة لذلك . واختيار الوقت الملائم لأن وسائل الإعلام تعتبر من العوامل الرئيسية والمؤثرة في الثقافة بشكل عام . وفي ثقافة المرور بشكل خاص ، متى ما كانت برامجها في المستوى المطلوب .

5- إقامة دورات نوعية وإرشاد لرجال المرور يتم من خلالها توجيههم إلى ضرورة ما يجب أن يقوموا به من مساعدات إنسانية لضحايا الحوادث .

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

6- وبما أن الشباب هم الأكثر إزعاجاً من وجهة نظر رجال المرور فإن برامج التوعية المرورية سواء عن طريق وسائل الإعلام أو عن طريق المرور نفسه يجب أن تركز علي هذه الفئة . كما ينبغي تشديد العقوبة علي هذه الفئة لتكون رادعاً فورياً لهم .

قائمة المراجع

- 1- عبد الله الصقر ، مشكلة حوادث المرور في المملكة العربية السعودية من واقع الإحصاءات الرسمية ، ورقة علمية قدمت في " المؤتمر الوطني الأول للسلامة المرورية ، الرياض 1996م .
- 2- عبد الله بن عبد الرحمن المقبل ، وزارة المواصلات ودورها في تحسين السلامة المرورية ، ندوة النقل البري بين الماضي والحاضر ، جامعة الملك عبد العزيز ، 1998م .
- 3- أبو القاسم العزابي ، نظام المرور والأبعاد القانونية والنفسية والاجتماعية، طرابلس : دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلام، 1996م .
- 4- وزارة الداخلية (اللجنة الشعبية العامة للأمن العام سابقا) الإدارة العامة للمرور ، إحصائيات حوادث المرور ، مجلة سنوية تصدر عن الإدارة العامة للمرور ، العدد الأول ، 2006م .
- 5- عبد الله جمعة ، نحو استراتيجية لمواجهة حوادث الطرق في الإمارات ، الرياض : المركز العربي للدراسات الأمنية ، 1987م
- 6- نورمان مايبر ، ترجمة ، محمد عماد الدين وآخرون ، علم النفس الصناعي، القاهرة : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، 1967 م
- 7- عبد المحسن عبد العال، الحوادث المرورية والعناصر المسببة لها، الرياض، الندوة العالمية الأربعة، أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

- 8- علي الحوات، الرعاية الاجتماعية، دراسات في المجتمع الليبي، طرابلس، منشورات جامعة طرابلس، 1987م .
- 9- بشير مسعود عبدالله عون ، دراسة اقتصادية قياسية للتنبؤ بالحوادث المرورية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة (قسم الجغرافيا) ، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا ، طرابلس ، 2001 م.
- 10- محمد عبد النبي ، المواصفات القياسية للسلامة في السيارة والطريق، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، 1988 م.
- 11- أحمد محمد خميس ، الأسباب الرئيسية لحوادث المرور ، بنغازي : ندوة حوادث السير على الطرقات ، دار الكتب الوطنية بنغازي، 1991 م .
- 12- محمد عبد النبي، مرجع سابق ذكره ص18.
- 13- الإدارة العامة للمرور، قانون رقم (11) لسنة 1984 بشأن المرور على الطرق، طرابلس: مطابع الثورة العربية (سابقاً) ، 2001 م .
- 14- محمد عبد النبي ، المواصفات القياسية للسلامة في السيارة والطريق، مرجع سابق ذكره ص14.
- 15- محمد عمر الحاجي، العوامل المؤثرة في سلوك الإنسان علاقته بأسباب حوادث السيارات، حوادث الطرق وآثارها الاجتماعية والاقتصادية، دراسة منشورة، 2003 م
- 16- علي الحوات وآخرون ، دراسات في المشكلات الاجتماعية ، طرابلس : المعهد العالي للخدمة الاجتماعية ، مطابع الثورة العربية ، 1985 م، ص54 .
- 17- بشار خضر ، دور العلم والتكنولوجيا في رفعة الوطن العربي ، مجلة الواحدة العدد (55) ، السنة الخامسة ، 1989 م ، ص9.
- 18- بشار خضر ، دور العلم والتكنولوجيا في رفعة الوطن العربي ، مرجع سابق ذكره، ص7.

الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير

- 19- نبيل محمد توفيق ، قضايا التنمية والتحديث في علم الاجتماع المعاصر ، الرياض : دار المطبوعات الجديدة ، 1990 م ، ص50.
- 20- على الحوات وآخرون ، دراسات في المشكلات الاجتماعية، مرجع سابق ذكره، ص253.
- 21- محمد عمر الحاجي، العوامل المؤثرة في سلوك الإنسان علاقتة بأسباب حوادث السيارات، حوادث الطرق وآثارها الاجتماعية والاقتصادية، دراسة منشورة، 2003 م ، ص281.
- 22- إبراهيم بن يوسف ، الإشكالية الثقافية لظاهرة حوادث المرور، مرجع سابق ذكره، ص17.
- 23- وصفي عاطف ، الثقافة الشخصية ومحدداتها الثقافية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981م، ص95.
- 24- سالم عبد الله أبو حلاله، الآثار الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن حوادث الطرقات، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، طرابلس ، 2005م ، ص25.
- 25- نعيمة عمر الخويلدي، الآثار الاجتماعية والنفسية لحوادث المرور، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، طرابلس، 2012م، ص131.
- 26- خليفة عثمان بقيق، حوادث المرور في مدينة طرابلس أسبابها ونتائجها وكيفية الحد منها، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا ، طرابلس ، 2006م، ص55.
- 27- خالد حسين محمد اغليب، حوادث المرور بمنطقة زليطن أسبابها وسبل الحد منها رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، طرابلس، 2007م، ص43.

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية ودور الإعلام في تشكيلها وتحسينها

د. إبراهيم محمد سليمان
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

مقدمة:

تعد وسائل الإعلام المختلفة الأدوات الأساسية التي تلعب دوراً أساسياً هاماً في حياتنا اليومية، والوسيلة السهلة في التأثير على عقول المتلقين، فهي تنقل الأخبار المتنوعة من شتى أنحاء المعمورة للجماهير وتضعهم في قلب الحدث. وأصبحنا نعيش اليوم زمن الصورة بالتوازي مع زمن الكلمة، زمن الصورة، والكلمة معاً، فالصورة معنا ومتلازمة لنا في لحظتنا الصغيرة، والكبيرة حتى بدأت مرتبطة بنا على الدوام من خلال تقنيات الاتصال التي وفرت لنا الكم الهائل من الأجهزة والمعدات المتعلقة بالصورة، ويؤكد (التائب) بأن الاهتمام بوسائل الإعلام كأدوات لها أهميتها ودورها في الحياة العامة للإفراد والمجتمعات وبالتالي لم يعد بالإمكان فصلها عن متطلبات الحياة الحديثة، فالإعلام صار في عصرنا الحالي كالهواء أو الماء لا يمكن العيش بدونه أو بمعزل عما يطرحه من قضايا وأفكار ومعارف، فهو يمدن يومياً بآلاف الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية عن العالم الذي نعيش فيه حتى أن الحاجة إلى معرفة الذي يجري في الكون صارت من الحاجات الملحة والمتزايدة التي لم يعد بالإمكان كبحها أو الحد منها، وصار بالتالي على الإعلام أن يواكب ويرصد وينقل إلينا ما يدور في عالمنا من أحداث على اختلاف مجالاتها وتنوعها واتجاهاتها فهو إذاً قد أصبح أداة معرفية أساسية تساعدنا على إدراك وفهم الواقع المحيط بنا.⁽¹⁾ كما أن وسائل الإعلام في ظل خصائصها الراهنة، وخصائص المجتمعات الحالية تلعب دوراً كبيراً في تكوين الصورة لدى الأفراد ونقلها إليهم، وهي تتبع في ذلك أساليب مختلفة وطرقاً متعددة، وتشير نتائج كثير من الدراسات الامبيريقية إلى نجاح وسائل الإعلام في تحقيق كثير من أهدافها وفي الوصول إلى كثير من

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

غياتها⁽²⁾، والصورة الذهنية هي مجموعة معارف الفرد ومعتقداته في الماضي، والحاضر، والمستقبل التي يحتفظ بها الفرد عن ذاته، وعن العالم الذي يعيش فيه، وبشكل الإنسان صورته الذهنية عن الأشياء والأشخاص عن طريق التجارب المباشرة وغير المباشرة والتي ترتبط بعواطفه وتجاربه.

وقد تزايد الاهتمام بموضوع الصورة الذهنية وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع وما يحتويه من مؤسسات مختلفة، وكذلك اهتمام الدول به على نطاق واسع نظراً لما تؤديه من أدوار مختلفة في تكوين الرأي العام، واتخاذ القرارات وتشكيل وتعديل سلوكيات الأفراد.

وأصبح استخدام الصورة الذهنية في العديد من العلوم والمعارف المختلفة، حيث شاع استخدامها في العلوم الاجتماعية المعاصرة، وخاصة في الدراسات الإعلامية، والترفيهية وعلم النفس، والفلسفة، والإدارة.... وغيرها من المجالات الأخرى.

إن الحصول على الصورة الذهنية الإيجابية أصبح يعد من الأهداف المهمة لدى كل المجتمعات والمؤسسة المختلفة الأمر الذي يبرر زيادة الاهتمام بالصورة الذهنية في السنوات الأخيرة لدى اغلب الدول، وفي مقابل الصورة الذهنية هناك الصورة النمطية والتي جاء أصلها من الطباعة وتعني القالب الجامد أو المتكرر- وهي في العادة تتجه نحو السلبية للآخرين حتى ولو كانوا عكس ذلك، وعلى الرغم من مرور العديد من العقود على استخدام هذين المصطلحين إلا أنه مازال هناك خلط بينهما.

ونحن اليوم في ليبيا أحوج إلى الاهتمام بموضوع الصورة الذهنية الذي يعد من الأمور المهمة في تحقيق المصالحة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد، لأنه للأسف الشديد قد طغت الصورة الذهنية السلبية بين اغلب المناطق القريبة فيما بينها، وأيضاً بين المناطق البعيدة سوى في الشرق أو الغرب، أو الجنوب وذلك بسبب العديد من المشكلات السياسية، والامنية، والاقتصادية، والإعلامية، وخاصة في بعض صفحات التواصل الاجتماعي التي تنشر خطاب الكراهية بين أبناء ليبيا، ناهيك عن القنوات الفضائية المملوكة لبعض ادوات الفتنة في البلاد كل هذا وغيره أثر في الصورة الذهنية الجميلة التي كانت موجودة بين

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

المناطق الليبية، وتغيرت من ايجابية إلى سلبية. كما أن الصورة الذهنية للدول المجاورة لنا والبعيدة عنا أصبحت هي الأخرى تحمل في صور ذهنية سلبية عن ليبيا ومواطنها، والتصقت لديهم صورة الإرهاب في ليبيا الأمر الذي أدى إلى منع الليبيين من الدخول إلى العديد من دول العالم، أو الحصول على تأشيرة دخول لهذه الدول، والتي يستغرق الحصول عليها عدة اشهر وتنتهي اغلبها بالرفض رغم هذه المدة وبالتالي يمكن أن تتبلور مشكلة الدراسة في طرحنا للتساؤل التالي : ما مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية، ودور الإعلام في تشكيلها وتحسينها؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة من الاعتبارات الآتية:

- التعرف على مفهوم الصورة الذهنية، ونشأتها، وعلاقتها بالصورة النمطية.
- الإعلام ودوره في تشكيل الصورة الذهنية وتحسينها.
- إن الإحساس بأهمية الصورة الذهنية يحتم علينا أن نعطيها من الاهتمام والوقت الكافي لدراستها وتحسينها كل ما دعت الحاجة لذلك.
- نقص البحوث والدراسات التي تناولت الصورة الذهنية في المكتبات العربية بشكل عام والمكتبة الليبية بشكل خاص، وذلك على حد علم الباحث.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة على تسليط الضوء على مفهوم الصورة الذهنية، وأهميتها في المجتمعات والمؤسسات التي تسعى لتحسين صورتها الذهنية من سلبية إلى إيجابية، والتعرف على تاريخها، وخصائصها، وعلاقتها بالصورة النمطية، ودور الإعلام في تشكيلها من خلال الاطلاع على أدبيات هذا العلم، وبعض الدراسات السابقة في هذا المجال. وتنتمي هذه الدراسة إلى البحوث المكتبية والتي تعد من الأقسام البحثية السبعة التي حددها (حاجي) والتي من بينها (شيء مغلق أو غامض فيقوم الباحث بشرحه)⁽³⁾

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

ويحاول البحث في هذه الدراسة التعرض لمفهوم الصورة الذهنية، ونشأتها، وعلاقتها بالصورة النمطية، وخصائصها، ودور الإعلام في تكوينها وتحسينها من خلال ثلاثة محاور رئيسية وذلك على النحو التالي:

المحور الأول: مفهوم الصورة الذهنية نشأتها، خصائصها، وأنواعها.

المحور الثاني: مفهوم الصورة النمطية، وعلاقتها بالصورة الذهنية.

المحور الثالث: وسائل الإعلام ودورها في تكوين الصورة الذهنية وتحسينها.

المحور الأول: الصورة الذهنية:

يعرف معجم المصطلحات الإعلامية الصورة الذهنية بأنها قد تكون صورة نلتقطها بإحدى آلات التصوير أو مرسومة قد تكون لشيء ما أو لشخص في ذهن إنسان ما أي فكرته التي كونها عن ذلك الشخص وصورته التي رسمها في ذهنه أي انطباعه عنه.⁽⁴⁾ أما معجم (وبستر) يعرفها بأنها تصور عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شيء بعينه.⁽⁵⁾

كما يعرف (عجوة) الصورة الذهنية بأنها الناتج النهائي للانطباعات الذاتية عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام معين أو شعب أو جنس بعينه أو منشأة أو مؤسسة أو منظومة محلية أو دولية أو مهنة معينة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان، وتأتي هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب، والتي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعاً صادقاً ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه أو يقدرونه على أساسها.⁽⁶⁾ ويرى (عدلي) بأن كل فرد يكون صوراً ذهنية نتيجة لتفاعله مع البيئة الحقيقية، وبالتالي تختلف الصورة الذهنية من شخص إلى آخر لأن خبرة كل فرد لا يمكن أن تتشابه مع خبرة الآخرين، ومن ثم فإن كل فرد يشرح ويفسر خبرته في ضوء تجاربه وخبراته التي يظل يكتسبها طوال حياته.⁽⁷⁾

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

في حين يرى (طاش) بأن كلمة (image) تعود إلى أصل لاتيني هو (imago) والمتصلة بالفعل (imitari) بمعنى يحاكي أو يمثل وبذلك تدل كلمة (image) على المحاكاة أو التمثيل. وعرفها (ادهم) بأنها حضور صورة في الذهن للأشياء التي سبق أن أدركها بحاسة من الحواس.⁽⁸⁾

ويذهب (مخولف) بأن الصورة الذهنية عبارة عن بناء يتسم بالتخطيط، لأن هدفه في آخر المطاف هو إيصال فكرة أو رأي أو معنى. وهذه النوعية من الصور تبقى طويلاً في العقول قبل أن تتغير، وتقوم الوسائط الجمعية اليوم بصناعة الصورة الذهنية عند الأفراد والشعوب من خلال المادة الإعلامية التي تبتها.⁽⁹⁾

وبعبارة أخرى يقول (كردي) بأن مفهوم الصورة الذهنية يعبر عن التصورات التي يحملها أفراد المجتمع عن العالم من حولهم بمكوناته المختلفة، وتعد الصورة نتاجاً طبيعياً لجميع خبرات الأفراد المباشرة وغير المباشرة التي يتلقونها عبر تفاعلاتهم الاتصالية المختلفة.⁽¹¹⁾

ويقدم (سكوت) تعريفه للصورة الذهنية في إطار النظريات الإدراكية فيقول "صورة الأمة الذهنية (أو أي شيء آخر) يشكل من مجمل الخصائص التي يدركها الفرد أو يتخيلها وهي محتوى لثلاثة مظاهر تحليلية، الأول والأساس هو مجموعة الخصائص المعرفية "الإدراكية" التي يفهم المرء بها بطريقة عقلانية، والثاني المكون التأثري "العاطفي" تفضيل الشيء، أو عدم تفضيله، وثالثاً وأخيراً المكون الحركي "السلوكي" الذي يضم مجموعة الاستجابات العملية التي يعتقد المرء أنها ملائمة للشيء المدركة صفاته مسبقاً.⁽¹²⁾

ويرى (ايمن) أن الصورة الذهنية هي عملية معرفية نفسية نسبية ذات أصول ثقافية تقوم على إدراك الأفراد الانتقائي المباشر وغير المباشر لخصائص وسمات موضوع ما (شركة، مؤسسة، فرد، جماعة، مجتمع، نظام..). وتكوين اتجاهات عاطفية نحوه (سلبية أو إيجابية) وما ينتج من ذلك من توجهات سلوكية (ظاهرة، باطنة) في إطار مجتمع معين وقد تأخذ هذه المدركات والاتجاهات والتوجهات شكلاً ثابتاً أو غير ثابت، دقيقاً أو غير دقيق.⁽¹³⁾

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

وتذهب (سعدية) إلى أن الصورة الذهنية ليست مقصورة بالضرورة على التمثيلات البصرية، مع أن هذا النوع يعد أكثر شيوعاً، فمثلاً يمكن أن يقوم المرء بتفضيل أو تنويع معين في صورة سمعية، وتوجد لدى أفراد آخرين أيضاً صور متعلقة بالتذوق بالفم أو الشم أو الأنف.⁽¹⁴⁾

ومن خلال التعريفات السابق للصورة الذهنية يمكن القول بأن مفهوم الصورة الذهنية يشير إلى اتجاهات، وتصورات، ومعتقدات، وانطباعات عند الأفراد أو الشعوب حول شخص معين، أو مجتمع آخر، أو مؤسسة، وذلك نتيجة خبرات مباشرة وغير مباشرة التي اكتسبها خلال فترات زمنية سابقة، أو حاضرة، واستحضارها عند الحاجة.

ومع أن مفهوم الصورة الذهنية قد نضج حديثاً إلى أن ذلك لا يعني أنه لم يتأثر باهتمام علماء النفس ومدارسه وخاصة في القرنين الثامن، والتاسع عشر، فالمدرسة الارتباطية التحليلية كانت من أكثر المدارس اهتماماً بهذا الموضوع.

ويعد (جوهانس بور كنجي) أول من أعطى وصفاً دقيقاً للصورة الذهنية البصرية في سنة (1819م)، وهو المفهوم ذاته الذي اطلق عليه (جو هانس ميلر) في سنة (1826م) للرؤية الذاتية ثم استكمل علماء النفس البحث في هذا الموضوع وصلته بالتفكير ومنهم (فونت) منذ ان اسس معمله في مدينة ليبرزغ سنة (1879م).⁽¹⁵⁾

ويرى البعض أن استعمال الصورة الذهنية يرجع إلى بداية النصف الثاني من القرن الماضي حيث كان لظهور كتاب (تطوير صورة المنشأة) للكاتب الأمريكي (لي بريستول) سنة (1960م) اثر كبير في نشر صورة المنشأة بين رجال الأعمال، وما لبث أن تزايد استعمال هذا المصطلح في المجالات التجارية والسياسية والإعلامية والمهنية.⁽¹⁶⁾

ودخل مفهوم الصورة الذهنية في مجال علم السلوك مع ظهور كتاب السلوك الدولي (لهيربرتكيلمان) ومجموعة من علماء النفس والباحثين في العلاقات الدولية سنة (1966م).⁽¹⁷⁾

خصائص الصورة الذهنية:

- توجد العديد من الخصائص للصورة الذهنية يمكن تلخيصها في الآتي:
- تمثل إطاراً للذاكرة حيث يستخدم الأفراد المعلومات المتاحة لديهم لتشكيل الانطباعات والصور عن الآخرين أو إصدار أحكام عليهم .
- أن للصورة الذهنية القدرة على تخطي حدود الزمان والمكان وذلك من خلال ما لها من رصيد من الخبرات والمعلومات السابقة والتي تسهم في بناء المعلومات اللاحقة.
- أن تكوين الصورة الذهنية، يعد عملية ذاتية وغير موضوعية، حيث أن الصورة الذهنية هي التفسير المفترض للحقيقة وما يعتقد أنه الصواب من وجهة نظر الفرد، وبالتالي تكون الصورة الذهنية أكثر تقلباً، فمختلف الأفراد لديهم صورة ذهنية مختلفة لنفس الموضوع.
- الصورة الذهنية تتسم بالمرونة والتفاعل المستمر، فهي دائمة التطور وذلك لما يتعرض له المتلقي من معلومات جديدة تمكنه من إضافة ، أو حذف أو تغيير لبعض أجزاء الرسالة المكونة للصورة.
- لا توجد صورة ذهنية موحدة داخل المجتمع حيث تختلف من شخص لآخر باختلاف الميول، والدوافع، والحاجات.
- الصورة الذهنية تمثل الإطار النفسي العام لاتخاذ القرارات وذلك لما يملكه الفرد من صور ذهنية لديه تمكنه من التعرف والتصرف تجاه المواقف المختلفة التي يتعرض لها.
- الصورة الذهنية تتحكم في بعض سلوكيات الأفراد، ذلك لأن عقل الفرد عبارة عن مخزن صفيير محملاً بالعديد من الخبرات والذكريات، ويعد هذا المخزن صورة ذهنية تدفع الفرد للقيام ببعض التصرفات التي لا يستطيع فهمها نتيجة لوجود صورة ذهنية، ونظام للقيم المتعلق بها.

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

- أن الصورة الذهنية تتكون لدى الفرد تجاه شخص، أو مجتمع، أو أي شعب من الشعوب من خلال ثلاثة إبعاد وهي:

1- البعد المعرفي (الإدراكي)

2- البعد التأثيري (العاطفي)

3- البعد الحركي (السلوكي)

أنواع الصورة الذهنية:

للصورة الذهنية مجموعة من الصور المنوعة كما يقول (فرنك جفكينز) والمتمثلة في الآتي: (18)

- الصورة المرآة ، وهي التي يرى القائم بالاتصال من خلالها العمل الذي يقوم به او المادة التي يقدمها للجمهور.
- الصورة الحالية، وهي التي يرى بها الآخرون العمل المقدم.
- الصورة المرغوبة، وهي التي يود القائم بالاتصال أن تصل إلى أذهان الجماهير وتستقر لديهم.
- الصورة المثلى، وهي أمثل صورة يمكن أن تتحقق ويطلق عليها احيانا الصورة المتوقعة.
- الصورة المتعددة، وتحدث عندما يتعرض الافراد لانطباعات مختلفين عن موضوع ما.

المحور الثاني: الصورة النمطية:

جاء تعريف الصورة النمطية (stereotype) في معجم المصطلحات الإعلامية بأنها مجموعة من التعليمات المتحيزة والمبالغ فيها في موضوع ما. (19)

أما في موسوعة علم النفس فعرفت الصورة النمطية بأنها كل اعتقاد أو تصور متصلب وتبسيطي، يكون عادة مشتركاً من قبل جماعة عريضة إلى حد ما (وأحياناً من قبل أعضاء مجتمع بكامله) وهو يتعلق بمؤسسات أو جماعات معينة. والأمر يتعلق غالباً بالحكم المسبق، وهو كاريكاتوري وموحد، سماته معزولة عن مجموعة معقدة من السمات، وهناك

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

تجاهل للفوارق وللأمور الدقيقة.⁽²⁰⁾، ويعرف (مرزوق) الصورة النمطية (stereotype) بأنها الشيء المكرر على نحو مطرد وعلى وتيرة واحدة لا تتغير ويسمى نمط.⁽²¹⁾ ويعتبر (ديفيس) الصورة النمطية بأنها مواقف سلبية، أو رافضة تتخذ اتجاه شخص أو جماعة من الأشخاص، حيث تحصل هذه الجماعة بسبب المواقف المقلوقة على صفات سائدة أصلاً، يمكن جداً تصنيفها بسبب الجمود والصفات الانفعالية حتى لو تم التعايش مع تجربة مناهضة للحكم المسبق.⁽²²⁾، ويذهب (أبو إصبع) إلى أن الصورة النمطية هي تلك الصورة التي تنطبع في الأذهان عن أشخاص، أو شعوب، حاملة معها سمات موضوعية في قالب ذهني يحد من التفكير في تصور هؤلاء الأشخاص أو الشعب بصورة مخالفة للذهن.⁽²³⁾

وقد سجل مصطلح النمطية أول ظهور له في سنة 1789م من قبل الفرنسي (ديدوت) والذي كان يمتن الطباعة، حيث احتفل في ذلك العام بمناسبة اكتشافه الطباعي الذي أطلق عليه النمطية (stereotype) ثم بعدها عرف المصطلح طريقة في مفردات الطب النفسي وعلم النفس وعلم الاجتماع، واخذ تعبير (stereotype) من اليونانية التي تعني الصلب والقوى ليشير إلى ذلك النوع من الطباعة (الصفائح المعدنية) ليكون سجلاً لا يمكن تغييره.

وكان (ولتر ليبمان) أول من استخدم المصطلح في كتابه (الرأي العام) سنة 1922م حيث أوضح أن الإنسان يتعلم أن يرى بذهنه القسم الأعظم من العالم الذي لا يستطيع أن يراه أو يتلمسه.⁽²⁴⁾

أهم الفروق بين الصورة الذهنية والصورة النمطية:

من خلال ما تم استعراضه يمكن استخلاص أهم الاختلافات، والتمثيلات، ورصد العلاقة بين المفهومين وذلك على النحو التالي:

- 1- الصورة الذهنية تبنى على الحقائق الموضوعية والمعلومات الصادقة، بينما تبنى الصورة النمطية على حقائق مبالغ فيها ومعلومات غير صادقة.

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

- 2- الصورة الذهنية ليست بالضرورة محملة بالمشاعر العاطفية، بينما الصورة النمطية تكون محملة بالمشاعر الذاتية، ومشحونة بالعواطف الشخصية.
- 3- الصورة الذهنية هي صورة مفتوحة (أي أنها تشمل كل الصور، ثم تقوم بترتيب هذه الصور من جديد)، وقد تتميز هذه الصور أو تتوسع تدريجياً، وتنمو وتتطور، أو تتضح زواياها في موضوع ما كانت باهتة، فهي صورة قابلة للتغيير باستمرار، بعكس الصورة النمطية التي تتسم بالثبات النسبي، والجمود، وترفض استقبال رسائل معكوسة لها، عدا تلك التي تنسجم وتتناسق مع اتجاهاتها.
- 4- كلما زادت المعلومات في الصورة الذهنية، فإن الصورة تنزايد وضوحاً، بينما زيادة المعلومات في الصورة النمطية في اتجاه الموضوع الواحد نفسه تؤدي إلى التعقيد، وفي مراحل أعلى تؤدي إلى التمييز العنصري.
- 5- إن صانعي الصورة الذهنية للأشياء، والأشخاص، والدول، والجماعات في أذهان الأفراد يسعون إلى تقديم المعلومات، والحقائق، والمعارف من أجل توسيع مدارك الناس، ومعارفهم بالحياة، بعكس الصورة النمطية التي غالباً ما تقف خلفها جهات (جماعات، أو مؤسسات)، ذات مصالح اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية.⁽²⁵⁾
- 6- إن الصورة الذهنية تقترب من الواقع لاعتمادها على عنصر التجربة الشخصية، بعكس الصورة النمطية التي تكون نتيجة لقلّة الاتصالات، والتفاعل، والتي قد تشكل اتجاهات عدائية.⁽²⁵⁾
- 7- تعد الصورة النمطية جزء من مفهوم أوسع واشمل وهو الصورة الذهنية، وإن الصورة النمطية لا تتكون إلا بوجود صورة ذهنية مسبقة.
- 8- أن الصورة النمطية لا يرتبط وصفها بعلاقات جديدة، فأنها كثيراً ما تصف حال الجماعات في الماضي، وليس كما هي اليوم لأنها تستند على خليفة الإرث الثقافي، والبعيد الإيديولوجي والتراكم المعرفي التي أطلقتها جماعة على أخرى نتيجة للأحكام المسبقة، في حين أن الصورة الذهنية تقوم في جوهرها على ربط الخبرات السابقة

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

بعلاقات جديدة لكي تدعمها أو لتعيد تعريفها أو لتغييرها ، فوصفها للأخر يستند على الصورة، والعلاقات الحالية.²⁶

مما سبق يتضح بأنه هناك نقاط اشتراك واختلاف بين المفهومين، بحسب المجال المعرفي الذي انطلقا منه هذين المفهومين، حيث توجد علاقة وطيدة بينهما بل وجوهرية، وهي علاقة الجزء بالكل، فالصورة النمطية أيا كان نوعها شخصية، قومية، اجتماعية هي جزء من الصورة الذهنية.

والصورة الذهنية تختلف عن النمطية في انها يمكن ألا تتحول إلى نمط اذا ما تمت الإضافة إليها، وصححت المعلومات، ومن تم فإن كون الصورة ذهنية أم نمطية يعتمد على مسألة أساسية، وهي كونها ذات تركيبية مفتوحة أو مغلقة.

وبعبارة أخرى كما تقول (الجبوري) إن الصورة الذهنية أوسع واشمل من الصورة النمطية، وهي بمثابة الكل إزاء الجزء، أنها أيضا الحالة أو المرحلة التي تسبق الصورة النمطية اعتمادا على ما إذا كانت ذات بناء مغلق أو مفتوح.⁽²⁷⁾

في حين يؤكد (صالح) بأن هناك اتفاق في معظم دراسات الصورة الذهنية تقوم على مجموعة من السمات الايجابية التي تثير مشاعر الحب والتعاطف، والتأييد، والإعجاب والرغبة في التقليد، وكثيراً ما يكون ذلك عن طريق تصوير البطولات، والانتصارات، والانجازات، والقوة، والإنسانية، وحب الخير، والود والتضحية.

أما الدراسات التي تناولت مفهوم الصورة النمطية، فقد تعاملت على أنها صورة سلبية تتشكل من التعميمات، وتقوم على مجموعة من السمات التي تثير مشاعر الخوف والكراهية والنفور، والاشمئزاز، والاحتقار، ويكون ذلك بتصوير العنف، والبطش، والقسوة، وسفك الماء، والإرهاب، والهزائم، والجريمة، والفقير.⁽²⁸⁾

المحور الثالث: وسائل الإعلام ودورها في تكون الصورة الذهنية وتحسينها:

تأثيرات متعددة تعتري الإنسان من خلال المؤثرات التي تحيط به وتشكل حياته كالطبيعة والأسرة والمؤسسات الاجتماعية التي ترتبط بها بما في ذلك المدارس والمعاهد

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

والكليات. فقد تأثرت كل هذه المؤسسات بوسائل الاتصال الحديثة بما تحمله من تكنولوجيا متقدمة في مجالات متنوعة تساهم بشكل أو بآخر ثقافياً وتعليمياً واجتماعياً في تكوين شخصية الإنسان والتأثير في أفعاله تأثيراً مباشراً وصل إلى حد الارتباط بسلوكه اليومي.⁽²⁹⁾

ولا يكاد يختلف اثنان في أن الإعلام يعتبر من الركائز الأساسية المشكلة لعمليات التفاعل الاجتماعي والتي تؤثر في المجتمع المعاصر من خلال وسائله المتعددة وقد ساعد في ذلك سهولة انتقال مواده المختلفة وخاصة المرسله من وسائل الاتصال الجماهيري التي دخلت كل بيت في الوقت الحاضر. وبالتالي صار استقبالها ميسوراً على أغلبية أفراد المجتمع صغراً وكباراً وبدنوا يتأثرون بها ويؤثرون في غيرهم.⁽³⁰⁾

وأشار (مكاوي) في دراسته التي تناولت علاقة مضمون وسائل الإعلام بالواقع الاجتماعي إلى أن هذه الوسائل لا تعكس ما يحدث في العالم الخارجي، وإنما تغرس وتنمي عالماً يبدو حقيقياً أو يتحول إلى واقع بالنسبة للمشاهدين.⁽³¹⁾

وبالتالي فإن وسائل الإعلام تلعب دوراً رئيسياً في خلق الصورة المنطبعة في أذهان جمهورها، فهي النافذة التي تطل من خلالها الجماهير على العالم وعلى الأحداث المحلية والدولية؛ لأنها الامتداد الطبيعي لأبصارنا وأسماعنا على حد قول مارشال ماكلوهان.⁽³²⁾

وتقوم وسائل الإعلام بتضخيم هذه الصور بدرجة كبيرة وبطبعها بقوة في الادهان إلى درجة أن القارئ أو المستمع أو المشاهد يشعر في أحيان كثيرة أنه التقى فعلاً بالشخصيات التي تتناولها وسائل الإعلام على الرغم من أنه لم يقابلها قط ، ذلك أننا ننشئ علاقات مع هؤلاء الأشخاص المعنويين كما ننشئ علاقات مع أصدقائنا.⁽³³⁾

ويرى (عامر) بأن وسائل الإعلام أقوى الوسائل في تشكيل الصورة الذهنية عند الأفراد والجماعات والشعوب ، فأحياناً يشكل الفرد صوراً ذهنية في خياله عن بعض البلاد إلي لم يراها من قبل أو عن بعض المهن أو الشعوب التي لم يتعامل معها طوال حياته، وقد يحدث

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

ذلك نتيجة لتعرض هذا الفرد لوسائل الإعلام التي تعرض الأخبار والإحداث والمضامين المختلفة (34)

ومن جهة أخرى ترى (قنديل) بأن وسائل الإعلام لها قوة أحداث التأثير على الصورة الذهنية الموجودة لدى الجمهور المتلقي وذلك على النحو التالي:

1- استمرار عرض الرسالة الإعلامية وتكرارها ويؤدي إلى إحداث تغييرات كبيرة في الصورة الذهنية القائمة لدى الجمهور، فالفرد الذي يتلقى مضموناً من وسائل الإعلام مخالفاً لما لديه من صورة ذهنية، فإنه يستقبلها على أنها مضامين غير واقعية وكاذبة وبالتالي يرفضها إلا أنه مع استمرار تعرضه لتلك الرسائل يبدأ في التشكيك في صحة الصورة الذهنية الموجودة لديه، وتحل محلها صورة أخرى تقدمها وسائل الإعلام.

2- تقوية وتدعيم الصورة الذهنية الموجودة لدى المتلقي حيث تضيف وسائل الإعلام إلى الصورة الذهنية لدى الفرد معلومات وانطباعات إضافية مما يجعل وجود تأثير نفسي أو سلوكي من جانب الجمهور لاستقبال هذه الرسالة، الأمر الذي يحدث إضافة بسيطة غير أساسية في الصورة والتي لا تؤثر على جوهر الصورة الذهنية الموجودة لدى الجمهور.

3- توضيح معالم الصورة الذهنية، فقد تكون هذه الصورة غير واضحة لدى المتلقي أو مهزوزة لأن المعلومات التي لديه غير كافية لتكوين صورة ذهنية متكاملة، ومن هنا تأتي أهمية وسائل الإعلام لإضافة معلومات على الصورة الموجودة مسبقاً حتى تتضح معالمها وبالتالي تزيل الشك وتوضح الغموض الذي يحيط بالصورة لدى المتلقي. (35)

4- التقدير والتقييم لصاحب الصورة، إذ يرى بأنه كلما حملت الوسيلة الإعلامية احتراماً وتقديراً لصاحب الصورة الذهنية، كلما كانت أسهل وأسرع وصولاً إليه، وأكثر قدرة على التأثير على الصورة القائمة، أما الرسالة العدائية فتقل فرصتها في الوصول والتأثير.

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

5- استحالة أو صعوبة تغيير الصورة، فكلما كانت الصورة المتكونة لدى المتلقي راسخة منذ فترة زمنية طويلة فإنه من الصعب تغييرها أو تعديلها، وعادة تبقى هذه الصورة دون تغيير أو تعديل.⁽³⁶⁾

6- حسم اتجاه الجمهور نحو صورة ذهنية معينة ، فقد تتكون لدى المتلقي صورتين ذهنيتين متضاربتين، الأمر الذي قد يخلق لديه اتجاهين متضادين، ولا يستطيع الفرد حسم اتجاهه نحو أي صورة من الصور، إلا بمساعدة وسائل الإعلام الي تمده بمعلومات إضافية تمكنه من حسم اتجاهه حول هذه الصور.

7- إعادة تنظيم الصورة الذهنية، وذلك عن طريق وسائل الإعلام حيث تساهم هذه الوسائل في تنظيم الصورة الذهنية وتنسيق مكوناتها وربطها ببعضها مما يجعلها أكثر فهماً لدى المتلقي.⁽³⁷⁾

إن مسؤولية وسائل الإعلام في توليد الصورة الذهنية المتركمة وإنتاجها في أذهاننا ليس بالمسؤولية الجزئية، أو اليسيرة، كما تصبح عبر اليتها في تقديم المعلومات والوسائل ضمن سياق خصائص وسيلتها الاتصالية، بيد ان مثل هذا الدور لا ينفي ضرورة تأثير الجماعات المرجعية في تكوين الصورة الذهنية، فالأفراد يعتمدون أيضا في معرفتهم للعالم الذي يحيط بهم على أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه.⁽³⁸⁾

إضافة إلى كل ما تقدم فيما يتعلق بتشكيل الصورة الذهنية وتحسينها فإن الباحث يحث القنوات الليبية على ما يلي:

- إعداد خطة إعلامية مكثفة تشارك فيها نخب من مختلف شرائح المجتمع، إعلاميين، ومتقنين، وسياسيين، ورجال دين، وأساتذة وغيرهم تعتمد على المناقشة الرصينة والصادقة لغرض توضيح وتحسين الصورة الذهنية للمواطن الليبي في مختلف المناطق التي اهتزت صورتها مؤخراً بسبب الأحداث الدامية في ليبيا.
- الابتعاد عن لغة التخوين، والتهديد، والترهيب، ونبد العنف والافتتال مهما كانت اسبابه لان الإعلام الموضوعي والصادق اكبر من كل هذه الكلمات المذكورة سابقاً.

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

- إعداد برامج توعوية تهدف إلى تقوية اللحمة الوطنية بين ابناء الوطن في مختلف المناطق الليبية.
- إقامة الندوات والمؤتمرات المتخصصة بموضوع الصورة الذهنية السلبية وذلك لمحاولة علاجها وتحسينها باستضافة بعض الاساتذة المتخصصين لأثراء النقاش حول هذه السلبيات.
- إن انتاج صورة جميلة بين ابناء الوطن الواحد يسهم في تحسين الصورة الذهنية بين افراد المجتمع.
- ارشاد أولياء الامور عن طريق البرامج المسموعة، والمرئية بشأن الاهتمام بأبنائهم ومحاولة أبعادهم عن كل ما يسيء للنسيج الاجتماعي بين افراد المنطقة بشكل خاص والمناطق الليبية بشكل عام، واحترام آراء الآخرين.
- تقديم البرامج والاعمال الدرامية التي تساهم في غرس القيم ومعاني الاخلاق والادب، واحترام الانسان وخصوصياته.
- العمل على انشاء قناة فضائية متخصصة تهتم بالمواطن الليبي اين ما كان وتحس بإحساسه وتدلل اصعاب امامه وترشده إلى حب الخير لكل ابناء الوطن والابتعاد عن الانانية وصيانة الوطن وحيه وبالتالي غرس قيم المواطنة المفقودة في ليبيا.
- إن بناء صورة ذهنية إيجابية تقع على عاتق المجتمع وتعد مسؤولية جمعية يشترك فيها الجميع، من مؤسسات الدولة، ومؤسسات المجتمع المدني، والافراد، والجماعات، والقبائل، والمناطق، والمدن.
- إعداد برامج زيارات دائمة بين المناطق، والقبائل، ومن مختلف شرائح المجتمع، وبدعم شعبي، وحكومي.
- إعداد برامج وانشطة ثقافية مشتركة بين المناطق المختلفة وخاصة المناطق التي شهدت صراعاً فيما بينها.

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

- العمل على انتاج سلسلة من الاشرطة الوثائقية والتي يكون مضمونها ابراز العلاقة المتميزة بين المناطق في مختلف المجالات عبر التاريخ وذلك لغرض تحسين الصورة الذهنية لدى المواطنين وبالتالي إعادة بناء اللحمة الوطنية.

هوامش الدراسة:

- 1- مسعود حسين التائب، حق الإنسان في الإعلام ، مجلة البحوث الإعلامية، العدد (33) طرابلس: مركز البحوث والتوثيق الإعلامي، 2006م)، ص5.
- 2- ايمن منصور ندا، الصورة الذهنية والإعلامية عوامل التشكيل واستراتيجية التغيير (المدنية: برس، 2004م)، ص 124.
- 3- السيد أحمد مصطفى، البحث الإعلامي مفهومه واجراءاته ومناهجه،(بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، 1994م)، ص 23.
- 4- كرم شلبي، معجم المصطلحات الإعلامية، (القاهرة: الشروق، 1889م) ص 285.
- 5- ماجي الحلواني، مدخل إلى الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي، (القاهرة: عالم الكتب، 2005م) ص141.
- 6- علي عجرة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، (القاهرة: عالم الكتب، 1983م) ص4.
- 7- عاطف عدلي العبد، صورة المعلم في وسائل الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1997م) ص 19.
- 8- محمود ادهم، مقدمة إلى الصحافة المصورة، الصورة وسيلة اتصال، (الدار البيضاء، 1998) ص 15
- 9- مخلوف حميدة، سلطة الصور(تونس: دار سحر للنشر، 2004م) ص20.
- 10- أحمد السيد كردي، العلاقات العامة وتكوين الصورة الذهنية للمنظمة،
- 11- ارادة زيدان، مفهوم الصورة الذهنية في العلاقات العامة، مجلة الباحث الاعلامي ، العدد 9-10 حزيران يونيو 2010م، ص165.
- 12- ايمن منصور ندا، الصورة الذهنية والإعلامية، مرجع سابق، ص 11.

د. إبراهيم محمد سليمان

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

- 13-سعدية محسن، ثقافة الصورة ودورها في إثراء التذوق الفني لدى المتلقي، رسالة ماجستير في التربية الفنية، السعودية، جامعة أم القرى، كلية التربية 2010م، غير منشورة، ص 16.
- 14-زينة عبد الستار الصفار، نظرية الصورة الذهنية واشكالية العلاقة مع التنميط، مجلة الباحث الإعلامي، العدد (0) حزيران ، ص118
- 15-ارادة زيدان، مفهوم الصورة الذهنية في العلاقات العامة، الباحث الاعلامي ، مرجع سابق، ص 169.
- 16-المرجع السابق ص 164.
- 17-علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، (القاهرة: عالم الكتاب، 1983م)، ص6
- 18-أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات الإعلام، (القاهرة: دار الكتاب المصري، 1985م)، ص 154.
- 19-رولان دورون، و فرنسواز بارو، موسوعة علم النفس، المجلد الثالث، (تر) فؤاد شاهين، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 1997م)، ص1023.
- 20-اسعد مرزوق، موسوعة علم النفس، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987) ص 320.
- 21-ارادة زيدان، مفهوم الصورة الذهنية في العلاقات العامة، مرجع سابق، ص 164.
- 22-صالح أبو إصبع، تحديات الإعلام العربي، (عمان دار الشروق، 1999م)ص76
- 23-زينة عبد الستار، نظرية الصورة الذهنية، مرجع سابق ص 128.
- 24-حميدة مهدي سميسم، بنية الصورة وسياسة الاتصال، مجلة الباحث الاعلامي، العدد 6-7- حزيران- ايلول- 2009م، ص 22.
- 25-زينة عبد الستار الصفار، نظرية الصورة الذهنية، مرجع سابق، ص137.
- 26-المرجع السابق، ص 134.

مفهوم الصورة الذهنية وعلاقتها بالصورة النمطية...

- 27-إرادة زيدان الجبوري، مفهوم الصورة الذهنية، مرجع سابق، ص 166.
- 28-سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2005م)، ص 115
- 29-إبراهيم محمد سليمان، القيم في الرسوم المتحركة وعلاقته بالسلوك الاجتماعي للطفل الليبي، رسالة دكتوراه غير منشورة في الإعلام التربوي، جامعة الزاوية،
- (30)عبد السلام الدويبي، علم النفس الاجتماعي (طرابلس : الجامعة المفتوحة،1991) ص133
- (31)حسن عماد مكاوي، اثر الإنماء التلفزيوني في إدراك السباب للواقع – دراسة مسحية لعينة من طلاب الجامعات المصرية(القاهرة : المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الثاني – ابريل 1997) ص 56 .
- (32) سهير بركات، الاعلام وظاهرة الصور المنطبعة، (الكويت: مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الأول، السنة الثانية، 1980 /)، ص. 45.
- (33) عاطف عدلي العبد، صورة المعلم في وسائل الإعلام، مرجع سابق، ص 21.
- (34) فتحي حسين عامر، علم النفس الإعلامي، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2012م)، ص149.
- (35) راجية قنديل ، صورة اسرائيل في الصحافة المصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام جامعة القاهرة، 1981، ص 49-50.
- (36) فتحي حسين عامر، علم النفس الإعلامي، مرجع سابق، ص152.
- (37) سوزان القليني، علم النفس الإعلامي، (القاهرة، دن، 2007 م) ص.110
- (38) إرادة زيدان الجبوري، مفهوم الصورة الذهنية ، ص 166.

تحليل تباين الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

د. الفت عبد السلام المقطوف
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

المقدمة

عرف لي جون Lee et jones 1933: " جودة الرعاية الصحية بأنه كل تطبيق يستخدم في تسهيل وتوفير جميع الخدمات الصحية الضرورية بما يتوافق مع العلوم والتقنيات الطبية الحديثة لتلبية جميع حاجات السكان" (1)، كما عرفت بأنها تقديم خدمات صحية أكثر أمنا ، وأسهل مناولة وأكثر إقناعا و إرضاء للمستفيدين منها ، بحيث تتولد في المجتمع نظرة إيجابية إلى الرعاية الصحية المقدمة. (2)، الاهتمام بجودة الخدمات ليس موضوعا جديدا، لكن استخدام الطرق العلمية والأساليب الإحصائية الحديثة لتطبيق برامج إدارة الجودة وضع هذه الخدمات ضمن المعايير الملائمة لتقويم أداءها من خلال تطبيق بعض البرامج الحديثة لقياس توقعات الخدمة التي تقدمها المراكز الصحية .

اتضح من الزيارات الميدانية لواقع حال المؤسسات الصحية ببلدية الزاوية أنها تعاني من مشاكل منها ما يتعلق بالخدمات الصحية ذاتها ، حيث قلة الإمكانيات البشرية والكوادر الفنية المتخصصة ، وضعف الشعور بالمسؤولية المهنية لدى بعض العاملين ، وبعض المشاكل ناتجة عن أسباب خارجة عن إرادة هذه المؤسسة الصحية نفسها ، كقلة التخصصات المالية وضعف الوعي الصحي لدى المرضى والمراجعين ، وهجرة العقول العلمية ، خاصة بعد الأحداث الأخيرة في البلدية ، كل ذلك أدى إلى ضعف مستوى أداء الخدمات المقدمة للمستفيدين . حيث يمكن صياغة مشكلة البحث في النحو الآتي : ما هي البدائل التخطيطية الممكنة التي يمكن طرحها من خلال استخدام وتوظيف تقنية المعلومات الحديثة ليكون هناك تناغم بين جودة الخدمات الصحية المتوفرة والتطورات العلمية على نحو يخدم عملية التنمية البشرية في بلدية الزاوية؟

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

بعد تحديد مشكلة البحث اقتضت المنهجية العلمية تحديد الفرضيات والتي تعد إجابات مبدئية لإشكالية البحث الرئيسية ، أهمها :

• هناك دائما تقنيات متطورة بديلة يمكن استخدامها لتطوير وضع الخدمات الصحية القائمة .

• إن إنشاء قواعد بيانات لخدمات البنى التحتية تمكن من تسهيل إدارة وعمل تلك الخدمات وتقويمها.

أما أهمية البحث فتكمن في بيان قدرة المؤسسات الصحية على الارتقاء بمستوى الخدمات التي يتم تقديمها ، ويمكن الاستدلال على الأهمية من خلال المؤشرات الآتية :

1. الكشف عن مدى تباين أحجام مكونات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية.
2. تحديد مؤشرات تحليل واقع خدمات مراكز الرعاية الصحية مما يساهم في تقويم تلك الخدمات ، وتحديد العجز الحاصل في درجة أداء الخدمة على مستوى مناطق البلدية .
3. التعرف على الخدمات الصحية الأكثر أهمية وقبولا ، وتقييم مستوى الجودة من خلال الأبعاد الرئيسية التي تم الاعتماد عليها كأساس لقياس مستوى الرضا على هذه الخدمات.

إن الهدف الأساسي لهذه الدراسة يتركز في التعرف على أثر جودة الخدمات الصحية بالمراكز الصحية ، حيث إن هذه المؤسسات تبني لخدمة المرضى أساسا . وبذلك يهدف البحث إلى :

1. تسليط الضوء على مستوى الرضا على الخدمات الصحية التي تقدمها المؤسسات الصحية التابعة لوزارة الصحة في البلدية .
2. قياس فاعلية الخدمات الصحية وتقييم جودتها من وجهة نظر هذه المؤسسات، للاستفادة من نتائج هذا القياس لتحسين واقع خدماتها .

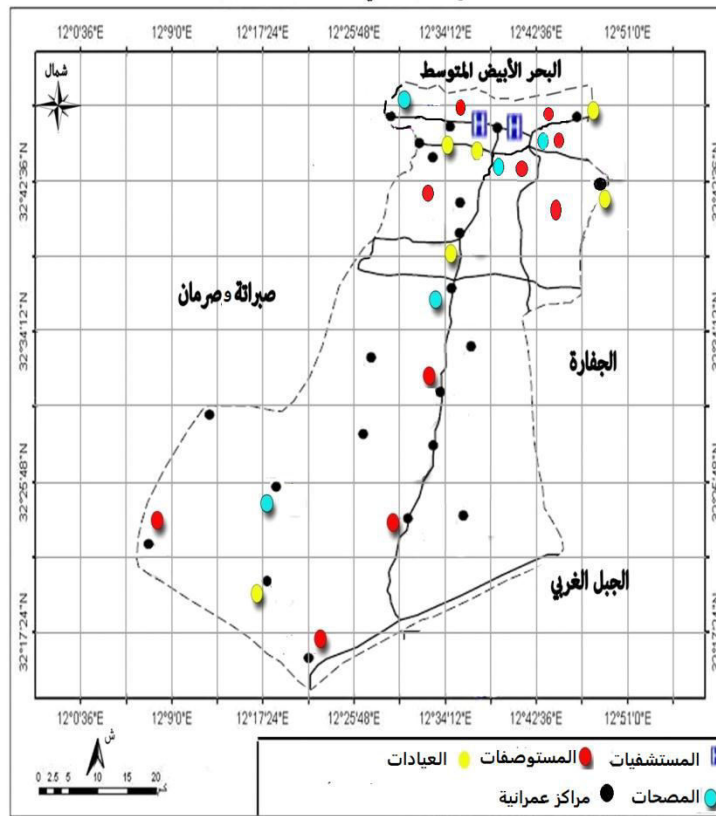
تمثلت حدود الدراسة المكائنية في الموقع الجغرافي للمدينة كما توضحه الخريطة (1) حيث تعتبر مدينة الزاوية رابع أكبر المدن الليبية ، والثالثة من حيث عدد السكان والكثافة السكانية

د. الفت عبد السلام المقطوف

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

. جغرافيا تقع في شمال غرب ليبيا غربي العاصمة طرابلس، وتبعد عنها حوالي 43 كم ، تقع على خط طول 12.7 شرقا ، وعلى خط عرض 32.75 شمالا ، تطل على البحر المتوسط، ويحدها غربا مدينة صرمان وشرقا بلدية الجفارة ومن الجنوب سلسلة جبال نفوسة. أما الحدود الزمنية فتمثلت في الفترة الممتدة ما بين شهري يناير وسبتمبر من العام 2017 م . وقد شملت المؤسسات الصحية الخاضعة لوزارة الصحة ببلدية الزاوية.

موقع بلدية الزاوية وتوزيع المؤسسات الصحية



المصدر : عمل الباحثة باستخدام تقنية Arc GIS 10.2.2 . - 2017 م

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

يقوم البحث في مستوى جودة الخدمات عامة والخدمات الصحية خاصة على أسلوب البحث العلمي الذي أجري عن طريق استمارة الاستبيان ، والتي من خلالها تم قياس مستوى جودة الخدمات التي تقدمها المراكز الصحية في بلدية الزاوية للمرضى .وفي ضوء ذلك تم تحديد عينة البحث في المراكز الصحية والعيادات والوحدات الإدارية ، ومن خلال اختيار نسبة 10% من حجم المجتمع الإحصائي المتمثل في الأطباء، والعاملين، والمرضى والبالغ عددهم (151. 569. 250) على التوالي بمختلف المراكز الصحية والوحدات الإدارية بوزارة الصحة في بلدية الزاوية ، والجدول (1) يوضح توزيع الاستمارة بحسب مستويات عينة الدراسة. وقد تم استخراج أعداد المرضى المراد استبيان آرائهم من سجلات المراكز الصحية من خلال حصر المراجعات اليومية للمرضى على مدار شهر كامل، واستخراج المتوسط الحسابي لأدنى وأعلى المراجعات.

جدول (1): توزيع عينة الاستبيان بحسب مستويات الخدمات الصحية

المستوى	العدد	النسبة المئوية
الأطباء	151	16%
العاملون	569	47%
المرضى	250	36%
المجموع	970	100%

المصدر : عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان. يناير 2017

تم توزيع 150 استمارة استبيان . استبعد منها 15 استمارة لعدم اكتمالها، وتم قبول 135 استمارة استكمل تحليلها كما هو موضح بالجدول(2):

جدول (2):توزيع استمارة الاستبانة بحسب فئات عينة البحث

المستوي	عدد الاستمارات	عدد الاستمارات المستلمة	النسبة المئوية
الأطباء	55	55	100%
العاملون	60	50	90%
المرضى	35	30	91%
المجموع	150	135	98%

المصدر : عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان. فبراير 2017 م .

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

اعتمد على المتوسطات الحسابية لإجابات مفردات العينية المتمثلة في (الأطباء، العاملون المرضي) على الأسئلة المتضمنة في الاستبانة، حيث أُستخرج المتوسط الحسابي لدرجات إجابة مفردات العينة على كل فقرة، وذلك بجمع درجات إجاباتهم، ثم قسمة المجموع على عدد الإجابات، ومن ذلك يمكننا تحديد أربع مراحل لدورة حياة جودة الخدمة، وهي: (3)

1. المرحلة الأولى: تسعى المؤسسة خلال هذه المرحلة إلى معرفة توقعات عملائها و أسباب عدم رضاهم، وذلك من خلال إجراء بحوث تسويقية .
 2. المرحلة الثانية: تقوم المؤسسة بدراسات لمنافسيها، ولمواردها المتاحة حتى تتمكن من تحديد الجودة المرغوبة .
 3. المرحلة الثالثة: بعد تحديد الجودة المرغوبة تهتم المؤسسة بتحديد المعايير التي تتبعها و التي تساعد على تحقيق جودة الخدمة.
 4. المرحلة الرابعة: تهتم المؤسسة بالجودة المدركة من قبل العميل، حتى تتمكن من قياس مستوى الرضا لديه.
- لكي تحقق الجودة الأهداف المنشودة منها لا بد من توافر كافة عناصرها الأساسية وهي (4):

- أ- فعالية الرعاية (Effectiveness): وتعني درجة تحقيق الإجراءات الصحية المستخدمة للنتائج المرجوة منها أي أن تؤدي الرعاية إلى تحسن متوسط العمر مع توافر القدرة على الأداء الوظيفي والشعور بالرفاهية والسعادة بشكل مستمر.
- ب- الملاءمة: (Appropriateness) وهو اختيار الإجراءات الصحية الملائمة لحالة المريض وكذلك عنصر القبول، وهو تقبل المريض والمجتمع لاستخدام إجراء صحي معين. أما العنصر الرابع فيتمثل في إمكانية الحصول على الخدمة الصحية: وكمثال ذلك قوائم الانتظار للحصول على مواعيد سواء في العيادات الخارجية، أو للتتويم أو لإجراء عمليات جراحية .

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

ت- العدالة: (Equity) ويختص بمدى توفر الرعاية الصحية لمن يحتاجونها فعلا، وعدم وجود تفاوت في إمكانية الحصول عليها بين فئات المجتمع لأسباب غير صحية .

ث- الكفاءة (Efficiency): وهو الاستخدام الأمثل للموارد والتكاليف أخذا بالاعتبار الاحتياجات الأخرى والمرضى الآخرين.

أولا : المراكز الصحية

لغرض تقييم كفاءة المؤسسات الصحية في بلدية الزاوية لابد من دراسة واقع المؤسسات الصحية وتوزيعها الجغرافي . و يمكن تقسيم أنواع الخدمات الصحية في الزاوية إلى:

المستشفيات:

حيث يمكن أن يكون المستشفى حكومياً أو خاصاً أو يتبع منظمات دولية، وتضم المستشفيات العامة في العادة أقساماً مختلفة وكادراً وظيفياً مهنيّاً متخصصاً في الشؤون الطبية والإدارية والخدماتية.

المستشفيات عبارة عن مبني مستقل لتقديم الرعاية الصحية، تتوفر فيه خدمات إقامة داخلية لمدة 24 ساعة أو أكثر للمرضى الذين يخضعون للعلاج من الأمراض أو الإصابات أو التشوهات أو حالة جسدية أو عقلية غير سوية، أو في حالات الولادة. كما توجد به حضانة للمواليد الجدد . كما يقدم المستشفى الخدمات الأساسية لحالات الطوارئ. ويتمتع المستشفى بمستوى عالٍ من إدارة الرعاية الصحية في مختلف الميادين الطبية والجراحية. كما ويضم المستشفى خدمات مساندة مثل المختبر السريري والتصوير بالأشعة والصيدلة. و يجب أن يتوفر لدى المستشفى سيارة إسعاف مجهزة طبيّاً. وفي بلدية الزاوية هناك نوعان رئيسيان من المستشفيات :

- مستشفى عام يتمثل في مستشفى الزاوية التعليمي: المستشفى العام كما عرفته منظمة الصحة العالمية " هو جزء تنظيمي وظيفته تقديم الرعاية الصحية سواء أكانت علاجية أم وقائية ، وتمتد خدمات عياداته الخارجية إلى الأسرة في بيئتها المنزلية

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

علاوة على كونه مركزا لتدريب العاملين الصحيين للقيام ببحوث اجتماعية بيولوجية.

(5)

تقدم المستشفيات العامة خدماتها لأكثر من ثلاثين ألف نسمة ويتمثل هذا النوع من المرافق في المستشفى المركزي ببلدية الزاوية الذي تغير أسمه من مستشفى الشعب إلي مستشفى الزاوية ، وأخيرا أصبح يطلق عليه أسم مستشفى الزاوية التعليمي . الذي يقع في الجزء الشرقي عند المدخل الرئيس لبلدية الزاوية ، ويشغل مساحة قدرها 16 هكتار ، أقيم على جزء منها مخزن للأدوية ، ومبنى لكلية الطب البشري ، والمعهد الصحي ، إضافة إلى مقر الإدارة .

من خلال معاينه موقع المستشفى نلاحظ إنه يقع على طريق رئيس غير بعيد عن مبني جامعه الزاوية القديم ، مما يعني ازدحام حركة المرور أثناء فترات الدراسة ، الأمر الذي يعرقل الحركة ويسبب إرباكا لسيارات الإسعاف ، إلى جانب ارتفاع ما تنفثه عوادم السيارات من غازات يعتقد إنها تشكل ثلثي كمية التلوث في البلدية ، وهذا تم تجاهله على ما يبدو عند إقامة المبني العام للمستشفى، تمثل الجراحة العامة والعظام ، ووحدتي الولادة والأطفال ، والنساء والولادة والباطنية أهم الأقسام السريرية إلي جانب وحدة العناية الفائقة ، كما أضيف إليه قسم للأمراض السارية سنة 1995 م .إلى جانب الوحدات المساعدة الأخرى كالأشعة ، والعمليات ، والعلاج الطبيعي ، والمختبرات ، والعيادات الخارجية ومركز الإسعاف .

إن نفوذ إقليم المستشفى لا يقتصر على حدود المخطط العام لبلدية الزاوية فقط بل يتعداه إلى خارج نطاق البلدية حيث أن الخدمات التي تؤديها البلدية لأقاليمها عن طريق أطبائها ومستشفياتها قد تكون من أوسع خدمات البلدية امتدادا خاصة في دوله مثل ليبيا ، مع الإقرار بوجود العديد من المساوئ التي تعترض طريق سير تقدم خدمات هذا المستشفى التي يأتي على رأسها نقص ضروريات الإسعاف الأولية ، والأجهزة الدقيقة لإجراء

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

التحليل ، إلى جانب نقص سيارات الإسعاف . وهو ما أكدته التقرير الصادر عن وزارة الصحة وهيأة الضمان الاجتماعي لسنة 2014 م .

من خلال الزيارات الميدانية للأقسام التابعة للمستشفى تبين إن بعضها يعاني من مشاكل ناتجة عن الفوضى التي تمر بها المنطقة . نتج عنه أزمة اقتصادية وهذا أدى إلى وجود نقص حاد في المواد الضرورية للعمل بالمستشفى كما في قسم التحاليل الذي يعتبر من الأقسام الحيوية بما فيها قسم التحاليل والعيادات الخارجية التابعة للمستشفى التي باتت تعاني من نقص حاد في المحاليل والأجهزة الدقيقة المتطورة . ويعاني المستشفى أيضا من نقص شديد في وسائل النقل وبخاصة سيارات الإسعاف ، علاوة إلى توقف العمليات بسبب نقص المواد والمعدات الضرورية ، وإغلاق الصيدلية ، وسوء توزيع ما قد يتوفر بها من أدوية أحيانا، إلى جانب تدني الموارد المالية اللازمة لصيانة المعدات والأجهزة المختلفة ، و نتج عن ذلك تدني نسبه ايواء المستشفى إلى حوالي 51 % فقط مع بداية سنة 2016 م . ومع ذلك لا يزال هذا المستشفى يحاول تقديم الخدمات الطبية إلي كل سكان البلدية وأقاليمها المجاورة .

- **مستشفى تخصصي يتمثل في مستشفى الكلى:** افتتح هذا المركز بتاريخ 17- -2014 م في الذكرى الثالثة لثورة فبراير . وحسب الزيارة الميدانية فقد أحتوى على ثلاث صالات لغسيل الكلى وعدد خمسين جهازا كليه صناعية . كما يوجد فيه قسم للإيواء يحتوى على 20 سرير ، وغرفة عناية، وغرفة عمليات مصغرة ، يضم المركز ثلاث عيادات تخصصية . وتجري به حوالي 2400 جلسة غسيل كلية بالشهر وبلغ عدد حالات المترددين والمسجلين على قسم الغسيل الكلوي أكثر من 185 حالة وقد وصل عدد مرضى بعيادة الكلى 443 . بينما بلغ عدد مرضى بعيادة زرع الكلى 115 مريض.

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

العيادات المجمعّة

تمثل العيادات المجمعّة المستوى الثالث بالنسبة لهيكل النظام الصحي العالمي ، وهي حلقة وصل بين المراكز الصحية ووحدات الرعاية الأولية والمستشفى الرئيس ، وتقدم عادة خدمات الرعاية الصحية لعدد من السكان يتراوح ما بين 40.000 : 60.000 نسمة، إضافة إلى باقي الخدمات الصحية التي تقدمها، توجد في بلدية الزاوية عيادة واحدة فقط أنشئت سنة 1977 م ، كان يطلق عليها أسم عيادة 2 مارس ، وبعد أحداث 17 فبراير 2011 م أصدرت وزاره الصحة في بلدية الزاوية مرسوم لتغيير أسمها إلي مجمع العيادات ، هذا ويحتل هذا المركز الخدمي موقعا مميزا في وسط البلدية وتوجد بها عدة عيادات تتمثل في : الباطنية ،والأنف والأذن والحنجرة ، والجلدية ،وعيادة نفسية ، ونساء وولادة ، ووحدة أمومة وطفولة ، كما أضيفت إليها وحدة للصحة المدرسية مؤخرا وقد بلغ معدل المترددين عليها حوالي 50000 حالة شهريا ، و 1500 حالة يوميا، أما العيادات التخصصية فإنها تتمثل أساسا في عيادة مركزية واحدة للأسنان افتتحت سنة 1991 م . بمنطقة سيدي عيسى بالقرب من ميدان الشهداء بالزاوية ويعمل بها 20 طبيبا، و 30 ممرضا، و 20 فنيا سنة 2015 م . (6).

المراكز الطبية:

هي وحدات صحية تعمل بإشراف إدارة الرعاية الصحية الاولية بوزارة الصحة بالمنطقة المتواجد بها هذه المراكز ، وتهدف إلي تحسين صحة المجتمع المحلي من خلال تقديم خدمات الرعاية الصحية الأولية وفق معايير محددة، تأتي الخدمات التي تقدمها هذه المراكز في المرتبة الثانية ، ومع ذلك فإن ما يتوافر منها في بلدية الزاوية لا يتوافق مع المقاييس الصحية العالمية ، فأغلبها وحدات رعاية صحية صغيرة جدا، يوجد ببلدية الزاوية خمس مراكز صحية أشهرها مركز ضي الهلال الصحي . الذي أنشأ سنة 1982 م . بمحلة ضي الهلال الواقعة في شمال شرق البلدية ،يضم المركز الصحي عددا من العيادات منها الباطنية والجلدية وصحة الأم والطفل ، والعيون ، كما توجد به صيدلية

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

عامة ، وصيدلية خاصة بمرضى السكر . وقد بلغ معدل المترددين عليا نحو 108 مريضا في اليوم . تحت إشراف 9 أطباء . و 40 ممرضا . خلال الفترة الماضية وحسب المعاينة الميدانية، كما توجد في بلدية الزاوية أربعة مراكز أخرى موزعة على مناطق البلدية متمثلة في :

1. مركز الرعاية الصحية في منطقة الحرشة الواقعة إلى الغرب من مركز البلدية بالقرب من مصفاة الزاوية لتكرير النفط .
2. مركز الرعاية الصحية المطرد وهذا يتواجد في علي الطريق الساحلي في مركز مدينه المطرد الي الغرب من منطقة الحرشة .
3. مركز الرعاية الصحية بئر الغنم الذي يقوم بخدمة المنطقة الجنوبية من البلدية .
4. مركز الرعاية الصحية أبو عيسى الواقع في منطقة أبي عيسى الي الجنوب من منطقة الحرشة شرق منطقة المطرد .

احتوت هذه المراكز الصحية حسب الدراسة الميدانية والمقابلات الخاصة مع المسؤولين عليها على بعض الخدمات الطبية الجيدة نوعا ما مثل العيادات التخصصية والمختبر والأشعة والصيدلية وفي العادة تكون هذه المراكز حكومية تابعه لوزارة الصحة لبلدية الزاوية .

تقوم هذه المراكز إضافة إلى وظائفها الأساسية بمهمة التسجيل للتلاميذ في الجدد في جميع مراحل المراحل الأساسية في الدراسة ، إضافة إلى تنظيم الزيارات التفقدية من قبل الزيارات الصحية والمفتشين الصحيين ، و أطباء الصحة المدرسية . فمثلا خلال العام الماضي قام الأطباء بزيارة 55 مدرسة من خلال 90 زيارة قاموا بها لتطعيم حوالي 12 ألف طالب . وتم تشخيص حوالي 1550 حالة مرضية منها 770 حالة نقص فيتامينات . كما تم متابعة 35 إصابة سكر ومرض القلب⁽⁷⁾ .

تظم البلدية مجموعه من وحدات الرعاية الصحية الأولية بلغ عددها حسب التقارير غير المنشورة من مكتب التعداد والإحصاء التابع للوزارة إلى حوالي 45 وحدة صحية تتوزع

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

بطريقه عشوائية حسب ما هو موضح بالخريطة (1) على مختلف مناطق البلدية . غير إن التجهيزات الطبية لهذه الوحدات ضعيفة جدا. كما يوجد بالبلدية مركز لمراقبة الامراض الصدرية بالقرب من مركز ضي الهلال الصحي أنشئ سنة 1983 م . بلغ عدد العاملين به 2015 م حوالي 3 اطباء و 10 ممرضين وسبعة فنيين فقط . أوكلت إليهم إلى جانب عملهم الأصلي القيام بتوزيع بعض اللقاحات على مراكز الأمومة والطفولة بكامل حدود البلدية (8) . كما يتواجد داخل بلدية الزاوية مركز للأمراض المتناقلة (المعدية) أنشئ سنة 1993م بات يعرف حاليا بمركز البحوث الطبية الدوائية يشرف عليه المركز الوطني للبحوث الطبية بطرابلس .

خدمات الإسعاف والطوارئ:

هي خدمات تتوافر ضمن المستشفى أو المركز الطبي ، وقد بلغ المجموع الكلي للمستفيدين من خدمات الإسعاف في سنة 2016 م حسب الإحصاءات المتوفرة من مكتب المعلومات والتوثيق الطبي حوالي 41037 حالة . وهو معدل كبير جدا حيث يرجع السبب إلى حالات الحوادث المتعلقة بالسلاح.

مراكز التأهيل والرعاية:

تشمل مراكز تأهيل المعاقين حركياً ومراكز تأهيل الصم والبكم والمكفوفين و تأهيل المدمنين ودور المسنين والعجزة. و يوجد بالبلدية مركزا شاملا لرعاية المعاقين يقع في الجزء الشمالي الغربي من البلدية بالقرب من منطقة الحرشة . وهو يتبع وزراء الصحة تحت ادارة الضمان الاجتماعي بالبلدية . ويتوفر به مركز للعلاج الطبيعي وبعض العيادات الخاصة بالمعاقين . ومن خلال الزيارة الميدانية لوحظ ان المركز يفتقر للكفاءات الطبية المتخصصة في هذا المجال والمتمثلة في اطباء وممرضين وفنيين . كما تظم مراكز رعاية الأمومة والطفولة العديد من الخدمات كرعاية الحوامل ، فحص ما بعد الولادة ، تنظيم الأسرة ، الفحص الدوري للنساء ، فحص ما قبل الزواج ، فحص الأطفال ، التطعيمات ، الزيارات المنزلية ، و التنشيف الصحي . والى جانب ذلك تقدم

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

المراكز الصحية العديد من الخدمات الوقائية والعلاجية في مجال طب الأسنان يقوم بتنفيذها فريق متكامل من أطباء وفنيو صحة الفم والأسنان . وتدعم جميع المراكز بخدمات مساندة مثل خدمات التمريض ، السجلات الصحية ، الصيدلة ، المختبر ، الأشعة ، وخدمات العلاج الطبيعي التي تقدم حالياً في أربع مراكز صحية لكنها متوقف عن العمل بسبب نقص الميزانية .

مراكز الطب المخبري والأشعة :

المختبرات هي في العادة مراكز متخصصة بالفحوصات المخبرية وتوجد بها قسم تحاليل الأمراض ومصرف للدم . وفي الغالب توجد ضمن نطاق المرافق الصحية من الدرجة الاولى والثانية المتمثلة في المستشفيات والعيادات . كما تتواجد في المراكز الصحية الرئيسية كما هو الحال في مركز الرعاية الصحية ضي الهلال . أما مراكز الأشعة فتُعنى بالتصوير الإشعاعي الطبي على اختلاف مستوياته و تتواجد ضمن المستشفيات والعيادات التابعة لوزارة الصحة في البلدية .

الصيدليات:

الصيدلية هي صمام الامان والمحطة الأخيرة في سلسلة وصول الدواء بصورة آمنة للمريض ، ونظرا لأهمية الدواء وعدم قدرة البشر عن الاستغناء عنه ولتقديم أفضل خدمات الرعاية الصيدلانية للمرضي فقد تم إنشاء صيدليه في كل مرفق صحي ببلدية الزاوية ، يفترض أن تزود بفريق متكامل من الصيادلة وفنيي الصيدلة في هذا المجال لتقدم الرعاية المتميزة بالأمان والكفاءة ، وفي هذا الصدد المفروض أن تقوم الصيدليات بالمهام الآتية :

1. خدمة مرضى العيادات الخارجية دوائيا ، وتقديم كل ما يبسر أمر حصولهم على الدواء بالشكل الدقيق وفق الأصول المهنية .
2. خدمة المرضى وتلبيه احتياجاتهم التي تقرررها الظواهر الطبية الجراحية في المراكز السريرية ، مع تقديم كل ما يمكن لجعل عملية صرف الدواء وتقديمه تتم بغاية الدقة.

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

3. تقديم المعلومات الطبية الدوائية لكوادر الخدمات الصحية للإسهام في تأمين السلامة الدوائية للمرضى بتطبيق المقاييس العالمية .

4. مراقبة صرف الادوية ومتابعه تأمين وصرف وتوزيع الدواء واستهلاكه ، والاشراف على تاريخ انتهاء الصلاحية .

العيادات والصيدليات الخاصة:

يتوفر ببلدية الزاوية العديد من العيادات التخصصية ومختبرات التحليل ، والصيدليات ، وهي تساهم بتوفير الرعاية الطبية لجزء ينمو باضطراد من سكان بلدية الزاوية واقاليمها فإلي جانب المستشفى والعيادات المجمع والمرفق الصحية الأخرى يتردد المرضى على العيادات الخاصة البالغ عددها 60 عيادة للحصول على رعاية صحية أفضل ، وفي محاولة لضبط المترددين على أشهر ثلاث مصحات تمثلت في مصحة البساتين السريرية والشروق التخصصية والمركز الليبي الأجنبي. تبين أن أكثر من ثلاثة أرباع المترددين على هذه المراكز الصحية هم من خارج بلدية الزاوية ، وهذا يؤكد على الأهمية البالغة لما تقدمه بلدية الزاوية من خدمات ضرورية للأقاليم المجاورة لها .

بالنسبة للصيدليات الخاصة فقد بلغ عددها (90) صيدلية موزعه بطريقة عشوائية لا تتناسب مع معايير الصحة العالمية الذي أقرته وزاره الصحة الليبية في القانون رقم (88) الذي يشترط لمنح الترخيص بفتح صيدلية ألا تقل المسافة بين الصيدلية المطلوب الترخيص لها وأقرب صيدلية مرخص بها عن 350 متر وقد أوضحت اللوائح التنفيذية الموجودة بوزارة الصحة ببلدية الزاوية كيفية قياس هذه المسافة، يؤخذ على الصيدليات الخاصة افتقارها للعديد من الأدوية الأساسية كأمراض ضغط الدم والسكري ، والسعال ، وأدوية الصرع ، والمؤثرات العقلية التي بات جلها يجدُ طريقه إلى ما يشبه السوق السوداء ، في ظل حقيقة إن عدد هذه الصيدليات يفوق الاحتياجات الفعلية لسكان البلدية ، وما تسمح به اللوائح التخطيطية في هذا الشأن .

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

ثانيا : مستوى الخدمات الصحية المقدمة

في ضوء ما جاء في الجانبين النظري والتطبيقي أمكن تحديد أهم الاستنتاجات المتعلقة بالاستبانة فيما يأتي :

1. بلغت مساحة المؤسسات الصحية في بلدية الزاوية (12618م²) ، وبلغ المتوسط العام لمساحة كل مركز باستثناء المستشفى (855م²) ، وعند مقارنة هذه المساحة ضمن معايير التخطيط الحضري نجد أن جميع مساحات مراكز الصحة العامة في البلدية أقل من المعايير المحلية المحددة ، مما يدل على أنه مؤشر سلبي على الكفاءة المساحية لمراكز الصحة العامة. لاسيما ما يتعلق بالمرضى وتوفير بيئة نظيفة واسعة تُشعر المريض بالاطمئنان والراحة النفسية ، وتوفير خدمات علاجية متطورة ، كالأجهزة الطبية والمعدات الفنية والمختبرات وصالات الانتظار، وحتى الحدائق الخضراء داخل المؤسسة الصحية.

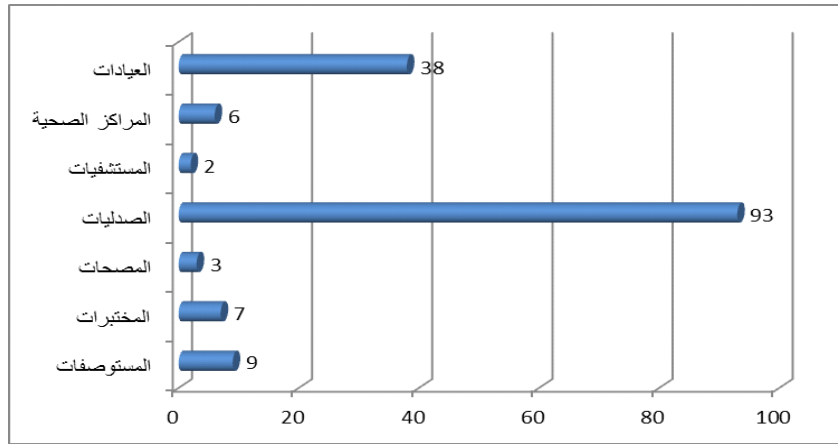
2. إن متوسط الكفاءة النسبية لمراكز الرعاية الصحية الأولية هو (75.5%) ، وهذا يعني أن الخدمات الصحية جيدة إذا كانت تعمل بكفاءة تامة ، لكن هناك تفاوتاً في ساعات الدوام الرسمي حيث إن أغلب المراكز الصحية يتسمر بها الدوام إلى الساعة الرابعة مساءً فقط . بينما يفتح المستشفى وباقي العيادات الخارجية أبوابهم لمدة أربع وعشرين (24) ساعة، غير أن الخدمات تختلف في نسبة جودتها لأن أغلب الأطباء والمتخصصين والفنيين ينتهي دوامهم عند الساعة الثالثة مساءً ، والأطباء المناوبين أغلبهم أطباء عموميون ، وهذا يخلق فجوة كبيرة في مستوى الخدمات الصحية المقدمة للمرضى والمراجعين. كما نلاحظ تنوعاً في الفئات التي تقدم الخدمات بمؤسسات الرعاية الصحية وفي مقدمتها الأطباء باختلاف تخصصاتهم، والمرضى ، و فنيو الأشعة والمختبرات ، إضافة إلى الفئات المعاونة والإداريين. وتشير هذه البيانات إلى أن هذه المؤسسات لديها قدرات وإمكانات بشرية تساعد على تقديم الخدمة الصحية

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

بمستوى ملائم سواء أكانت الفئات الأساسية أم الأعمال المعاونة، هو ما يعكس مستوى المؤسسات الصحية وقدرتها على التنمية البشرية.

3. تشير البيانات لتنوع المؤسسات الصحية في بلدية الزاوية حيث جاءت الصيدليات في المقدمة ، يليها العيادات ثم المستوصفات ثم المختبرات ، والمراكز الصحية والمصحات ، وأخيرا المستشفيات متمثلة في مستشفى الزاوية التعليمي ومستشفى الكلى، لا توجد مستشفيات في المناطق غير الحضرية. كما هو موضح بالشكل الآتي:

شكل (1): المؤسسات الصحية في بلدية الزاوية



المصدر عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان . 2017.

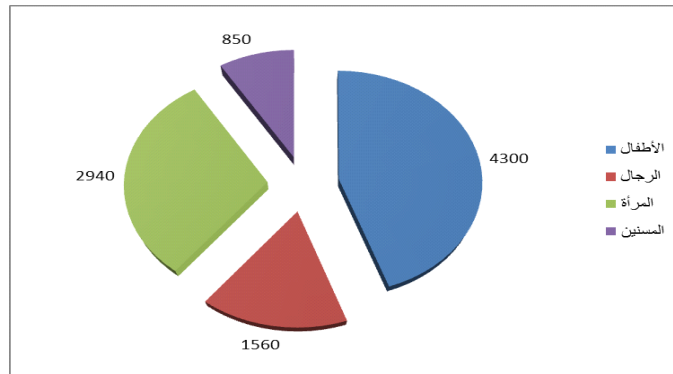
4. بلغت نسبة السكان الذين يستخدمون المواصلات للوصول للمراكز الصحية 74,7% ، في حين شكلت نسبة السير على الأقدام حوالي 25,2%، ويتضح من ذلك أن مقدار الخدمات الصحية التي تقدمها المراكز الصحية تتباين فيما بينها ، ولذلك يتم استخدام السيارة للذهاب إلى المراكز الصحية البعيدة أو المستشفى ، وأن زمن الوصول بالسيارة إلى المراكز الصحية أخذ نمطا تصاعديا، إذ سجلت أعلى نسبة من العينة المدروسة 64,2% لقطع المسافة بوقت يتراوح بين 5- 10 دقائق، بينما سجل نفس الوقت المقطوع سيرا على الأقدام بنسبة 28,3% من أفراد العينة المدروسة ، وهذا

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

يدل على مدى قرب مواقع المراكز من طرق النقل أو في الأحياء السكنية خصوصا في مركز بلدية الزاوية، حيث يوجد المستشفى التعليمي العام ومركز الكلى و العيادات المجمع . كما أن زيادة النسبة في قطع المسافة لا تعتمد على الزمن المقطوع فحسب وإنما تعتمد على حالة المريض الذي يضطر إلى استخدام السيارة.

5. يوضح النطاق الجغرافي للمراكز الصحية في البلدية أن متوسط عدد المترددين يشكل ما نسبته 61% من مجموع السكان. ترتفع هذه النسبة إلى حوالي 75% خلال فصل الشتاء . بينما تنخفض النسبة إلى حوالي 65% خلال فصل الشتاء . هذا يرجع إلى بعض الأمراض المرتبطة بفصل الشتاء وخاصة فيما يتعلق بالأطفال . و تشير البيانات الواردة التي تم الحصول عليها من الاستبيان إلى ارتفاع عدد الأطفال المستفيدين من مؤسسات الرعاية الصحية الأولية يليها النساء ثم الرجال فالمسنون ، وهذا يعكس أهميتها في التنمية البشرية ، وتقديم الخدمة لجميع الفئات على اختلاف خصائصهم الديموغرافية. كما هو موضح شكل (2) :

شكل (2): نسب المستفيدين من خدمات المراكز الصحية



المصدر عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان. 2017 .

كما لوحظ ارتباط طبيعة المجتمع إلى حد كبير بمدى توفير خدمات الرعاية الصحية الأولية وتتنوع الخدمات ببلدية الزاوية ، وتأتي الزراعة في المرتبة الأولى، يليها الخدمات

د. الفت عبد السلام المقطوف

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

الصناعية ، ثم الخدماتية ، ولاشك أن الصفة الغالبة للمجتمع تؤثر على طبيعة الأمراض ومدى احتياج المجتمع للمؤسسات الصحية الأولية.

6. هناك تنوع في الوحدات الخدمية المرفقة بالمراكز حيث أوضحت الدراسة ارتفاع عدد غرف المراجعة و قاعات الانتظار والحمامات ، يليها غرف الأدوية ، وقاعات الاجتماعات، والمختبرات وقاعات الأشعة، وعيادات الأسنان، وغرف المعاينة كما هو موضح بالجدول (3) . وهذا يؤثر بصورة إيجابية على مستوى الخدمات بالمؤسسات الصحية ، ومن ثم على التنمية البشرية.

جدول (3): عدد الوحدات بالمركز

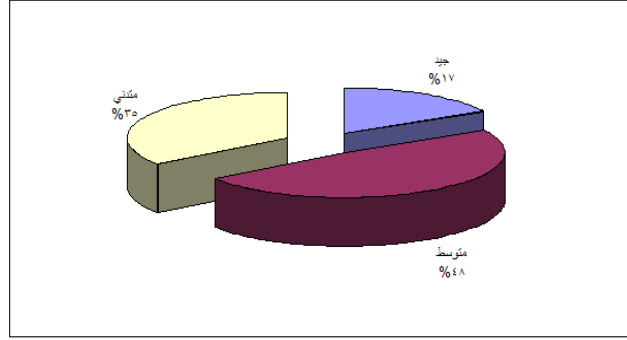
الوحدة	العدد	الوحدة	العدد	الوحدة	العدد	الوحدة	العدد	الوحدة	العدد
غرفة معاينة	12	أشعة	16	قاعة اجتماعات	17	غرفة توثيق	2	مطبخ	6
عيادة أسنان	14	مختبر	17	قاعة انتظار	65	مكتبة	2	حمام	65
غرفة أدوية	38	إدارة	21	غرفة مشورة	65	مستودع	12	غيره حدد	-

عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان، 2017م.

7. يؤثر مستوى المعيشة على مدى الاستفادة من الخدمات الصحية ، كما يؤثر على طبيعة ومستوى التغذية وهو ما يمكن أن يرتبط بنوع الأمراض ، توضح البيانات الواردة بالشكل (3) ارتفاع نسبة ذوي المستوى المعيشي المتوسط لتصل إلى 48% ، يليها المستوى المتدني بنسبة 35% ، انخفضت نسبة ذوي المستوى الجيد بنسبة 17% .

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

شكل (3): المستوى المعيشي للسكان



المصدر عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان. 2017 م

8. توضح البيانات ارتفاع نسبة تنفيذ برامج للتنقيف الصحيّ للأُمّهات و الحوامل في نطاق عمل المركز لتصل إلى 83.7%، ثم متابعة المرضى المحالين من المركز و الإشراف على حالتهم الصحيّة بنسبة 33.3% ، يليها التنسيق مع مراكز صحيّة أخرى أو هيئات أهليّة تعنى بالشأن الصحي بنسبة 32.6%، حيث يعتمد المركز نظام إحالة المرضى إلى مراكز متخصصة أو مستشفيات referral system بنسبة 25.2% . تنخفض نسبة العمل على تلقيح جميع الأطفال في منطقة عمل المركز بحسب الرزنامة الوطنية للتلقيح، تنظيم زيارات منزليّة لمتابعة السيّدات الحوامل، تنظيم زيارات منزليّة لمتابعة الأطفال المتسرّبين من المتابعة ضمن برنامج التلقيح ، وتعكس هذه البيانات انخفاض الخدمات التي تقدمها المؤسسات الصحية ، وهو ما يتطلب ضرورة تطوير أدوار المؤسسات في تقديم هذه الخدمات المرتبطة بالخدمات الأساسية للمؤسسات الصحية، كما يوضحه الجدول (4)

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

جدول (4): الخدمات التي تقدمها مراكز الرعاية الصحية

لا		نعم		الخدمات التي تقدمها مراكز الرعاية الصحية
%	العدد	%	العدد	
83.7	113	16.3	22	تلقيح جميع الأطفال في منطقة عمل المركز بحسب الرزنامة الوطنية للتلقيح؟
92.6	125	7.4	10	تنظيم زيارات منزلية لمتابعة الأطفال المتابعة ضمن برنامج التلقيح
16.3	22	83.7	113	تنفيذ برامج للتثقيف الصحي للآمهات و الحوامل في نطاق عمل المركز
78.5	106	21.5	29	تنظيم زيارات منزلية لمتابعة السيدات الحوامل
67.4	91	32.6	44	التنسيق مع مراكز صحية أخرى أو هيئات أهلية تعنى بالشأن الصحي
74.8	101	25.2	34	نسبة اعتماد نظام إحالة المرضى إلى مراكز متخصصة أو مستشفيات
66.7	90	33.3	45	متابعة المرضى المحالين من المركز و الإشراف على حالتهم الصحية
135				تنسب النتائج إلى

عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان 2017 م .

9. فما يتعلق بالبنية التحتية للمؤسسات الصحية تشير البيانات إلى ارتفاع مستوى حالة البناء، ومصادر المياه، ونظام الصرف الصحي، والهاتف. في حين ينخفض مستوى المواصلات و حال الطرقات، وهذا مرتبط بتأثيرات ثورة فبراير، حيث أدت الحرب إلى تدمير بعض الطرق ، وهو ما يؤثر إلى حد كبير على مدى الاستفادة من مؤسسات الرعاية الصحية ، خاصة في ظل التوزيع الجغرافي غير المناسب لبعض المؤسسات الصحية ، حيث تفتقر بعض المناطق لبعض مؤسسات الرعاية الصحية، كما يوضحه الجدول (5)

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

جدول (5):البنيات التحتية بالمراكز

الخدمة	%	%	%	%	%	%	%
حال الطرقات	جيدة	30	وسط	39	غير صالحة	31	
المواصلات:	مؤمنة	29	نقل عام	11	نقل خاص	28	غير مؤمنة 32
الهاتف	مؤمن	59	غير مؤمن	41			
Internet	مؤمن	48	غير مؤمن	52			
عدد طبقات المركز	واحدة	36	اثنين	24	ثلاثة	28	أكثر من ثلاثة 12
موقف مؤمن للسيارات	مؤمن	68	غير مؤمن	32			
مدخل خاص بالمعوقين	يوجد	31	لايوجد	69			
مصادر المياه	شبكة عامة	68	بئر	32			
نظام الصرف الصحي	حفرة صحية	51	شبكة عامة	49			

عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان 2017 م.

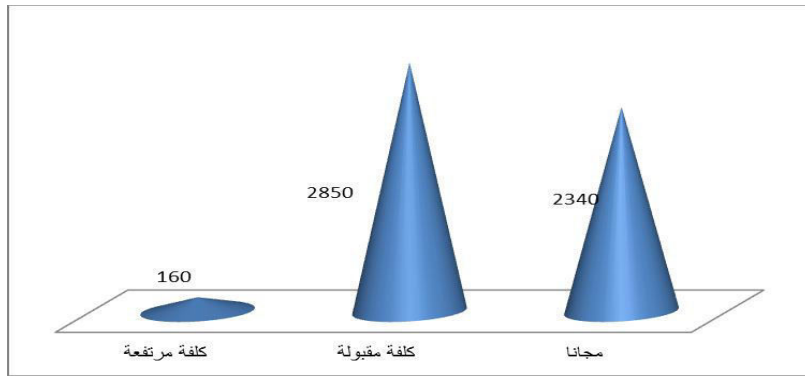
10. فيما يخص الأجهزة الطبية إنها متطورة وخاصة فيما يتعلق بالمستشفى المركزي ومركز علاج الكلى، والسبب هو حادثة المركز حيث قامت وزارة الصحة عند افتتاحه بتزويده بسائر المستلزمات من أجل تشغيله على أكمل وجه ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المستشفى حيث أن المظهر العام للمستشفى لائق جدا والمعدات الموجودة فيه حديثة نوعا ما ، والأطباء ملتزمين بشروط العمل به ، السبب من وجه نظري أنه أصبح يتبع كلية الطب البشري بجامعة الزاوية مؤخرا . وهذا انعكس على المظهر العام للمستشفى

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

فالتواقم الطبية تقوم بواجبها على الوجه الأكمل حيث يتواجد به طلبة كلية الطب والأساتذة المشرفين عليهم . أما بخصوص الكوادر الطبية في المستوصفات والمراكز الصحية فنلاحظ وجود نقص حاد في بعض الأخصائيين ، وعدم توفر الأجهزة الحديثة مما يضطر بعض المرضى من الذهاب إلى المستشفى أو اللجوء إلى الطب الخاص .

11. وضحت البيانات الواردة في الاستبيان انخفاض نسبة تكلفة المعالجة ، وهذا يعكس قدرة المستفيدين على دفع كلفة الخدمات الصحية الأولية ، وهو ما يؤثر إيجابياً على تقديم رعاية صحية للفئات الديموغرافية المختلفة ، و يؤثر إيجابياً على التنمية البشرية. والشكل الآتي يوضح ذلك.

شكل (4): تكلفة العلاج في المراكز الصحية



المصدر عمل الباحثة استنادا إلى بيانات الاستبيان. 2017 م.

12. إن الخدمات الخاصة بالتقنية الفنية والسجلات المتعلقة بالمرضى داخل المراكز الصحية متوفرة وسهل الوصول إليها ، حيث تستخدم سجلات طبية ورقية ومحوسبة ، يمكن من خلالها الرجوع إلى ملفات المرضى والمراجعين بسهولة ويسر ، حيث سهل هذا عملية الالتزام بالمواعيد التي يأخذها المرضى للعمليات الجراحية ، و مواعيد الغسيل الكلوي بمركز علاج وزراعة الكلى.

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

نلاحظ من مما تقدم أن القطاع الصحي شهد في الآونة الأخيرة اهتماما كبيرا وعلى جميع المستويات، من أجل تطبيق معايير وإجراءات نظم الجودة، للوصول إلى التحسين المستمر لمواكبة التقدم من أجل حاجات المجتمع في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث يُعد القطاع الصحي (صمام الأمان) للحفاظ على سلامة كل مستخدم الخدمات الصحية الأمر الذي يستلزم تطبيق نظم الجودة باعتبارها وسيلة مهمة في كسب ثقة المستفيدين من الخدمات الصحية وهي أحد أسس الإدارة الحديثة التي تساهم في الارتقاء بالعمل في ظل التحديات والمستجدات المتلاحقة حيث تمثل معايير الجودة في المؤسسات الصحية أهمية خاصة، حيث ارتفعت نسبة الالتزام فيما يتعلق بعض المعايير مثل استقبال المستفيدين بنسبة 68.9%، وارتداء الزي المهني بنسبة 60.7%، ثم استخدام الكفوف الطبية، وجود سلال المهملات. و تنخفض نسبة الالتزام بعض المعايير مثل وجود صناديق السلامة بنسبة 54%، إتباع شروط التعقيم بنسبة 41.5%، كيفية التخلص من النفايات، الرجوع إلى أدلة العمل والبروتوكولات عند الحاجة وهو ما يتطلب الاهتمام بتطوير بعض المعايير لتنمية مستوى الخدمة الصحية.

الخلاصة:

بتشخيص واقع الخدمات الصحية في المؤسسات الصحية في بلدية الزاوية تبين أن هناك قصور ناتج عن سوء التخطيط الصحي من قبل المسؤولين على هذه الخدمات، سواء من حيث التوزيع أم تقديم الخدمات، وفي هذا دعوه صريحة إلى إنشاء مرافق جديدة، وتطوير القائم منها، فالعلاقة طردية بين أهمية بلدية الزاوية وحجم علاقاتها الإقليمية، وهذا يؤكد أنه كلما كبر حجم البلدية وارتفعت مرتبتها الوظيفية ساعد ذلك على امتداد مجال نفوذها واتساع إقليمها الجغرافي، يتحدد بتقييم الوضع الصحي دور المؤسسات الصحية باختلاف مستوياتها التخصصية بمتطلبات الموقع الجغرافي الأمثل لكل مرفق صحي طبقا لما يقدمه من خدمات سواء أكانت وقائية أم علاجية، ومدى كفاءتها و ملاءمتها لتوزيع السكان الجغرافي، مرافق الرعاية الصحية في مركز البلدية بحالة جيدة

تحليل بيانات الخدمات الصحية في بلدية الزاوية

وتفي باحتياجات السكان في المناطق القريبة منها ، ويوجد بها حد مقبول من الأجهزة والمعدات المستخدمة ، بالرغم من إن بعضها يفتقر للكوادر الطبية مثل الأطباء الاختصاصيين ، كما تشكو من عدم توفر بعض الأجهزة الحديثة ، مما يضطر بعض المرضى للذهاب إلى خارج البلاد للعلاج، من خلال ما سبق يجب أن ينظر إلى خدمات الرعاية من مجال أبعد أفقياً بأنها أكثر من أن تكون مجرد رعاية صحية ، وإن أنظمة الرعاية الصحية لا تحتاج إلى أن تعطي اهتماماً بالمعالجة الطبية فقط ، بل أيضاً تشمل جوهر الخدمة الصحية التي يتحصل عليها المرضى والمراجعين للمراكز الصحية ، لمقابلة احتياجاتهم العلاجية والإرشادية ، ومدى انعكاسها على الأسلوب والعمل الإداري لهذه المراكز ضمن مستهدفات تقييم جودة مستوى الخدمات في المراكز الصحية التي تقع ضمن النطاق الجغرافي لبلدية الزاوية.

التوصيات

خلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات على النحو الآتي :

1. تطوير البنى التحتية للمؤسسات التابعة لوزارة الصحة بما يضمن سلامتها ومناسبتها لاستقبال المرضى والمراجعين والعناية بالتجهيز الشامل للمراكز الصحية وتوفير الصيانة المناسبة .
2. تحقيق توازن كمي ونوعي في توزيع الخدمات الصحية بين مناطق البلدية .
3. زيادة الطاقة الاستيعابية في المراكز الصحية من خلال التنظيم الملائم لتشغيلها ، بما يضمن تطوير الخدمات الصحية المقدمة ويحقق مستويات أداء وجودة عالية للوصول إلى المعايير الدولية.
4. التوسع في تقديم الخدمات الصحية لذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن ومتطلي الرعاية الصحية.
5. تطبيق نظام المعلومات الصحية الإلكتروني في المرافق الصحية التابعة لوزارة الصحة ونشر ثقافة الجودة لدى العاملين في المرافق التابعة لوزارة الصحة .

المراجع

1. A.Jacquerye· laqualitédessoinsin firmiers ،Lmplantation Evaluation, Accreditation Editions Maloine,1999,p247
2. Cloude Vilcot et Hervé Lecelet , 'indicateursq ualité en santé ,2éme Edition, AFNOR ,2006,p14.
3. Laurent Harmel , "Qualité et engagements de service",Afnor,2003,p12
4. Chang. K,T., (2002) Introduction to Geograpthic Information system. Mc. Graw. Hill. Companies, Inc new york ,p13.
5. منظمة الصحة العالمية ، أعمال منظمة الصحة العالمية ، التقرير السنوي للمدير الإقليمي ، الإسكندرية.2011،ص65.
6. وزارة الصحة ،مكتب المعلومات والتوثيق ،بيانات غير منشورة عن المترددين بالوحدات الصحية .
7. دولة ليبيا ، وزارة الصحة، مراقبة الخدمات الصحية بالزاوية ، تقرير غير منشور .
8. وزارة الصحة ، تقرير المتابعة 2012 إلى 1-3-2016 ،بيانات غير منشورة .

مظاهر الوسطية في الإسلام

د. عبد الباسط محمد أبو عيسى شكشم
كلية التربية / أبو عيسى / جامعة الزاوية

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الحديث عن مظاهر الوسطية في الإسلام حديث ذو شجون، لأنها كثيرة متغلغلة في جميع عقائده وفرائضه، وشرائعه، ولو أردنا الحديث عنها حديثا شاملا لكتبنا كل ما كتب عن الإسلام من عقائد وأحكام، عبادات ومعاملات، علاقات وسياسات . . الخ ، ولكننا في مقام لا يتسع إلا لقليل مما في شرائع الإسلام الواسعة ، وأحكامه الشاملة ، التي تشمل حياة الإنسان كلها .

موضوع الوسطية في الإسلام اليوم هو موضوع الساعة ، وهو في نظري أشد الموضوعات خطورة وأثرا وأجدرها بالدارس المتأني ذي النفس الطويل ؛ ذلك لأن المسلمين اليوم وهم يواجهون مشكلات الحضارة وتحديات العصر ومعركة البقاء ، لا يواجهون ذلك كله ، وهم على منهج واحد ، كما تواجه الأمم الأخرى هذه التحديات المصيرية بل هناك مناهج لدينا نشأت من الابتعاد عن المنهج الأمثل ، وهو المنهج الحق الذي ارتضاه

مظاهر الوسطية في الإسلام

الله لنا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ الأنعام : 153 .

إننا نراه يكمن في سوء فهم المسلمين لعقيدتهم لا في العقيدة نفسها ، وانعدام الوسطية التي هي من ثوابت الحياة كما أنها من ثوابت الإسلام . وكمال الدين يكون بالتزام حدوده بلا إفراط أو تفريط .

لا ريب أن أعداء الإسلام كلهم متضافرون على محاربتهم ومحاربة الأمة الإسلامية وتدميرها ، لا تمزيقها وهذا موقف طبيعي لا تناقض فيه ، فهذه مصلحتهم وهذا شأنهم . ولكن ما يصنع هؤلاء كلهم لو كان المسلمون متوسطين ومتحدين؟! ما يفعل جرثوم المرض إذا كان جسم الإنسان سليما؟!

إن المشكلة تكمن في داء عضال أصاب المسلمين فأوهن قواهم ، ودك معاقل القوة لديهم ، هذا الداء اسمه (اللاوسطية) أو (انعدام الوسطية) . فهو السرطان الفتاك الذي شل وحدة المسلمين ومزقهم كل ممزق ، وجعلهم في مؤخرة الركب إن الله تعالى ميز هذه الأمة (أمة الإسلام) بالوسطية بين الأمم فقال سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: 143 . فأهل السنة هم في جملتهم (العدول الخيار) أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين : عقيدة وعلماء وعملا وأخلاقا ومواقف . وسط بين الغلو والتقصير وبين التفريط والإفراط في سائر الأمور.¹

أولا : المدلول اللغوي والشرعي للوسطية والاعتدال :-

(الوسطية) من المصادر الصناعية صار بعد زيادة الياء المشددة والتاء المربوطة دالا على مجموع السمات الخاصة بهذا اللفظ² ويطلق الوسط في لغة العرب على معان : فوسط الشيء ما بين طرفيه قال الشاعر :

إذا رحلت فأجعلوني وسطا ... إني كبير لا أطيق العندا³

والوسط الخيار ، ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

وهم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي العظام

أي هم خيار ، فلذا كانت أحكامهم محل الرضى . ومنه قول أبي بكر في وصف المهاجرين يوم السقيفة : (هم أوسط العرب دارا)⁴ يقصد بذلك بيان خيريتهم وفضلهم . وبهذا المعنى جاء تفسير الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

قال في المعجم الوسيط الصحيح : (وسط) الشيء - (يسطه) وسطا ، ووسطة : صار في وسطه ويقال : وسط القوم ، ووسط المكان . فهو واسط . و- القوم ، وفيهم وساطة : توسط بينهم بالحق والعدل .

(وِسطُ) الرجل - (يوسُطُ) وساطة ، ووسطة : صار شريفا وحسيبا . فهو وسيط . نفس (الوسيط) : المتوسط بين المتخاصمين ، و- المتوسط بين المتبايعين أو المتعاملين . و- المعتدل بين شيئين . وهي وسيطة . (ج) وسطاء ، ويقال هو وسيط فيهم : أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا ، فالوسطية تأتي بمعنى : التوسط بين شيئين ، وبمعنى العدل ، والخيار والأجود ، والأفضل ، وما بين الجيد والرديء ، والمعتدل ، وبمعنى الحسب والشرف .

ونجد أهل السنة والسلف الصالح - بحمد الله - تحققت فيهم هذه المعاني الفاضلة⁵، **الوسطية في الشرع والاصطلاح** : وردت الوسطية في القرآن الكريم في أكثر من آية وفي السنة في أكثر من حديث على المعاني التالية :

مفهوم الاعتدال : الاعتدال لغة : قال في القاموس المحيط : (العدل : ضد الجور ، وما قام في النفس أنه مستقيم) ، و(عدل الحكم تعديلا : أقامه ، و(عدل) فلانا : زكاه ، و(عدل) الميزان (سواء) و(الاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف ، وكل ما تناسب فقد اعتدل ، وكل ما أقمته فقد عدلته و عدلته) ، والعدول : هم الخيار ، وذكر في القاموس المحيط من معاني العدل والاعتدال : الحكم بالعدل ، والاستقامة ، والتقويم والتسوية والمماتلة ، والموازنة ، والتزكية ، والمساواة ، والإنصاف ، والتوسط ، أما اصطلاحا فالاعتدال : هو التزام المنهج العدل الأقوم ، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع ، وبين التفريط والتقصير ، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما : الإفراط والتفريط ،

مظاهر الوسطية في الإسلام

والاعتدال هو : الاستقامة والتزكية ، والتوسط والخيرية ، فالاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة ، قال تعالى :- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقَبِيلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة البقرة آية 143 ، وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بقوله : (الوسط : العدل) ، ومن معاني العدل والوسط : الخيار ، ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والدعوة وغيرهما إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين⁶ .

ومن معاني الوسطية :-

1. بمعنى العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط ، ومن ذلك قوله عز وجل ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي ، عدلا . وبهذا المعنى فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري فقال : (الوسط : العدل)⁷ .
2. وفسرها ابن جرير الطبري بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط .⁸
3. وكذلك ابن كثير فسرها : بالخيار الأجود⁹
4. وتأتي الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس بأنه « أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ »¹⁰
5. ويأتي معنى الوسطية على اعتبار الشيء بين الجيد والرديء ، كما قال ابن عباس - في رواية عنه - ((كَانَ الرَّجُلُ يَفُوتُ أَهْلَهُ فُوتًا دُونًَا ، وَبَعْضُهُمْ فُوتًا فِيهِ سَعَةٌ ، فَقَالَ اللَّهُ : «مَنْ أَوْسَطَ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ» .المائدة: 89. الخُبْزِ وَالزَّيْتِ))¹¹ .
6. وفسر بعضهم : (أوسط) في الآية بأنه : الأعدل والأمثل ، فتكون الآية على هذا التفسير مندرجة تحت المعنى الأول الذي هو (العدالة والخيار والأجود)¹² .
7. كما تأتي الوسطية بمعنى: ما بين طرفي الشيء وحافتيه. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ﴾ البقرة : 238 ، والصلاة الوسطى صلاة

مظاهر الوسطية في الإسلام

العصر ، وسميت الوسطى ؛ لأن قبلها صلاتين وبعدها كذلك على اختلاف في تحديد أي الصلوات هي¹³ .

ثانيا :الإسلام وسط بين الأديان .

من خصائص الإسلام الوسطية والتوازن .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728 هـ) رحمه الله : " قد خص الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص ميزه الله بها على جميع الأنبياء والمرسلين ، وجعل له شرعة ومنهاجا أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين، كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ؛ فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها ، وأكرمها على الله من جميع الأجناس، ولما اختلفوا فيه من الحق قبلهم . وجعلهم وسطا عدلا خيارا ؛ فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته ، وفي الإيمان برسله ، وكتبه ، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام . فأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، لم يحرم عليهم شيئا من الطيبات كما حرم على اليهود ، ولم يحل لهم شيئا من الخبائث كما استحلتها النصارى¹⁴ .

أدلة الوسطية:

الأدلة على وسطية أمة الإسلام فلا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا جفاء كثيرة من القرآن العظيم ، والسنة النبوية ، أذكر منها الأدلة التالية :

أولاً: الأدلة من القرآن العظيم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ اٰهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّيْنَ ﴾¹⁵ .

ووجه دلالة الآية : أنه سبحانه وصف الصراط المستقيم بأنه غير صراط المغضوب عليهم، وهم اليهود أهل الغلو في الدين، وغير صراط النصارى، وهم أهل الغلو في الرهبانية والتعبد، حتى خرجوا عن حدود الشرع ، ليس فقط في العبادة بل حتى في الاعتقاد ، يقول تبارك وتعالى : ﴿ يَا اٰهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِيْنِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلٰى اللّٰهِ اِلَّا الْحَقَّ اِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيسٰى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلٌ اللّٰهُ وَكَلِمَتُهُ اَلْقَاهَا اِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ فَاٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَلَا

مظاهر الوسطية في الإسلام

تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَدٌّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ النساء: 171، فإذا كان الصراط المستقيم غير صراط اليهود والنصارى، وكان صراط اليهود والنصارى صراط غلو في الدين، دل ذلك على أن الصراط المستقيم صراط لا غلو فيه، فهو بين طرفين: إفراط وتفريط، وهذا هو معنى الوسطية التي هي منهاج الدين الإسلامي، وسبيل الحق هو سبيل الرشد، وهو الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: 146 وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: 38 فالصراط المستقيم وسط بين السبل التي أشارت إليها الآيات السابقة، وعليه فإن هذه الأمة وسط بين الأمم فوصف الأمة بكونها هديت إلى صراط مستقيم، وأنها على صراط مستقيم، وصف يقتضي الوسطية لها في دينها، بين السبل المعوجة، ذات اليمين وذات الشمال، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: 143.

ثانياً: الأدلة من السنة عن عُنْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ. ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: 153¹⁷ » يقتضي معنى الوسطية والخيرية، التي بين طرفي التفريط والإفراط.

وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين، حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة، واستحلوا ما حرمه الله قتل أولادهم وشرعوا ديناً لم يأذن به الله، فقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى: 21 ومنه أشياء هي محرمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك¹⁸.

مظاهر الوسطية في الإسلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((" إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتُمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))¹⁹.

ووجه الدلالة في هذا الحديث : أن الوسطية هي الخيرية ، ومحاسن الأخلاق ومكارمها هي الوسط بين طرفين ؛ وكل ما يدعو إليه الدين هو من مكارم الأخلاق التي هي أوساط للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط . ولا يَنزاع في أن الغلو خلق ليس من مكارم الأخلاق ، فصح أن الدين لم يأت به ، لأنه إنما جاء لصالح الأخلاق ومكارمها ..

إن الإسلام هو الدين الحق ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران : 19 ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران : 85 . وهو الدين الخاتم الذي تكفل الله بحفظه ، وإظهاره . ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة : 33 ، الصف : 20⁹.

وهذا كامن في سر دينها أكمل الأديان وأوفاهها ، وهو دين رباني بعقائده ، وأصول شرائعه ترك للبشر الاجتهاد في تنفيذه ، وتطلب أفضل الطرق لتحقيقه واقعا في الأرض ، بحسب طاقتهم وما أمكنهم الله فيه من العلم ، وجعل هذا واجبا لازما في عنق هذه الأمة إلى قيام الساعة ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف : 108 وما جعله الله بهذه المنزلة ، وهذه المثابة إلا لما يحمله من مزايا ذاتية ، أهمها الوسطية والحديث عنها - كما أسلفنا - متشعب ذو فروع لا يمكن الإتيان عليها كلها في مقالة أو كلمة ولكن لنا أن نبرز أهم مظاهر الوسطية في الجوانب التالية : الفردية ، والاجتماعية والتشريعية :

الجانب الفردي إذ حمل الإسلام الإنسان مسئولية عمله ، ولم يحمله مسئولية عمل غيره مهما بلغت القرابة ، ما لم يكن طرفا أو سببا²¹ . وقد أتم الإسلام هذه القيمة بأحكام تتعلق بالغيبية والبهتان ، والحسد والضغينة والتحقير ، فعالج هذه علاجا خلقيا ، ليس هذا مقام بسطه .

مظاهر الوسطية في الإسلام

قد يستغرب البعض إقحام المسؤولية في مظاهر الوسطية ، وليته يذكر ما تنادي به بعض الطوائف من تقسيم الخلق إلى أصحاب الحقيقة وأصحاب الشريعة ، ومن إسقاط الواجبات الشرعية عن بعض ، ومن تحمل بعض آخر المسؤولية عن آخرين ، ومن زعم البعض العصمة لمتبوعيه .

ومن مظاهر الوسطية في مصادر العلم الشرعي غلو فئة حتى لا تقر بغير القرآن مصدرا ويجرها ذلك إلى إنكار السنة ، وعدم الانقياد لها ، أو جهلها وإهمالها ، وكان هذا مبدأ نشأة الخوارج الذين غلوا في القرآن حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((تَسْمَعُ لَصَوْتِهِمْ دَوْبًا كَدَوِيَّ النَّحْلِ))²²، ومن مظاهر الوسطية في الإسلام عدم إلزام الناس بطريقة واحدة ، أو نمطا واحدا من أنماط البر ، فهناك الصائم ، والقائم ، والذاكر ، والعالم ، والمجاهد ، وفاعل المعروف ، والمتصدق . الخ ، وكلهم يؤدي شيئا من الإسلام ، ومجموع أعمالهم تمثل شريعة الإسلام الواسعة الشاملة وهذا التنوع ليس مسوغا لتنقص ، ولا يدل على تمايز عند الله ، وللجنة أبواب ثمانية ، كل باب لضرب من ضروب البر²³، إن الوسطية ليست شعارا يرفعه مدعوه بل هي ممارسة عملية في واقع الحياة ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ النساء : 123²³، والمعنى - كما قال ابن كثير - " إن الدين ليس بالتخلي ولا بالتمني ، وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: إنه هو الحق سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان "²⁴.

إن الوسطية هي سمة الإسلام في عقائده ، وشرائعه ، وأنظمتها . وأخلاقه . فهو وسط بين الغلو والتقصير : في عقائده بين التشبيه والتعطيل ، والجبر والقدر مثلا ، وفي التربية والسلوك بين الأمن والإياس، فيعبد الله بالحب والخوف والرجاء ، وتلك عبادة المؤمنين²⁵ . والرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الشاهد على أمته التي أكرمها الله - سبحانه وتعالى - بالوسطية لكونه المثال الأكمل لمرتبة الوسط ، وإنما تكون هذه الأمة وسطا بإتباعها له-

مظاهر الوسطية في الإسلام

صلى الله عليه وسلم - في سيرته وشريعته فكأن الله يقول: إنما يتحقق لكم وصف الوسط إذا حافظتم على العمل بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستقمتم على سنته وهذه الوسطية هي الواردة في الفاتحة باسم " الصراط المستقيم " التي تعبدنا الله بها أي بالفاتحة في كل صلاة لكونها أم الكتاب ، ومن خصائص هذا الصراط المستقيم أنه موصل للغاية السامية ، وهو وحده كذلك دون الطرق الأخرى الملتوية والمعوجة والمنحرفة والكؤود أو المليئة بالحفر والأمت ، وأنه طريق مأنوس بالسائرين إلى الله من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم ، وهم أولئك الذين عرفوا الحق وخالفوه وغير الضالين الذين جهلوا الحق واجتهدوا في جهلهم وتمادوا في غيهم ، فأمة الوسط بين هذين الطرفين المنحرفين عن الحق .

وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الوسطية بشجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء . وهي المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك كما ورد في الحديث الشريف، وكما جعل الله الأمة الإسلامية وسطا بين الأمم فقد جعل قبلتها وسطا بين الجهات ، وقد هداها - سبحانه وتعالى - إليها وسماها الصراط المستقيم فقال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: 142 فهي إذن أمة وسط في قبلة الصلاة أي في الجهات كذلك جعلها وسطا بين الأمم²⁶

إن التوبة إحدى خصائص الوسطية في الإسلام ، وهي تترك الباب مفتوحا لتجديد العبد صلته بربه دون واسطة أو سمسة ، ودون تبيين أو قطع الرجاء فيتمادى المذنب و المجترح للسيئات في عناده وغيه ، ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - كرم بني آدم إذ خلقهم على الفطرة ومهما اعترتها من شوائب وأكدار وحُجب فإن العمق يظل سليما ، لذلك قال - تعالى - مخاطبا المؤمن : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ المؤمنون : 96 . ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت 35: فإن الإنسان طيب في أعماقه فيه استعداد للمودة والتسامح وصلة ما انقطع لكن يحتاج

مظاهر الوسطية في الإسلام

إلى مخاطبته ومعالجته ومدافعة عناده وإصراره على العداوة والتي هي أحسن التي تستطيع أن تخترق تلك الحجب ليمس الفطرة التي فطره الله عليها لتتحول عداوته إلى ولاية حميمة وصداقة وثيقة ، بخلاف الشيطان فإنه شر محض مفطور عليه لا يقبل رشوة لذلك فلا ينفع معه إلا الاستعادة بالله، ومن تجليات الوسطية إكرام الله الإنسان بعقيدة التوحيد التي تتميز بسمة التوازن العقلي والروحي ، فلا إنكار للإلوهية²⁷، والمقصود بالوسطية هو أن هذا الدين الحنيف عقيدة وشريعة وأخلاقا هو الأولى والأجدر والأخير والأفضل فينبغي التركيز على هذا الطابع الرباني للشريعة الإلهية مصدرا ، العالمية شمولاً واستغراقاً ، والتي لا تميز بالأجناس ولا تجازي بالعرقيات ولا تعتد بالعصبيات ولا تمجد بالدم والقبلية ولعنجهية والتفاخر بالأنساب والأوطان ولا تكرم بالسطوة والجاه والأموال ولا تعتد إلا بأمرين جليلين هما الإيمان الصحيح والعمل الصالح (تقوى الله) : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: 13، وبالتالي فالوسطية في الدعوة هي التركيز على هذه المعاني السامية والأهداف النبيلة التي تكرم النوع البشري وتجعله خليفة لله في الأرض ليعمر هذا الكوكب مؤمناً بخالقه ومصداقاً بقاء سيده ومولاه ومجتهداً في الفضائل بعد الواجبات متنكباً عن عدوه الأصلي وهو الشيطان الذي يريد الزيغ بالآدميين وبيتغي لهم العوج في الفكر والسلوك .

إن الوسطية تدور حول انتخاب الأسمى والأرقى والألذ والأشهى والأطيب من مفاهيم هذه الدعوة ومضامين البلاغ وبالتالي تأخذ بحسبانها انتخاب كل معنى رائق فتقدمه للمتلقي على طابق من الأدلة والبراهين التي لا يرقى إليها الشك²⁸ .

وإذا كان مصطلح التطرف لم يرد لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ، فقد وردت مصطلحات مرادفة له تحمل الدلالة نفسها وترمي إلى المفهوم نفسه، ويظهر أن مصطلح "الغلو" هو أكثر تلك المصطلحات تعبيراً عن معنى التطرف كما أنه أكثر وروداً في النصوص الشرعية وخاصة في السنة النبوية . ولما كان التطرف بعيداً عن الوسط ونقيضاً له ، فإن القرآن الكريم نص على خاصية الوسطية لكونها إحدى الخصائص العامة للإسلام وأبرز المعالم الأساسية التي ميز الله - تعالى - بها أمة الإسلام عن غيرها، قال

مظاهر الوسطية في الإسلام

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ البقرة: 143، فالأمة الإسلامية أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا أو شمالا عن خط الوسط المستقيم . بيد أن القرآن الكريم والسنة النبوية تحدثا عن التطرف ضمن مصطلحات وعناوين مختلفة منها : التنطع والتشديد والتعسير والغلو في الدين وغيرها.²⁹، ووسطية الإسلام منافية للتطرف ومجافة للغلو في الدين لا شك أن الإسلام نظام اجتماعي متكامل ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بالكون وعلاقة الإنسان بالآخر ، تقوم في أساس بنائه العقيدة وتتولى الشريعة التنظيم على مختلف المستويات ، ويطبع كل ذلك مبدأ الوسطية بتوازن داخلي وسلوكي ناتج عن توازن السنن ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

إن الوسطية الإسلامية عدل وتوازن ، يقابل من جهة بتطرف المغالاة ، ومن جهة ثانية بتطرف الانحلال وكلا الطرفين مدان في الإسلام . ومن معاني الوسطية التي وصفت بها الأمة في الآية الكريمة معنى العدل وتفسير الوسط في الآية بالعدل مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ((أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط هنا بالعدل)) والعدل والتوسط والتوازن عبارات متقاربة المعنى ، فالعدل يدل على التوسط بين الطرفين المتنازعين دون ميل أو تحيز إلى أحدهما وهو بالتالي ضد التطرف والمغالاة³⁰ .

من جهة أخرى نجد أن وسطية الإسلام تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التي تنبذ الغلو والمبالغة والتطرف في كل شيء ، إنها وسطية ترتكز على ما يلائم الطبع الإنساني عقلا ووجدانا وجسدا ، فليس الإسلام ديناً يضغط على النفس ويكلفها ما لا تطيق ، وهو لا يقاوم التطرف في الماديات بالتطرف في الروحانيات وإنما جاء ليضع التوازن بين الفطرة والتكاليف الشرعية ، وهذا هو معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((استقيموا ولن تحصوا وأتوا من الأعمال ما تطيقون))³¹ ، وفي حديث آخر : ((خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا))³² .

مظاهر الوسطية في الإسلام

إن الوسطية الإسلامية تنبض بروح الاعتدال والانتصاف والتوازن وتنفرد من كل تطرف أو غلو في أي مجال من مجالات الحياة الدينية والدنيوية سواء كان اعتقاداً أو عبادة أو طاعة أو سلوكاً ، فهي تحقق الملائمة بين الفطرة والتكاليف على نحو يحفظ للنفس نشاطها وإقبالها على الطاعة ، ويرعى لها حقوقها من غير إفراط أو تفريط³³.

الوسطية منهج إسلامي تأسس البناء الاجتماعي في الإسلام منذ عهده الأول على نقض التطرف والعنف والإرهاب والغلو ، ونحوها مما يعنيه بها أهل العصر اليوم تلك الظواهر التي كانت شائعة في الجزيرة العربية ، وفي سائر بلاد العالم القديم ، واتجه إلى محاربة أسبابها المنتجة لها ، من الظلم والعبودية لغير الله سبحانه ، والعدوان بغير وجه حق³⁴.

قال تعالى مخاطباً عباده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: 1، جاء في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى أمراً خلقه بتقواه ، وهي عبادته وحده . . . ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم ، وألوانهم ولغاتهم ، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر"³⁵.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. الحجرات: 13، بين سبحانه للناس معنى الوسطية وحقبة المساواة بينهم: بين آحادهم وأجناسهم ، لا فرق بينهم إلا على أساس التقوى والخشية منه سبحانه ، وأن مبدأ التعارف فيما بينهم مشروع ومطلوب وفق المنهج القائم على العدل والإحسان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: 90، ومن الإحسان برُّ بعضهم لبعض ، ولو مع المخالف غير المحارب ، ومن في حكمه ، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: 8، وحث المؤمنون على إتباع نهج السلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ البقرة: 208 .

مظاهر الوسطية في الإسلام

والآيات الدالة على نهج الوسطية ، والسماحة ، والاستقامة ، واليسر في القرآن الكريم كثيرة ومثلها الأحاديث النبوية ، وهي تتضافر لإبراز معالم مسلك الوسطية في العقيدة ، وفي الشريعة ، ومن خصائص الإسلام مثلاً على مستوى العقيدة في مجال الوسطية السمة: أن الإسلام كان وسطاً بين الأديان في النظر إلى النبوة ، فقد زكى الإسلام الأنبياء جميعاً ، وغلا اليهود في نظرهم إلى عيسى عليه السلام بأن زعموا أنه ابن زنا ، وغلا النصارى بأن رفعوه إلى مرتبة الإلهية والتقديس ، وتوسط الإسلام بأن عده بشراً رسولاً عبد الله ، وخص الإلهية لله وحده دون سواه ، لا شريك له ، ولا ند ولا مثل ، وأوجب على المسلمين التزام هذا المنهج المستقيم قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ . الفاتحة: 6-7.

وكما توسط الإسلام في حق عيسى -عليه السلام -، توسط أيضاً في حق أمه ، فأثبت له النبوة ولها الطهر والشرف العظيم ، وخص بالإلهية الله وحده سبحانه

وتميز منهج الإسلام بالبعد عن التطرف والغلو ، وينبغي أن نلاحظ أن من يدعي أنه مسلم ، ولا يتمسك بما جاء به الإسلام ، ويرى ذلك هو الوسطية والسماحة ، ويعيب عن يتمسك بفرائض الإسلام ويعدّه متطرفاً ، هذا الادعاء هو أحد أشكال التطرف ؛ لأن التطرف يكون بالتجاوز للوسطية ، كما يكون بالتخلي والتقصير في شأنها ، وهو خروج عن الوسطية ، وميل وانحراف إلى أقصى اليسار ، أو إلى أقصى اليمين .

وقد تصدى المسلمون مبكراً إلى الظواهر السلبية المذكورة: من التطرف ، والعنف والغلو ونحوها ، وقد لحق بالمسلمين أذىً كثيراً مبكراً مثلما لحق بالخلفاء الراشدين ، فكان مقتل الخليفة عمر -رضي الله عنه- على يد أبي لؤلؤة غلام المغيرة ، وكان نصرانياً ، وكان مقتل الخليفة الثالث عثمان -رضي الله عنه- من طرف بعض الغلاة المتأولة ، تأولوا في شأنه الحق بالباطل ، والباطل بالحق ، وكان مقتل الخليفة الرابع علي -رضي الله عنه- بسبب الغلو المرهب ، وأيضاً لحق ببعض أبنائه ، رضي الله عنهم وأرضاهم جميعاً ، إن التزام جانب الوسطية والاعتدال والابتعاد عن الإفراط والتفريط في الدين من أهم الضمانات اللازمة

مظاهر الوسطية في الإسلام

لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في البلد، وكما هو معلوم فإن الوسطية والاعتدال خاصة من أبرز خصائص الإسلام، وهي وسام شرف الأمة الإسلامية، ومن أبرز مميزات الوسطية الأمان ولذا، يُقال الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد بخلاف الوسط فهو محمي ومحروس بما حوله، كما أن من أهم مميزات الوسطية في الإسلام كون الوسطية دليل القوة فالوسط مركز القوة، ألا ترى أن الشباب الذي يمثل مرحلة القوة والحيوية وسط بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، والشمس وسط النهار أقوى منها في أول النهار وآخره³⁶

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة : 143، بهذه الآية الكريمة حدد الحق تبارك وتعالى هوية هذه الأمة، ومكانتها بين الأمم، لا إفراط ولا تفريط، لا إهمال ولا تطرف، لا تكاسل ولا غلو، بل اعتدال في كل شأن من شؤون الأمة، لقد كان السلف الصالح من هذه الأمة الشهيدة على الناس أحسن الناس تصورا للوسط وفهما للشريعة والعقيدة على هذا الأساس الراسخ، كما كانوا في حياتهم اليومية أكثر الناس تمسكا بهذا الأصل، وهو التوسط بلا غلو ولا انحلال، تشهد على ذلك سيرتهم وحياتهم من أخذ بأصول الخلاف العلمي وآدابه وبالخلق الإسلامي الرفيع، وإذا كان الإسلام يدعو إلى الوسطية فإنه يُحذِر كل التحذير من كل ما يتعارض معها من إفراط وتفریط أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال لا يقر الإفراط والتفريط في الدين؛ لأنهما خروج عن تعاليمه فالشريعة الإسلامية شريعة يسر وسماحة تامة وبعد عن التكلف والتعمق وكل ما يورد المسلم شكا في دينه وشريعته وحرجا نابعا عن هذا التعمق والتنتع المؤدي إلى الوسوسة والضيق، فشرعية الله ميسرة وطريق تحصيل الثواب والأجر لا يكون بالقصد إلى المشاق، وتحمل الصعب من الأمور، ولكن بالإخلاص في الامتثال والافتداء بنبي الرحمة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

مما سبق نستطيع القول بأن الأمن والاستقرار في أي مجتمع مقرون أشد الاقتران بأخذ هذا المجتمع بمبدأ الوسطية والاعتدال وابتعاده عن الغلو في الدين أو التفريط فيه فما من

مظاهر الوسطية في الإسلام

مجتمع فشا فيه الغلو أو التفريط في أمور الدين، إلا وتعكر الأمن فيه وتزعزعت دعائمه وأصبح الناس فيه غير آمنين على دينهم وأنفسهم وأموالهم . . . فلنأخذ بمبدأ الوسطية والاعتدال في شؤون حياتنا لننعم بنعمة الأمن والاستقرار والتقدم والرخاء .

الحاجز النفسي بين العالم والشباب، وهنا يتسنى انتفاع الشباب بعلم العلماء بما يحصنهم ضد نزعات الانحراف ودواعي الفتن، وأن لا يضيق علماؤنا الأجلء بالأسئلة المطروحة عليهم مهما تكن نوعيتها ومظهرها، حتى يزول اللبس من أذهان الشباب ويرتفع الحرج من نفوسهم وحتى لا ينجحوا إلى الانحراف وراء الذين يحسنون لهم السيئ ويدفعونهم لارتكاب المحظورات تحت مظلة الدين، فلا بد من الصبر على تعليمهم وإفهامهم حتى يمكن حفظهم من الضياع بالعمل على تنقية عقولهم من السموم التي قد يصبها رؤساء العصابات الإجرامية في أذهانهم، وتطهير أفكارهم من جميع المؤثرات الخارجية التي تستهدف جرهم إلى مستنقع الجريمة وإغراقهم في أحوالها وتحويلهم إلى سلوك الغالين، فيجنحون إلى التشدد الذي يخرجهم من دائرة الوسطية التي أمر بها الإسلام إلى تكفير المسلمين في ظل تأثير نفسيات مضطربة وقيم مهتزة ومفاهيم ذات انعكاس سيئ مما يسفر عن الانحدار نحو التعصب الأعمى والتشدد المقيت³⁷.

قال صاحب المنار: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: 143 .. هو تصريح بما فهم من قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ البقرة: 213 .. أي على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمةً وسطاً³⁸.

قالوا: إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تقصير وتفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شرّ ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما. وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي :

مظاهر الوسطية في الإسلام

والصَّلَاة الوسطى هي إحدى الخمس، والوسطى مؤنَّث الأوسط، ويستعمل بمعنى التوسُّط بين شيئين أو أشياء لها طرفان متساويان، وبمعنى الأفضل، وبكل من المعنيين قال قائلون، ولذلك اختلفوا في أيِّ الصَّلوات أفضل، وأيّتها المتوسطة³⁹.

وأختم كلام المفسرين حول هذه الآية بما ذكره ابن عاشور في تفسيره، حيث قال: فأما الذين تعلَّقوا بالاستدلال بوصف الوسطى فمنهم من حاول جعل الوصف من الوسط بمعنى الخيار والفضل، فرجع إلى تتبُّع ما ورد في تفضيل بعض الصَّلوات على بعض، ومنهم من حاول جعل الوصف من الوسط، وهو الواقع بين جانبين متساويين من العدد، فذهب يتطلَّب الصَّلَاة التي هي بين صلاتين من كل جانب.⁴⁰ وبهذا التفسير لمعنى (الوسطى) من خلال كلام المفسرين المتقدِّم نلاحظ الارتباط بين هذه الكلمة وموضوع الوسطية الذي هو مدار هذا البحث، سواء أكانت بمعنى التوسُّط بين شيئين أم بمعنى الخيار الأفضل.

روى الإمام البخاري في صحيحه أنَّ أبا بكر -رضي الله عنه- خطب يوم السَّقيفة، وكان مما قال يُخاطب الأنصار: ((ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا)) الحديث⁴¹، والوسطية المراداة هنا يظهر فيها معنى الخيرية جليًا لا لئسَ فيه، فأين البيئية؟

إن التأمل والتعمُّن في هذه الوسطية يوصل الباحث إلى حقيقة مهمَّة، وهي أنَّ قريشًا امتازت بصفات أهلتها لأن تكون خير العرب، وهذه الصفات من الشجاعة والكرم وسائر الصفات الحميدة، هي في حقيقتها صفات وسطية بين مجموعة من الصفات المتضادة، وهم اتَّصفوا بأفضل هذه الصفات، دون إفراط أو تفريط، أو غلو أو جفاء، ولذلك فقد نالوا هذه المنزلة الرفيعة من كون العرب لا تدين إلا لهم، وما ذلك إلا لتقتهم في عدلهم وتميُّزهم عن غيرهم، واجتماع العرب عليهم دليل على قبولهم من قبائل وأطراف متنافرة في أخلاقها، متباينة في طباعها، وذلك لخصية الوسطية فيهم⁴²

وبهذا يتَّضح أنَّ الخيرية والبيئية - المعنوية - هي التي أهلتهن لأن يكونوا وسطًا نسبيًا ودارًا وتأمَّل معي ما قاله رشيد رضا في تفسيره: قالوا إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن

مظاهر الوسطية في الإسلام

الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي: المتوسط بينهما⁴³.

الوسط من كل شيء أعدل، فالوسط إذن ليس مجرد كونه نقطة بين طرفين، أو وسطية جزئية، كما يقال فلان وسط في كرمه، أو وسط في دراسته، ويُراد أنه وسط بين الجيد والرديء، فهذا المفهوم وإن درج عند كثير من الناس، فهو فهم ناقص مجتزأ، أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية المقصودة.

وعلى هذا فالوسط المراد والمقصود هنا، هو العدل الخيار والأفضل، وبالتالي لم يبق معنى الوسطية مجرد التجاور بين الشئيين فقط، بل أصبح ذا مدلول أعظم، ألا وهو البحث عن الحقيقة، وتحصيلها والاستفادة منها.

وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وكلا الطرفين هنا وصف مذموم، ويبقى الخير والفضل للوسط.

وقد ورد لفظ «الصراط المستقيم»، في القرآن الكريم عشرات المرّات، وجاء - أيضاً - بلفظ «صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» النساء: 68 و «صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ» الأعراف: 16. و «صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا» الأنعام: 153 ونحو ذلك.

ففي سورة الفاتحة نجد قوله - تعالى -: « اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » ثم يفسره بأنه: « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ »⁴⁴

ثالثا: الصلة بين الوسطية والصراط المستقيم:

مما تقدّم يتضح أن معنى الصراط المستقيم يدلّ على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي الذي سبق تقريره، وبخاصة أن ما جعلته لازماً لمفهوم الوسطية وإطلاقها قد تحقّق في معنى الصراط المستقيم، فالخيرية والبيئية ظاهرتان في هذا الأمر.

ف نجد في سورة الفاتحة لما قال تعالى: « اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » عرفه فقال: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» ثم حدّده فقال: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» فجعل الصراط

مظاهر الوسطية في الإسلام

المستقيم طريق الخيار وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصّالحين. وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضّالين.⁴⁵، وذكر القرطبي في تفسيره، قال: "ذكر الطبري في آداب النفوس حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبان، أن رجلاً قال لابن مسعود: ما الصّراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد، صلى الله عليه وسلم في أدناه، وطرّفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وثمّ رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النّار، ومن أخذ على الصّراط انتهى به إلى الجنّة، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الأنعام: 153⁴⁶، وعند التّأمّل في قوله- تعالى-: ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: 110 أجد أن فيه معنى الخير والإنشاء، فهو خبر عن حقيقة واقعة بإيمان هذه الأمّة، حيث تميّزت عن غيرها في شمول هذا الإيمان واستمراره، ويكفي دليلاً عن شمول إيمانها شهادتها لبعض رسل الله يوم القيامة بأنهم قد بلّغوا رسالة ربّهم إلى أقوامهم. فهذا الإيمان الموجود والمتحقّق أهلها لهذه الخيريّة.

ثم فيه معنى الإنشاء والطلب، حيث جعل من لوازم الخيريّة وجود هذا الإيمان، فكما أن هذا الإيمان موجود في هذه الأمّة بجملتها وبخاصّة القرون المفضّلة، فإنّ على من أراد من أفراد هذه الأمّة أن يكون من خيارها أن يُحقّق معنى الإيمان في نفسه، بمعناه الشّامل المتكامل، فإذا تحقّق الإيمان تحقّقت الخيريّة، وإذا تحقّقت الخيريّة في صورتها الشرّعية وجدنا الوسطيّة في أسمى معانيها، مقرونة بأقوى أركانها ومبانيها.⁴⁷

الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسّنّة، فإنّ الشّيطان يشمّ قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضاً عن كمال الانقياد للسّنّة، أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصاً على السّنّة، وشدّة طلب لها: لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، فأمره بالاجتهاد، والجور على النّفس، ومجازة حدّ الاقتصاد فيها، قائلاً له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل، فلا تفتن مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النّوم، فلا يزال يحثّه ويحرّضه، حتّى يخرج عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدّها، كما أن الأوّل خارج عن هذا

مظاهر الوسطية في الإسلام

الحدّ، فكذا هذا الآخر خارج عن الحدّ الآخر وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السنّة إلى البدعة، لكن هذا إلى بدعة التّفريط والإضاعة، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف.

وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر، زيادة أو نقصان⁴⁸ وهذا الكلام عن الاستقامة هو عين الوسطية وجوهرها، الأدلة من السنة النبوية: جاء في سورة براءة وصف الرسول، صلى الله عليه وسلم ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾. التوبة:128 وكذلك فقد جاءت الأحاديث عنه، صلى الله عليه وسلم تبين يسر هذا الدين، وتحمل النهي عن التّشدّد والتّعمق والغلو، بل ترك، صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأعمال رحمة بأمته وخشية من أن يشقّ عليها، وهذا يخالف يسر الدين وسماحته، وسأذكر بعض الأحاديث التي تؤكد حقيقة يسر الإسلام وبعده عمّا يخرج عن منهج الوسطية.

وقد تنوّعت أساليب رسول الله، صلى الله عليه وسلم في توجيه أمته لهذه الحقائق وتأصيلها، فنجد في الأحاديث ما جاء صريحا في بيان أنّ هذا الدين دين اليسر والسّماحة، وأنّه، صلى الله عليه وسلم بُعثَ بذلك، فقد روت عائشة - رضي الله عنها- أنّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: « إنّ الله لم يبعثني معنّتا ولا متعنّتا، ولكن بعثني معلّما ميسرا »⁴⁹ وقال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعريّ لَمَّا بعثهما إلى اليمن: ((يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَسْرًا وَلَا تُنْفِرَا))⁵⁰، ومما يؤكد ويقرّر منهج الوسطية في التشريع والتّكليف الآيات التي وردت برفع الحرج، كقوله - تعالى - : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ المائدة: 6 وقوله: ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج: 78 وقوله: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ الأحزاب: 38 ، ومثل ذلك الآيات التي جاءت تنفي الحرج عن فئة معينة، كقوله - تعالى - : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ

مظاهر الوسطية في الإسلام

وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴿ الفتح: من الآية 17، وبعد أن بيّن - سبحانه - جواز الزواج من زوجة الابن المتبني حيث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بعد طلاق زيد لها، قال - سبحانه -: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ الأحزاب: 37 وقال ابن كثير في قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج: 78 أي ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا، ولهذا قال، عليه السلام: « بعثت بالحنيفية السمحة »⁵¹. وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن: ((بَشْرًا وَلَا تُتْفَرَا وَيَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا))⁵² والأحاديث في هذا كثيرة، ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج: 78 . يعني من ضيق⁵³ وقد اتضح لنا أن آيات رفع الحرج دليل واضح وبرهان قاطع على وسطية هذا الدين في تشريعه وتكاليفه.

ونواصل ذكر الأدلة من القرآن الكريم في باب التشريع والتكليف التي تقرّر منهج الوسطية، وأنه سمة هذا الدين، وسرّ من أسرار عظّمته، وهذه الآيات هي آيات التخفيف والتيسير.

قال القرطبي: قال مجاهد والضحاك: اليسر الفطر في السفر. والعسر: الصوم في السفر. قال القرطبي: والوجه: عموم اللفظ في جميع أمور الدين، كما قال تعالى -: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾⁵⁴

وقال رشيد رضا في الآية: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة: 185 وهذا تعليل لما قبله، أي: يريد فيما شرعه من هذه الرخصة في الصيام، وسائر ما بشره لكم من أحكام، أن يكون دينكم يسرًا تامًا لا عسر فيه⁵⁵، وقال ابن كثير في قوله تعالى -: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: 28 أي: في شرائعه، وأوامره، ونواهيه، وما يقدره لكم⁵⁶، وقال مجاهد: أي في نكاح الأمة، وفي كل شيء فيه يسر⁵⁷. ومن هنا نخلص إلى أن آيات التيسير والتخفيف جاءت لإرساء قواعد هذا الدين، وذلك أن الوسطية ركن من أركان ديمومة هذا الدين وعالميته.

مظاهر الوسطية في الإسلام

قال تعالى - في بيان كفارة اليمين: ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ المائدة: 89 .

والوسطية في هذه الآية تكمن في: أنّ إطعام المساكين يُراعى في نوعية الطعام أو الكسوة الوسط في ذلك، وجعل المقياس الذي يُرجع إليه في اختيار هذا الوسط إطعام الرجل لأهله أو كسوتهم، فينظر في ذلك ويخرج الوسط منه. وفي هذا تتحقق الوسطية من وجهين - أيضاً - .

الأول: مراعاة الوسط في حق كل إنسان، فلم يؤخذ من أعلى ماله أو أدناه، بل الوسط منه، مراعاة للفقير - أيضاً - .

الثاني: مراعاة الفرق بين حال الغني والفقير والمتوسط، وهذا فيه من معنى الوسطية ما فيه، فلم يأت الحكم بالتسوية بينهم.⁵⁸

ولذلك، فإن الوسطية تبدو في حقيقتها، وفي أكمل صورها في النصوص الشرعية ذاتها والفقهاء الإسلامي في جملته، والاجتهاد في أحكام الشرع، يستلهم تلك الوسطية المثلى القائمة في النصوص، وقد كانت الوسطية الإسلامية بمعناها القرآني، غائبة تمامًا عن كل القوانين الوضعية، ولا سيما في أصولها القديمة، وحتى إذا كانت هذه القوانين تنشئ العدالة، فإن العدل بوصفه قيمة، تتغير صورته بحسب الزمان والمكان .

وعلى سبيل المثال، فقد كان القانون الروماني، يحرم الأرقاء من كل مشاركة في الحياة العامة، وكان يجيز قتل كل الأرقاء الذين في خدمة النبيل إذا ثبت تأمر واحد منهم عليه، وكان من حق الدائن قتل المدين العاجز عن السداد، أو استرقاقه إلى الأبد، وطبقا لأحكام ذلك القانون، كانت المرأة تدخل بيت زوجها عن طريق البيع أو وضع اليد، فيشتري الزوج زوجته بإجراءات البيع والشراء، وظل ذلك فترة طويلة.⁵⁹

أما الوسطية القرآنية، فإنها تتجلى في منهاج التشريع الإسلامي كله، ويبدو ذلك واضحًا في تنظيم المال والملكية، والاعتراف بملكية الفرد للمال، إلى جانب أنه يملكه استخلافًا من الله

مظاهر الوسطية في الإسلام

عز وجل؛ لكي يؤدي رسالته في الحياة: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد : 7 .

كما يبدو المنهاج الوسط، في الإقرار بحق الفرد في المال ، إلى جانب الاعتراف بأن للجماعة فيه حقاً مقدراً أو محدداً، يخصص لفقراء الجماعة، وهو الزكاة: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الداريات : 19 ، ولا نستطيع في هذا المجال، أن نفصل وسطية التشريع الإسلامي، وعدله، وأفضليته في الأحكام الشرعية كلها، في العبادات، وفي المعاملات، وفي قواعده العامة، وأصوله الكلية، فهذا يحتاج إلى دراسة مقارنة دقيقة، بين منهاج التشريع الإسلامي، وبين ما هو موجود في قصور المناهج الوضعية كلها، قديماً وحديثاً.

إن وسطية التشريع الإسلامي، تعني أنه الأكمل والأقنوم والأعدل لحياة الإنسان بالمعنى القرآني للوسطية، فتشريع العبادات في هيأتها ومقاديرها وتكاليفها ومراتب وجوبها على المكلف، تتفق مع الأعدلا لأقوم، وفطرة الإنسان، في الجمع بين الدنيا والآخرة. وفي أحكام المعاملات كما أشرنا، لا سيما في النظر إلى المال وملكيته، وحق الفرد وحق الجماعة فيه، تحصيلاً وكسباً وإنفاقاً، نجد الوسطية ظاهرة.

وذلك لكي يدوم هذا التشريع الإلهي، صالحاً للناس في كل زمان ومكان، مما يجنب الأمة الإسلامية مخاطر التطرف والغلو والشطط، وغير ذلك مما نراه في كثير من شرائع البشر التي تختلف وتتعارض بحسب الزمان والمكان، والظروف والأهواء.

رابعا: الوسطية في الدعوة:

من فضل الله على الأمة الإسلامية، أن الرسالة الخاتمة جاءت شاملة لكل ما يحتاجه المسلمون في حياتهم الدينية والدنيوية، موجهة لكل الثقلين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك أن الهدف هو هداية الله للإنسان، دون قصر الدعوة على جنس بذاته، أو مكان معين؛ إذ إن دعوة الرسول- صلى الله عليه وسلم- موجهة إلى الناس كافة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف : 158 .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء : 107 .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ : 28 .

وعلى ذلك إجماع المسلمين في كل العصور.

وقد وَضَحَ في القرآن الكريم، والسنة النبوية، كيف يؤدي المسلمون واجبهم في الدعوة إلى الله، وهو جانب من المنهاج الإسلامي الكامل، وإن واجب المسلم لا يقتصر على نفسه فحسب، دون أن تكون له صلة بالمجتمع من حوله، ودون محاولة لهداية غيره إلى الله، متى كان قادرًا على ذلك، ومنهاج الإسلام فيه، منهاج الوسط والاعتدال، وتقدير الأحوال والظروف والنتائج، ومراعاة الاستطاعة والقدرة، لقد قامت الدعوة إلى الله على منهاج الوسطية، وكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا أعلى في تطبيق هذا المنهاج، الذي سار على هديه الخلفاء الراشدون، والتابعون لهم بإحسان. وفي هذه الفترة القليلة من الزمن في حياة الأمم، دخل الناس في دين الله أفواجًا، وتكوّن المجتمع المسلم الواحد في عقيدته وشريعته وسلوكه الاجتماعي، على الرغم من امتداد، الإسلام إلى أقاليم خارج شبه الجزيرة العربية، مثل: مصر والعراق والشام، وكانت الدعوة إلى الله وفق منهاج الوسطية القرآنية، هي السبيل الأول لانتشار الإسلام ودعوته، الانحراف عن منهاج الوسطية في آخر عهد الخليفة عثمان - رضي الله عنه- ظهرت الفتنة بالانحراف عن هذا المنهاج الوَسْطِيّ في الدعوة، وأطلت الفتنة برأسها، وانتهت بمقتل الخليفة عثمان - رضي الله عنه ظلماً وعدواناً.

وكانت هذه بداية الفتنة الكبرى في تاريخ الإسلام، وذلك حينما انحرفت دعوة الإصلاح أو الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الوجه الشرعي الصحيح، وظهر الخوارج عن منهاج الوسطية في الدعوة إلى الله، فكان ظهورهم انحرافاً عن منهاج الإسلام في الدعوة إلى الإصلاح، وذكّرهم الخليفة الراشد علي - رضي الله عنه- بهذا المنهاج الأقوم والأرشد ولكنهم تنكبوا الطريق، وعَدَوْا على ولي الأمر وخليفة المسلمين بعد أن بايعه الناس

مظاهر الوسطية في الإسلام

ورضوه إماماً لهم، وكان مسلكهم فيما يتظاهرون به من الدعوة إلى الله، على ما تحكي كتب التاريخ الإسلامي، واضح البطلان والزيغ. كانوا يتمسكون لفظاً بشعارات الإسلام، ويرتكبون عمداً ما تنكره فرائض الإسلام وشريعته، فلم يصلوا إلى أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر، وتفرقت جموعهم إلى فرق شتى، بعضها خرج من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية.⁶⁰

الهوامش:

1. نظر: بحوث ندوة اثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو المؤلف مجموعة من العلماء ط الثانية الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر : 1425 هـ مصدر الكتاب : موقع الإسلام <http://www.al-islam.com> ص9 .
2. موسوعة النحو والصرف والإعراب تأليف اميل بديع يعقوب ص 626 ط دار العلم للملايين
3. ابن منظور : لسان العرب دار صادر بيروت ط/الأولى ج 7 ص426.
4. رواه البخاري صحيح البخاري مطبوعات دار الشعب، ج 5 ص8 كتاب فضائل أصحاب ﷺ باب فضل أبي بكر .
5. ينظر : المعجم الوسيط تأليف مجمع اللغة العربية ،ط/الثالثة ،مطابع الأوفست القاهرة 1985 ج2 ص1073 .
6. ينظر : ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس :تأليف الزبيدي ،منشورات دار مكتب الحياة بيروت ج5ص238 .
7. لحديث : قال رسول الله ﷺ ((يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب ،فيقول هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقول لأمته هل بلغت؟ فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول من يشهد لك، فيقول محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ... صحيح البخاري دار ابن كثير

مظاهر الوسطية في الإسلام

- بيروت 1987م ط/الثالثة تحقيق مصطفى ديب ج4 ص1632 كتاب التفسير باب
سيقول السفهاء من الناس حديث4217
8. تفسير الطبري دار الفكر بيروت1405 ج3 ص242 .
9. تفسير ابن كثير دار الفكر بيروت1401 هـ ج1 ص175، و ص7 .
10. البخاري : كتاب الجهاد ج4 ص20 حديث 790 .
11. ينظر : تفسير ابن كثير ج2 ص 630 .
12. ينظر: الجامع لأحكام القرآن :تأليف القرطبي دار الشام بيروت ج6 ص276 ، و تاج
العروس كتاب ذكره ج5 ص240،والصاحح تاج اللغة وصاحح العربية للجوهري
تحقيق أحمد عطار دار العلم للملايين بيروت ط/الرابعة 1987 ج11
13. ابن كثير ج1 ص 291 ،والمصدر نفسه ص8 .
14. ينظر : تحقيق الوسطية ودفع الغلو كتاب سبق ذكره ص14 .
15. المصدر السابق ص18 .
16. تحقيق الوسطية ودفع الغلو كتاب سبق ذكره ص19 .
17. ينظر : تحقيق الوسطية ودفع الغلو كتاب سبق ذكره ص22 .
18. الحديث أخرجه أحمد في مسنده ،مؤسسة قرطبة مصر:ج1 ص465 ، 435، و
الدارمي في سننه دار الكتاب العربي ،بيروت ط/الأولى 1407 تحقيق فواز أحمد
وخالد العلمي ، في المقدمة ، باب في كراهة أخذ الرأي ، وابن أبي عاصم في كتاب
السنة المكتب الإسلامي بيروت ط/الأولى تحقيق محمد ناصر الدين ج1 / 13)، وابن
حبان في صحيحه مؤسسة الرسالة بيروت 1993م ط/الثانية تحقيق شعيب الأرنؤوط
الإحسان: ج1 ص 180 - 181 تحت رقم (6 - 7) ، والحاكم في المستدرک دار
الكتب العلمية بيروت ط/الأولى 1990م تحقيق مصطفى عطا ج2 ص318 ،وأخرجه
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ابن ماجه دار الفكر بيروت ،تحقيق محمد فؤاد

مظاهر الوسطية في الإسلام

عبد الباقي في المقدمة ، باب إتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم (11) .

19. مجموع الفتاوى مكتبة ابن تيمية ط/الثانية تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ج10 ص388-389 .

20. أخرجه أحمد في مسنده ج14 ص512 - 513 ، تحت رقم 8952 ، والبخاري في الأدب المفرد صحيح الأدب المفرد 118 ، تحت رقم 207 / 273 ، والبيهقي في السنن الكبرى مكتبة دار الباز مكة المكرمة 1994 م تحقيق محمد عطا ج10 ص191 - 192 والحاكم ج2 ص613. والحديث صححه الحاكم ، ومحققو مسند أحمد ، والألباني في صحيح الأدب المفرد وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم 45 .

21. تحقيق الوسطية ودفع الغلو سبق ذكره ص61

22. تحقيق الوسطية ودفع الغلو سبق ذكره ص64

23. المصدر السابق 69 .

24. المصدر السابق ص81 .

25. ينظر :المصدر السابق ص82 .

26. تفسير ابن كثير ج2 ص370 .

27. ينظر : شرح العقيدة الطحاوية تأليف ابن أبي العز الحنفي ،المكتب الإسلامي بيروت 1391هـ ط/الرابعة ص372، 586.

28. ينظر: الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالد تأليف: عبد السلام الهراس مصدر الكتاب : موقع الإسلام <http://www.al-islam.com> ص8، 9 .

29. ينظر : الإسلام دين الوسطية للهراس كتاب سبق ذكره ص15

30. ينظر: فقه الدعوة الإسلامية في الغرب تأليف علي بن أحمد بن الأمين مصدر الكتاب : موقع الإسلام <http://www.al-islam.com> ص5 .

مظاهر الوسطية في الإسلام

- 31.** الكتاب: قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة تأليف د. حسن بن إدريس عزوزي مصدر الكتاب : موقع الإسلام <http://www.al-islam.com>
- 32.** تفسير: ابن كثير سبق ذكره ج 1 ص 190 .
- 33.** رواه ابن ماجة في سننه (كتاب الزهد) ج 1 ص 101 .
- 34.** رواه البخاري في صحيحه (كتاب الصوم) ج 5 ص 2201، وأحمد في مسنده 28 / 5
- 35.** ينظر: قضايا الإرهاب في الغرب كتاب سبق ذكره ص 45 .
- 36.** عن الإرهاب في العصر تأليف : فهد بن إبراهيم أبو العصار بمصدر الكتاب : موقع الإسلام <http://www.al-islam.com> ص 17 .
- 37.** ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج 1 ، ص 4 ، ط 1988 م ، القاهرة .
- 38.** ينظر : الإرهاب والعنف والتطرف في ضوء القرآن والسنة تأليف: عبد الله بن الكيلاني الأوصيف مصدر الكتاب : موقع الإسلام <http://www.al-islam.com> ص 39 .
- 39.** ينظر: متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار تأليف: سليمان عبد الرحمن الحقيط الأولى 1997م: موقع الإسلام <http://www.al-islam.com> ص 22-56 .
- 40.** ينظر: تفسير المنار تأليف محمد رشيد رضا دار الفكر بيروت ج 2 ص 4
- 41.** تفسير السعدي تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،مؤسسة الرسالة بيروت تحقيق محمد صالح 2000م ج 1 ص 106 ،و تفسير المنار ج 2 ص 437 .
- 42.** التحرير والتنوير تأليف محمد بن عاشور ،الدار التونسية للنشر 1984 م ج 2 ص 467
- 43.** صحيح البخاري ج 4 ص 194.، وأحمد في المسند ج 1 ص 55، 56.
- 44.** الكتاب : الوسطية في ضوء القرآن الكريم تأليف ناصر بن سليمان العمر موقع الإسلام <http://www.al-islam.Com> ص 46 .
- 45.** تفسير المنار كتاب سبق ذكره ج 2 ص 4 .

46. ينظر: الوسطية في ضوء القرآن لناصر العمر كتاب سبق ذكره ص75 .
47. ينظر : المصدر السابق ص85 .
48. {ينظر : تفسير القرطبي ج 7 ص138 .
49. ينظر: الوسطية في ضوء القرآن لناصر الغمر كتاب سبق ذكره ص98 .
50. ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين تأليف : ابن قيم الجوزية ، دار التقوى مصر 2004م ج 2 ص 107 .
51. أخرجه مسلم ج2 ص 1105 رقم (1478).
52. أخرجه البخاري ج5 ص 108. ومسلم ج3 ص 1359 رقم (1733).
53. حديث سبق تخريجه .
54. حديث سبق تخريجه .
55. ينظر : تفسير ابن كثير دار الأندلس ط/الخامسة 1984م بيروت ج4 ص 668 .
56. ينظر: تفسير القرطبي ج2 ص 301
57. ينظر: تفسير المنار ج2 ص164.
58. انظر: تفسير ابن كثير ج1 ص 479 وتفسير القاسمي : محاسن التأويل ، تأليف محمد جمال الدين القاسمي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتاب العربي عيسى البابي ط/الأولى 1957 م ج5 ص 1201.
59. ينظر: تفسير الطبري:ج5 ص30، والوسطية في ضوء القرآن لناصر الغمر كتاب سبق ذكره ص194 .
60. ينظر: الوسطية في ضوء القرآن لناصر الغمر كتاب سبق ذكره ص197
61. ينظر : الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله تأليف عبد الله بن عبد المحسن التركي ط /الأولى ،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية.
62. ينظر :الأمة الوسط والمنهاج النبوي لعبد الله بن عبد المحسن كتاب سبق ذكره ص25.

بينة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

د. محمد علي البنداق
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

تقديم :

يظل المكان بوصفه فضاء روائي الهاجس المحوري القوي الذي يمتلك القدرة على مسك الأديب وشده إلى منبته الأول، فله نكهة خاصة، وسحر مميز يولد في الأديب إحساسا منفردا يجعله ينشئ ويتعهد عاطفيا كلما تحسس شعوره جانبا من ذلك المشهد المكاني الغائر في أعماق ذاكرته.¹

من الناحية السردية يرى "حسن بحراوي" أنّ "المكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ولا يتضمّن معاني عديدة بل إنه قد يكون في بعض الأحيان، الهدف من جود العمل كلّهُ".²

لذلك فإن باقي عناصر الرواية من الأحداث والشخصيات والزمن لا يمكنها أن تقوم إلا بحضور مكان يجمعهم ليكون النص الروائي أكثر مصداقية، أي أنّ لكل مكان طابع اجتماعي يتفاعل ويؤثر على الآخر داخل منظومة اجتماعية وفكرية وثقافية واحدة. والمكان هو "شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد المكان الروائي الذي ستجري فيه الأحداث"³

إذا فالمكان من بين أهم الأركان التي تشكل بنية النص الروائي وهو "ليس مجموعة الأشياء الملموسة والظاهرة فحسب بل يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح"⁴، ويرى "حميد لحميداني" أنّ "الفضاء هو معادل لمفهوم المكان في الرواية، ويقصد به المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي كتبت بها الرواية، ولكن الذي تصوّره قصتها المتخيلة".⁵

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

وعليه فالمكان عبارة عن شبكة من العلاقات التي تنتج النص الأدبي، ولا يمكن تشكيله في الرواية إلا بوجود الزمن والأحداث والشخصيات ليكتمل العمل الأدبي. أما لوتمان فيعرف المكان بأنه "مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال، والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد والمسافة.⁶ وقد ميّز "غالبا هلسا"⁷ بين ثلاث أنواع للمكان بحسب علاقة الرواية به وهي:

المكان المجازي: وهو الذي نجده في رواية الأحداث وهو محض ساحة لوقوع الأحداث لا يتجاوز دوره التوضيح ولا يعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث.
المكان الهندسي:⁸ وهو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل جزئياته من غير أن تعيش فيه.

المكان بوصفه تجربة: تحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها للمكان وتثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكانا خاصا متميِّزا⁹، ولذلك فإن وصف المكان وحده يساعد على خلق المكان الروائي، والتفاعل معه والعيش فيه وتقديمه من خلال زاوية محدودة تخدم الإطار العام للرواية بحيث يتحوّل المكان نفسه إلى عنصر فاعل، وثمة رؤية تصنيفية أخرى قدمها "غاستو نباشلار" "في جماليات المكان"، فتحدّث عن مكان أليف، وهو البيت الذي يوجد فيه الإنسان، ثم تحدّث عن المكان المتناهي في الصغر والمكان المتناهي في الكبير¹⁰، وانطلاقا من هذا أسس "حسن بحراوي" منهجا لتصنيف المكان وفق ثلاثة مفاهيم، "وهي التقاطب وتعني وجود قطبين متعارضين في المكان وفق تقابلات ضدية كالإقامة والانتقال"¹¹ ومفهوم التراتب الذي يتوزع فيه المكان إلى عدّة طبقات أو فئات مكانية، أي أنه درس من خلال هذا المفهوم طبقات المكان المبني بناء على أهميتها من حيث الدرجة والرتبة، ومفهوم الرؤية وهي "التي شهدنا بالمعرفة الموضوعية أو الذاتية التي تحملها الشخصية عن المكان وتحيطنا علما بالكيفية التي ندرك بها أبعاده وصفاته، ولهذا المفهوم فائدة كبرى عند تصنيف وتحليل أنواع الرؤى السائدة في إدراك وعرض مكونات الفضاء

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

الروائي... وستقوم الرؤية كميّار حاسم لقياس المدى الذي تطاله قدرة الروائي على طريق أجزاء المكان وإلغاء المسافة بين عناصره وتقديمه في الائتلاف والانسجام¹²، تبدو أهمية المكان في العمل الروائي في ما يمتلك من أبعاد ودلالات ومن أكثر الثنائيات المكانية هيمنة في النماذج الروائية هي الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة، فالفضاء المفتوح هو "المكان الذي تنتجته البنى النصية وطبيعة الاستجابة من جانبنا كقارئ فرد ربما لكنه قارئ يعبر عن جماعة تأويلية معينة"¹³، ومن أهم الأمكنة المفتوحة التي تجلت خلال العمل الروائي نجد أماكن الطبيعة، أي تلك التي لم تصل إليها يد الإنسان، كما تكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة، إذ أنها تساعد على "الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموعة القيم والدلالات المتصلة بها"¹⁴، فالمكان المفتوح هو المكان العام الذي لا يمكن إيجاده مغلقاً وذلك من خلال ما تمده الرواية من تفاعلات وعلاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء¹⁵، وتتخذ الروايات في عمومها أماكن مفتوحة على الطبيعة، تؤطر بها الأحداث مكانياً وتخضع هذه الأماكن للاختلاف بعرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها، وفي أنواعها إذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى، وبالتالي الأماكن المفتوحة هي مسرح حركة الشخصيات وتنقلاتهم¹⁶، فالقصد من الأماكن المفتوحة هو الانفتاح غير محدود.

أما الفضاء المغلق فهو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن، سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لذا "فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرر الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التأليف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه"¹⁷، فقد يذهب المكان المغلق ليفيد دلالات تتجاوز تلك الحدود المادية من خلال ما تحيل عليه المعاني النفسية التي تكتنفه من انطباعات، كما يتعدى فعله في المكان ليجعل المفتوح مغلقاً وإن أكثر الأشياء انغلاقاً تلك الأماكن التي حملت انعكاساً انغلاقياً سواء كان مادياً أم نفسياً، وكل ذلك يركز على القدرة في استيعاب أبعاد المكان وتشكيلاته، "فكي

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

ندرك المكان، ينبغي أن نخلق انساقا تميّز الموجودات ويجعل لكل نوع منها خصائص ومميزات وأبعاد¹⁸.

وقد يتحول المكان الفاعل في النص الروائي، من مجرد خلفية تقع عليها أحداث الرواية إلى عنصر تشكيلي من عناصر العمل الروائي، كما أن له أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائية وتنظيم الأحداث؛ إذ يرتبط بخطية الأحداث السردية، بحيث يمكن القول بأنه يشكل المسار الذي يسلكه تجاه السرد، وهذا التلازم في العلاقة بين المكان والحدث هو الذي يعطي للرواية تماسكها وانسجامها ويقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشييد خطابه، ومن ثم يصبح "التنظيم الدرامي للحدث هو إحدى المهام الرئيسية للمكان"¹⁹ والمكان – سواء كان مشهدا وصفيا أم مجرد إطار للحدث – يدخل في صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص الروائي كما "يدخل في نسيج النص من خلال حركة السارد في المكان" فيغير إيقاع السرد بعبور السارد أمكنة مختلفة في الرواية مما يؤدي إلى تغير الأمكنة داخل الفضاء الروائي، الذي ينتج عنه "نقطة تحول حاسمة في الحكاية وبالتالي في تركيب السرد والمنحنى الدرامي الذي يتخذه"²⁰.

أبعاد المكان في نزييف الحجر :

تبدأ الرواية بوصف المكان، ومن فيه، ومن ثم تتوقف حياة الشخصيات حسب ما ينتج عن المكان من خير أو شر فيصبح المكان هو المهيمن والمتحكم في حركة الشخصيات ومسببا للأحداث الرئيسية فيه، فالمكان بصحراويته القاحلة الشاسعة الجافة، هو المهيمن على تصرفات الشخصيات سلوكها وتكوينها ، وأحيانا صانعة للأحداث، فعندما تتحدر الصخور العملاقة من أعالي الجبل تصبح هي الحدث الرئيس الذي تدور حوله أحداث عديدة، وتختفي شخوص، وترحل شخوص، وعندما يجرف السيل قرية بأكملها، تنتشنت الجثث، وتنفنت الأسر، فالمكان هو المهيمن في كل ذلك.²¹

البعد الجغرافي: يحمل عنوان الرواية بعدا مكانيا يتعلّق بالقيمة الجغرافية المهمة للصّخر داخل الفضاء الواسع للصحراء ، فهو المكان الشّاهد على تعاقب الحضارات ، لذلك يأخذ

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

الفضاء الروائي بعدا جغرافيا إن كان يصف دلالات المكان في العمق، ويوجه القارئ إلى معالم معروفة ومنتظمة لها تاريخها، فالصحراء في الرواية هي علامة مكانية بارزة تقوم عليها بنية الفضاء الحكائي فيتحوّل المكان الجغرافي إلى نموذج منكرّر في كلّ الأعمال إلا أنّ تعدّد طرائق الوصف وصيغ التركيب السردي جعلت الصحراء عنصرا فاعلا في توليد صور جديدة تربط بين البنية الهندسية للمكان والإحساس الداخلي للمقيمين داخله²².

يقدم الروائي في بداية الرواية وصفا فنيا دقيقا للرسوم التاريخية التي تزيّن الصّخور والكهوف الصّحراوية ، لكن هذا الوصف ليس منفصلا عن خطّ الأحداث بل يرتبط بالمواقف السردية المهمة للنص التي تربط بطل الرواية (أسوف) بالحجر التاريخي ، حيث عرفه منذ صغره واهتمّ بالبحث عن شروحات للرسوم الحجرية التي تمثل بؤرة المحكي، فكان الدفاع عن قداستها سببا في موته وإعلانا عن نهاية القصة " الرسوم تزيّن صخور الجبال والكهوف في الأودية الأخرى في كلّ مساك صطفت وقد اكتشفها في صغره عندما كان يهده الجري خلف القطيع الشقيّ فيلجأ للكهوف ليستظلّ من الشمس ويفوز بلحظات راحة فيتسلّى بمشاهدة الرسوم الملونة صيادون ذوو وجوه مستطيلة غريبة ، يركضون خلف حيوانات كثيرة لم يعرف منها سوى الودّان والغزلان والجاموس البرّي²³ يستعين الروائي بحاسة المشاهدة العينية لينمّ وصف المكان في بعده الجغرافي بطريقة هندسية واعية تنقل التفاصيل الدقيقة للقطعة الأثرية الموصوفة ، وغالبا ما نجد تداخلا بين تكوينات هذا الفضاء الواسع وحركة الشخصيات ، إذ تصبح حركة الشخصيات مرادفة لحركة المكان فالبطل (أسوف) ينتفض من غيبوبته التي قضاها خلال أيام الجفاف والقحط ليسائل الطبيعة عن مظاهر الخصب والنماء التي حلّت بها بعد تدقّق السيول والأودية عليها في أحد فصول الربيع السخية " في ذلك العام اكتظت الأودية والسهول وأطراف الجبال بالغابات والنباتات والأعشاب، رأى أشجارا لم يرها من قبل، وذاق أعشابا لم يذوقها من قبل ، واستغرب أين تخفي الصحراء بذور هذه النباتات، ما أن تهطل الأمطار وتعمّ السيول حتى تخضر الأرض العطشى القاسية الكئيبة بألف نوع من النبات، تنمو النباتات بسرعة وتخضرّ الأشجار

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

الشاحبة اليابسة في أيام قليلة ، كأنّ البذور المبعثرة في العدم ، في ثنايا الرمل ، بين الصخور الصّماء ، تنتظر هذه اللحظة²⁴

البعد الرمزي واللغوي: يتجلى المعنى الرمزي للمكان المستمد من الخيال بقيمته النفسية والجمالية ؛ فالإحساس به يكشف عن التماهي في العلاقة بين الروائي والصحراء وتكون اللغة هي أدواته، يشير البعد الرمزي إلى قيمة معرفية تستلزم رحلة مكانية يحول فيها الروائي (الكوني) بحكم ثراء ثقافته " الواقعي إلى رمز ذهني واللحظة الزمنية في سياقها التعاقبي إلى إيغال معرفي ينحو إلى اكتشاف ذاكرة المكان ، فهو إما خلق أو محاكاة لخلق شخوص وصحراء دفنتها الذاكرة وأراد إعادة نشورها لتثرى صوراً رمزية على امتداد نصوصه ، يمنحك المكان فيها صورته بناقل لغوي سمته امتزاج الواقع بالخيال فهي الوجود الروائي برمته يكون البعد البصري شرطها ضمن سياق اتفاقي تخلقه خصوصية المكان وإعادة المكان ذهنياً تتطلب حلم يقظة ينشد فيها الحنين ليصل أكثر الأمكنة غورا في الذاكرة لخلق صورة تعتمد الخيال الحميمي لصنع الهوية المكانية²⁵، كما يستحضر الروائي اللغة مكاناً وذاكرة، لسبر أكثر الحالات عمقا في الشخوص الروائية ومن خلالها يكون الكشف الواعي عن المكان الذي تتحرى اللغة به التكتيف في اللحظة والإسهاب في الوصف لتكشف للقارئ روح الصحراء ومكنوناتها حتى يغدو المكان "نوتة" تضبط السياق ، ترتفع أحيانا لتكون السياق ، وتتساق في أحايين أخرى لتبني السياق²⁶، فهو ينتقل من مستوى المدرك البسيط للربط بين (الحدث والمكان) إلى مدركات أشد شمولية واتساعا فتقترن لديه النظرة الزمانية المكانية لتكون نواة تفتح أمام القارئ جدلية الربط والتعميم ، فإذا كان الروائي قد اختار المكان عن وعي فإن القارئ أيضا يجري عملية إسقاط للأحداث على خلفية المكان الذي يناسب رؤيته²⁷ ، فيصبح وادي متخذ وشمفي الرواية هو العالم مصغرا، والصخرة التي تحمل رسم الكاهن إلى جانب الودان هي الإرث الإنساني الطبيعي الذي تمتلكه البشرية عبر آلاف السنين ، ويصبح (أسوف) هو ضمير الإنسانية الراض لإحالة كل شيء إلى العنصر المادينية المكان في الرواية:

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

انطلاقاً من تصنيف حسن بحراوي للمكان بمفاهيمه الثلاثة التي تم ذكرها سابقاً وهي التقاطب والتراتب والرؤية ينحصر مكان الرواية في بنيتين هما: بنية خارجية تمثلت في الصحراء وبنية داخلية نصية شملت طريقة الكتابة وأشكالها التعبيرية .

تشكلت البنية الخارجية²⁸ في صورتين: الأولى تلك الصحراء المترامية الأطراف، وقد حفلت الرواية بالصور التي تصف اتساعها وشمولها " انتهى السهل، وبدأت " مساك صطفت " تعلن عن نفسها، انتشرت المرتفعات المغطاة بصخور سوداء ضخمة محروقة بنار الشمس الأبدية. انتهى صفاء الصحراء الرملية الممتدة، المنبسطة، الرفيعة بالعباد وبدأت عراقيل الصحراء الجبلية الغاضبة، هذه الملامح الصارمة تستقبل بها هذه الصحراء الرّحل القادمين من الصحراء المعادية : الرملية، ويبدو أنّها ورثت هذا الحقد من ذلك الزمان السحيق الذي كانت فيه المعارك بين الصحراويين القاسيتين لا تتوقف ، ولم تفلح حتى الآلهة في السماوات العليا أن تصلح أو تخفف من جذوة هذا العداء.²⁹ اختفت الشمس خلف الجبل ، ولكنها استمرت تسكب أشعتها الحمراء على السهل المعاكس . عند الغروب يروق للشمس أن تكسو الصحراء بغلالة حمراء من الشعاع³⁰ ترحزحت الشمس عن العرش ، وبدت عليها مسحة الهزيمة وهي تنكسر نحو الغروب، في لحظة الانكسار تبدو الشمس دائماً مهمومة حزينة. ربّما لأنها تودع الصحراء إلى مئوها اليومي الخالد. في الصّباح لا تبدو على وجهها مثل هذه السّمات. في الصّباح تبدو قاسية ، تتوّعد ، وتهدّد الكائنات بالتنكيل والعذاب³¹ الكهوف الظليلة تعطي أعالي الجبل. الطريق إليها يمرّ عبر صخور ملساء وأخرى متوحّشة ، مسلّحة بأحجار كأنياب الوحوش. بين الأحجار تشبّنت أعشاب برّية عتيّدة محاطة بالسنة رملية متناثرة على الرمل الناعم ارتسمت آثار الأفاعي والسّحالي والعظاءات³²

الصورة الثانية: هي علامات مكانية متفرقة تتمثل في الهاوية، والصخرة، والوادي، والكهوف، وبعض الأسماء مثل مساك صفت ،مساك ملّت، وتاسيلي ،وتمانراست، وفرّان إضافة إلى مناطق مثل غات، اغدير، توميكتو ،كانو، والحساونة، إضافة إلى أسماء أخرى

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

وهذه الأماكن ليس بينها تماس ولكنها تصنع مجتمعة تكوينا مكانيا متباعد المواقع، لينشئ فيها علاقات معينة تتداخل فيها حياة الشخصيات حيث يجري وصف هذه الأماكن عبر الشخصية " الرسوم تزيّن صخور الجبال والكهوف في الأودية الأخرى في كلّ مساك صطفت، وقد اكتشفها في صغره عندما كان يهدّه الجري خلف القطيع الشقيّ فيلجأ للكهوف ليستظلّ من الشمس ويفوز بلحظات راحة فيتسلّى بمشاهدة الرّسوم الملونة: صيادون ذوو وجوه مستطيلة غريبة، يركضون خلف حيوانات كثيرة لم يعرف منها سوى الودّان والغزلان والجاموس البرّي. في الصّخور أيضا نساء عاريات يحملن على صدورهنّ أثداء كبيرة جدّا ولا تتناسب مع حجومهن³³، البنية الداخلية وهي فضاء نصي يتعلق بطريقة الكتابة ومساحة الفراغات وأشكالها التعبيرية التي شكلت مجتمعة فضاء داخليا للرواية من منطق الرؤية كما يقترحه "غريماس" فقد انطلق في مفهومه للمكان - أي الفضاء النصي- حسب اقتراحه موضوع مهيكّل يحتوي عناصر متقطعة غير مستمرة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسي متميّز يسهم في تصوير التحوّلات والعلاقات المدركة والمحسوسة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السردي.³⁴

تمثّل الفضاء النصي جملة الاقتباسات التي يفتتح الروائي بها كل فصل في الرواية جاءت الاقتباسات الدينية من القرآن الكريم ومن وسفر التكوين والعهد القديم وعددها أربع اقتباسات، وقد حاول الروائي من خلالها أن يوجد تشابها بين الإنسان والحيوان (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير في السماء إلا أمم أمثالكم) (سورة الأنعام، الآية 37)، وفي الاقتباسات الدينية اعتمد الروائي على فكرة التماهي بين الإنسان والحيوان، وإحلال روح الإنسان في الحيوان والعكس، فالصحراء عنده هي المكان المضاد لمفهوم الفضاء المغلق، وفي الصحراء (الفضاء المفتوح) يتطلب الأمر من الروائي لأن ينشئ صراعا من نوع خاص يتلاءم ومناخها وطبيعتها، كأن يأتي برمز ديني (قاييل) ليدخله في نسيج الشخصيات، أو أن يجعل من الحيوان -كالودان- يحل في روح بشرية يمكنه أن يلغي أي شكل من أشكال الأديان القديمة ليضع بدلا منه تصورا لدين تشترك فيه كل الأحياء.³⁵ في الفضاء النصي

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

(الداخلي) هذا يرتب الروائي العلاقة بينه وبين القارئ عبر الاقتباسات الدينية فهيمن ذلك الإحساس الخفي المجسد للعلاقة بين الإنسان وخالقه، سواء كان هذا الإنسان مسلماً أم مسيحياً، وفي الفصول الثلاثة الأولى تهيمن فكرة الصلاة بوصفها علامة تشد أوصال السرد كلها، وهذه العلامة الموزعة على الفصول تعني وجود تكوين خفي يتحكم بآليات السرد وإن هذا التكوين موجود منذ القدم ومثبت في كتب سماوية كما هو موجود الآن على أرض الواقع الروائي ولعله هنا يمثل هذا التداخل رسالة ما يبثها المؤلف للقارئ وهي أن الأديان كلها تشترك في نسيج واحد من المقولات الموجه للإنسان وتتمثل هنا بأوجه عدة إسلامية حيث الصلاة اليومية، ومسيحية حيث التعمد والقصد للسياحة، ووثنية حيث السجود لمعبودات الوادي ورسومه، "أنا الكاهن الأكبر متخذوش أنبئ الأجيال أن الخلاص سيجيء عندما ينزف الودان المقدس ويسيل الدم من الحجر. تولد المعجزة التي ستغسل اللعنة، تتطهر الأرض ويغمر الصحراء الطوفان" ³⁶.

أما الاقتباسات الأدبية فمعظمها من نصوص متميزة وعددها اثنان، ومحورها الصراع بين الأحياء والطبيعة، منها مثلاً هذا الاقتباس الذي تصدر أحد الفصول "يتسكع في الأدغال بين شقوق الجبال مثل ودان أنهكته الأحزان، يريد أن يفلت مما كتب فاللوح المحفوظ ولكن تظل نبوءات القدر تحوم فوق رأسه أبد الدهر" ³⁷، يحاول الروائي إيجاد توازنات خفية بين نصه الأدبي والنصوص المقتبسة من الآداب الأخرى، وهذه المحاولة تجعل من نصه في موضع اقتباس لاحق، أي الإفصاح عن رؤية أدبية شاملة شبه كونية لموضوعات أكدتها كتب سابقة فكانت موضع اقتباس لاحق، والروائي لا ينشئ مفارقة، كما لا ينشئ تساوقاً إنما ينشئ تجاوزاً ومحاورة زمانية-مكانية من شأنها أن تعيد تركيب النص الروائي من جديد، فالصحراء لوحدها أكثر الفضاءات استيعاباً للأساطير القديمة، ليس على المستوى الكلامي، إنما على مستوى الوجود الواقعي للمكان ³⁸، أما الاقتباسات التراثية فهي نصوص قديمة لأهل الصحراء (الطوارق) لها علاقة بالتعاويد السحرية والأسطورية منها مثلاً الخشية من

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

صيد الودان " ويتشاءم أهالي تاسيلي من صيد الودان فيتمتع الصياد التعاويذ السحرية ويضع حجرا على رأسه ويتقافز على أربع قبل أن ينطلق في رحلة الصيد"³⁹.

الخلاصة:

تعد رواية نزييف الحجر لإبراهيم الكوني من الروايات التي تؤسس لمنحى روائي جديد في التعامل مع الصحراء بوصفها فضاء مكانيًا تدور علي ساحته الأحداث، وتتصارع في كنفه الشخصيات، وتتداخل جميعها ليصوغ الكوني منهما كيانا شعريا متدفقا ومحتويا على تكوينات معرفية⁴⁰، استطاع الروائي جعل الصحراء فضاء مهيمنا قادرا على صوغ أشكال تعبيرية مختلفة من خلال بقع مكانية صغيرة متناثرة، مليئة بموروثات قديمة بما تحمله من قيم جمالية و فنية ليس لها حدود ، ومن الناحية السردية جاءت بنية الفضاء في الرواية منقسمة إلى: خارجي تمثل في فضاء كلي بأمكنة متناثرة على مواقع عدة ، ولذلك تطلب كل موقع منها أن يقدمه الروائي عبر معلومات جديدة ومختلفة عن الموقع الآخر، وفضاء داخلي الذي شغل مساحات الكتابة النصية وجملة الاقتباسات الدينية والتراثية والأدبية ، وقد سعى الروائي إلى إعطاء صورة لهذا الفضاء الواسع مترامي الأطراف ، والعلاقة التي تنشأ بين الإنسان والحيوان، و التداخل بينهما.

تلخص نزييف الحجر رؤية (الكوني) الوجودية، عبر سرده للعلاقة التي تدور بين الإنسان والحيوان، وتجليها في عالم الصحراء وفضائه المفتوح ، حيث إن هذه العلاقة تمثل قمة الصفاء والإخلاص، وهذه العلاقة عند الكوني بمثابة تعبير بالرمز عن جوهر التجربة الإنسانية، حيث يعمل المكان على الكشف عن جوهر الطبيعة البشرية، وعن ترابطها لأساطير الصحراوية التي تدخل في نسيج حياة أهل الصحراء ، كما تكتسب الصحراء في سياق الرواية أبعادا مغايرة لكونها ذلك المستوى الجغرافي بعزلته ، فهي تمثل قيم سمو والصفاء والنقاء، وتعني كذلك الحرية.

الهوامش:

1. تجليات الفضاء الزمكاني في رواية "أوراق" ، أحلام كلتين و إيمان مطاي ، بحث مقدم ضمن متطلبات التخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، الجزائر 2017/2016 ، ص 65
2. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص 33.
3. السابق ، ص 32.
4. النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، ط 3، بيروت، 2000، ص 95.
5. السابق ، ص 4.
6. السابق ، ص 175.
7. المكان في الرواية العربية، غالب هلسا ، دار بن هاني، دمشق، 1989، ص 8.9.
8. جماليات المكان، غاستونباشلار، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط 2، 1984، ص 33.
9. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص 40.
10. السابق ص 41.
11. السابق ص 42.
12. شعرية الفضاء، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 83.
13. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، ص 79.
14. السابق ، ص 20، 29، 30.
15. السابق ، ص 32.

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

16. دلالة المكان في رواية " نزييف الحجر " لإبراهيم الكوني، نسيمه علوي

<http://www.aswat-elchamal.com>

17. تجليات الفضاء الزمكاني في رواية "أوراق" ، أحلام كلتتين و إيمان مطاي ، ص 65

18. السابق ، 69

19. السابق ، 75

20. أهمية-المكان-في النص الروائي، آسيا البوعلي/<http://www.nizwa.com>

21. تجليات المكان في الرواية: المفهوم والعلامة والتأويل ، مصطفى عطية جمعة

<http://www.n-dawa.com>

22. دلالة المكان في رواية " نزييف الحجر " لإبراهيم الكوني ، نسيمه علوي

<http://www.aswat-elchamal.com>

23. نزييف الحجر ، إبراهيم الكوني . نزييف الحجر. دار التنوير للطباعة والنشر. ط3.

قبرص . 1992. ص 8

24. نزييف الحجر، ص 86

25. ينظر: إبراهيم الكوني لغة المكان وتحوله الدلالي محسن المقداد <http://thawra.sy>

26. ينظر: إبراهيم الكوني لغة المكان وتحوله الدلالي ، محسن المقداد، مرجع سابق

27. ينظر: إبراهيم الكوني لغة المكان وتحوله الدلالي ، محسن المقداد، مرجع سابق

28. اعتمد تقسيم الباحث للبنىات في الرواية على ما أورده ياسين النصير ، ينظر : نزييف

الحجر ، دراما الصحراء الذاتية. <http://www.arabicstory.net>.

29. نزييف الحجر ، ص 9

30. نزييف الحجر ، ص 12

31. نزييف الحجر ، ص 13

32. نزييف الحجر ، ص 19

33. نزييف الحجر ، ص 8

د. محمد علي البنداق

بيئة الفضاء الروائي في رواية نزييف الحجر

34. المكان في الرواية العربية، غالب هلسا ، ص 9
35. نزييف الحجر ، دراما الصحراء الذاتية، ياسين النصير، مرجع سابق
36. نزييف الحجر ، ص4
37. نزييف الحجر ، ص74
38. نزييف الحجر ، دراما الصحراء الذاتية، ياسين النصير، مرجع سابق
39. نزييف الحجر ، ص30
40. نزييف الحجر ، دراما الصحراء الذاتية، ياسين النصير، مرجع سابق

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

أ . محمد رمضان عبد الحميد إبراهيم
كلية التربية - الزاوية

مقدمة

في القرن الرابع الهجري ، العصر العباسي الثاني ، بغداد في خلافة الخليفة العباسي الراضي ، الدولة العباسية في حالة ضعف ، دويلات هنا وهناك تنفصل عن الدولة الأم استقل الغزليون في فارس والطولونيون في مصر والحمدانيون في حلب ، ناصر الدولة الحمداني يتمرد على الخليفة الراضي ويستقل بولاية الموصل ، الخليفة الراضي يستدعي سعيد بن حمدان عم ناصر الدولة ويوليه إدارة الموصل على أن يطرد منها ابن أخيه ، إلا أن ناصر الدولة كان أخف إلى الدفاع عن نفسه ، ففتك بعمه وأوقف الخليفة عند حده¹ قتل أبو العلاء سعيد بن حمدان ، وترك بعده زوجة رومية الأصل ، وطفلا في نحو الثالثة من العمر ، هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربيعي ، المعروف بأبي فراس كانت ولادته في الموصل سنة 320 هـ -932 م ، وكان ابن عمه سيف الدولة أميرا ينتقل في خدمة الخليفة ، بين بغداد والموصل وديار ربيعة ، ثم اقتطع لنفسه حمص وحلب واستقل فيهما ، احتضن سيف الدولة ابن عمه الطفل اليتيم ورعاه فشب في كنفه ، وسكن قصر الإمارة في حلب التي كانت محج الأديباء والشعراء ، وعلى رأسهم أبو الطيب المتنبي لم يقض أبو فراس حياته القصيرة في العلم والأدب فقط ، بل زانها بفروسية تجلت ملامحها في صحبته لسيف الدولة ، ليتشكل فيها وعيه السياسي طموحا وعملا ، حتى كان على حد قول الثعالبي " فرد دهره مجدا وبلاغة ، وفروسية وشجاعة " ² ، وكان سيف الدولة يصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله³ ، قال أبو فراس : " غزونا مع سيف الدولة وفتحنا حصن العيون سنة 339 هـ وسني إذ ذاك تسع عشرة سنة " ⁴ ، وبعد أن أثبتت مهارة في قيادة الجيوش ولاه ابن عمه ولاية منبج ، وكانت منبج من أهم الثغور بين إمارة

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

سيف الدولة والروم البيزنطيين ، وحصنا منيعا لحلب ، فتولى شؤونها بشجاعة ونشاط وراح من جهة يدفع عنها هجمات الروم ، ومن جهة يخضع القبائل العربية الثائرة على ابن عمه ⁵، أسر الروم أبا فراس ، وقد تضاربت الآراء في عدد مرات أسره ، فبينما يرى بعضهم أنه أسر مرتين ، ولبث في الأسر سبع سنوات ، يرى بعضهم أنه أسر مرة واحدة ودام أسره أربع سنوات ، وكما اختلفوا في عدد مرات الأسر ، اختلفوا في طريقة الأسر فبينما يرى البعض أنه أسر وهو عائد من الصيد عن طريق كمين أقيم له ، يرى آخرون أنه أسر بعد مواجهة مع العدو ، في معركة أصيب إثرها بسهم في فخذه وبقي نصله فيه ، وأسر البطل المغوار ، واقتيد إلى خرشنة ⁶، ومنها إلى القسطنطينية، ليذوق ذل الأسر وألم الجراح غير أن نفسه تظل صلبة عاتية لا تنكسر أبداً، بل يزداد مع الأيام عتوا وصلابة يطول الأسر، فتكثر أشعار أبي فراس إلى أهله وسيف الدولة وإخوانه ، يطالبهم بالإسراع في اقتدائه ⁷، ولكن سيف الدولة يتباطأ في الفداء، وهنا يختلف الباحثون في أسباب هذا التباطؤ ، فيرجعه بعضهم لجملة نشأت في قلب سيف الدولة ، بينما يرى بعضهم أن الفداء بذل للشاعر مفردا ، فأبى إلا أن يكون ذلك مع سائر الأسرى ، ويرى آخرون أن الأمر الذي حال دون الإسراع في الفداء هو انشغال سيف الدولة ببعض الشؤون الداخلية ، ورد الاعتداءات و المؤامرات الخارجية على الدولة، وفي سنة 355هـ - 966م تم فداء الشاعر فعاد إلى وطنه بعد مرارة شرب كأسها حتى الثمالة ⁸، في سنة 356هـ - 967م وبعد مرور سنة من اقتدائه ، مات سيف الدولة حتف أنفه وخلفه ابنه أبو المعالي سعد الدولة ، وهو ابن أخت الشاعر ، وكان صبيا آنذاك يعاونه على الأمر قرعويه مولى أبيه الذي عمل على إفساد العلاقة بين أبي المعالي وخاله أبي فراس فطلب الخليفة الصغير أبو المعالي من خاله أبي فراس التنازل عن حمص لقرعويه ، فامتنع عن تسليمها ⁹، فوجه إليه جيشا بقيادة قرعويه ، وتمكن من قتله سنة 357هـ - 968م 10 وقد ذكر ابن خالويه أن آخر شعره هو قوله لما أدركته المنية مخاطبا ابنته: ¹¹

أ . محمد رمضان عبد الحميد

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

أبنيّتي ، لا تحزني
كلُّ الأنامِ إلى ذهابِ
أبنيّتي ، صبراً جملاً
للجليلِ مِنَ المصابِ !
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ
مِن خَلْفِ سَتْرِكَ وَالحجابِ
قُولِي إِذَا نَادَيْتِنِي ،
وعيبتِ عن ردِّ الجوابِ :

زينُ الشبابِ ، " أبو فراس
لم يَمْتَعْ بِالشَّبَابِ!

الروميات:

أطلق على قصائد أبي فراس التي نضمها في أسره ببلاد الروم اسم الروميات نسبة إلى البيئة التي قيلت فيها ، كما ورد عند الثعالبي في يتيمته لتميزها عن فنونه الشعرية الأخرى¹² ، أما ابن شرف القيرواني¹³ فقد أطلق عليها الأسريات نسبة إلى الأسر الذي قضى فيه أبو فراس شطرا من حياته ، غير أن التسمية الأولى هي الأكثر شيوعا عند النقاد والباحثين، وقد بلغت قصائد أبي فراس في أسره خمسا وأربعين قصيدة ومقطوعة صور فيها نفسه وحاله في الأسر ، وحث سيف الدولة على اقتدائه وعتب عليه وشكا منه ، لتأخره في أمر فدائه كما عتب على أصدقائه وشكا منهم لتنكرهم له في محنته ، وحن فيها إلى أهله ووطنه وافتخر بماضيه المجيد محاولا التعويض عما يريزح تحته من قيود الأسر ، فأبدى عزة وتجلدا يخالطهما ألم وحسرة ، مما أضفى على شعره صبغة خاصة ، تمثلت في لون باك حزين، وقد صنفت روميته إلى أربعة محاور أساسية :

❖ **المحور الأول الفخر والحماسة** :- يتناول شخصية الفارس البطل التي لم تتبدل في أسره عما كانت عليه قبل أسره ، والتي ظلت متعلقة بماضيتها العظيم وتاريخها الحافل ، ترفد منها حاضرها المؤلم .

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

❖ **المحور الثاني الشكوى والعتاب** :- يتناول شخصية الفارس الشاكي والعاتب ، وهو متصل بالمحور الأول حيث هو ردة فعل ناجمة عن عدم التوقع وانكسار الثقة وانهزام الأمل المرجو .

❖ **المحور الثالث محور العاطفة و الحنين** :- وهو قائم على العلاقة بينه وبين أهله وبخاصة أمه وإحساسه الحزين لمصيرها ، وحنينه إلى وطنه وأحبته وقومه رغم تنكرهم له ، وقد رافق حنينه شعور بالغربة في بلاد الروم .

❖ **المحور الرابع الحكمة** :- وهو قائم عن بعض الحكم التي لخصها الشاعر من تجاربه في الحياة .

كما اشتملت على محاور ثانوية تمثلت في :- الغزل ، والهجاء ، والرثاء ، والأخوانيات.

1. **الفخر والحماسة** :

كان للفخر والحماسة مكانة بارزة في روميات أبي فراس ، وليس بمستغرب من أبي فراس الذي تربي في حجر سيف الدولة ، الذي هيا له من وسائل التأديب والتعليم والفروسية ما لم يتوفر لغيره ، مما مهد له السبيل إلى هذا اللون الأدبي ، فلم تكن تخلو رومية من روميته من هذين الغرضين ، فبالرغم من وقوع أبي فراس في الأسر ، وماجره على نفسية الفارس المغامر الطموح ذي العزة والجاه والسلطان وصاحب الأمر والنهي ، من عيش نكد وحياة بنيسة وذل الأسر ، فقد فيها جل ما يتمتع به من سلطان وثراء وصوله وجولة في ميادين الحروب بيده ولسانه ، إلا أن ذلك لم يفقده جلدته وعزته وكبريائه ، ولم تتبدد شخصية البطل بل ظلت ماثلة في شعره ، ممزوجة بالأسى والحزن وملئمة بذكريات الماضي الحافل بالبطولات ، ويظهر ذلك جليا في أبياته عندما اقتنيد إلى خرشنة أسيرا جريحا ، ولطالما عرفته هذه البلدة بطلا مغيرا فيقول: ¹⁴

إِنْ زُرْتُ خَرَشَنَةَ أُسِيرَا فَلَكُمْ أَحَطَّتْ بِهَا مُغِيرَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ تَنْ تَهْبُ الْمَنَازِلَ وَالْقُصُورَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّبِيَّ يُج لَبُّ نَحُونَا حُوقاً وَحُورَا

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

وتعد السمة البارزة في فخر أبي فراس هي فخره بشعره ونفسه، وادلاله بفروسيته وشمائله ، ولما كان يفخر بقومه ، لتتكر معظم أقاربه له وتباطؤ سيف الدولة في اقتدائه ، ويتضح ذلك في قوله: ¹⁵

وأنا الذي ملأ البسيطة كلها ناري وطنب في السماء دخاني
سلاك كل عظيمة ورادها ضراب هامات العدا طعان
إن لم تكن طالت سني فإن لي رأي الكهول ونجدة الشبان

وما ورد في قصيدته الرائية قوله: ¹⁶

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن مظاهر فخره اعتقاده أن لا أحد يمكن أن يسد مكانه أيا كان فقال: ¹⁶

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى طويل نجاد السيف رحب المقاد
متى تلد الأيام مثلي لكم فتى شديدا على البأساء غير ملهد

وقد تكرر قوله بأسلوب ينضح بالعزة والغيرة كقوله: ¹⁷

إني أغار على مكاني أن أرى فيه رجالا لا تسد مكاني

وقوله: ¹⁸

يضيق مكاني عن سواي لأنني على قمة المجد المؤثل جالس

وأما فخره بقومه فأفضله عند أغلب النقاد والأدباء ما ورد في الرائية وهو قوله: ¹⁹

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسنا لم يغلها المهر

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا وأكرم من فوق التراب ولا فخر

كما يبرر سقوطه في الأسر أنه كان قدرا ، ولم يكن بسبب عجز منه أو ضعف بل كان مغامرة شرف في وجه الانهزامية والتخاذل قائلا: ²⁰

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربه غمر

ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر

وقال...

أصحابي الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعينني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

وأشد فخر أبي فراس ما كان على الروم ، وأقواه هذا الحوار الذي دار بين الشاعر والدمستق في هذه الأبيات :²¹

فويلك من للحرب إن لم تكن لها ومن ذا الذي يمسي ويضحى لها تربا
ومن ذا يلف الجيش من جنباته ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا

ومما تقدم من شواهد يتبين لنا أن أبرز سمة في فخر أبي فراس هي الواقعية ، والبعد عن شطط الخيال ، فهو "شاعر مفخار ، ولكنه متزن عاقل ، ناضج الفكرة ، لا يقول إلا ما يستوحيه من واقع الحال لا جانح الخيال"²²، ومن سمات شعره أيضا "الاعتدال ، وترك الغلو الذي يذهب بالسامع أو القارئ إلى الاشمئزاز والملل ، وأحيانا إلى الازدراء التهكم"²³

2. الشكوى والعتاب :

شكلت الشكوى أبرز ملامح رومات أبي فراس وأصدقها ، فقد " تضافرت عوامل متعددة على ذلك : سجن وأسر وغربة وبعد الأهل والوطن ، وبعد عن المطامح التي كانت تراود أحلامه ، وتأخر افتدائه وتنكر أقرابه وأصدقائه ، والأهم من ذلك حالة أمه العجوز التي كانت تعاني من سوء صحتها ، وخاصة بعد أن وقع وحيدها أسيرا "²⁴، فقد شكوا من الحالة التي آل إليها ، ثم بث بشكواه إلى الله سبحانه وتعالى فيقول :²⁵

عسى الله أن يأتي بخير فإن لي عوائد من نعماه غير بوائد
فكم شالني من قعر ظلماء لم يكن لينقذني من قعرها حشد حاشد

ويصرخ بشكوى أمه المريرة ، ويرسلها إليها كي يخفف عنها ، وإنها لزفرات حارة من قلب ينفطر ألما²⁶ :

يا حسرة ما أكاد أحملها آخرها مزعج وأولها

عليلة بالشام مفردة بات بأيدي العدى معلها

أسلمنا قومنا إلى نوب أيسرها في القلب أقتها

ويزداد ضيقه وعسره ، ويشتد ألمه حين يلتفت فلا يجد من يعينه من أصحابه الكثر الذين كانوا يحيطون به في حال اليسر ، فقد شكوا أبو فراس كثيرا من أصحابه حتى شكوا من الناس كلهم من فرط يأسه منهم :²⁷

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم نئابا على أجسادهن ثياب

ويقرب شكواه بأصحابه شكواه من الزمان فيقول :²⁸

يمضي الزمان وما ضفرت بصاحب إلا ضفرت بصاحب خوان

يا دهر خنت مع الأصادق خلتي وغدرت بي في جملة الإخوان

أما العتاب فهو " من الفنون التي تجيش بالعواطف الزاخرة ، التي يحملها الشاعر نحو صديق كان بينهما مودة وحب ، ثم طرأ على علاقتهما ما شابها وعكر صفوها ، فيعمد الشاعر في عتابه إلى لون من المؤاخذة الرقيقة ، التي يذكر فيها ماضي ودهما ، ويفصل فيها ما كان يربط بينهما من علاقات طبيعية ، في شيء من التقريع الذي يعنف حيناً ويرق حيناً ، ولم يكن العتاب يوجه للأصدقاء فحسب ، بل كثيرا ما كان يوجه للأمرء وذوي السلطان ، وفي هذه الحالة يكتسي بغلالة من المديح الرقيق " ²⁹ وقد كان عتاب أبي فراس في الروميات في معظمه موجها إلى سيف الدولة ، بعضه رقيق يخالطه الود والصفاء ، ومن ذلك قصيدته البائية في قوله :³⁰

أما لجميل عندكن ثواب ولا لمسيء عندكن متاب

وقوله :³¹

فلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب

فقل ماشئت في فلي لسان مليء بالثناء عليك رطب

وعاملني بإنصاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

وعندما يمتنع سيف الدولة عن مبادلة أبي فراس ، ويصر على فداء عام ، يفيض ألم الشاعر عاتبا ، فيشوب لغته لون من الخوف وعدم الطمأنينة فيقول: ³²

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع وفي كل يوم لقية وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر وللبحر حولي زخرة وعباب

أمن بعد بذل النفس فيما تريده أثاب بمر العتب حين أثاب، وتزداد حدة العتاب مع ازدياد مدة الأسر ، " وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب " ³³، فتوجه إلى سيف الدولة بعتاب كأنه تقريع ، يتجاهل فيه شخصيته أميرا فيقول :

بأي عذر رددت والهة عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح رد واحدا ينتظر الناس كيف تقفلها
تلك المودات كيف تهملها تلك المواعيد كيف تغفلها
أين المعالي التي عرفت بها تقولها دائما وتفعلها

ويتناول في عتابه ، فينظر للأخريين على أنهم أقل منه رتبة ، والمحيطون ³⁴ بالأمير لن يعوضوه عن أبي فراس، ولن تجود الأيام بمثله ، وأن قومه بحاجة إليه أكثر مما هو بحاجة إليهم: ³⁵

فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا وأسرع عواد إليها معود
وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكم فتى غير مردود اللسان أو اليد
فلا وأبي ما ساعدان كساعد ولا وأبي ما سيدان كسيد

ويبالغ في عتابه حتى وصل حد اللوم والذم ، حين طعنه سيف الدولة في شهرته التي بناها على حد السيوف وصهوة الكلمة ، " وذلك حين اتهم أبو فراس بقول بعض الأسرى : إن ثقل هذا المال على الأمير سيف الدولة ، كاتينا فيه صاحب خراسان " ³⁴ ، فقال سيف الدولة : ومن أين يعرفه أهل خراسان ³⁵ ، فرد عليه أبو فراس ³⁶ :

أسيف الهدى وقريع العرب علام الجفاء وفيم الغضب

وأصبحت منك فإن كان فضل وبينني وبينك فوق النسب
وإن خراسان إن أنكرت علالي فقد عرفتها حلب

وعندما بلغ هذا الخطاب العنيف سيف الدولة غضب وتوعد ، وأرسل عتابا مرا إلى أبي فراس ليكون زيادة في ألمه ، فينشئ رومية أخرى يستعطف فيها سيف الدولة ، ويملوها بعواطفه قائلاً: ³⁷

زمانى كله غضب وعتب وأنت عليا والأيام إلب
إلى كم ذا العقاب وليس جرم وكم ذا الاعتذار وليس ذنب
فلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب
أمتلي تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمر عليه كذب

ومن خلال الأبيات السابقة، نرى أن شكوى أبي فراس كانت تتسم بالصدق والحزن ، نتيجة لما عاناه ، فيطبع شكواه الخاصة بطابع خاص ، يعبر فيه عما يخالج نفسه من مشاعر وأحاسيس ، فهو يعبر عن شكوى الناس عامة ، وهذا من أسباب خلود الروميات" ومذهب أبي فراس في شكوى حاله وخلانه مزيج من الألوان المتعددة ، وقلما يقصر قوله عن الشكوى وحدها " ³⁸ كما " مزج أبو فراس شكواه ببعض الحكم ، ومزج بين الشكوى والغزل كذلك " ³⁹ ولم يخل عتابه من المدح ، كما أنه يشتد ويلين بحسب الموقف والمناسبة أما عتابه لغير سيف الدولة ، والذي قصد به أقاربه الذين تمنوا عدم خلاصه من أسرهم ، فقد "صور أبا فراس رقيقاً مع أصحابه حذب على خلانه ، وأقل رقة مع أصحاب الحول والسلطان ، وهو بهذه الصفات مثال الرجل الحر ، الذي لا تنسيه السلطة والملك كرامته وعلو همته ، ومثال الرجل المهذب الذي لا يغلظه ما كان له من مكانة وعلو منزلة عن أصحابه ، وإن كانوا أقل منه مكانة " ⁴¹

3. العاطفة والحنين :

تعد القصائد التي نظمها أبو فراس في هذا الغرض من أجمل ما قال ، حيث أنها تلامس الوجدان ، وتبعث العواطف الكامنة ، وتشرك مظاهر الطبيعة في أحاسيسها، فقد توجه

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

الشاعر إلى كل شيء حوله مما يثير شجونه ، ويبعث آلامه ، فقد توجه إلى الليل فيقول مخاطبا الليل وكأنه صديق حميم ، ويبثه نجواه وحزنه وشعوره بالغربة قائلا :

يا ليل ما أغفل عما بي حبابي فيك وأحبابي

ياليل نام الناس عن موجع ناء على مضجعه نابي

ويشارك النجوم حيرته ويتعاطف معها وتتعاطف معه ، في مشاركة وجدانية رائعة فيقول :

ما لنجوم السماء حائرة أحالها في بروجها مثل حالي

أبيت حتى الصباح أرقبها مهتديات في حال ضلال

أما تراها علي عاطفة تكاد من رقة تبكي لحالي

كما يثير شجونه صوت حمامة على غصن شجرة ، أخذت مكانها بالقرب من مكان أسره ، وكأنها تبكي هديلها ، فكانت مصدر وحي لأبي فراس ، فناجها بأبيات شعرية قال فيها :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا لو تعلمين بحالي

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببالي

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة ولكن دمعي في الحوادث غالي

و" أبو فراس الذي أقبل عليه العيد وهو أسير في بلاد الروم ، مضى خياله يخلق فوق دار هناك بمنيج في الشام ، فأحس بالوحشة تكتنف جنباتها ، ورأى أهله يستقبلون العيد لا كما اعتادوا استقباله في طرب وبهجة ، ولم يروا في طلعه حسنا وجمالا"⁴² كالسابق ، فيقول⁴³ :

يا عيد ما عدت بمحبوب على معنى القلب مكروب

يا وحشة الدار التي ربها أصبح في أثواب مريبوب

قد طلع العيد على أهله بوجه لا حسن ولا طيب

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

وقد خالط عاطفته حنينه ، ذلك لأن مبعثهما الألم و"الوحدة التي تفتح صندوق الذكريات ، وشوقه وحنينه إلى مراتب الصبا والأهل والأصحاب ، وقد تذكر الشاعر كل شيء حتى غلاميه منصور وضاف ، وحن إلى كل شيء" 43 ، كما أن شعوره بأحبابه وآلامهم من أجله ، ناجم عن عاطفته الجياشة ، وهذا من خصال أبي فراس ، فيقول : 44

يعز على الأحبة بالشام حبيب بات ممنوع المنام

يببت همومه والليل داج تقلبه على وخز السهام

ويبعث لهم مع صاحبيه في ختام هذه الرسالة سلاما حارا ، فيقول : 45

ألا يا صاحبيا تذكراني إذا ما شمتما البرق الشامي

إذا ما لاح لي لمعان برق بعثت إلى الأحبة بالسلام

ويرسل أبو فراس أبياتا إلى أمه وصبيته ، والذكريات الجميلة تمر مخضبة بألم الفراق

والدموع في عينيه قائلا : 46

لأيكم أذكر وفي أيكم أفكر

وكم لي على بلدتي بكاء ومستعبر

ففي حلب عدتي وعزي والمفخر

ومن حبه زلفة بها يكرم المحشر

وصبية كالفراخ أكبرهم أصغر

وقوم ألفناهم وغصن الصبا أخضر

ويصيح في عاطفة ملؤها التساؤل واليأس :

هل تعطفان على العليل لا بالأسير ولا القتيل

باتت تقلبه الأكف سحابة الليل الطويل

فقد الضيوف مكانه وبكاه أبناء السبيل

كما أن شوقه يتعدى ذلك كله إلى ساح الوغى التي تربي فيها ، فيظهرها عاطفته ممزوجة بالحنين إلى السيوف والحراب : 48

تمر الليالي ليس للنفع موضع لدي ولا للمعتفين جناب
ولا شد لي سرج على ظهر سابح ولا ضربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي في اللقاء قواطع ولا لمعت لي في الحروب حراب

وما سبق من أبيات وشواهد جعلنا نلمس في عاطفة أبي فراس وحنينه الصدق والإخلاص والوفاء ، والانفعال في المواقف المختلفة ، "ولا شك أن الظروف التي حاقت به في أسرهِ من آلام سجن وغربة ، لم يألفها وهو الأمير الشجاع ، ومرض أمه وموتها حسرة عليه كل ذلك جعل أبا فراس سيد شعراء العاطفة والحنين والوجدان ، فلم ينثني يطرق المعاني القريبة والبعيدة وما يمتلك ناحية الشاردة والواردة ، ولم يهدأ له بال حتى كتب له الخلاص ، وعاد إلى موطنه حرا طليفا ينشد قصائده "49 .

4. الحكمة :

الحكمة " العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه ، والعمل بمقتضاها " ، ويقال "إصابة الحق بالعلم والعمل"50، والحكمة باب من أبواب الشعر قديمه وحديثه ، وبالإضافة إلى شيوع الحكمة في شعراء عصره من أمثال أبي الطيب المتنبّي "فالحكمة التي نجدها عند شاعر بني حمدان تعبر عن فكرة مرت بخاطره ، أوحى بها حادث عرض ، فسجلها وصاغها في أسلوبه ، وساقها في الموضوع اللائق بها"51، فالحكمة هي نتاج تجربة يمر بها الحكيم ، وعن نظرتة للحياة ، وقد " استوحى أبو فراس معظم الحكم من ظرفه الخاص المتمثل في أسرهِ وفي موقف أقرابه وأصدقائه ، فكان الشرارة التي أخرجت ما بداخله من حكمة ، فجاء كثير منها معبرا عن حالة الشاعر التي كان يعانيتها ، ومتحدثا عن الصداقة والأصدقاء وما إلى ذلك "52، ومما ميز شعر الحكمة لأبي فراس أنه أخذ طابعا من سلوكه الشخصي المتسم بالعزة والإباء والفخر بنفسه ، ونظرتة لها نظرة إجلال وإكبار جعله يشعر ألا أحد يسد مسده ، فصاغ ذلك في حكم قائلا :53

وهل يرتجى للأمر إلا رجاله ويأتي بصوب المزن إلا السحاب

كذلك شعوره باستغناء أهله عنه ، ومحاولة رجال آخرين أن يصلوا إلى ما وصل إليه
فخانتهم الخطى ، يقول :⁵⁴

فما كل من شاء المعالي ينالها ولا كل سيّار إلى المجد يهتدي

ومن أروع الأبيات في فخره يقرنها بحكمة جميلة قوله :

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسنا لم يغلها المهـر

ويحاول أن يثبت أنه لا غنى عنه ، وأن قومه محتاجون إليه أكثر من حاجته إليهم فيقول :⁵⁴

سيدكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفترق البدر

ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر

ويصوغ حكمة في بيت يضرب به أن الموجودين في غيابه ليسوا كفوا ، وإنما لعدم وجود
الفضل فيقول :

لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا

وفي حديثه عن جيوش الروم المغيرة ينسخ حكمة يذم فيها البغي في الشطر الثاني قائلا :⁵⁷

البغي أكثر ما تقل خيولهم والبغي شر مصاحب الإنسان

كما يصوغ حكما عن الأخلاق، ذاكرا أروع الخلل فيقول :⁵⁸

كذاك الوداد المحض لا يرتجى له ثواب ولا يخشى عليه عقاب

ويؤكد المعنى السابق بمعنى فيه فدائية وإخلاص فيقول :⁵⁹

فمن لم يجد بالنفس دون حبيبه فما هو إلا ما ذق الود كاذب

ويصوغ الحكمة الرائعة (الصبر مفتاح الفرج) في بيت إلى أمه قائلا :⁶⁰

فيا أمتا لا تعدمي الصبر إنه إلى الخير والنجع القريب رسول

ويا أمتا لا تخطئي الأجر إنه على قدر الصبر الجميل جزيل

ويصف أسره في حكمة تصف آلامه وما يعاني قائلا :

تطول بي الساعات وهي قصيرة وفي كل دهر لا يسرك طول

وفي قصيدة إلى أخيه يقول حكمته الذائعة :⁶¹

ومن مذهبي حب الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

وعن تجربة يصف معاملة الصديق الذي سئم صديقه فيقول: ⁶²

إذا الخل لم يهجرك إلا ملالة فليس له إلا الفراق عتاب

وفي حكمة ناجمة عن ثقافة إسلامية تعمقت في نفسه ، يرى أن الاتكال على غير الله

يصبح صاحبه مرمى لسهام الخطوب ، فيقول: ⁶³

إذا كان غير الله للمرء عدة أتته الرزايا في وجوه الفوائد

وفي حكمة أخرى نراه يتحدث عن القضاء والقدر مبررا وقوعه في الأسر قائلا: ⁶⁴

ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر

وعن الدهر: ⁶⁵

وما هذه الأيام إلا صحائف لأحرفها من كف كاتبها بشر

وله فلسفة في الموت وحثيئته فيقول: ⁶⁶

هيهات ما في الناس من خالد لا بد من فقد ومن فاقد

ولكن الحر يسعى كي يبقى في قلوب الناس مخلدا فيقول: ⁶⁷

هو الموت فاختر ما علا لك ذكره فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر

ومما تقدم ، نلاحظ أن الحكمة عند أبي فراس جاءت متناثرة في روميائه ، وليس لها

قصيدة خاصة بها ، كما أنها جاءت معبرة عن نفسيته وظروفه فبرئت من التصنع "وتعبير

هذه الحكم عن مشاعر إنسانية عامة كتب لها الخلود ، كما اتسمت بعض الحكم عن غيرها

من أنها طبعت بطابع الفخر ، إذ تحدثت عن مكانته ، وأخرى عن قومه الذين تناسوه

وتنكروا له " ⁶⁹، أما الأغراض الثانوية في روميائه أبي فراس فهي :

(1) - الرثاء :

إذا كان المديح ذكر محاسن الأحياء ، فإن الرثاء هو ذكر محاسن الموتى ، وكما أن أبا

فراس لم يكثر من المدح في روميائه فإن رثاءه كان قليلا إذا ما قورن بالأغراض الأخرى

ويرجع ذلك إلى سببين رئيسيين ، الأول مكانته كأمرير وفارس يرى في نفسه مالا يراه في

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

غيره ، وثانيهما الأحداث التي عاشها الشاعر من أسر وغربة وتكرر الأهل والأصحاب فاقتصر رثاؤه في الروميات على نفسه وأقاربه ، فقد رثى أمه وابن أخته وأخت سيف الدولة.

فحينما طال أسر أبي فراس زاد أساه على أمه ، وشعوره بمصابها في فقد وحيدها وهي تطرق أبواب سيف الدولة وتذرف الدموع وجفاء سيف الدولة وغيره ، وهو يقول الشعر ويشكو ، وهي تزداد عليه لوعة وكمدا حتى اكتملت مأساته بفقدها ، فانهالت عليه الألام من كل حدب وصوب ، فنراه ينشجها في أبيات يرسل فيها " ذوب نفسه ونفثات حشاه الجريح وصبايات قلبه الراعف بالجراح ، حتى يخيل إلينا أنا نسمع نشيج بكائه"⁷⁰ فيقول :⁷¹

أيا أم الأسير سقاك غيث بكره منك ما لقي الأسير

أيا أم الأسير سقاك غيث إلى من بالفدى يأتي الأسير

أيا أم الأسير لمن تربي إذا مت الذوانب والشعور

ويختم قصيدته بيت رائع يصور فيه ألام عزاء يشفيه إلا لقاءها بالموت فيقول:⁷²

نسلني عنك أنا عن قليل إلى ما صرت في الأخرى نصير

ويموت أبو المكارم ابن سيف الدولة ، ويعلم أبو فراس بوفاته ، وكان الفقيد ابنا لأخته ،

فأرسل من أسره قصيدة يعزي فيها سيف الدولة فيقول :⁷³

يا عمر الله سيف الدين معتبطا فكل حادثة يرمى بها جلد

يبكي الرجال وسيف الدين مبتسم حتى عن ابنك تعطى الصبر يا جيل

ومن مرثيته المؤثرة مرثيته لأخت سيف الدولة ، إذ أرسل إليه من سجنه يعزيه بها:⁷⁴

أوصيك بالحزن لا أوصيك بالجلد جل المصاب عن التعنيف والجلد

إني أملك أن تكفى بتعزية عن خير مفتقد يا خير مفتقد

بي مثل مابك من حزن ومن جزع وقد لجأت إلى صبر فلم أجد

وختم رثاءه بتذكير سيف الدولة بفدائه ، ولم يصرح بل يعرض فيقول:⁷⁵

يا مفردا بات يبكي لا معين له أعانك الله بالتسليم والجلد

هذا الأسير المبقى لا فداء له يفديك بالنفس والأهلين والولد

ومن خلال أبياته السابقة في الرثاء يتبين لنا أن الشاعر "ميز شعره عاطفته الصادقة فصلة المرثي القوية بالشاعر أدت إلى إجادته التعبير عن الحزن ، وتصوير اللوعة والأسى"76 كما مزج رثاءه ببعض الأغراض كالشكوى في رثائه لأمه ، وطلب الفداء في رثاء أخت سيف الدولة والحكمة ، كما طبع رثاؤه بأسلوب خاص تمثل في كثرة التكرار والاستفهام وبدأ يعرض قصائده كأنه يرثي نفسه .

(2) – الإخوانيات :

"يقصد بها ما كان يدور بين الأصدقاء من الشعراء تدفعهم إليه الأخوة الصادقة ، ومن أقوى العوامل التي ساعدت على انتشار شعر الإخوانيات استعماله في أغراض مختلفة"77 وتعد إخوانيات أبي فراس في الأسر من أرق الإخوانيات ألفاظا وأحرها عاطفة إلا أنها محدودة العدد إذا قيست بما قاله قبل الأسر ، لتتكرر أصدقائه له .
كتب أبو فراس إلى أخيه أبي حرب بن سعيد ، قصيدة يعاتبه بها ويصور فيها شوقه إليه ومالحته عند أسره كأنه يراه :78

أعلم ما يلقي نعم يعلمونه علي النأي أحباب لنا وحبائب
أبقى أخي دمعا أذاق أخي كرى أأب أخي بعدي من الصبر أتب
تجاوزت القربى المودة بيننا فأصبح أدنى ما يعد المناسب
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة تناقل بي فيها إليك الركائب

وأرسل إلى أخيه أبي الفضل يعاتبه على ترك الزيارة ، وهما أسيران ، إنما لم يترك أبو فراس مع الأسرى إكراما لمنزلته وعلو شأنه ، فيقول :79

أترك إتيان الزيارة عامدا وأنت عليها لو تشاء قدير
فكم كان رأيي في لقائك نافذا ورأيك فيه ونية وفتور
يضيق عليا الحبس حتى تزوره فما هو إلا روضة وغدير

أ . محمد رمضان عبد الحميد

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

فأبياته في الإخوانيات نلاحظها اختلطت بعدة أغراض ، كالمدح والفخر والشكوى والعتاب والحكمة ، كما برزت فيها سمات عامة تمثلت في الشوق والدعاء الصادق ، وإبداء النصيح الصادق والصبر والحفاظ على الصديق .

كما يمكن القول "أن الرسائل التي تبودلت بين أبي فراس وصحبه تعد من الأدب الرفيع ، صدقا وعاطفة وقوة أداء"⁸⁰ .

(3) الغزل :

جعل أبو فراس الغزل مقدمة لبعض قصائده ، واتخذ الرمز وسيلة من وسائل التعبير ، فقد بدأها بالمقدمة التقليدية في الشعر القديم ، بالوقوف على الأطلال ، فقال في إحدى رسائله لسيف الدولة:⁸¹

فرض عليا لكل دار وقفة تقضي حقوق الدار والأجفان
يا واقفان معي على الدار أطلبها غيري لها إن كنتما تقفان
منع الوقوف على المنازل طارق أمر الدموع بمقلتي ونهاني
وبمقدمة غزلية ، بدأ أبو فراس عتابه لسيف الدولة فيقول:⁸²

أما لجميل عندكن ثواب ولا لمسيء عندكن متاب
إذا لم أجد في خلة ما أريده فعندي لأخرى عزمة وركاب
وليس فراق ما استطعت فإن يكن فراق على حال فليس إياب
كما بدأ رسالة لأحد أصحابه بمقدمة غزلية رقيقة ، قال فيها :

وقفنتي على الأسي والنحيب مقلتنا ذاك الغزال الريبب
هل لصب متيم من معين ولداء مخامر من طبيب
كن كما شنت من وصال وهجر غير قلبي عليك غير كنيب

وقصيدته الرائية المشهورة هي أول ما نظم في الأسر، وقد أجمع الأدباء والنقاد على أنها من أروع ما قيل من عيون الشعر العربي ، فقد بنيت على غرضين بارزين هما الغزل

والفخر ، جعل فيها المقدمة الغزلية على شكل حوار ممتع يشد السمع والقلب مخاطبا فيه نفسه قائلا :⁸³

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سر

وقد نم الغزل في روميات أبي فراس على السبيل على نهج الأقدمين في ذكر الرسوم والوقوف على الأطلال ومخاطبة الخليلين ، وقد ميز غزل أبي فراس أنه جاء في صورة فيها عزة وكرامة وجلد ، ولم يبالغ في التذلل لمن يحب ، إذ أنه مزج بين الفخر و اعتداده بنفسه وبين الغزل ، فجاءت أبياته بلغة الفرسان نلمس فيها روح الفتوة ، كما أشار د. أحمد بدوي ، أن "غزل أبي فراس قصير النفس ، لا يكاد يتجاوز ما أنشأه للغزل قصدا البيتين والثلاثة غالبا ، مكتفيا بذلك التعبير عما ألم به من انفعال سريع"⁸⁴ .

(4) الهجاء :

الهجاء من أقل الأعراض التي نظم فيها أبو فراس قيل الأسر وبعده وقد قصر هجائه في الروميات على الروم ، فقد هجا القائد الرومي الدمستق لوصفه العرب أنهم ليسو فرسانا ولا يعرفون الحرب ، حيث قال : "إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام"⁸⁵ ثم أنشد :⁸⁶

أتزعم ياضخم اللغاديد أننا ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسدا وكنت بها كلبا
بأقلامنا أحجرت أم بسيوفنا وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتب

ثم أخذ يذكره بالقواد الروم الذين قضى عليهم سيف الدولة فقال:⁸⁷

تفاخرنا بالطعن والضرب في الوغى لقد أوسعتك النفس يا بن استها كذبا
وجدت أباك العليج لما خبرته أقلكم خيرا وأكثركم عجبا

أما هجاؤه العام فقد كان قليلا ومنه قوله :⁸⁹

إلى الله أشكو أننا بمنازل تحكم في آسادهن كلاب

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

فمن خلال ذلك يتضح لنا قلة شعره الهجائي ، ويعود ذلك لنبل الشاعر وترفعه عن السباب ، كما أن هجاءه كان دفاعا عن الدين والوطن ، وقد مزجه بالفخر .

الخاتمة

من خلال بحثي هذا الذي حاولت أن أخص فيه مرحلة من حياة الشاعر أبي فراس تمثلت في أسره في بلاد الروم والشعر الذي نظمه وسمي لذلك بالروميات ، فقد عاش أبو فراس حياة مليئة بالمواقف والأحداث والتقلبات مما أثرى نتاجه الشعري بشكل واضح ، أي أن شعره كان منطلقا لدراسة شخصيته وميوله في الحياة بكل جلاء ، ومن ذلك رغبته الدائمة في أن يكون في المقدمة ، وطموحه الدائم نحو المعالي و السلطة، وهو أمر لا يخفى في شعره ، فمن ناحيته كمبدع أرى أنه وظف شعره بأن عبر به عن مشاعره ، وكشف من خلاله تجربته الشعورية لنفسه ولملتقي فنه ، فلقد أوصل الرسالة التي أرادها الشاعر للمتلقي وقد أوجت صورها بما يحمله الشاعر من عاطفة و وجدان ومشاعر ، فأقنعت المتلقي بأن أشركته تجربة الشاعر، وحالته الوجدانية التي حملتها الصورة الفنية .

وأخيرا إن حياة هذا الشاعر الذي لم يعيش طويلا ، وشعره جدير بأن تشذ الهمم لتتناول جميع جوانبه بالدراسة العميقة المفيدة ، فأقل ما يمكن أن يقال : إن حق أبي فراس علينا أن يدرس شعره دراسة وافية ويصنف في مصاف الشعراء العرب المبدعين والحمد لله رب العالمين

الهوامش

1. الجامع في تاريخ الأدب العربي / حنا الفاخوري - ص 820 .
2. بيتيمة الدهر / الثعالبي 1 ص 27 .
3. ن م / ص 27 .
4. كتاب أبو فراس / رودلف دوفوراك ، طبع ليدل 1895 ص 342 .
5. محاولة القرامطة دك أركان الإمارة الحمدانية والاستيلاء على البلد .

أ . محمد رمضان عبد الحميد

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

6. خرشنة : حصن على الفرات قرب ملطية .
7. عصر الدول والإمارات / شوقي ضيف، ص 224
8. الجامع حنا الفاخوري ص 822
9. أخبار الدول / القرماني ص 226
10. وفيات الأعيان / ابن خالكان 2 / 61
11. الديوان 47/2
12. البيتمة 1 / الثعالبي ص 47 ومابعدھا
13. أعلام الكلام ورسائل الإنتقاد / 52
14. الديوان 2 : 208
15. الديوان 3 : 409
16. الديوان 2 : 213
17. الديوان 2 : 79 - 80
18. الديوان 3 : 410
19. الديوان 2 : 235
20. فنون الشعر : 264
21. الديوان 2 :
22. الديوان 2 : 36
23. شاعرية أبي فراس / نعمان الكنعاني - المطبعة ؟ : 21
24. شاعرية أبي فراس : 18
25. حياته وشعره : 295
26. الديوان 2 : 4
27. الديوان 3 : 330 - 331

28. الديوان 2 : 22
29. الديوان 3 : 409 – 410
30. فنون الشعر: 384
31. الديوان 2 : 24
32. الديوان 2 : 29
33. الديوان 2 : 25
34. اليتيمة 1 / 99
35. الديوان 3 : 332
36. الديوان 2 : 80
37. نسب الثعالبي هذا القول إلى أبي فراس مباشرة ، اليتيمة : 97
38. نشوار المحاضرة : 1 / 112 والديوان : 2 / 25-26
39. الديوان : 2 / 26-27
40. الديوان 2 : 28
41. فنون الشعر: 373
42. حياته وشعره : 303
43. شاعرية أبي فراس : 67
44. شاعر بني حمدان : 156
45. الديوان : 2 / 29
46. شعر الصراع مع الروم : 283
47. الديوان 3 : 371
48. الديوان 3 : 375
49. الديوان 2 : 206 - 207

50. الديوان 2 / 23
51. فنون الشعر : 373
52. تاج العروس – الزبيدي : 253
53. شاعر بني حمدان : 118
54. حياته وشعره : 325
55. الديوان 2 : 33
56. الديوان 2 : 80
57. الديوان 2 : 213-214
58. الديوان 2 : 114
59. الديوان 2 : 24
60. الديوان 2 : 33
61. الديوان 2 : 316
62. الديوان 2 : 30
63. الديوان 2 : 83
64. الديوان 2 : 83
65. الديوان 2 : 209
66. الديوان 2 : 209
67. الديوان 2 : 81
68. الديوان 2 : 213
69. أنظر حياته وشعره : 324
70. الشعر في رحاب سيف الدولة : 206
71. الديوان 2 : 217

أ . محمد رمضان عبد الحميد

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

72. الديوان 2 : 218

73. الديوان 2 : 275 - 276

74. الديوان 2 : 70

75. الديوان 2 : 71

76. أنظر الشعر في رحاب سيف الدولة : 201

77. الشعر في ظل سيف الدولة – د. درويش الجندي 1959 مكتبة الأنجلو المصرية :

250 - 251

78. الديوان 2 : 33 - 34

79. الديوان 2 : 214 - 215

80. شاعر بني حمدان : 124

81. الديوان 3 : 407 - 408

82. الديوان 2 : 22

83. الديوان 2 : 209 – 210

84. شاعر بني حمدان : 79

85. اليتيمة 1 : 106

86. الديوان 2 : 36

87. الديوان 2 : 37-38

88. الديوان 2 : 23

المصادر و المراجع

1- الجامع في تاريخ الأدب العربي – حنا الفاخوري – دار الجيل للطبع والنشر – بيروت

–لبنان – 1426 هـ / 2005م

أ . محمد رمضان عبد الحميد

روميات أبي فراس الحمداني دراسة في أغراض الشعر

- 2- أبو فراس الحمداني – حياته وشعره – عبد الجليل حسن عبد المهدي – مكتبة الأقصى – عمان – الأردن – الطابعون – جمعية أعمال المطابع التعاونية – 1401هـ / 1981م
 - 3- أعلام الكلام _ أو _ رسائل الانتقاد – ابن شرف القيرواني – مطبعة النهضة بمصر – 1344هـ / 1926م
 - 4- ديوان أبي فراس الحمداني – تحقيق د. سامي الدهان – المطبعة الكاثوليكية بيروت – 1945م
 - 5- شاعر بني حمدان – د. أحمد أحمد بدوي - 1949م / 1950م – مكتبة الأنجلو المصرية
 - 6- شاعرية أبي فراس – د. نعمان ماهر الكنعاني – د . ط
 - 7- شعر الصراع مع الروم – د. نصرت عبد الرحمان – مكتبة الأقصى – عمان – الأردن - 1397هـ / 1977م
 - 8- الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني – د . سعود عبد الجبار – مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان – 1981م
 - 9- الشعر في ظل سيف الدولة – د. درويش الجندي 1959م – مكتبة الأنجلو المصرية
 - 10- نشوان المحاضرة و أخبار المذاكرة – القاضي أبي علي التنوخي – تحقيق عبود الثالجي المحامي – 1391 هـ / 1971م – د .
 - 11 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خالكان – تحقيق حسين عباس – دار الثقافة بيروت – لبنان – 1397هـ / 1977م
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – أبو منصور عبد ا

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

د. جميلة محي الدين البشتي
كلية الآداب/جامعة الزاوية

المقدمة :-

يعد التصوف أحد فروع الفلسفة الإسلامية، بوصفه تحقيقاً لكمال الروحي بحسب عقيدة الإسلام وشريعته؛ فحقيقة التصوف بوصفه كمالاً روحياً لازماً للإنسان ليصل إلى أعلى مراتب الكمال الإنساني، ولا يتم له ذلك إلا بعد الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى. تعددت تعريفات التصوف عند المتصوفة، إلا أنهم يجمعون على أنه طريقاً إلى الله تعالى، غايته معرفة الله سبحانه وتعالى. وتلك المعرفة أساسها الكشف والشهود، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلا من لزم في مبادئه وقطع مراحل الطريق إليه حتى يحصل له من فيوضات الحق على قلبه ما لم يحصل عليها غيره. فالتصوف يهدف إلى ضبط أو قهر الشهوات لدى المرء، وإحداث نوع من التوازن النفسي عند الصوفي، الأمر الذي يجعله متحرراً من كل مخاوفه، شاعراً براحة نفسية عميقة أو طمأنينة تتحقق معها سعادته. إن المنهج الصوفي قائم على سلوك معين يبدأ بالإرادة الذاتية لمرء الذي يريد الوصول إلى معرفة الحق، وتلك الغاية لا تتحقق إلا من خلال العبادة والطاعة والرياضة والمجاهدة بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله تعالى، فتتحقق له معرفة الحق بواسطة الذوق أو الكشف، الذي هو نور الإلهي الذي يقذفه الله في قلب الصوفي. لهذا يحدد الرازي شروط لتحقيق الكمال الروحي للإنسان، والتي تتمثل في العبادات والطاعات، وحثه على القيام بها، باعتبار أنها كمال لأعمال الظاهرة والباطنة، إلى جانب الاهتمام بالتفكير والتدبير في الكون و مخلوقات الله سبحانه وتعالى؛ إلى جانب أيضاً تصفية النفس من علائق البدن وشواغله وشهواته، على اعتبار ذلك كله وسائل لترقي الروحي

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

للإنسان. من أجل الوصول إلى معرفة الحق تعالى، وتلك هي الغاية التي يسعى إليها الصوفية.

المعرفة عند الصوفية صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله تعالى في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، ومن هنا كانت من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى، فمن ازدادت معرفته، ازدادت هيئته.

إن هذه المعرفة الذوقية لها علاقة مع الفناء عن كل ما سوى الله تعالى، والفناء بدوره يتجه إلى ذوق التوحيد وشهود الفعل لله تعالى وحده وهذه الحالة العرفانية هي التي تحقق مقام العبودية الكاملة التي يتعين أن يكون عليها الإنسان الكامل في نظر الرازي. وبذلك سوف يحصل هذا الإنسان الكامل على أعلى مراتب السعادة الروحية، لأن لذة معرفة الله عند الرازي تفوق كل ما عداها من اللذات الحسية أو النفسانية، من عرف الله تعالى، صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلقين، وأنس بالله تعالى.

أن الإشكال الموجود في هذا الموضوع فهو هل تعتبر المعرفة الصوفية كمالاً روحياً ضرورياً للإنسان؟ وما هي العلاقة بين المعرفة الصوفية والتوحيد والمحبة والسعادة؟ وكيف الوصول إليها؟

يهدف هذا البحث إلى محاولة التعرف على واحد من الجوانب المهمة في تراثنا، وهو جانب التصوف الإسلامي من خلال إحدى رجاله وهو فخر الدين الرازي. لتوضيح الإبعاد الصوفية عنده من خلال عرض لأهم آراءه في المعرفة الصوفية وتحديد مفهوما وعلاقتها بمصطلح التوحيد والمحبة والسعادة. متبعاً في ذلك المنهج التحليلي. وقُسم البحث إلى مقدمة وأربعة عناصر وخاتمة.

المبحث الأول - المعرفة الصوفية تعريفه وحدودها :

يعتبر الرازي التصوف هو الطريق إلى معرفة الحق تعالى، وهو التصفية والتجريد من العلائق البدنية، وهذا ما ذهب إليه المتصوفة على اعتبار الطريقة هي أساس التصوف، وهي تركز على تجريد النفس من العلائق الجسمانية، وتصفيته من كدوراتها النفسانية، مع التزام بالعبادات والطاعات ومجاهدة النفس تخلي عن شهواتها وتحلي بالأخلاق الفضائل، فيصل إلى المعرفة العرفانية، ويدرك صاحبها الألوهية شهوداً أو مكاشفة، فإذا لم تحصل هذه التصفية فلن تصل النفس إلى غايتها المنشودة، لأنها مشغولة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات؛ فلن تصل إلى تحقيق التصفية للظاهر والباطن، لأن طريق معرفة الله تعالى مبنية على تصفية القلوب بتخليها عن الرذائل وتحليها بالفضائل(2). لذلك لا يمكن الحصول عليها بسهولة إذ لا بد من تصفية النفس وقطع علائق المادة، وإفقال حجب الحس والعقل، والغيبية الكاملة عن هذا العالم والتأمل الصرف في الحقيقة وطلبها بإلحاح، وهنا تشرق أنوار المعرفة في البصيرة.

يعتبر التصوف عند الرازي في المقام الأول طريق إلى معرفة الله تعالى(3). والمقام في اصطلاح الصوفية مقام العبد بين يدي الله تعالى فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله. أما الأحوال فهي ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات كالمقامات(4). كما تتوقف المعرفة عنده على طريقين، أحدهما طريق النظر العقلي، والآخر عن طريق تصفية ورياضة النفس من أجل تطهيرها من كل العوائق التي تحول بينها وبين معرفة الحق تعالى، فإذا حصلت لها هذه التصفية. والتي يقصد بها الطهارة الباطنية، صارت عندئذ محلاً لتجليات الحق تعالى، لأنها تطهرت من دنس الأوساخ البدنية والقاذورات الجسمانية، أشرقت بأنوار الجلالة وتجلي فيها أضواء عالم الكمال(5).

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

فأساس طريق التصفية مرهون بتجريد النفس من علائق الجسمانية والشواغل الدنيوية، ليتسنى للمرء بعد ذلك أن يظفر بمعرفة عن الحق أو بالحق تعالى. ولكي يتأتى له ذلك، فلا بد له أن يُزيل عن قلبه حب الدنيا وزخارفها الفانية، ولا يطلب إلا الضروري منها؛ بذلك يصير قلبه مشتغلاً بالنظر إلى صفات الجلال والإكرام، وفي مشاهدتها يحصل بذل النفس والمال، فيصير المرء شهيداً ومشاهداً لعالم الجلال ومكاشفاً بنور الجلال(6)

ولاشك أن هذه المعرفة الذوقية حاصلة عند الصوفية الآخرين، لأن ما يحول دون حصول الإنسان عليها يرجع إلى تعلقه بشواغله الدنيوية وتلبية مطالبه الجسمانية، وتبعاً لذلك فإذا أمكنه أن يحقق طهارة القلب والقالب، أمكنه بالتالي أن ينال هذه المعرفة، فستشرق عليه الأنوار في قلبه وتتوالى عليه موجبات السعادة(7). لهذا يُعرف الرازي التصوف بأنه علم تصفية الباطن وظهور الأنوار الروحانية والمكاشفات الإلهية(8). وكما أن الرازي يرفض أن يُهمل العقل من أجل طلب الكمال الروحي، لأن بالعقل يظل الإنسان مهتماً ارتقى مدارج الحياة الروحية موصوفاً بالعبودية، عارفاً بمقامه كعبد، كما أنه عارف تماماً بمقام الربوبية. وفي نفس الوقت يظل قائماً بأداء تكاليفه الشرعية؛ ولهذا يرفض الرازي من يرى أنه وصل، ومن ثم فقد حق له أن يترك أداء التكاليف الدينية من الصلاة والصوم وزكاة وغيرها، بزعم الوصول إلى النهاية في مدارج الطريق إلى الله تعالى(9). وعليه فهو يرفض الصوفية الذين يدعون محبة الله تعالى وهم ليس لهم نصيب في شيء من الحقائق، بل يخالفون الشريعة، بقولهم أن الحبيب رفع عنا التكاليف؛ أو زعمهم ليس لهم حاجة إلى القيام بالعبادات أو الالتزام بالطاعات.

تأسيساً على ذلك، فإن الرازي يجمع بين النظر العقلي والذوق الصوفي الناتج عن التصفية ورياضة النفس، لأن النظر العقلي يعده ضابطاً لما قد يقع فيه العارف من أخطاء حين يعتقد أنه قد وصل إلى مرحلة المكاشفة، فيسمح لنفسه أن ينطق بعبارات عما لا ينبغي النطق بها، كما هو الحال عند أصحاب الشطحات، أو يسقط عن نفسه أداء التكاليف الشرعية، من العبادات والطاعات لا اعتقاده بالوصول إلى أقصى درجات في المحبة والقرب

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

الله سبحانه وتعالى. وذلك ما يشير إليه الرازي بأن الطريق إلى معرفة الله تعالى تأتي من ناحيتين، أحدهما طريق أصحاب النظر العقلي والاستدلال وهو طريق الفلاسفة والحكماء الإلهيين، والطريق الآخر لأصحاب الكشف والمشاهدة الذوقية وهم الصوفية(10).

يبين لنا الرازي كيفية الوصول إلى المعرفة الإلهية، وذلك من خلال التصفية الحاصلة للنفس بعد تجريدها من العلائق الجسمانية والشهوات النفسانية، فيشتغل العارف بتصفية قلبه بمداومة على ذكر الله وكثرة الطاعات، فيقع في قلبه نور وضياء وحالة قاهرة وقوة عالية. فيتجلى لجوهر النفس أنوار عالية علوية وأسرار إلهية، وهي مقامات ما لم يصل المرء إليها لا يمكنه الوقوف عليها على سبيل التفصيل(11). وهو ينبه على مقامات لا بد من الوقوف عليها ليصير ذلك التنبيه سبباً للاحتراز على الأنماط الواقعة فيها(12). وهنا ينبه الرازي أصحاب هذا الطريق أن هناك أخطاء قد تحدث نتيجة من فرط ما قد يحدث لهم من أحوال، وما يعاينون من مكاشفات، فلا بد لهم من النظر العقلي وتلازمه مع الرياضة والتصفية، لأنه بمثابة لجام لصوفي في مثل هذه الأحوال، إذ يحول بينه وبين الوقوع في تلك الأخطاء، كما هي عند غلاة الصوفية وأصحاب الشطحات.

ومن هنا يرى الرازي أن التصوف ما هو إلا كمالاً للنفس الإنسانية بحيث تصبح في إقبال دائم على الحق وإعراض عن الخلق. وهذا هو شأن النفوس الكاملة، أما النفوس الغير الكاملة فهي دوماً في إعراض عن الحق تعالى وإقبال على الخلق(13). وبذلك أفسح الرازي عقله وقلبه لهذه النزعة الصوفية، ولأجل هذا جاء التصوف عنده جامعاً بين العقل والذوق. أن الطريق الوصول للمعرفة الذوقية عند الرازي ليس صعباً على الإنسان الوصول إليها، بل هو مرهون بمقدرته وجهده واستعداده له، لأن هذه المعرفة مرهونة بالتطهير النفس بوصفها وسيلة لحصول هذه المعرفة، ويعد هذا الجانب حد مشترك في كل أنواع التصوف. وعليه فإن حقيقة هذه المعرفة الصوفية عند الرازي تتمثل في قيام الإنسان بهذه التصفية أو التطهير ليحصل منها على المعرفة، وذلك حين يصبح قلبه محلاً لأنوار هذه المعرفة الإشرافية(14). أما إذا كان المرء مرتبطاً بالأشياء الدنيوية، فلا يستطيع الوصول إلى

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

معرفة الحق، لأن قلبه خالياً من ذكر الله تعالى، ومملوءاً بالهوى الداعى إلى الاشتغال بالخلق(15). فلا يحظى بإشراق النور في قلبه الذي يعتبره الرازي أساس معرفة الله تعالى(16). وذلك ما يؤكد الرازي بقوله أن الله قد نور من أسمه النور قلوب العارفين بتوحيده ونور أسرار المحبين(17). ويستشهد بذلك الرازي بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر، الآية: 21]. وفي ضوء هذه الآية يرى الرازي أن الله يُزيل عن صدور المؤمنين من عباده الغل والحقد والحسد والمكر والخداع والكذب وغيرها من الأخلاق الرذيلة، فتصبح قلوبهم أوعية لعلم الله ونوره(18). أما من يريد الله الهداية فإنه يشرح صدره، ومن يريد له الضلال فإنه يجعله ضائعاً بالقضية كلها. وهذه الحقيقة سماها القرآن انشراحاً، الانشراح حدث لا يقع إلا بقدره من الله، ويخلقه ويبرزه لمن تتجه فطرته إلى الحق. وأما الذي تعرض فطرته عن الحق فإنه يجد في صدره حرجاً وضيقاً.

ويتضح من ذلك، أن المعرفة الصوفية بوصفها نوراً يقذفه الله في قلب المرء تستند على طهارة النفس على كل ما سوى الله تعالى، وتستلزم في ذات الوقت المداومة على الطاعة والعمل الصالح وتقوى الله، فإن تحقق للمرء هذا الأمر بتمامه صار بفضل هداية الله تعالى له حاصلاً على هذه المعرفة الحقّة.

المبحث الثاني - موقفه من المعرفة والمحبة :

يعد الصوفية معرفة الله بصفاته أصل الإيمان، والمحبة ركن من أركان التوحيد، وشرط من شرائط الإيمان، ولذلك فالمعرفة بالله تعالى تصح بالمحبة؛ وفي هذا المعنى قال الشبلي: "من علامة المعرفة المحبة، لأن من عرفه أحبه"(19). ونستدل من ذلك ارتباط المعرفة بالمحبة، وهذا ما نجده عند الرازي بأن المحبة الكاملة إلى الله تعالى مرهونة بالفناء في محبته تعالى والأعراض عن سواه، وهما في الحالتين معاً - المعرفة والحب - أساسهما الإعراض عن الخلق وطلب الحق تعالى. فالعارف إذا عرف الله المعرفة الكاملة ففي

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

هذه الحالة لا يحب إلا سواه، ولا يتوجه إلا إليه ولأجل ذلك يتعين عليه أن يكون بقلبه وقلبه لله تعالى، فيحبه المحبة الكاملة ويفنى بمحبته عن سواه.

إن المحبة بهذه الكيفية هي التي يحققها العارفون الذين انكشف لهم أن الكمال محبوب لذاته، وأن أكمل الكاملين هو الحق تعالى؛ لأن وجوده هو الوجود الحق، وأنه بوجوده هذا غنى عن كل ما سواه، إذ الكل مفتقد إليه(20). أن المحبة الحقيقية تركز على زهد الإنسان في الأشياء المادية، من أجل ارتقائه إلى مرتبة من المحبة الروحية مبنية على تصور الكمال المطلق، وهي محبة الله، بمعنى محبة الله لذاته لا لثوابه وإحسانه. وكلما كان إطلاع الإنسان على دقائق حكمة الله أكمل كان حبه له أتم(21).

يذهب الرازي إلى أن المعرفة التامة لله وحده، والتي تتطلب محبته تحصل للكامل من عباده في بداية الطريق ونهايته. وذلك بالتفكير في عجائب مخلوقاته بالإضافة إلى ما يقوم به المرء من الرياضات الروحية، الكفيلة بأن تفضي به إلى كمال المعرفة بربه، لأن من كان عمله بكمال الله أتم، كان حبه له أتم. ولما كان لا نهاية لمراتب وقوف المرء على دقائق حكمة الله تعالى. فلا جرم لنهاية مراتب محبة العباد لحضرة الله تعالى(22). وهنا يتفق الرازي مع أغلب الصوفية ممن يجعلون المعرفة ضرورية لكمال محبة الله، ل أن من عرف الله تعالى بصفاته فبالضرورة يحبه(23). وهذا ما ذهب إليه الغزالي، حيث لا يتصور أن يكون هناك محبة لله تعالى إلا بعد معرفة وإدراك، لأن الإنسان عنده لا يحب إلا من يعرفه(24).

بناءً على ذلك، فكلما ازدادت معرفة الإنسان بربه زادت في الوقت ذاته محبته له، وعندما تصير هذه المحبة ذاتها سبيلاً لمعرفة الحق تعالى معرفة تمكن في قلبه وتخرج ما سواه. وفي هذه الحالة يكون العارف المحب لله لا يرى غير محبوبه ولا يتعلق إلا به، ومن ثم فلا تزال تتعاقب محبة الله وتنفر عما سواه. ذلك النفور يوجب الإعراض عما سوى الله والإعراض يوجب الفناء عما سواه، فيصير القلب في تلك الحالة مستنيراً بأنوار من الله سبحانه وتعالى، وهذا مقام المحبة وهو من أعلى الدرجات(25). وأن الفناء الذي يشير إليه

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

الرازي هو أن يصل فيه الصوفي من مجاهداته ورياضاته إلى حالة نفسية معينة لا يعود يشعر فيها بذاته، أي في حالة الاستغراق التام، بحيث لا يشعر ببقائه مع حقيقة أسمى وهي الله سبحانه وتعالى(26).

وعليه فإن محبة الله لا تكون إلا بعد كمال المعرفة، وإذا كانت كذلك أفضت بدورها إلى الإعراض عما سواه؛ أما الفناء في محبته تعالى ذلك بدوره يفضي إلى أن يشهد المحب معرفة الله بفنائه في محبوبه، وبالتالي تصبح المحبة عنده مؤديه إلى المعرفة. فالمعرفة التي في الحالة الأولى ارتبطت بتصوير العقل وكمال إدراكه، وأما المعرفة في الحالة الثانية ترتبط بنور القلب وبصيرة عرفانه؛ وهذا هو فعل المحبة الكاملة لله تعالى في نفوس العارفين، لأنهم لما عرفوا الله بما لاح لهم من دلائل التفكير في بدائع صنعه. وعبدوه في الوقت ذاته العبادة الكاملة، وأحبوه بكل جوارحهم الظاهرة والباطنة، بذلك تستولي محبته تعالى على قلوبهم فيستغرقون في شهود عظمته، وتفنى نفوسهم عن محبة كل ما سواه فلا يشهدون غيره.

وفي ضوء ذلك، نستطيع أن نفهم دلالة الفناء عند الرازي والمعتدلين من الصوفية في ارتباطه بالمعرفة الذوقية من ناحية، وارتباطه بالمحبة من ناحية أخرى، ذلك لأن الفناء لا يعنى عندهم زوال إنية العبد وأجزائه الجسمانية، بل كل ما هنالك إعدام كل شعور مما حوله من الأشياء والأغيار وتوجيه قلبه وقالبه إلى الله وحده، فإذا كان توجهه لله تعالى على هذا النحو استنارت عين بصيرته، حينئذ يصبح قلبه حياً بنور معرفة الحق تعالى، لأن الحق كما يُحيي ويُميت الأجسام فكذلك يُحيي الأرواح بالمعارف، وذلك ما يؤكد قوله تعالى: ﴿أَوْمَنُ كَانَ مَيِّناً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 123].

المبحث الثالث - موقفه من المعرفة والتوحيد :

إن أصل المعرفة موهبة، والمعرفة نار والإيمان نور، والمعرفة وجد، والإيمان عطاء، والفرق بين المؤمن والعارف: أن المؤمن ينظر بنور الله، والعارف ينظر بالله عز وجل، وقلب المؤمن يطمئن بالذكر الله، ولا يطمئن قلب العارف بسواه.

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

يذهب الرازي إلى أن الفناء ليس غاية في حد ذاته إلا بقدر ما يصل إليه من معرفة تتكشف فيها حقيقة التوحيد، فيتذوقه العارف حالاً ومقاماً. ذلك لأن التوحيد مجرد العلم والإقرار باللسان بأن الله واحد أو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب بأن الله واحد في ذاته وصفاته، بل إنه شهود للوحدانية في كل حركة من حركات العبد وسكناته، بحيث يشهد فيها جميعاً هذا المعنى الصوفي للتوحيد(27).

كما يرى أن التوحيد بهذا المفهوم الصوفي لا ينهض به العقل وحده، إذ مهما كان قدرته فلن يحصل على معارف يقينية ولن يظفر المرء عن طريقه بشيء من حقيقة الألوهية، ولن يدرك بالتالي مقام التوحيد على حقيقته، لأنه يضيق النطق عنه لأن المرء إذا أخبر عن الحق، فهناك مخبر عنه ومخبر به، ومجموعهما في تلك الحالة ثلاثة لا واحد. فالعقل لهذا يعرفه، ولكن النطق لا يصل إليه. ويؤكد ذلك الرازي بعبارة قالها أبو بكر الصديق وهي، سبحان من لم يجعل في خلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته(28).

ويقسم الرازي التوحيد إلى ثلاث درجات :

1. توحيد الحق بالحق وهو علمه سبحانه وتعالى بأنه واحد.
 2. توحيد الحق للحق وهو حكمه سبحانه وتعالى بأن العبد موحد.
 3. توحيد الخلق للحق وهو علم العبد وإقراره بأن الله واحد(29).
- بناءً على ذلك، فإن مجرد العلم والإقرار من الإنسان بأن الله واحد ولا شريك له، فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا، لا أن ذلك لا يرضى العارفين، لأن مرادهم أن يشهدوا التوحيد لا أن يقفوا بعقولهم عند حد إثباته وتقريره، لأن العقل عندهم لا يستطيع الإحاطة بحقيقة الألوهية من حيث الذات. والدليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 28]. وهنا تشير الآية الكريمة إلى النهي الله تعالى من التفكير في ذاته، ولكنه لم ينه في ذات الوقت عن التفكير في توحيده أو العلم بألوهيته؛ هذا ما يؤكد الرازي ومن قبله رجال الصوفية. إذ يروا أن العقل في إدراك حقيقة التوحيد والوقوف على حقائق الألوهية لا يمكنه أن يخبر عنها إلا بما أخبر به الحق عن نفسه، لأن العقول الإنسانية

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

ليس لها قدرة إلا معرفة الأسماء والصفات، أما معرفة الحقيقة الذات الإلهية فلا. ومصداقاً لذلك قوله تعالى للعبد: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [سورة المزمل، الآية: 7]. وتلك إشارة إلى معرفة الأسماء. أما قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 205]. فهي إشارة إلى معرفة الصفات. أما معرفة الحقيقة المقصودة لذاته تعالى فلا سبيل لذلك، فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره، واحتجب عنها بكمال نوره (30). وهذا ما ذهب إليه أيضاً أبو نصر الطوسي بأن معرفته تعالى تكمن في أسمائه وصفاته تعالى، أما حقيقته الصمدية ممتعة عن الإحاطة والإدراك. بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة، الآية: 254] (31).

قسم الرازي التوحيد إلى طبقات ومراتب ولكل طبقة درجات:

فالتبقة الأولى: هي أدنى الطبقات يندرج تحتها من نطق بالشهادة بلسانه، لأن يحقن دمه ويحرر ماله؛ وله درجة واحدة يشترك فيها الموافق والصديق والمنافق والزنديق (32). وأن كان مجرد الإقرار باللسان فقط دون الاعتقاد بالقلب، ذلك لا يجعل صاحبه موحداً، بل الأولى أن يكون هو المنافق (33). إلا أن الرازي يرى أن كل من نطق بهذه الشهادة ينال من بركتها نصيباً ويحرز من فوائدها حظاً، فإن طلب بها الدنيا نال الأمن والسلامة من آفاتهما، وأن قصد بها الآخرة جمع بين الحظين وأحرز بها السعادة في الدارين (34).

أما الطبقة الثانية: أصحابها أعلى قدرأ من الطبقة الأولى في الشهادة، وهي لمن جمع في توحيده بين القول باللسان والاعتقاد بالقلب على سبيل التفكير؛ لأن الاعتقاد التقليدي لا يكون علماً. حسب رأي الرازي، وهو عبارة عن انشراح الصدر. أن أصحاب هذه الطبقة يجمعهم في التوحيد بين القول باللسان والاعتقاد بالقلب، لهم درجات مختلفة بحسب قوة الاعتقاد فضيفة ودائمة (35).

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

الطبقة الثالثة: هي التي جمع فيها أصحابها بين الاعتقاد بالقلب ومعرفة الدلائل الإقناعية، لكنها حسب رأي الرازي لم تبلغ درجة إلى الدلائل اليقينية، وقوة الدلائل الإقناعية، فمراتب الخلق فيها غير مضبوطة(36).

الطبقة الرابعة: هي التي يندرج تحتها من الموحدين الذين أكدوا على عقائدهم بالدلائل القطعية والبراهين اليقينية، لكنهم لا يكونون من أصحاب المشاهدات والمكاشفات، ولا من أصحاب التجلي، لأن الأفراد الذين يصلون إليها يكونون في غاية القلة أو الندرة، ولأن ذلك يتوقف على معرفة أصحابها لشرائط البراهين واستعمالها في المطالب، وذلك في غاية القوة. فهذه الطبقة لا تكون إلا للحكماء الذين يركزون على العقل ولا شيء غير العقل وحده(37).

الطبقة الخامسة: وهي تعتبر أعلى الطبقات وآخرها، وهي لأصحاب المشاهدات، وهم العارفين الكاملين الذين ذاقوا حلاوة التوحيد في حالة فنائهم عن كل ما سوى الله، فلم يشهدوا في الأكوام أثر للأغيار ولا للخلائق، ولا يكون هذا المقام بتمامه أو بكماله إلا أن يصير العبد مغموراً في بحر التوحيد، بحيث لا يدور في خاطره شيء غير عرفان الأحد الصمد. وأصحاب هذه الطبقة هم الذين شهدوا التوحيد ذوقاً في حال الفناء فانكشفت لبصائرهم من حقائقه ما لم ينكشف لغيرهم من أصحاب البراهين اليقينية من فلاسفة الإلهيين(38). والمتصوف باحث عن اليقين بل عن حق اليقين، ويطمع إلى أن يتجلى الله عليه، بل ينتهي إلى الفناء وأكثر من ذلك، فلا يعود يسمع أو يحس أو يرى إلا الله سبحانه وتعالى، وهذه المعرفة تعد ثورة على المعرفة الحسية والعقلية، لأنها معرفة إلهية في مصدرها وإلهية في طريقها إذ تعود إلى الإلهام.

كما حدد الرازي لأصحاب المكاشفات مراتب ستة في الترقى بالقلب، منها ثلاثة لأصحاب البدايات، وثلاثة لأصحاب النهايات(39)، وهي.

أولاً - المراتب الثلاثة لأصحاب البدايات:

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

1- اللوائح : وهي " ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السمو والانتقال من حال إلى حال أعلى من ذلك"(40).

2 - اللوامع : وهي أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات، فينعكس من الخيال إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدتها بالحواس الظاهرة، فتري لها أنوار، فتضئ ما حولهم، فهي أما عن غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب إلى الحمرة، وأما عن غلبة أنوار اللطف والوعد فتضرب إلى الخضرة والنصوع(41). إلا أن الطوسي يرى أن " اللوامع معناه قريب من اللوائح، وهو مأخوذ من لوامع البرق إذا لمعت في السحاب وذلك إن الله تعالى يورد في صفاء الأوهام كمثل لوامع البرق بعضها في إثر بعض، ذلك لقلوب أوليائه بلا توهم بأصل ما عقدت عليه القلوب من التصديق والإيمان بالغيب، وما بدا للقلوب لوامعه من زيادة النور حتى لا يمكن النفوس توهم ذلك النور في صفاء الأوهام ولو توهمت انقطع ذلك"(42).

3 - الطوالع : هي "أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة، فيطمئن ما في القلوب من الأنوار بسطان نورها، كالشمس الطالعة، إذا طلعت يخفى على الناظر من سطوة نورها أنوار الكواكب وهي في أماكنها"(43). كما أنها " أول ما يبدو من تجليات الأسماء الإلهية على باطن العبد، فتحسن أخلاقه وصفائه بتتوير باطنه "(44). تلك الصفات متقاربة في المعنى، فكلما أظلمت عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنحت لهم فيها لوائح الكشف، وتلألأت لوامع القرب، فتكون أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع(45).

ثانياً - المراتب الثلاثة لأصحاب النهايات :

1 - المحاضرة : هي " مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف "(46). أو حضور القلب مع الحق في الاستفاضة من أسمائه تعالى؛ أو هي الرؤية قبل رفع الحجاب. وقيل المحاضرة ابتداء، ثم المكاشفة ثم المشاهدة(47).

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

2 - **المكاشفة** : هي " مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق "(48). والكشف بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين. وقال النوري "مكاشفات العيون بالإبصار، ومكاشفات القلوب بالاتصال "(49).

3 - **المشاهدة** : هي مطالعة القلب للجمال القدسي، والمشاهدة صفة العبد، تمكن أصحابها من رؤية الحق ببصر القلب، كأنه رآه بالعين؛ وهي تجلى الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية(50). وأهل المشاهدة هم على ثلاثة أحوال.

• الأصغر وهم المريدين، يشاهدون الأشياء بعين العبر، ويشاهدونها بأعين الفكر.

• الأوساط والذين قال فيهم الخراز: الخلق في قبضة الحق وفي ملكه. فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره ولا في همه غير الله تعالى.

• هم أصحاب القلوب العارفين، شاهدت الله مشاهدة تثبيت، فشاهدوه بكل شيء وشاهدو كل الكائنات به، فكانت مشاهدتهم لديه ولهم به، فكانوا غائبين حاضرين، وحاضرين غائبين، على انفراد الحق في الغيبة والحضور. فشاهدوه ظاهراً وباطناً، وباطناً وظاهراً(51). والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة تتقاربا في المعنى، إلا أن الكشف أتم في المعنى(52). أي أنهم يفتنون حتى يشهدوا الله في كل خلقه، لا حلولاً ولا اتحاداً، ولكن انشغالاً بالله وغيبة عن الذات الإنسانية بكامل.

يربط الرازي بين حقيقة التوحيد مع الفناء، حيث يؤكد على قيمة التوحيد في حال الفناء فعنه وبه تتكشف لهم حقيقته، حين يكون المرء فانياً عن شهود كل ما سوى الله فلا يرى لغيره تعالى فعلاً ولا أثراً، لذلك فلا استسلام ولا عبودية عنده لغيره تعالى فعلاً. هذا هو التوحيد الذي يحققه إسلام لوجهه الله تعالى وحده. ودليل ذلك قوله تعالى النساء، الآية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [سورة النساء، الآية: 124]. ولا يكون ذلك كله إلا من كمال الإيمان، وعندها يرى الموحد جميع الأمور مردودة من حيث الفعل إلى الله تعالى، وحينئذ يشهد التدبير والتقدير من

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

الله وحده(53). وهنا اشتغل المتصوفة بتربية القلب أو رياضة الروح وذلك بتطهيرهما من شواغل المادة والشهوات، وبالتوجه إلى الله بكنه الهمة، وبالأعمال الصالحة، من النوافل وذكر الله وحبه، والتفاني والإخلاص حتى يتم لهم الوصال وتشع عليهم الأنوار الربانية. نستنتج من ذلك، أن التوحيد على هذه الصورة التي يشير إليها الرازي لا تتأتى بالعقل وحده، بل بالعقل والبصيرة معاً. وعليه فإن الرازي يهدف إلى أن كمال التوحيد أن يرى الموحد ويشهد الفعل للمسبب الحقيقي لا للأسباب الظاهرة، إذ الخلاق من حيث ذاتها لا قوام لها بنفسها، بل كل الأشياء بقيومية الله قامت، وعنه وجدت وإليه المصير؛ فصح لمن شهدوا حقيقة التوحيد في هذا المقام، ألا يشهدوا إلا سواه، وهؤلاء هم الكاملون حقاً. تأسيساً على ذلك، فإن الكامل في توحيده هو الذي لا يعتمد على شيء قط، وإنما يعتمد على مسبب الأسباب، ولا يرى ضرراً ولا نفعاً من الخلاق له ولا لغيره، بحيث لا يكون لهم وزناً ولا شأنًا عنده.

لقد عاش الرازي التجربة الصوفية، ومارسها طول حياته، دليل ذلك قوله: "والذي جربته من أول عمري إلى آخره، أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله، صار ذلك سبباً إلى البلاء والمحنة والشدة، وإذا عول العبد على الله، ولم يرجع إلى أحد من الخلق، حصل ذلك المطلوب من أحسن الوجوه. فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابع والخمسين، فعند هذا استقر في قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه" (54).

ومن هنا يتبين لنا كمال عرفانه بحقيقة التوحيد. وقد فانا هو نفسه مؤنة التكلف في الوصول إلى مُراد، لما جعلها وليدة تجربة عانها وعاشها طيلة سنين حياته. وتأكيداً على ذلك، تفرقت بين من اعتمد على الغير فوصفه بأنه قد تمسك بظاهر الشريعة، التي يقصد بها الأسباب الظاهرة، وبين من تمسك بأسرار الحقيقة، واعتمد على مسبب الأسباب، ولا يكون ذلك إلا لمن كان عارفاً بالأمر التوحيد نوقاً.

المبحث الرابع - موقفه من المعرفة والسعادة :

يرى الرازي أن الفناء ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لذوق التوحيد، على أساسه تحصل المعرفة، والتي أثمرت لصاحبها لذة وسعادة لا تعادلها أي لذة أو سعادة أخرى؛ لأن الله هو منبع السعادات وأساس كل الخير(55). هذه اللذة التي يصل إليها العارف ما كانت لتحصل له إلا بعد فئاته عن طلب اللذات الفانية طلباً للذات الباقية لأنه طلب معرفة الحق لا الخلق. وأحب الحق تعالى ولم يحب الدنيا، لأن حبها لا يجتمع مع سعادة الآخرة. لذلك آثروا طلب هذه السعادة فعملوا على فراغ القلب من كل سوى الله، وامتلائه بحب الله(56). وفي هذا يذهب الرازي إلى أن الاشتغال بمعرفة الحق يوجب انفتاح كل أبواب السعادة في الدنيا والآخرة، وأما الإعراض عن معرفة الحق بالاشتغال في الأمور الجسمانية فيوجب انفتاح أبواب الآفات والمخاوف في الدنيا والآخرة " (57). أما العبد الصالح صاحب هذه الدرجة من الفناء هو ذلك العبد الذي لا يرى ولا يشاهد ولا يعرف ولا يدرك شيئاً من حوله ولا من نفسه إلا الحقيقة الإلهية فقط؛ ولا يصل العبد إلى هذه الدرجة إلا إذا فني عن الحظوظ كلها، فلا يرى لنفسه ملكاً، ولا يجد في نفسه حباً للدنيا ومتعها وزخارفها، ولا يرى له إرادة ولا وجوداً، بل أنه لا يرى نفسه لأنه غائب عنها فإن في الحقيقة الإلهية.

ويرى الصوفية أن صاحب هذه الدرجة من الفناء إذا صح فناؤه فإن الحق تعالى يتولى أموره كلها، فيتولاه في أقواله وأفعاله وخطراته وفي كل شيء، فهو لا يقول إلا الحق ولا يفعل إلا الحق ولا يخطر بباله إلا الحق ولا يصدر عنه إلا ما كان حقاً، لأن الحق يتولاه في كل أموره.

بناءً على ذلك، فإن معرفة الحق والإعراض عن الخلق ثمرتها لذة وسعادة في الدنيا والآخرة في وقت واحد. ويمكن للإنسان إن يصل إليها إذا كان مطلوبه الإقبال على معرفة الله سبحانه وتعالى وحسن عبادته وطاعته؛ إلى جانب ذلك أن يقلل من سعيه إلى اللذات الدنيا الفانية، ويطلب للذات الآخرة الباقية.

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

كما يؤكد الرازي على قيمة اللذة الحاصلة من معرفة الله وعلوها عن كل اللذات الحسية، ويعتبرها من أسمى صور السعادة، وهي السعادة الحاصلة من كمال معرفة الإنسان لله تعالى وتحقيق العبودية الكاملة له؛ فإذا تحقق هذا الأمر كان ذلك سبباً لسعادته في الدنيا والآخرة، لأن "أكمل أحوال الإنسان وأقواها في كونها سعادة اشتغاله بعبادة الله، فإنه يستتير قلبه بنور الإلهية ويتشرب لسانه بشرف الذكر والقراءة، وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله وهذه الأحوال أشرف المراتب الإنسانية والدرجات البشرية ... فحصول هذه الأحوال أعظم السعادات الإنسانية في الحال" (58). وهنا نجد متأثراً بالغزالي حيث يرى أن لذة معرفة الله في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة (59).

يتضح من ذلك، أن الأنوار الإلهية التي في قلب الإنسان الكامل، والحاصلة له بعد تجرده من كل العلائق الدنيوية وشهواته، هي السبب في شعور صاحبها بتلك اللذة والسعادة، وهي لذة روحية لا حسية. وليس لأحد أن يتذوقها إلا ذوي النفوس العالية والعقول الصافية. وعليه بقدر سعي كل إنسان في تحقيق هذه السعادة، وسعيه في إصلاح نفسه، وتحريره من عبوديته لشهواته، ووصول إلى كمال معرفته ومحبه لربه؛ بذلك تحققت له سعادته الروحية. و ذلك ما يؤكد الرازي " أن الاشتغال بالعبادة وانتقال من عالم الغرور إلى عالم السرور، ومن الاشتغال بالخلق إلى حضرة الحق، وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة " (60). كما يرى أن كل مقام يحرك العبد من عالم الغرور إلى عالم القدس فهو المقام الشريف العالي الذي يوجب السعادة في الدين والدنيا (61). كما يؤكد أن اللذات الحقيقية هي التي يحظى بها أصحاب العقول والبصائر النيرة، لأنهم عرفوا الله وعبده بما يليق بكمال معرفته وكمال عبوديته، فتركوا لذات الدنيا وسعوا في طلب لذات الآخرة؛ فحصلت لهم في دنياهم بما أعطاهم الله من معارف إلهية، وبما كشفت لهم من تجليات ربانية. ولذلك فضلاً من الله لكمال قريهم منه (62).

كما يرى الرازي أن حظ كل الناس ليس واحداً في مراتب السعادة الدنيوية، فمهما كانت عبادتهم وطاعتهم لله تعالى، وإنما هم فيها مختلفين في الدرجات، بحسب كمال كل واحد في

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

عبادته وطاعته وخدمته لله. وهذا بدوره ينسحب على حظهم من السعادة الأخروية؛ وذلك بمقدار أعمالهم الحاصلة في الدنيا(63).

وعليه فمن ترك اللذات الدنيوية الحسية الفانية ومضى ليرتقي في مدارج الكمال الروحي، حصل له من المعارف الإلهية على لذة دائمة، وهي وحدها اللذة الحقيقية التي يطلبها العارفون عن طريق تصفية النفس، التي هي أساس التصوف. وثمرتها هي معرفة الله سبحانه وتعالى. وذلك ما يؤكد الرازي بأن لكل سعادة غير سعادة معرفة الله سعادة منقوصة لا كاملة، ومؤقتة ولا دائمة، ولا بد أن تكون هي وحدها مطلوب للعارفين. وهنا نجد متأثراً بالغزالي الذي يرى بأن السعادة " بقاء بلا فناء، ولذة بلا عناء، وسرور بلا حزن، وغنى بلا فقر، وكمال بلا نقصان، وعز بلا ذل " (64). حيث يعتبرها هي السعادة الحقيقية وحدها، وما عداها سميت سعادة مجازاً كالسعادة الدنيوية(65).

تأسيساً على ذلك، فإن السعادة الحقيقية التي يشير إليها الرازي هي سعادة بمعناها الروحي لا الحسي، ذلك لأن اعتبارها هي الكاملة وهي الحقيقية، ولا تكون إلا لمن كانت نفسه كاملة، سواء أكان من الفلاسفة الإلهيين أو الصوفيين، أصحاب الذوق والرياضات؛ أما العامة فليس لهم نصيب في ذلك لطلبهم السعادة الدنيوية؛ إنما اللذة الحقيقية فهي لأصحاب النفوس التي تسعى في طلب المعارف الإلهية، وارتضت بطريق التصفية من ناحية وبدلائل اليقين العقلي من ناحية أخرى، فكان لها ما كان من هذه اللذات والسعادات ما لم يكن لغيرها.

الخاتمة :

نخلص مما سبق إلى الآتي .

1. إن معرفة الله تعالى على الصورة التي يؤكد بها الرازي هي عين العبادة الحقة، لأن العبادة الكاملة لله لا تنفصل عن المعرفة بالله تعالى، والعارفين هم الذين شاهدوا بالحقائق ثمرة لكمال قلوبهم من الله ومعرفة الله التي أودعها في قلوبهم، فأيقنوا تماماً في

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

حال فنائهم وشهودهم أنه لا ارتباط لهم إلا إلى الله. والغاية من ذلك هي ابتغاء محبته ونيل رضاه.

2. حرص الرازي على أن يكون التفكير وسيلة من وسائل التي تنهض لتحقيق كمال المعرفة بالله، كما جعل تمام معرفة الإنسان بالله شريطة القيام بالعبادات الشريعة لله، و تحقيق كمالها ظاهراً وباطناً، على أن يظل العقل ضابطاً وميزناً يحكم به الصوفي في طريقه إلى معرفة الله تعالى؛ فإذا وصل إلى أعلى المراتب ونكشف له الحقائق الربانية لم يخطئ أو ينزلق مثل القوم الذين أفرطوا أو فرطوا في أقولهم بحلول أو الاتحاد، لأن خير الأمور أوسطها، فيجب أن يظل محافظاً على العلاقة التي بين الله والإنسان، بحيث يكون العبد عبداً والإله إلهاً.

3. جمع الرازي بين العقل والبصيرة، أو التفكير من ناحية والذوق من ناحية أخرى، مما جعلت صوفيته معتدلة تتسق مع الدين الإسلامي وحقيقة روحانيته، بغير إفراط ولا تفريط. بحيث يصل العارف إلى شهود أحدية الله وقرب منه بشعاع البصيرة ونور العقل معاً.

4. التصوف في جوهره تجربة روحية ذاتية خاض غمارها الرازي، الذي عاينها وكابدها من خلال التصفية النفس وتجردها من العلائق البدنية والتخلي بالأخلاق الحميدة، وتخلي القلب عن غير الله تعالى، وتخليه بذكر الله وطاعته، وصولاً إلى معرفته تعالى من خلال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار الربانية، مع حرصه على أن يزن تجربته وعباراته بميزان العقل حتى لا يخطئ أو ينزلق في أقوال تخرجه من ملة الإسلام.

5. يعتبر التصوف فلسفة حياة وطريقة معينة في السلوك، يتخذها الإنسان لتحقيق غاية واحدة وهي كماله الأخلاقي وعرفاني بالحقيقة، وسعاده الروحية في الدارين الدنيا والآخرة.

هوامش البحث:

1. الرازي: إعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد مصطفى الهواري، مكتبة الأزهرية، القاهرة، 1970 م، ص: 115
2. الغزالي: إحياء علوم الدين، ج5، دار المصرية اللبنانية، بدون بلد النشر، تاريخ النشر، ص: 81 .
3. الرازي: التفسير الكبير، م16، دار الغد العربي، القاهرة، 1991م، ص: 429. أيضاً.
- الرازي: الوامع البيئات شرح أسماء الله وصفات، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1976م، ص: 352 .
4. الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص: 40، 41 .
5. الرازي: التفسير الكبير، م7، مصدر سابق، ص: 604 .
6. المصدر نفسه: م7، والصفحة نفسها.
7. المصدر نفسه: م2، ص: 471 .
8. المصدر نفسه: م1، ص: 220 .
9. الرازي: إعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مصدر سابق، ص: 116 .
10. الرازي: المطالب العالية من العلم الإلهي، ج1، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، ص: 53 .
11. المصدر نفسه: ج1، ص: 54، 55 .
12. المصدر نفسه: ج1، ص: 55 .
13. المصدر نفسه: ج8، ص: 108 .
14. الرازي: التفسير الكبير، م8، مصدر سابق، ص: 171 .
15. المصدر نفسه: م8، ص: 299 .
16. الرازي: لوامع البيئات، مصدر سابق، ص: 448 .

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

17. المصدر نفسه :ص: 348 .
18. الرازي: التفسير الكبير،م7 ،مصدر سابق،ص:482 .
19. الطوسي : اللمع ،مصدر سابق، ص: 35 .
20. الرازي: التفسير الكبير،م2 ،مصدر سابق،ص:619 .
21. جميل صليبا :المعجم الفلسفي،ج1،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1973م، ص:439، 440 .
22. الرازي: التفسير الكبير،م2 ،مصدر سابق،ص:619 .
23. الطوسي : اللمع ،مصدر سابق، ص: 57 .
24. الغزالي: إحياء علوم الدين،ج4،مصدر سابق، ص: 313 .
25. الرازي: التفسير الكبير،م2 ،مصدر سابق،ص:319 .
26. الجرجاني : تعريفات، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد،القاهرة،1991م، ص:148 .
27. الرازي : لوامع البيئات ،مصدر سابق،ص:313 .
28. المصدر: والصفحة نفسها أيضاً. الطوسي: اللمع، مصدر سابق،ص:34.
29. المصدر نفسه: والصفحة نفسها.
30. الرازي: التفسير الكبير،م13 ،مصدر سابق،ص:18 .
31. الطوسي : اللمع ،مصدر سابق،ص:34 .
32. الرازي : لوامع البيئات ،مصدر سابق،ص:132 .
33. الرازي: التفسير الكبير،م10 ،مصدر سابق،ص:53 .
34. الرازي : لوامع البيئات ،مصدر سابق،ص:132 .
35. المصدر نفسه : ص: 132، 133 .
36. المصدر: والصفحات نفسها.
37. المصدر: والصفحات نفسها.

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

38. المصدر نفسه:ص:133. أيضاً. الرازي: التفسير الكبير، م5، مصدر سابق، ص:531.
39. المصدر نفسه، ص: 133، 134 .
40. الطوسي : اللمع ،مصدر سابق،ص:288 .
41. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، دار المسرة،بيروت، ط2، 1987 م،ص:230 . أيضاً. عبد الرازق الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2007، م3، ص:81، 82 .
42. الطوسي : اللمع ،مصدر سابق،ص:288 .
43. المصدر نفسه: ص: 295 .
44. عبد الرازق الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية، مرجع سابق،ص:75 .
45. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق ،ص: 230 .
46. أيمن حمدي :قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء، القاهرة، 2000م،ص:84 .
47. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق،ص:237 .
48. أيمن حمدي :قاموس المصطلحات الصوفية، مرجع سابق،ص:86 . أيضاً.
49. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق،ص:249 .
50. الطوسي : اللمع ،مصدر سابق،ص:296 .
51. أيمن حمدي :قاموس المصطلحات الصوفية، مرجع سابق،ص:86.
52. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق،ص:244.
53. الطوسي : اللمع ،مصدر سابق،ص:287.
54. الرازي: التفسير الكبير، م15، مصدر سابق،ص:807 .
55. المصدر نفسه: م9، ص:65 .
- 55 - المصدر نفسه :م:10، ص:290، 291 .
- 56 - المصدر نفسه : م4، ص:472 .

د. جميلة محي الدين البشتي

المعرفة الصوفية عند فخر الدين الرازي

- 57 - المصدر نفسه : م16 ، ص: 626 .
58 - المصدر نفسه : م1 ، ص: 303 .
59 - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج5 ، مصدر سابق، ص: 142 .
60 - الرازي: التفسير الكبير، م1 ، مصدر سابق، ص: 304 .
61 - المصدر نفسه : م9 ، ص: 290 .
62 - المصدر نفسه : م16 ، ص: 75 .
63 - المصدر نفسه : م8 ، ص: 471 .
64 - الغزالي : ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط2003، م2، ص: 180 .
65 - المصدر نفسه : ص: 103 .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

د. ناصر صدقي الهنقاري
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين* والصلاة والسلام على أشرف الخلق
أجمعين* ؛ وبعد ..

فقد أوجب الله تعالى على الإنسان خمس صلوات في اليوم والليلة ، وامتدح من حافظ عليها
والخاشعين فيها ووصفهم بالفلاح فقال تعالى: (قدأ فلاح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون) (1) ، وتوعد المتهاونين بحقها والمتكاسلين في آداها فقال عز وجل : (فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) (2) ، وقد ينشغل الإنسان بأمور الدنيا والكسب
فيؤخر صلاة عن وقتها أو يتهاون في أداء أخرى فشرع الله تعالى صلوات أخرى تسمى
النوافل يؤديها المسلم اختيارا لتجبر كل نقص أو تقصير وقد رأيت أن أكتب في هذ
الموضوع مقسما إياه إلى جزئيات على النحو
التالي :

تعريف النوافل وفضلها وأنواعها.

أولا : النوافل السببية .

تحية المسجد .

الركعتين عند القدوم من السفر .

ركعتين بعد الأذان .

ركعتي الإحرام .

ركعتي الطواف .

صلاة الاستخارة .

د. ناصر صدقي الهنقاري

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبية)

صلاة الكسوف والخسوف .

صلاة الاستسقاء .

ثانيا : ما يتكرر بتكرر الصلوات الخمس وتسمى (السنن الراتبية) .

راتبة الظهر .

راتبة العصر .

راتبة المغرب .

راتبة العشاء .

الوتر .

راتبة الصبح .

رغية الفجر .

الضحى .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على ما صح من السنة النبوية واشتهر من أقوال أهل العلم معتمدا على أمهات المصادر والمراجع ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

تعريف النوافل :

النوافل اسم لما شُرِعَ زيادة عن الفرض (3) .

وشرعا :هي فعل طاعة ما سوى الفرض ، ولا فرق بينها وبين السنة والمندوب والمرغب فيه (4) ؛ والنفل والنافلة : الزيادة (5) .

ومهما يكن من أمر فالنوافل هي عبادة زائدة عن الصلوات الخمس المفروضة تؤدي في أوقات مشروعة .

فضل صلاة النوافل :

رغب الشارع الحكيم في صلاة النوافل لما فيها من فضائل تجبر الخلال الذي عساه أن يقع في الصلاة المفروضة ، وكذلك لأنها تقوي الصلة بين العبد وخالقه عز وجل ، وهذه جملة من النصوص الواردة في فضائلها مع بيان الحكمة فيها :

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

- 1- النوافل تكمل الفرائض وتجبر خللها ونقصها ، وذلك استنادا لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - حيث قال : " قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :إن أول ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة الصلاة ، يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم :انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلكم" (5).
- 2- المداومة على صلاة النوافل تجعل العبد في رضا الرب عز وجل فيجزيه على ذلك الجزء الأوفى ، ورد عن أم حبيبة أم المؤمنين -رضي الله عنها - أنها قالت : " سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة " قالت أم حبيبة : فما برحت أصليهن بعد " (6) .
- وعن عائشة -رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - : " من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتا في الجنة ؛ أربع ركعات قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الفجر " (7) .
- 3- كثرة النوافل من أعظم أسباب دخول الجنة ومرافقة النبي-صلى الله عليه وسلم- فقد ورد عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقلت أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة ، أو قال قلت بأحب الأعمال إلى الله فسكت ثم سأله فسكت ثم سأله الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله فقال : عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة ، قال معدان ثم لقيت أبا الدرداء فسأله فقال لي مثل ما قال لي ثوبان . (8) .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

وكذلك حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : [سل] فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال:أو غير ذلك ؟ قلت هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود"⁽⁹⁾.

4- صلاة النوافل في البيوت تجلب الخير وتوسع الرزق فعن جابر رضي الله عنه قال:
" قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - : إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته ، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا " ⁽¹⁰⁾ وكذلك حديث زيد بن ثابت -رضي الله عنه-: " إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال : " فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة " ⁽¹¹⁾ .

قال النووي : وإنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد من الرياء وأصون من المحبطات ، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة وينفر منه الشيطان⁽¹²⁾ .

5- اتصال الإنسان بخالقه في صلاة التنفل يجلب له محبة الخالق عز وجل فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءلته " ⁽¹³⁾ .

صلاة النوافل من جلوس :

يجوز صلاة النوافل من جلوس ولو كان قادرا على القيام ، إلا أن للمتأمل الجالس نصف أجر القائم ، وذلك لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم - "صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة"⁽¹⁴⁾، وللمسافر أن يترك النوافل ماعدا رغبة الفجر والوتر، فقد كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول : " لو كنت مسبحا لأتممت صلاتي " ؛ وإن صلى فقد أحسن فقد

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الضحى ثمان ركعات وهو مسافر (15)، وكان يتنفل على ظهر الدابة وهو في طريقه من سفره (16).

أنواع النوافل :

إن المتتبع لكتب السنة والفقهاء يتبين له بجلاء أن صلاة النوافل تنقسم أقساماً عديدة منها المطلق وهو الذي فعله الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يعزم عليه ولم يرد فيه نص بعدد ولا صفة، فهو متروك لمن أراه وقدر عليه وهو عموم النوافل، ومنها ما يتكرر بتكرار المناسبات كتحية المسجد والاستسقاء والخسوف والاستخارة، ومنها ما يتكرر بتكرار السنوات كالعيدين، ومنها المرتبط بأوقات الصلوات الخمس على التفصيل التالي

أولاً ما يتكرر بتكرار أسبابه [السببية]

1- تحية المسجد : وهي ركعتان يؤديهما من أراد الدخول إلى المسجد والجلوس فيه وليس للمار منه أو من يقضي حاجة صلاة، وهي مندوب إليها من غير إيجاب وخالف الظاهرية حين قالوا بوجوبها(17).

والسبب في هذا الاختلاف هو حمل الأمر الوارد في الحديث الشريف المتعلق بالمسألة؛ فقد روي عن أبي قتادة السلمي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : " إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس " (19) ؛ كما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه - أنه قال : " كان لي على النبي -صلى الله عليه وسلم- دَيْنٌ فقضاني وزادني ودخلت عليه المسجد فقال لي :صلّ ركعتين " (20).

فمن رأى حمل هذه الأوامر على الوجوب وليس هناك ما يصرفها منه إلى الندب اعتبرها واجبة، ومن رأى أن الأصل في الأوامر الندب حتى يصرفها غيرها إلى الوجوب اعتبرها مندوبة (22)، وبالنظر في هذه الأدلة وغيرها يترجح لدى الباحث -والله أعلم- صرفها إلى الندب والسنية وذلك لكثرة الأحاديث الدالة على عدم فرض وإيجاب أي صلاة إلا الخمس صلوات في اليوم والليلة .

صلاة تحية المسجد أثناء خطبة الجمعة :

اختلف العلماء في صلاة تحية المسجد والإمام على المنبر بين مجيز ومانع على النحو

التالي :

يرى كثير من العلماء -بعض الشافعية والحنابلة - أن تحية المسجد مستثناة وأن الداخل إلى المسجد يصلّيها حتى في وقت الخطبة لما ورد من حديث جابر : " جاء رجل والنبي - صلى الله عليه وسلم- يخطب الناس يوم الجمعة فقال : أصليت يا فلان ؟ قال : لا قال قم فاركع"⁽²³⁾، وقوله لسليك الغطفاني عندما دخل المسجد والنبي -صلى الله عليه وسلم - يخطب: " ياسليك قم فاركع ركعتين وتجوّز فيهما " ⁽²⁴⁾ ، وما ورد من أمره -صلى الله عليه وسلم- بها في قوله : " إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين " ⁽²⁵⁾ .

ويرى الأحناف ⁽²⁶⁾ ، والمالكية ⁽²⁷⁾ ، والإمام الشافعي ⁽²⁸⁾ ، أنها لاتصلّى في أوقات النهي ووقت الخطبة لعموم قوله تعالى (فاستمعوا له وأنصتوا) ⁽²⁹⁾ ، وبحديث عبد الله بن بسر : "كنت جالسا يوم الجمعة فجاء رجل يتخطى رقاب الناس فقال له الرسول- صلى الله عليه وسلم- : اجلس فقد آذيت " ⁽³⁰⁾ .

والباحث في هذا المقام يميل إلى رأي الأحناف والمالكية والإمام الشافعي وهو عدم صلاة تحية المسجد والخطيب على المنبر ..لعموم الأمر بالإنصات للذكر والموعظة من جانب ؛ ومن جانب آخر فإن الذي يصلّي والخطيب يتكلم أمامه سينشغل بالاستماع ويذهب الخشوع الذي هو روح الصلاة .

2- ركعتين بعد الوضوء ، ومن السنة أن المسلم يصلّي ركعتين بعد الوضوء ؛ وذلك لما رواه ابن شهاب أن عطاء بن يزيد أخبره أن حمران مولى عثمان أخبره : أنه رأى عثمان بن عفان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرافق ثلاث مرات ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين ثم قال : قال رسول الله -صلى الله عليه

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبية)

وسلم : " من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه إلا غفر له ما تقدم من ذنبه " (31) ، وقوله صلى الله عليه وسلم " لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها " (32) .

3- الركعتان عند القدوم من السفر في مسجد الحي ، وذلك لفعل النبي صلى الله عليه وسلم – قال كعب بن مالك : "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين " (33) .

4- ركعتين بعد الأذان:

من السنة أيضا أن يصلي المسلم ركعتين بعد كل أذان؛ لما رواه عبد الله بن مغفل المزني قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم-: " بين كل أذانين صلاة ، قالها ثلاثا ، قال في الثالثة لمن شاء " (34) .

5- ركعتي الإحرام: يسن للمحرم بحج أو عمرة صلاة ركعتين قبل الإحرام يقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وإن أحرمت بعد فريضة أجزاء وفاتته فضيلة لحديث جابر رضي الله عنه – في وصف حج النبي صلى الله عليه وسلم- ".... فصلى ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به فأهلاً بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ... " (35) .

6- ركعتي الطواف:

يسن لمن طاف بيت الله الحرام أن يصلي ركعتين عقب الطواف لما روي عن جابر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما انتهى إلى مقام إبراهيم عليه السلام- قرأ: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فصلى ركعتين فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ، ثم عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج إلى الصفا ، ويستحب للطائف أن يصليهما عند مقام إبراهيم لرواية ابن عمر " قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم- فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين " (36) .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

7- صلاة الاستخارة وهي سنة، والدعاء فيها يكون بعد السلام كما جاء بذلك الحديث الشريف، وصفتها: أن يصلي ركعتين مثل بقية صلاة النافلة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن ثم يرفع يديه بعد السلام ويدعو بالدعاء الوارد في ذلك وهو: " اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ويسميه [بعينه من زواج أو سفر أو غيرهما] خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به" (38)

8- الكسوف والخسوف : ويقصد بالخسوف والكسوف ذهاب ضوء الشمس والقمر ؛ والكسوف للشمس والخسوف للقمر (39) .

وهي سنة مؤكدة في حق الرجال والنساء أمرَ بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- في قوله: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فصلوا " (40) .

وتصلى متى وقع الخسوف أو الكسوف ويستحب الاكثار من الاستغفار والدعاء والصدقة عندها لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- " فإذا رأيتموها فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي " (41) .

كيفيتها :

يجتمع الناس في المسجد بلا أذان ولا إقامة وإذا نادى بقوله الصلاة جامعة فواسع ، ثم يصلي الإمام ركعتين في كل ركعة وقيامين مع تطويل القراءة وكذلك الركوع والسجود ثم يعظ الناس ويحثهم على كثرة الاستغفار والصدقة - وذلك لما روته السيدة عائشة -رضي الله عنها- : " خسفت الشمس في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخرج إلى المسجد فقام وكبر وصف الناس وراءه فاقترا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قراءة طويلة ثم كبر

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبية)

فرقع ركوعا طويلا هو أدنى من القراءة الأولى ؛ ثم رفع رأسه فقال :سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ثم قام فاقتراً قراءة طويلة هي أدنى من القراءة الأولى ، ثم كبر فرقع ركوعا هو أدنى من الركوع الأول ثم قال :سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ، ثم سجد ؛ ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ذلك حتى استكمل أربع ركعات (ركوعان) وأربع سجعات ، وانجلت الشمس قبل أن ينصرف ثم قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد أو لحياته فإذا رأيتوها فافزعوا للصلاة " (42) .

صلاة الاستسقاء

الاستسقاء : طلب السقي من الله تعالى بالصلاة ، والدعاء ، والاستغفار عند حصول الجذب (43) .

سبب هذه الصلاة ومشروعيتها : ونحن بصدد الحديث عن الصلوات ذوات الأسباب وقد أشرنا في التعريف إلى أن صلاة الاستسقاء تصلّى عند انحباس المطر ، والجذب ، وشح الماء ، وحاجة الإنسان ، والحيوان ، والنبات إلى ذلك ؛ وهذه سنة الأنبياء من قبل فقد أخبرنا القرآن الكريم عن موسى ، واستسقائه لقومه عندما أخذوا بالسنين فقال تعالى (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) (44) ونوح إذ قال لقومه : (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) (45) . وكذلك فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم- في بعض غزواته حين سبقه المشركون إلى أماكن الماء ، وأصاب المسلمين العطش والحاجة إلى الماء فشكوا ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه ، فيبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال :وقد قالوها !! عسى ربكم أن يسقيكم ثم بسط رداءه ودعا فمارده من دعائه حتى أضلتهم السحاب وأمطروا فأعمّ السيل الوادي وشرب الناس حتى ارتووا " . (46) .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

وورد أيضا في الصحيح عن أنس قال : أصابت الناس سنة على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم فيبينما هو يخطب -صلى الله عليه وسلم- على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال :يا رسول الله هلك المال ،وجاع العيال فادع الله أن يسقينا ، قال فرجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يديه وما في السماء قزعة ، قال فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأى المطر يتحادر على لحيته ، قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي أو رجل آخر فقال يارسول الله تهدم البناء ، وغرق المال فادع الله لنا ،فرجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يديه وقال حوالينا ولا علينا ، قال فما جعل يشير بيده من السماء إلى جهة إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي -وادي قناة- شهرا ،قال فلم يجيء أحد من ناحيته إلا وحدث بالجوذ " (47) .

حكمها : اختلف الفقهاء في حكم صلاة الاستسقاء فقال بعضهم هي سنة مؤكدة ،وقال

بعضهم ليست بسنة وإنما الاستسقاء هو الدعاء والاستغفار وهذا تفصيل ذلك:

** قال أبو حنيفة : ليس في صلاة الاستسقاء سنة مسنونة في جماعة ،فإن صلى الناس فرادى جاز ، وإنما الاستسقاء الدعاء والاستغفار ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) (48) .

** ويرى المالكية والشافعية والحنابلة وأبويوسف ومحمد بن الحسن الشيباني

من الأحناف أن صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة فعلها الرسول -صلى الله عليه وسلم- وخرج لها في المصلى وأمر بها وكذلك فعلها الخلفاء من بعده (50) ، واستدلوا على ذلك بالأدلة الآتية :

- مارواه عباد بن تميم عن عمه عبد الله بن زيد قال : "خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المصلى فاستسقى فاستقبل القبلة ، وقلب رداءه فصلى ركعتين " (51) .
- ومارواه ابن عباس -رضي الله عنهما - : " خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للاستسقاء مبتذلا متواضعا متخشعا متضرعا حتى أتى المصلى فلم يخطب كخطبتكم

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد " (52) .

- وقد أمر بها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - عام الرمادة سنة 18 هـ حيث ابتدأ القحط عند قدوم الحجاج واستمر تسعة أشهر وسمي هذا العام بعام الرمادة لشدة الجذب واسمرار لون الأرض حتى عطل عمر حد السرقة في هذا العام لشدة الحاجة ، وقدم العباس عم النبي -صلى الله عليه وسلم- ليصلي بالناس وقال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتنسينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا " (53) .
فكان مما دعا به العباس-رضي الله عنه- : " اللهم إنه لم ينزل البلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث " (54) .

الترجيح

الناظر في الرأيين وأدلتهم يتبين له رجحان قول الجمهور لقوة أدلتهم وصراحتها على سنية صلاة الاستسقاء ولفعله -صلى الله عليه وسلم - لها ، كما يستحب للإمام أن يجتهد بالدعاء في خطبه بالغيث النافع كلما دعت الحاجة إلى ذلك.
وقتها : تصلى صلاة الاستسقاء في كل وقت عدا أوقات النهي والكرهية ويتأكد فعلها وقت صلاة العيد لما ورد عن عائشة -رضي الله عنها - أنها قالت : " خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حين بدا حاجب الشمس... " (55) .

صفتها : يخرج الناس إلى المصلى ويجتهدون في الاستغفار واستحضار عظمة الله تعالى في قلوبهم واستشعار رحمته بعباده وإظهار التذلل والخشوع له والحاجة إليه سبحانه وتعالى ، إلى حين خروج الإمام ، فيصلي بهم ركعتين جهرا كصلاة العيدين ثم يستقبل الناس ويخطب فيهم كخطبتي العيد يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على ملازمة الاستغفار ورد المظالم وآداء الأمانات إلى أهلها واجتناب كل ما شأنه أن يكون سببا في حجب الغيث كتطيف الكيل والميزان والغش والظلم والغفلة عن ذكر الله ونحو ذلك ثم

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

يجلس جلسة خفيفة ويقوم للخطبة الثانية يرغب فيها ويرهب ويبشر ويحذر ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويجتهد في الدعاء برفع الضرر وإنزال الغيث النافع .
وقد خرج النبي-صلى الله عليه وسلم- الى المصلى يستسقي، واستقبل القبلة فصلى ركعتين وقلب رداءه" (57).

وجاء في خطبته -صلى الله عليه وسلم: " ... إنكم شكوتم جذب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ،وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد ،اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين ، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه " (58) .
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه في الاستسقاء : " اللهم اسق عبادك وبهيمتك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت " (59) .

ثانياً : ما يتكرر بتكرار الصلوات الخمس وتسمى (السنن الراتبة) :

وهي تلك السنن التي وردت بها الأحاديث الشريفة ترغيباً فيها ودعوة إلى إقامتها والمحافظة عليها ؛ مع ملاحظة أنها لا تفنقروا إلى نية تخصها ، فمن صلى ركعتين قبل الظهر مثلاً كانت راتبة الظهر ولو لم ينوها (60) ومن تلك النصوص التي وردت بشأنها ما يلي :

ما ورد عن أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها - أنها قالت : " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول : ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة " (61) .

وفي رواية أخرى " من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتاً في الجنة ، أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر " (62) .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبية)

وكذلك ماورد من حديث ابن عمر أنها عشر ركعات حيث قال : " حفظت من النبي-صلى الله عليه وسلم عشر ركعات ؛ ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب في بيته وركعتين بعد العشاء في بيته وركعتين قبل الصبح " (63) .

وبهذا قال الإمام مالك رحمه الله- (64) ، وقال الإمام الشافعي رحمه الله- : العشر أدنى الكمال ،والأكمل ثماني عشرة ركعة ، فهي عنده ركعتان قبل الفجر وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وأربع قبل الظهر وأربع بعدها وأربع قبل العصر(65) ، وقد اضب النبي -صلى الله عليه وسلم - عليها ولم يترك شيئاً منها إلا مرة أو مرتين لعذر(66) . قال الشوكاني : وفي هذا الحديث تأكيد على السنن التابعة للفرائض (67) .

تفصيل هذه الرواتب :

1- راتبة الظهر : وهي مما رغب فيه الشارع الحكيم وواضب عليها ؛ وصفتها أربع ركعات قبل الظهر واثنتان بعدها ، أو اثنتان قبلها وأربع بعدها ؛ وذلك للأحاديث سالفة الذكر .

2- راتبة العصر : وهي من السنن الراتبية التي رغب فيها الشارع ، فقال -صلى الله عليه وسلم- : " رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعاً " (68) ، ويستحب عند المالكية والحنابلة الصلاة قبل العصر أربع ركعات يسلم من كل ركعتين (69) . وذلك لما رواه -علي رضي الله عنه - " كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي قبل العصر أربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين " (70) .

3- راتبة المغرب : اتفق الفقهاء على ثبوت الركعتين بعد المغرب عن النبي -صلى الله عليه وسلم - كما في الأحاديث سالفة الذكر.

4- راتبة العشاء: و لاخلاف بين الفقهاء في راتبة العشاء لما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - وهي تصف صلاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " كان يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً لاتسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

يصلّي ثلاثاً ، قالت فقلت يا رسول الله أتناّم قبل أن توتر ؟ قال : تنام عيناى ولا ينام قلبي " (71) .

واختلفوا في النوافل التي تثنى أو تربع أو تثلث فقال أبو حنيفة : صلاة الليل إن شئت صليت ركعتين وإن شئت صليت أربعاً وإن شئت صليت ستاً وإن شئت صليت ثمانية لا تفصل بينهم بسلام (72) .

وقال مالك والشافعي : صلاة التطوع بالليل مثني مثني يسلم في كل ركعتين (73) وقال الإمام احمد أما صلاة الليل مثني مثني ليس فيه خلاف ، وأما صلاة النهار فإن شئت أربعاً وإن شئت ركعتين ويعجبني مثني مثني بالليل والنهار (74) والسبب في هذا الاختلاف هو اختلاف الآثار الواردة في هذا الباب وقد ورد عن ابن عمر أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن صلاة الليل فقال : صلاة الليل مثني مثني فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى " (75)

صلاة الوتر :

الوتر من أكد السنن التي أمر بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- فهو سنة مؤكدة عند الجمهور (76) وذلك للأحاديث الواردة في ذلك منها : قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : " الوتر حق وليس بواجب فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل " (77).

وحديث ابن عمر : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسبح على الراحلة قبل أي وجه توجه ويوتر عليها غير أنه لا يصلّي عليها المكتوبة " (78) .

وكذلك حديث خارجة ابن حذافة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- - "إن الله أمدمكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم وهي صلاة الوتر فصلوها ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر " (79) .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبية)

ولذلك قال الحنفية اذا اجتمع أهل قرية على ترك الوتر آذاهم الإمام وحبسهم فإن لم يجيبوا قاتلهم ؛ فهو واجب عندهم (80) ، وقال المالكية تارك الوتر عمدا يؤدب ويجرح ولا يكفر جاحده (81) .

وقت صلاة الوتر : وقت الوتر هو وقت العشاء أي من غروب الشفق الأحمر إلى قبيل طلوع الفجر (82) ، لا يجوز تقديمها على العشاء ليس لعدم دخول وقتها ولكن لوجوب الترتيب بينها وبين العشاء فلو صلى الوتر قبل أن يصلي العشاء لم يصح وعليه أن يعيده. ** ولو صلى الوتر قبل العشاء ناسيا أو صلاهما ثم تبين فساد صلاة العشاء دون الوتر يصح عند أبي حنيفة ويعيد العشاء وحدها لأن الترتيب يسقط بمثل هذا العذر. ** ومن نام عن الوتر واستيقظ قبل طلوع الشمس بمقدار ثلاث ركعات فإنه يترك الفجر فيصليها بعد حل النافلة – هذا إذا اتسع الوقت لثلاث ركعات فإن لم يتسع إلا لركعتين ترك الوتر وصلى الصبح – وإن لم يتسع الوقت إلا لركعة واحدة صلى الصبح اتفاقا (83) .

** ومن نام عن الوتر ولم يستيقظ حتى أصبح فضاه قبل صلاة الصبح ، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر " (84) ؛ وقوله -عليه الصلاة والسلام- من نام عن وتره أو نسيه فليصله إذا ذكره " (85) .

****تكرار الوتر :** ويكره تكرار الوتر في الليلة الواحدة لقوله -صلى الله عليه وسلم- لا وتران في ليلة " (86) ، ومن أوتر أول الليل ثم استيقظ وأراد أن يتنفل فعل، ولا يعيد الوتر، للحديث المتقدم .

عدد ركعات الوتر أقل الوتر عند الشافعية (87) والحنابلة (88) ركعة واحدة بلا كراهة لحديث " صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي الصبح صلى واحدة فأوترت له م صلى " (89) والاقتصار عليها خلاف الأولى غير أن الشافعية في قول لهم يشترطون الإيتار بركعة سبقها نفل بعد العشاء من سنتها أو غيرها ليوتر النفل (90)، وفي قول للحنابلة -خلاف المشهور- يكره الإيتار بركعة واحدة حتى في حق المسافر وتسمى البتيراء(91)، وقال الحنيفة : لا يجوز الإيتار بركعة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم – نهى عن البتيراء قالوا

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

روي أن عمر رضي الله عنه - رأى رجلا يوتر بوحدة فقال ما هذه البتيراء ؟ لتشفعها أو لأودبناك " (92)، كما ورد عن الشافعية والحنابلة أكثر الوتر إحدى عشرة ركعة (93) وفي قول عند الشافعية أكثره ثلاث عشرة ركعة (94) ويجوز بما بين ذلك من الأوتار لقول النبي صلى الله عليه وسلم - : " من أحب أن يوتر بخمس فليفعل ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ومن أحب أن يوتر بوحدة فليفعل " (95)، وأدنى الكمال عند الشافعية والحنابلة ثلاث ركعات فلو اقتصر على ركعة كان خلاف الأولى ، ونص الحنابلة على أنه لا يكره الإيتار بركعة واحدة ولو بدون عذر (96) .

أما الحنفية فلم يذكروا في عدده إلا ثلاث ركعات بتشهدين وسلام ، كما يصلي المغرب ، واحتجوا بقول عائشة رضي الله عنها - " كان النبي صلى الله عليه وسلم- يوتر بثلاث لا يسلم إلا في آخرهن " (97)، أما المالكية فإن الوتر عندهم ركعة واحدة فقط ولا تكون إلا بعد شفع يسبقها واختلفوا هل تقديم الشفع شرط صحة أو كمال ؛ وقالوا تسمى الركعات الثلاث وترا إلا أن ذلك مجازا ، والوتر في الحقيقة هو الركعة الواحدة ، ويكره أن يصلي واحدة فقط بعد الفرض ولكن بعد نافلة وأقلها اثنتان ولا حد لأكثرها (98) .

5- راتبة الصبح :

اتفق الفقهاء على أن راتبة الفجر ركعتان بعد طلوع الفجر الصادق وقبل صلاة الصبح وقد حرص عليها الرسول صلى الله عليه وسلم- في جميع أحواله حتى قالت السيدة عائشة : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم- لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين قبل الصبح " (99) ؛ ورغب فيها حتى سميت بالرغيبية وقال : " عن ركعتي الفجر لا تتركوهما وإن طردتكم الخيل " (100) .

وفي كتاب المعونة على مذهب عالم المدينة(اختلف أصحابنا هل هما سنة أم لا؟ فقال أصبغ وابن عبد الحكم :ليستا بسنة فهما من الرغائب وقال أشهب : إنهما سنة ، فوجه الأول أن السنة ما صلاه النبي صلى الله عليه وسلم- في جماعة وما قصر عن ذلك ولم يداوم عليه فهو من الرغائب وركعتي الفجر لم يصلهما في جماعة ألا ترى أنه لما صلى العبيد

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

كانت من السنة ووجه قول أشهب إن السنة عبارة عما تأكد من النوافل بركعتين لا زيادة عليهما ومرتبة قبل الفرض فإن أخرهما عنه لم يكونا ركعتي الفجر وسائر النوافل بخلاف ذلك (101)، واختلفوا في المستحب من القراءة فيهما ، فالمشهور عند مالك المستحب أن يقرأ فيهما بأمر القرآن فقط (102)، وقال الشافعي : لا بأس أن يقرأ فيهما بأمر القرآن مع سورة قصيرة (103)، وقال أبوحنيفة: ليس هناك توقيف فيما يستحب في القراءة فيهما ويقرأ المرء ماشاء (104)، والسبب في هذا الاختلاف هو اختلافهم في تعيين القراءة في الصلاة وقد روت السيدة عائشة أم المؤمنين أن النبي -صلى الله عليه وسلم - كان يخفف ركعتي الفجر حتى أني أقول أقرأ فيهما بأمر القرآن أم لا(105) .

في حين أنه روي عنه من طريق أبي هريرة أنه كان يقرأ فيهما بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون " (106)، واضح ان من ذهب مذهب حديث السيدة عائشة اختار قراءة أمر القرآن فقط وهو الإمام مالك وبعض أصحابه ، ومن ذهب مذهب الحديث الثاني اختار أمر القرآن وسورة قصيرة وهم الإمام الشافعي وأصحابه استنادا على قوله تعالى ... (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) وفي كل خير والله أعلم ، ومن دخل المسجد وقت الإقامة ولم يكن صلى الفجر فعليه أن يدخل مع الجماعة فيصلي الصبح ثم يصلي الفجر قضاء بعد الشروق ، ولايجوز له أن يطلب تأخير الصلاة من أجله بإسكات المقيم ، ولا أن يخرج ليصلي الفجر ثم يدرك الجماعة ، ففي حديث عبد الله بن سرجس قال جاء رجل والنبي يصلي الصبح فصلى الركعتين ثم دخل مع النبي في الصلاة ، فلما انصرف قال يا فلان أيتها صلاتك التي صليت وحدك او التي صليت معنا؟ " (107) .

وكذلك من دخل والإمام جالسا في تشهد الصبح ولم يكن صلى الفجر فإنه يجلس معه رجاء الحصول على فضل الجماعة - على قول من يعتبر من أدرك الإمام جالسا قبل يسلم فقد أدرك الصلاة- ثم يصلي الفجر قضاء بعد طلوع الشمس(108). صلاة الضحى : وهي الصلاة التي يستحب للمسلم ان يصلحها ركعتان فأكثر مثنى مثنى إلى ثمان ركعات أو اثنتي عشرة ركعة ، ويبدأ وقتها من وقت جل النافلة وهو ارتفاع الشمس قدر رمح ، وهو بعين

د. ناصر صدقي الهنقاري

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

الرائي قدر المتر وبحساب الدقائق حوالي اثنتي عشرة دقيقة ، ولنجعله ربع ساعة لأنه أحوط للدين (109) .

فضل صلاة الضحى من فضائل صلاة الضحى إنها صلاة الأوابين فهي تغني عن صدقات البدن وتجعل العبد في ذمة الله وذلك لما يلي :

- ورد عن أبي ذر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : يصبح على كل سلامي (110) من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى " (111) .
- وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب ، وهي صلاة الأوابين " (112) ، وما رواه أبو الدرداء وأبو ذر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : " ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره " . (113) .
- وعن أبي هريرة قال : " أوصاني خليلي- صلى الله عليه وسلم - بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام " (114)

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة العلمية مع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم - عرفنا رحمة الشرع الذي جاء به وأراد أن يجبر ما عساه أن يقع منا في أداء ما افترضه علينا من الصلوات من سهو أو خلل أو تقصير حتى نكون على اتصال بخالقنا عز وجل فالصلاة صلة بين العبد وربّه وقد استنبط العلماء الأحكام الشرعية من أحاديثه وأفعاله -عليه الصلاة والسلام- فبينوا لنا السنن ذات الأسباب والمسماة بالسنن السببية وهي تلك التي تُفعل إذا توفر سببها كدخول المسجد والوضوء والأذان والسفر ، وكذلك السنن الراتبة التي تقترن بالصلوات المفروضة وما فيها من الفضل العظيم وقرّ بيّنات الأدلة على كل ما تم ذكره من أحاديث

د. ناصر صدقي الهنقاري

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبية)

الرسول-صلى الله عليه وسلم -وحرصت أن أعتد على ما صح عنه -صلى الله عليه وسلم -وأجمع عليه أهل العلم من المسائل في هذا الباب... ونسأل الله التوفيق والسداد.

الهوامش :

1. سورة المؤمنون ، الآية 1.
2. سورة الماعون الآية 5.
3. التعريفات ، الجرجاني 84/1 ، دار الكتاب العربي ، ط 1 ، 1405 هـ .
4. المجموع شرح المذهب مع تكملة السبكي والمطيعي ، أبوزكرياء يحيى بن شرف النووي 2/4 ، دار الفكر.
5. تصحيح الفروع ، محمد بن مفلح المقدسي 464/1 ، دار الكتب العلمية 1418 هـ .
6. سنن أبي داود ، أبواب تقريع استفتاح الصلاة ، قول النبي -صلى الله عليه وسلم - كل صلاة لا يتمها صاحبها تُتم من تطوعه 229/1 ، ح 864 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت .
7. صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر بنقل الحديث العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل السنن الراتبية قبل الفرائض وبعدهن 360/5 ، ح 728 ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
8. سنن أبي داود أبواب الصلاة ، باب ماجاء فيمن صلى في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة 273/2 ح 414 ؛ +10
9. رواهما مسلم "نووي" ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه 353/1 ح 489-488.
10. رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته 405/6 ، ح 778.

صلاة النوافل (السنن السببية والراتية)

11. فتح الباريء شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني كتاب الأذان ، باب صلاة الليل 251/2، ح731، دار الريان للتراث ؛ ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد 407/6 ، ح781.
12. مسلم "نووي" كتاب الصلاة باب الحث على النافلة في البيت 406/6، ح777.
13. البخاري "فتح" ، كتاب الرقاق ، باب التواضع 348/11 ح6502.
14. مسلم "نووي" كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جواز النافلة قائما وقاعدا 366/6، ح735.
15. البخاري مع فتح الباري كتاب تقصير الصلاة، باب من تطوع في السفر في غير دبر الصلاة 673/2 ، ح 6732-1105.
16. الموطأ، مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى الليثي ، 151/1 دار النفائس، بيروت لبنان البخاري "فتح" كتاب تقصير الصلاة، باب صلاة التطوع على الدواب 667/2 ح1093.
17. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي 383/1، دار الحديث ، القاهرة 2004 م .
18. البخاري " فتح " كتاب أبواب المساجد، باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين 108/1 ح433.
19. مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحية المسجد بركعتين 145/5 ح715.
20. بداية المجتهد 383/1.
21. الموطأ 103/1.
22. مسلم "نووي" كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب 476/6، ح875.
23. مسلم "نووي" كتاب الجمعة، بصلاة الجمعة وما يتعلق بها من أحكام 476/6، ح875/57.

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

24. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي 296/1 دار الكتب العلمية ط2 1986م.
25. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي 145/1 ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري 1967.
26. المجموع شرح المهذب ؛ لأبي زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي 529/4 ، دار الفكر .
27. سورة الاعراف 204.
28. سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن حجر النسائي؛ شرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السدي كتاب الجمعة باب النهي عن تخطي الرقاب 214/2 ح1399 ؛ الكتبة العلمية - بيروت - لبنان.
29. البخاري "فتح" كتاب الوضوء باب الوضوء ثلاثا 311/1 ح159.
30. مسلم "نوي" كتاب الطهارة ،باب فضل الوضوء والصلاة عقبه 206/1 ح333.
31. البخاري "فتح" كتاب أبواب المساجد ،باب الصلاة إذا قدم من السفر 639/1 ، ح432.
32. مسلم "نوي" نوي" كتاب المساجد باب بين كل أذانين صلاة 447/6 ، ح838.
33. مسلم "نوي" كتاب الحج باب حجة النبي -صلى الله عليه وسلم- ح2145.
34. البخاري "فتح" كتاب الحج باب ماجاء في السعي بين الصفا والمروة 286/1.
35. البخاري "فتح" 438/14 .
36. البخاري "فتح" كتاب الكسوف 611/2.
37. البخاري "فتح" كتاب الكسوف، باب الدعاء في الكسوف 636/2 ح1060.
38. البخاري "فتح" نفسه .
39. البخاري "فتح" كتاب الكسوف ،باب صلاة الكسوف في المسجد 633/2 ح1056.

د. ناصر صدقي الهنقاري

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

40. منهاج المسلم 266، العبادات أحكام وأدلة 70/2، فقه العبادات، وهبة الزحيلي 140.
41. سورة البقرة 60
42. سورة نوح 10-11.
43. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية 156/1.
44. البخاري "فتح" 603/2 ح 1033، كتاب الاستسقاء، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته .
45. سورة نوح 11؛ ينظر المبسوط 76/2، وفتح القدير 91/2، الهداية 88/1.
46. ينظر المدونة الكبرى 153/1، وبداية المجتهد لابن رشد 214/1، والأم للشافعي 246/1، والمجموع للنووي 67/5، المغني لابن قدامة 430/2، وفتح القدير 92/2.
47. البخاري "فتح" كتاب الاستسقاء، باب تحويل الرداء في الاستسقاء 578/2 ح 1011، ومسلم "نووي" كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في صلاة الاستسقاء 496/6 ح 1-4-894..
48. سنن أبي داود كتاب الصلاة، باب جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها 688/1 ح 1165.
49. البخاري "فتح" كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا 574/2 ح 1010.
50. فتح الباري 577/2.
51. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء 534/1 ح 1173.
52. البخاري "فتح" كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المصلى 598/2 ح 1027.
53. سنن أبي داود كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء. 435/1 ح 1173.
54. الموطأ كتاب الصلاة باب ما جاء في الاستسقاء 129/1 ح 449.
55. العبادات أحكام وأدلة د. الصادق عبد الرحمن الغرياني 42/2.

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

56. مسلم "نوري" ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل السنن الراتبة 503/1، ح 728، دار إحياء التراث العربي .
57. سنن الترمذي الجامع الكبير ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، كتاب أبواب الصلاة ، باب فيمن صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة 234/1 ح 414، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 .
58. البخاري "فتح" كتاب التهجد، باب الركعتين قبل الظهر 70/3 ح 1180.
59. العبادات أحكام وأدلة 47/2.
60. المجموع 501/3.
61. بدائع الصنائع للكاساني 284/1.
62. نيل الأوطار ، محمد بن علي الشوكاني 19/3، دار الطباعة المنبرية .
63. سنن الترمذي، أبواب الصلاة ، باب ماجاء في أربع ركعات قبل العصر 195/2 ح 430
64. ينظر مواهب الجليل في شرح مختصر خليل لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب 67/2 دار الفكر ط 2، 1412هـ، والفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني أحمد بن غانم بن سالم بن مهنا شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي 196/1، دار الفكر ؛ المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ،كتبة القاهرة 1968م.
65. سنن الترمذي أبواب الصلاة باب ماجاء أربع ركعات قبل العصر 194/2، ح 429.
66. البخاري "فتح" ، كتاب المناقب ، باب كان النبي -صلى الله عليه وسلم- تنام عيناه ولا ينام قلبه 670/6، ح 3569.
67. الحجة على أهل المدينة ، محمد بن الحسن الشيباني 271/1، تحقيق مهدي حسن الكيلاني القادري ، عالم الكتب ،بيروت .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتية)

- 68.** ينظر المدونة 189/1، والأم محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي 329/1، دار المعرفة، بيروت 1990 م .
- 69.** مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني 104/1 تحقيق أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة ط1، 1995؛ والكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة 270/1، دار الكتب العلمية ط1، 1994 م .
- 70.** البخاري "فتح" كتاب الجمعة، باب ماجاء في الوتر 554/2، ح990.
- 71.** ينظر فتح القدير 433/1، لخرشي على خليل 12/2 بدائع الصنائع 270/1؛ بداية المجتهد 1/89؛ المجموع 465/3؛ المغني 159/2-160.
- 72.** سنن ابن ماجة 1 أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ماجاء في الوتر، 450/1 ح1190، دار إحياء التراث العربي، 1975؛
- 73.** مسلم "نووي"، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيث توجهت، 333/5 ح700 .
- 74.** سنن الترمذي أبواب الوتر، باب ماجاء في فضل الوتر 314/2 ح452.
- 75.** بدائع الصنائع 272/1.
- 76.** الخرشي على مختصر خليل، محمد الخرشي المالكي وبهامشه حاشية علي العدوي، 12/2، دار صادر، بيروت-لبنان؛ مواهب الجليل في مختصر خليل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب 320/1، دار الفكر، ط3، 1412 هـ .
- 77.** بدائع الصنائع 272/1؛ الاستنكار لابن عبد البر 121/2: المجموع 13/4: المغني 280/2.
- 78.** المدونة الكبرى مالك بن أنس الأصبحي، رواية سحنون بن سعيد التتوخي عن عبد الرحمن بن القاسم، 212/1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

د. ناصر صدقي الهنقاري

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

- 79.** المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري ، كتاب الوتر/3/44 ح 1140 تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1990م.
- 80.** منهاج المسلم ، أبو بكر جابر الجزائري، 256 ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ليبيا، 1969، 2.
- 81.** المستدرك 302/1.
- 82.** الأم 165/1، الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي تحقيق علي محمد معوض 293/2، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط1-1999م.
- 83.** المغني 221/1 .
- 84.** تقدم تخريجه .
- 85.** الحاوي الكبير 293/2.
- 86.** الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الحنبلي 168/2 ، دار إحياء التراث العربي ط.
- 87.** المبسوط ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة الشرخسي، 164/1، دار المعرفة، بيروت 1993م،
- 88.** تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي ، عثمان بن علي بن محجن البارعي فخر الدين الزيلعي الحنفي 170/1 ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق القاهرة ، ط1 1313 هـ .
- 89.** المجموع 21/4 .
- 90.** نفسه 22/4.
- 91.** سنن أبي داود ، أبواب الوتر ، باب كم الوتر ، 561/2 ح 1462.

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبية)

92. الموسوعة الفقهية الكويتية، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري 294/27 ، دار اليمامة للطباعة والنشر، ط2، 2000م.
93. المستدرك على الصحيحين ، كتاب الوتر 47/3 ح 1142.
94. التاج والإكليل لمختصر خليل ، لأبي عبد الله المواق المالكي 385/2، وبلغت السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي المالكي 411/1، دار المعارف .
95. مسلم "نووي" كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة 311/5 ح 680.
96. سنن أبي داود ، كتاب الصلاة باب ركعتي الفجر 469/1 ح 1254.
97. المعونة 1 على مذهب عالم المدينة ، القاضي عبد الوهاب البغدادي ، تحقيق حميش عبد الحق 248/1، دار الفكر 1999.
98. المدونة 211/1.
99. المجموع 27/4.
100. البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري 363/1، دار الكتاب الإسلامي ط2.
101. البخاري "فتح" كتاب التهجد باب ما يقرأ في ركعتي الفجر 59/3 ح 1171.
102. سنن أبي داود أبواب التطوع وركعات السنة، باب تخفيفهما 440/2 ح 1256.
103. سنن أبي داود كتاب الصلاة بابفي تخفيفهما [أي ركعتي الفجر] 470/1 ح 1256.
104. العبادات أحكام وأدلة 46/2.
105. ينظر الشرح الممتع على زاد المستنقع ، محمد بن صالح بن العثيمين 87/4 دار ابن الجوزي ، ط11428هـ.
106. أصل السلامي مفاصل أصابع اليد ثم صار يطلق على كل مفاصل الجسم .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

107. مسلم "نووي" كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها 350/5 ح 720.
108. صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ط3، 2003م؛ 228/2، والحاكم في المستدرک وصححه على شرط مسلم 314/1.
109. سنن الترمذي كتاب الصلاة ،باب ماجاء في صلاة الضحى وصححه الألباني 147/1 ح 475.
110. البخاري "فتح" كتاب الصوم باب صيام الأيام البيض 4/ 266، ح 1981؛ ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة الضحى 1/ 498 ح 721.

المصادر والمراجع

1. الأم محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبی القرشي ، دار المعرفة ،بيروت 1990م .
2. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي ط.
3. البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدين بن ابراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري ، دار الكتاب الإسلامي ط2.
4. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكسني الحنفي ، دار الكتب العلمية ط2 1986م.
5. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ،أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي ،دار الحديث ، القاهرة 2004م .
6. بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير ،أبو العباس أحمد بن محمد الخلوئي الشهير بالصاوي المالكي ، دار المعارف .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

7. التاج والإكليل لمختصر خليل ، لأبي عبد الله المواق المالكي ،
8. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي ، عثمان بن علي بن محجن البارعي
فخر الدين الزيلعي الحنفي ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق القاهرة ، ط1
1313هـ.
9. التعريفات، الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1405هـ .
10. تصحيح الفروع ، محمد بن مفلح المقدسي ، دار الكتب العلمية 1418هـ .
11. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن
عبدالبر النمري الأندلسي ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير
البكري 1967.
12. الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، أبو الحسن علي بن
علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي تحقيق علي
محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط1-1999م.
13. الحجة على أهل المدينة ، محمد بن الحسن الشيباني ، تحقيق مهدي حسن الكيلاني
القادري ، عالم الكتب ، بيروت .
14. الخرشي على مختصر خليل ، محمد الخرشي المالكي وبهامشه حاشية علي العدوي ،
دار صادر، بيروت-لبنان .
15. سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا .
بيروت.
16. سنن ابن ماجة 1 أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار
إحياء التراث العربي، 1975.
17. سنن الترمذي الجامع الكبير ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق
بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 .

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

18. سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن حجر النسائي؛ شرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السدي ؛ المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.
19. الشرح الممتع على زاد المستنقع ، محمد بن صالح بن العثيمين ، دار ابن الجوزي ، ط11428هـ
20. صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر بنقل الحديث العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
21. صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتبة الإسلامية ط3، 2003م.
22. العبادات أحكام وأدلة .د.الصادق عبد الرحمن الغرياني ، ط4 ، 1995م.
23. فتح الباريء شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الريان للتراث
24. الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني أحمد بن غانم بن سالم بن مهنا شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي ، دار الفكر ؛ المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ، كتبه القاهرة 1968م.
25. والكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة ، دار الكتب العلمية ط1 ، 1994م .
26. المبسوط ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة الشرخسي ، دار المعرفة ، بيروت 1993م،
27. المجموع شرح المذهب مع تكملة السبكي والمطيعي ، أبوزكرياء يحيى بن شرف النووي ، دار الفكر .
28. المدونة الكبرى مالك بن أنس الأصبحي ، رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن عبد الرحمن بن القاسم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

د. ناصر صدقي الهنقاري

صلاة النوافل (السنن السببية والراتبة)

- 29.** المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م .
- 30.** مسند الإمام أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ط1 ، 1995 .
- 31.** المعونة على مذهب عالم المدينة ، القاضي عبد الوهاب البغدادي ، تحقيق حميش عبد الحق ، دار الفكر 1999 .
- 32.** الموطأ ، مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى الليثي ، دار النفائس ، بيروت لبنان مواهب الجليل في شرح مختصر خليل لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب ، دار الفكر ط 2 ، 1412 هـ .
- 33.** الموسوعة الفقهية الكويتية ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهرى ، وزارة الأوقاف والشنون الإسلامية - الكويت - دار اليمامة للطباعة والنشر ، ط 2 ، 2000م
- 34.** منهاج المسلم ، أبو بكر جابر الجزائري ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ليبيا ، ط1969 ، 2 .
- 35.** نيل الأوطار ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الطباعة المنبرية .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي (رؤية مستقبلية)

أ. عفاف سالم محمد سعيد
كلية التربية / الزاوية

المقدمة:

أصبح من الملاحظ أن العامل السكاني قد حظى في الآونة الأخيرة باهتمام المختصين بقضايا السياسات والتنمية والتخطيط ، وذلك لأن بداية أى عملية تنموية ناجحة تنطلق من الإنسان نفسه ، حيث تركز معظم السياسات السكانية على تحسين مستوى معيشة الأفراد ورفاهيتهم ، وزيادة مساهمة الشباب فى النشاط الاقتصادي وتمكينهم اجتماعياً وتنظيم هجرة السكان وحركتهم . فالسياسات السكانية هي جملة التدابير المباشرة وغير المباشرة بقصد التأثير الكمي والنوعي على السلوك الديموغرافي وفي الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان وفي إيجاد التوازن بين المتطلبات السكانية والتنمية المستدامة . وبهذا فإن السياسة السكانية تعتبر المظلة التي تندرج تحتها جملة البرامج والأنشطة التي تؤثر بطريقة مباشرة مثل (برامج تنظيم الأسرة) وغير مباشرة مثل (رفع مستوى التعليم) في متغيرات السلوك الديموغرافي وخصائصه الصحية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئية.

لابد من أن تكون لكل دولة سياسة سكانية واضحة ومحددة ومتناسكة ، ومن الضروري دمج السياسة السكانية في خطة التنمية الشاملة ، بحيث يتم الاهتمام في كل قطاع من خلال آثار المتغيرات السكانية لا من حيث ما إذا كانت تشكل عقبة أمام التنمية الشاملة أم لا ، وإنما بوصفها مؤشر لتخطيط القوى البشرية والترابط بين السياسات السكانية والتنمية الشاملة . يتطلب تعزيز سياسات التنمية وتطويرها لتعزيز قدرة المجتمع على استيعاب الولادات الحالية والمتوقعة في المجتمع ، وبخاصة في مجتمعات الدول النامية و التي تتصف بارتفاع معدل النمو السكاني السنوي ، وهذا يؤدي بدوره إلى خلق ظروف اقتصادية واجتماعية تشجع التحول إلى أسرة أصغر حجماً . لذا فى هذا البحث سنتناول تطور

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

السياسات السكانية في ليبيا ومدى استجابة السياسة السكانية لحاجات المواطن في الوقت الحالي والتطور الذي حققته تلك السياسة في ضوء الخطط التنموية الموضوعة والمنصوص عليها في المجال السكاني .

ولتوضيح ذلك خصصنا هذه الورقة البحثية للتعريف بمفهوم السياسة السكانية ، وماهي العوامل التي تساهم في نجاح السياسة السكانية ، وماهي مسارات ملامح السياسة السكانية المقترحة في ليبيا؟، عبر المحاور الآتية :

أولاً : ماهية السياسات السكانية .

ثانياً : تطور السياسات السكانية في ليبيا .

ثالثاً : مسارات ملامح السياسة السكانية المقترحة في ليبيا .

رابعاً : المبادئ الأساسية لاتجاهات السياسة السكانية في ليبيا .

أولاً: ماهية السياسات السكانية :

السياسات السكانية هي مجموعة التشريعات والإجراءات الحكومية التي تهدف للتأثير في نمو حجم السكان في المجتمع وتوزيعه الجغرافي . فالسياسات السكانية ركن أساسي لضمان استدامة عملية التنمية في المجتمعات، يتم وضع السياسات السكانية بناءً على دراسة وضع المجتمع وتحديد الاتجاهات السكانية داخله على الأمدين القصير والطويل ومعرفة الأسباب والعوامل المؤثرة في هذه الاتجاهات والتي تعتبر عاملاً فاعلاً في وضع سياسات سكانية فعالة تحدد فيها متطلبات السكان بناءً على الموارد المتاحة ومن ثم استنتاج السياسات السكانية السليمة ، وفيما يلي سنعرض بشيء من التفصيل حول مفهوم السياسات السكانية وأهدافها، السياسات السكانية في إطار الواقع الديموغرافي ، العناصر المشتركة للسياسات السكانية ، العوامل التي تساهم في نجاح وإخفاق السياسات السكانية

1. مفهوم السياسات السكانية :

يقتضي تحديد مفهوم " السياسة السكانية" ، التمييز ما بين السياسة السكانية المعلنة

(explicite) والسياسة السكانية الضمنية (implicite) . فالسياسة السكانية المعلنة

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

هي عبارة عن تصريحات أو وثيقة لحكومة ما تعلن من خلالها عن مشروع يبتغى من خلاله التأثير على المتغيرات الديمغرافية كما وكيفاً . ويمكن لهذه السياسة المعلنة أن تأخذ عدة أشكال منها : التدابير القانونية والوثائق الصادرة عن بعض الوزارات واللجان الحكومية وأجزاء من مخططات تنموية ، وكذلك التصريحات السياسية للحكومة وتصريحات رئيس الدولة أو بعض الشخصيات الرسمية كما يمكنها أن تدمج عدة قطاعات أو تكتفي بقطاع واحد .

أما فيما يخص السياسات السكانية الضمنية فتحتوي على قوانين، وأنظمة وتدابير لم تُعد أصلاً من أجل التأثير على نمو السكان وتوزيعهم ، ولكنها تقوم بنفس مهمة السياسة السكانية المعلنة و تؤدي إلى نفس النتائج بمستويات مختلفة⁽¹⁾ ، غير أنه من الصعوبة معرفة وتحديد السياسة السكانية الضمنية لبلد ما بسبب عدم التنسيق بين السياسات السكانية من أجل الوصول إلى هدف ديمغرافي موحد . إن جل سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، من تعليم و شغل و صحة و سكن ، تؤثر بصفة غير مباشرة على الدينامية الديمغرافية لكن يصعب تقييم مفعولها بوضوح وتحديد انعكاساتها على مكونات النمو الديمغرافي خلال مدة زمنية محددة .

و تجدر الإشارة إلى أنه في بعض الأحيان يحصل خلط بين السياسة السكانية وسياسة الخصوبة أو سياسة تنظيم الأسرة . فالسياسة السكانية أوسع مجالاً ، فهي بقدر ما تهتم بالهجرة والوفيات والخصوبة ، تعالج بعض الجوانب الأساسية لتحسين ظروف عيش السكان ، كتحسين وضع المرأة ، وتوسيع إمكانيات التربية والتعليم وتحسين الوضعية الصحية.... الخ . ويمكن القول أن بلورة أي مخطط تنموي لا يأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الديمغرافية ، يبقى غير مكتمل وناقص ، وكذلك الشأن بالنسبة لتبني أي سياسة سكانية دون الأخذ بعين الاعتبار متطلبات التنمية .

يشير تراث الفكر السكاني إلى أن الاهتمام الحكومي بمسائل السكان ليس ظاهرة حديثة ، بل كان تدخل الدول والحكومات في شكل فرض القوانين و سن التشريعات التي تشجع

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

الزواج ، وتنظيم أو تحديد الهجرة الخارجية ، وما شابه ذلك كانت كلها أموراً معروفة منذ أقدم العصور . وبوجه عام كانت كل هذه الإجراءات تمثل فلسفة سكانية تتساوى من خلالها القوة والرفاهية مع كبر حجم السكان . حيث حدد أفلاطون الحجم الأمثل من السكان في كل مدينة بحيث يتوافر الخير لكل مواطن . ولذلك ينادي بسياسة سكانية ضيقة تهدف إلى الحد من تزايد عدد السكان للوصول إلى العدد الأمثل . وكذلك أرسطو ينادى بضرورة تحديد عدد السكان تجنباً للفقر . إذ يرى أن زيادة عدد السكان بمعدل أكبر من معدل زيادة الأرض المستغلة تؤدي إلى خلافات اجتماعية وتعوق الحكومة عن القيام بأعمالها⁽²⁾ . ولكن النقد الذي يوجه إلى نظرية كل من أرسطو وأفلاطون هو تركيزهم على الجانب الكمي في نمو السكان ، حيث أعطوا العوامل التي ترفع أو تحد من النمو السكاني أهمية كبيرة ، وأهملوا العوامل التي تؤدي إلى تنمية الموارد البشرية .

أما خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية بلغ الدافع التوسعي للسياسات السكانية ذروته في كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان ، حيث كان هناك كثير من الإجراءات المشجعة على زيادة حجم السكان ، مثل دفع أجور منتظمة للأسر المنجبة للأطفال ، ومكافأة أو دعم الأمومة مادياً ومعنوياً ، وحظر استخدام وسائل منع الحمل ، وتحديد الهجرة الخارجية ، والتشريعات الخاصة بتحسين النسل والسلالة ، والتي كانت تعكس دافعاً لزيادة عدد السكان ، وفي الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ، طورت برامج كجزء متكامل من مخطط بناء الدولة الاشتراكية ، وقد استندت هذه البرامج على مناهضة ماركس لنظرية مalthus التثاؤمية ، فقد ذهب ماركس إلى أن الزيادة السكانية المفرطة " مسألة لا تعيب التنظيم الاجتماعي " ، كما استندت أيضاً على حاجة الاتحاد السوفيتي الماسة إلى حجم سكاني كبير . غير أن طبيعة السياسة السكانية في هذه البلدان كانت إلى حد ما مسألة تفسر أو تعبر عن إرادة الحكومة في اختيار برامجها وسياساتها⁽³⁾ .

وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ومع ظهور دول جديدة ، وتنامي الوعي بالمشكلات الاقتصادية في الدول النامية والمتخلفة ، مثلت السياسات السكانية وجهة نظر

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

أخرى مغايرة ، ففي كثير من البلدان المتخلفة انخفضت معدلات الوفيات انخفاضاً ملحوظاً نتيجة لأسباب عديدة ، في الوقت الذي ظلت معدلات الخصوبة تتزايد عاماً بعد عام ، وكان هذا موقفاً لم تألفه التجربة أو الخبرة الغربية . ولقد فرضت هذه المعدلات إمكانية تضاعف عدد السكان خلال جيل واحد ، ومن ثم أثارت المخاوف بأن ما يبذل من جهد لرفع مستوى المعيشة سوف يبدد سدى أمام ضرورة توفير أدنى حد ممكن من مستوى المعيشة لهذه الأعداد المتزايدة . من هنا بدأت تظهر سياسات سكانية جديدة تتجه نحو تخفيض أو على الأقل المحافظة على معدلات النمو السكاني في كثير من البلدان النامية والمتخلفة . ولقد عرف النصف الثاني من القرن الماضي تنظيم عدة لقاءات دولية للسكان ، لكنها تختلف من حيث أهميتها وطبيعتها ويمكن إيجازها كالتالي :

1. **لقاء روما 1954** : يتعلق الأمر باجتماع للخبراء الديمغرافيين، وهو مؤتمر ذو طبيعة تقنية محضة ، لكنه مكن من تجميع المعلومات المتناثرة آنذاك في ميدان الديمغرافيا . نظم هذا الاجتماع من مدن الاتحاد الدولي للدراسات العلمية للسكان (**UIESP**) ومنظمة الأمم المتحدة،

وجاء هذا اللقاء بنظرة جديدة حول القضية السكانية ، إذ أُنذِر بحدوث تحول شامل ومهم يخص الدينامية السكانية .

2. **بلغراد 1965** : ضم هذا الاجتماع الدولي متخصصين في ميدان السكان ، حيث ناقش موضوع الخصوبة لكونه يطرح مشكلاً سياسياً يهتم بقضية التخطيط والتنمية . وقد اقتصرت الأهداف المتوخاة منه على المعرفة العلمية ولم تتناول بلورة السياسات .

3. **بوخارست 1974** : وهو أول مؤتمر حكومي حول السكان ، الذي حول الاهتمام من تبادل المعارف إلى بلورة السياسات في ظرف كان فيه النمو السريع للسكان يشكل تحدياً عالمياً . كما أن التقدم الاقتصادي كان بطيئاً بالدول السائرة في طريق النمو، مما جعل الدول المصنعة توصي ببرامج لمراقبة معدلات نمو السكان . وعلى العكس من ذلك، أجابت الدول السائرة في طريق النمو بأن " التنمية هي أحسن وسائل منع الحمل "

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

- ورغم هذا التعارض في المواقف ، فقد تم إعداد أول وثيقة دولية لبرامج وسياسات السكان من طرف الوفود المشاركة تحت عنوان : برنامج العمل الدولي حول السكان .
4. مكسيكو 1984 : اهتم هذا المؤتمر الدولي على مراجعة وتوسيع نطاق برنامج العمل الدولي حول السكان ، بالاعتماد على الدراسات المنجزة والمعطيات الميدانية والاستعانة بتجربة الحكومات في ميدان برنامج تنظيم الأسرة . وهكذا ومنذ 1984 تغير الرأي العام بالعديد من الدول لصالح السياسات السكانية الحكومية .
5. القاهرة 1994 : اعتبر المؤتمر الدولي حول السكان والتنمية لسنة 1994 اللقاء الدولي الأكثر شمولية في ميدان السكان ، سواء من حيث موضوعه وعدد وتنوع المشاركين فيه . بالإضافة إلى ذلك ، اعترفت الوفود المشاركة بأن الاستجابة لحاجيات الأفراد والعائلات ، أصبحت ضرورة ملحة للوصول إلى أهداف التنمية . ويعد برنامج العمل المعتمد خلال هذا المؤتمر إطاراً للسياسة السكانية الدولية لمدة 20 سنة ، 1994 — 2014⁽⁴⁾ .

وقد وضع المؤتمر الدولي حول السكان والتنمية برنامج عمل السكان في السياق العام للتنمية ، وطالب القطاع الخاص والعمومي بالعديد من التدخلات ، و يتضمن هذا البرنامج عدداً من التوصيات التي تعالج جميع مظاهر التخطيط السكاني والتنمية وكذلك الرفاه الاجتماعي .

وبناءً على ما تم عرضه يمكن القول أنه على الرغم من الظهور المبكر للسياسات السكانية عقب الحرب العالمية الثانية في دول آسيا على وجه الخصوص ، والآمال التي علقت عليها من أجل تغيير اتجاهات السكان ، وتحقيق التحول الديموغرافي ، لم يحظ على هذه الأهمية من ناحية الباحثين . وتكفي الإشارة هنا إلى ما ذهب إليه كلاً من "برنارد برلسون" و " جوزيف ستايكوس" فيرى الأول ان ميدان البحث في السياسات السكانية غالباً ما يكون وصفيًا أو ارشادياً بدلاً من أن يكون تحليلياً . بينما يرى الثاني أن قسم السياسات السكانية في الفهرس السكاني يشكل 3.31 % من الاستشهادات ، وإن دل هذا

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

على شيء فإنما يدل على قلة البحوث في هذا المجال ، أو اقتصارها على عرض السياسات السكانية في البلدان النامية ووصفها دون مناقشتها وتحليلها ثم ربطها بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . ولذلك يعرف "جوزيف ستايكوس" المدير السابق لبرنامج السكان الدولي بالأمم المتحدة السياسة السكانية بأنها عملية رسم الأهداف مصحوبة بمجموعة معينة من وسائل بلوغها وهي تتضمن نظرية تربط بعض الغايات ببعض الوسائل وتشكيل مجموعة متقنة من الوسائل ، وقد تكون هناك سياسات بدون برامج ولكنها لم تعمر طويلاً . بينما ذهب "برنارد برلسون " إلى تعريف السياسة السكانية على أنها مجموعة الإجراءات التي تتخذها الدولة والتي ترمى إلى التأثير في معدل الزيادة الطبيعية من أجل تحولات كيفية وكمية للظواهر الديموغرافية(5) ، وعندما تم الاعتراف بالمشكلة السكانية دولياً عام 1966 حين أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الشهير عن السكان والتنمية — بدأ النقاش الدولي بخلاف وجدالات مريرة وحادة نظراً لتباين الظروف القومية والأيدولوجيات . فكان من شأنه جعل عملية اتخاذ قرار وضع السياسات السكانية أمراً عسير المنال (6) . فالعالم الذي نعيش فيه اليوم ، في واقع الأمر ينقسم إلى فئتين : فئة غنية وأخرى فقيرة ، فئة متعلمة وأخرى تسودها الأمية ، فئة قائمة على الاستهلاك وأخرى ابتليت بالفقر . ومن ثم تؤكد معظم دوريات الدراسات السكانية ان مفهوم السياسة السكانية مفهوم يشوبه الغموض . بل كثيراً ما يساعد فهمه على اعتبار أن هدف السياسة السكانية هو خفض حجم الأسرة ، والهبوط بمعدلات نموها مهما كان الوضع السكاني . ويذهب البعض الآخر إلى أن السياسة السكانية هي وسيلة ضغط من جانب الدول القوية على الدول الضعيفة تعيقها عن الازدهار والتقدم(7) .

وفي حقيقة الأمر أن مفهوم السياسة السكانية لا يقتصر على تنظيم الأسرة ، فالهدف الأسمى للسياسة السكانية هو رفع مستوى المعيشة للسكان ، وليس مجرد رفع متوسط الدخل القومي . ولذلك فمن الصعوبة كما أوضحنا الحصول على تعريف للسياسة السكانية

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

أدق من كلمة التنمية . ومن ثم يرى البعض أنه يمكن حصر تعريفات السياسة السكانية في تعريفين أساسيين :

تعريفات محدودة تشير فقط إلى السياسات الظاهرة التي تنتهجها الحكومة إزاء العواقب الديموغرافية المحتملة . كما أن هناك تعريفاً أشمل لا يشير فقط إلى هذه السياسات ، ولكن أيضاً إلى تلك التي لها تأثير على الأحداث الديموغرافية ، أو التي يفترض أن تؤثر فيها . والتعريف المحدود الذي يركز على الهدف الظاهر هو تعريف واضح وسهل التطبيق إلى حد ما ، إلا أنه في معظم الدول يغفل النتائج الديموغرافية للإجراءات الحكومية أما التعريف الأوسع نطاقاً فيتعرض بصورة مبالغ فيها إلى كل الإجراءات الحكومية ، مثل السياسة التعليمية أو الخدمة العسكرية التي يمكن أن تؤثر على سن الزواج ومن ثم معدل المواليد وكذلك السياسات الصحية التي يمكن أن يكون لها تأثير على معدلات الوفيات ، وخطط الإسكان بتأثيرها على إمكانية الزواج ، وكذلك حجم الأسرة أو أيضاً إنشاء الطرق الرئيسية التي من شأنها أن تؤثر على توزيع السكان . أضف إلى ذلك برامج الحقوق المدنية للحد من الفصل العرقي التي قد تؤثر على الأداء الديموغرافي . وأيضاً سياسات عمل المرأة التي تؤثر على معدلات المواليد سواء بالارتفاع أو الانخفاض، فالسياسة السكانية تشكل جزءاً من سياسة التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . كما ان السياسة السكانية في حقيقتها ماهي إلا خطة من الخطط التنموية . وعليه فلا بد من مراعاتها . ومن ثم فإن السياسة السكانية عندما تُعرفها يجب أن نأخذ بعين الاعتبار التباين الديموغرافي من بلد لآخر وتنوع الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يحيا في ظلها السكان ويتكاثرون .

2. أهداف السياسات السكانية :

- وضع البرامج الخاصة بزيادة أو تخفيض معدل النمو السكاني .
- تحسين نوعية السكان .
- تنظيم هجرة السكان وحركتهم والتوزيع المكاني .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

- إيجاد نوع من التوازن بين نمو السكان والموارد الاقتصادية بهدف تحسين مستوى معيشة السكان ورفاهيتهم .
- تضيق الفجوة بين الريف والحضر .

3 . السياسات السكانية في إطار الواقع الديموغرافي :

يرى " مسهام " أن دراسات الاتحاد الدولي للسكان قد أثبتت أن هناك تأثيراً ملحوظاً لظروف الإنسان الاجتماعية على سلوكه الإنجابي . تتمثل هذه الظروف في أساليب الضبط الاجتماعي. عملية الضبط الاجتماعي هذه تجعل الزيادة محكومة بسياسة رشيدة وفقاً لظروف المجتمع وأوضاعه المستحدثة ، وهذه الضوابط ومن بينها الأساليب الصحية يمكن أن تنتشر في المجتمع لكي تغير السلوك الجمعي . وإن النتائج الاجتماعية لمعدلات توزيع السكان تعتبر مظهراً من مظاهر تنظيم الخدمات الاجتماعية بواسطة المؤسسات الخدمية المختلفة فضلاً عن أن سياسة الهجرة الداخلية سوف تؤثر في إعادة توزيع السكان في المجتمعات الجديدة . من هنا يجب أن نتعرض للمتغيرات الديموغرافية والسياسات التابعة لها .

1. السياسات السكانية وأثرها على معدلات الخصوبة: يقاس معدل الخصوبة بعدد

الولادات للمرأة الواحدة ومن خلاله يتم قياس معدل الخصوبة العام وهو عبارة عن نسبة المواليد الأحياء في السنة إلى عدد الإناث في سن الحمل (15 – 45)، ولقد تم اعتماد هذا المؤشر نظراً لسهولة حسابه ودقته ، أن هذا المؤشر قد انخفض في ليبيا على الرغم من عدم وجود سياسة سكانية محددة أدت إلى حدوث هذا الانخفاض وإنما يرجع ذلك إلى زيادة الوعي بالسلوك الإنجابي وزيادة تعليم المرأة ودخولها إلى سوق العمل .

2. السياسات السكانية وأثرها على معدلات المواليد: معدل المواليد هو نسبة المواليد

الأحياء في السنة إلى عدد السكان في منتصف السنة ويتم استخدام هذا المؤشر للحكم

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

على التغيير في معدلات المواليد والتي تكون من أثر السياسة السكانية التي قد تتبعها الدولة .

3. السياسة السكانية وأثرها على معدلات النمو السكاني : لعله من أهم أهداف السياسة السكانية هو التأثير في معدلات النمو السكاني " خفض أو زيادة أو ثبات " ويعد هذا التأثير مؤشراً مهماً يوضح مدى كفاءة وفاعلية السياسة السكانية ويقاس معدل النمو السكاني من خلال قسمة حاصل الزيادة السكانية في فترة الزمنية (سنة) على عدد السكان في تلك الفترة .

أى هو نسبة الزيادة السكانية خلال عام كامل إلى عدد السكان في منتصف هذا العام ولذا فإن ما يوضحه هذا المؤشر هو انعكاس للسياسة السكانية التي تتبعها الدولة، أن اتجاهات معدل نمو السكان بين الانخفاض والزيادة في هذا الاتجاه يكون معدل النمو السكاني غير منتظم فقد يتميز في فترات بالارتفاع وبتجه في فترات أخرى إلى الانخفاض ولعل هذا التذبذب يرجع إلى وضع الدولة من حيث الخدمات الصحية والاهتمام بالوضع السكاني هذه السياسات يمكن تحليلها ومعرفتها من خلال دراسة وتحليل اتجاه وضع السكان في الدولة ، والسؤال المهم هنا ما هو نوع الاتجاه الذي يتميز به النمو السكاني في ليبيا ؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من التطرق إلى وضع السكان في ليبيا .

لقد سجل المجتمع الليبي تغيراً كبيراً في خصائصه الديموغرافية عبر الفترة الزمنية 1970 — 2012 ، ترجع إلى أسباب عديدة لعل أهمها تحسن الوضع المعيشي وانتعاش الاقتصاد الليبي في البداية فمُنذ نهاية الستينات من القرن الماضي وعند اكتشاف النفط انتعش الاقتصاد وأدى إلى عودة الليبيين المقيمين في الدول المجاورة ، كما أن توفر السلع الأساسية والخدمات الصحية ساهم في ارتفاع معدل النمو الطبيعي بسبب سهولة الحصول على مسكن للأسرة وتكوين أسر جديدة مما ساهم في سرعة إقبال الشباب على الزواج وتوفر الرعاية الصحية انخفض معدل الوفيات بشكل كبير . كل هذه العوامل تجمعت ليصل متوسط معدل النمو السكاني في الفترة 1973 — 1984 إلى (4.2) .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

ارتفع عدد السكان الليبيين من 2053 ألف نسمة في عام 1973 إلى 3231 ألف نسمة في عام 1984 ووصل إلى 4389 ألف نسمة في عام 1995 وبلغ 5324 ألف نسمة في عام 2006 بينما في عام 2012 بلغ عدد السكان الليبيين 959434 ، وقد شكلت نسبة السكان الذين يقل عمرهم عن 15 سنة في عام 1973 أكثر من 51% من الإجمالي وتشير البيانات إلى أن هذه الشريحة شكلت 49.9% في عام 1984 ، أما في عام 1995 فقد انخفضت نسبة السكان الذين يقل عمرهم عن 15 سنة لتشكّل فقط 39% من إجمالي عدد السكان الليبيين واستمر انخفاض حجم هذه الشريحة مقارنة بإجمالي السكان الليبيين حتى وصلت نسبتها إلى 32% في عام 2006⁽⁸⁾. والجدول رقم (1) يبين تطور عدد السكان خلال الفترة (1973 – 2012) بينما الجدول رقم (2) يوضح التوزيع النسبي للسكان الليبيين حسب الفئات العمرية خلال الفترة (1984 – 2012).

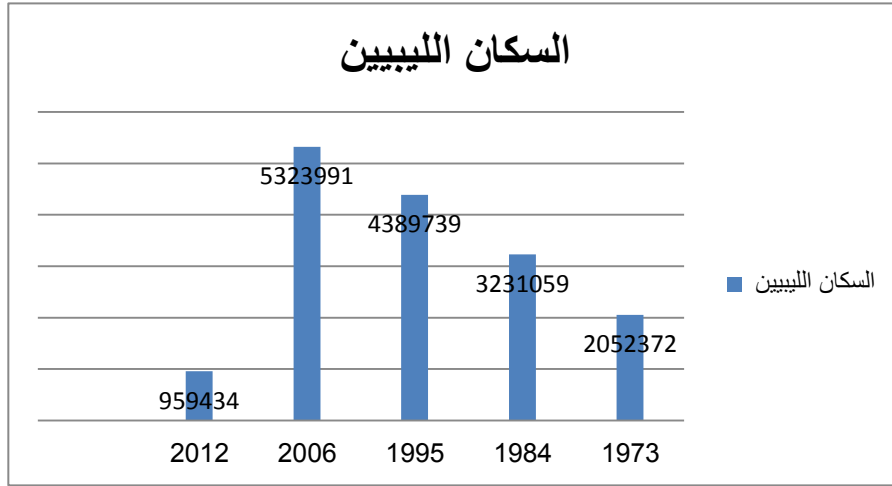
جدول رقم (1) تطور عدد السكان خلال الفترة (1973 – 2012)

الفترة	السكان الليبيين	السكان غير الليبيين	مجموع السكان
1973	2052372	196865	2249237
1984	3231059	411617	3642676
1995	4389739	409300	4799039
2006	5323991	349000	5672991
2012	959434	43873	1003307

المصدر :

- وزارة التخطيط ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان للسنوات 1973 ، 1984 .
- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان العام 1995 .
- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان العام 2006 .
- وزارة التخطيط ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، النتائج النهائية للمسح الوطني للسكان 2012 .

شكل رقم (1) تطور عدد السكان الليبيين خلال الفترة (1973 — 2012)



من الجدول السابق نلاحظ أن نمو السكان سجل ارتفاع كبير في الفترة 1973 — 1984 حيث بلغ متوسط معدل نمو السكان الليبيين في هذه الفترة 4.21% ، ثم بدأ بالانخفاض التدريجي حتى بلغ 2.83% في الفترة 1984 — 1995 وقد بلغ متوسط معدل النمو السكاني 1.77% في الفترة 1995 — 2006 ، ربما كان لعامل الهجرة دور في معدل النمو السكاني بالفترة 1984 — 1973 أما العوامل الأساسية فهي ارتفاع معدل المواليد الخام وانخفاض معدل الوفيات خاصة ووفيات الرضع . ويمكن استخلاص هذه العوامل من تتبع معدلات الزواج ونسب السكان الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة إلى إجمالي عدد السكان .

جدول رقم (2) التوزيع النسبي للسكان الليبيين حسب الفئات العمرية خلال الفترة (1984 - 2006)⁽⁹⁾

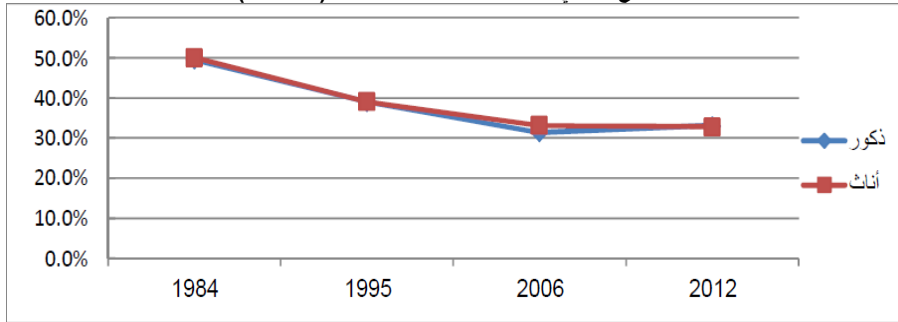
2012			2006			1995			1984			الفئات العمرية
الإجمالي	إناث	ذكور	الإجمالي	إناث	ذكور	الإجمالي	إناث	ذكور	الإجمالي	إناث	ذكور	
32.9	32.8	33.1	32.3	33.2	31.4	39.1	39.1	39.0	49.9	50.1	49.6	14 - 0
63	63.8	62.2	63.2	62.4	63.9	57.0	57.0	57.1	46.5	46.3	46.8	-15 64
4.1	3.4	4.7	4.5	4.4	4.6	3.9	3.9	3.9	3.6	3.6	3.6	65 فأكثر
100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	المجموع

من خلال الإطلاع على البيانات الواردة في الجدول رقم (2) تبين أن الفئة العمرية (0—14) للسكان من الذكور في سنة (1984) تمثل نسبة % 49.6 من إجمالي السكان الذكور و أن نسبة السكان الإناث من نفس الفئة لسنة (1984) تمثل نسبة 50.1 % وأن متوسط نسبة الفئة العمرية (0-14) من الجنسين لسنة (1984) تمثل نسبة % 49.9 وهذا يعني أن نصف سكان ليبيا سنة (1984) خارج سوق العمل أي خارج القوى العاملة في ليبيا، كذلك نجد أن هذه الفئة العمرية (0-14) هي في انخفاض مستمر لصالح الفئة العمرية التي تليها حيث كانت تمثل نسبة (39.1 %) من إجمالي السكان لسنة (1995)، وتمثل نسبة 32.3 % من إجمالي السكان لسنة 2006 ، وكانت تمثل نسبة 32.9 % من إجمالي السكان في سنة (2012) ، أما الفئة العمرية (15-64) وهي التي تمثل نسبة السكان القادرين على العمل والمقصود هنا العمالة الماهرة والعمالة غير الماهرة فقد كانت في زيادة مستمرة حيث كانت تمثل نسبة 46.5 % من إجمالي السكان في سنة (1984) ثم أصبحت 57 % من إجمالي السكان في سنة (1995) لتصبح هذه النسبة تمثل 63.2 % من إجمالي السكان في سنة (2006) لتصبح 63 % من إجمالي السكان في سنة (2012) وهذا يعني أن الراغبين في العمل في زيادة مستمرة وهم يضغطون على سوق العمل أما الفئة العمرية (65 فأكثر) فزيادة كانت فيها طفيفة مقارنة بالفئة (15 — 64) وأن النسبة كانت تمثل من إجمالي السكان 3.6 % ، 3.9 % . 4.5 % ، 4.1 % ، على التوالي في السنوات (1984 ، 1995 ، 2006 ، 1984 ،

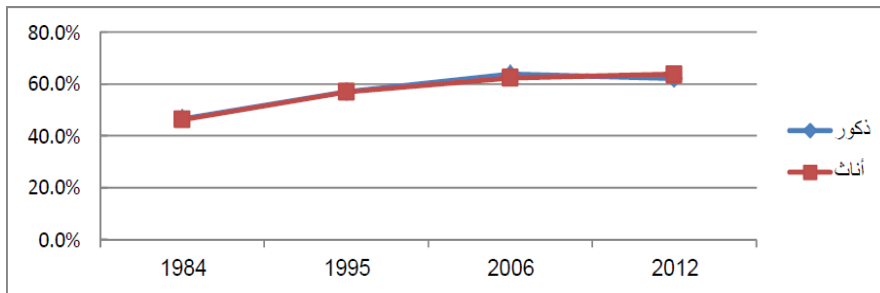
السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

(2012) وهذا يعنى أن الزيادة النسبية من إجمالي السكان فى هذه الفئة سيضغط على صندوق الضمان الاجتماعي . من خلال عرض الجدول رقم (2) وتحليله تبين أن الفئات العمرية للسكان لها ارتباط وثيق بتأثير على سوق العمل وذلك نتيجة لانتقال الفئات العمرية من فئة السكان خارج سن العمل إلى فئة السكان داخل سن العمل وهذا نتيجة للتسلسل الزمني .

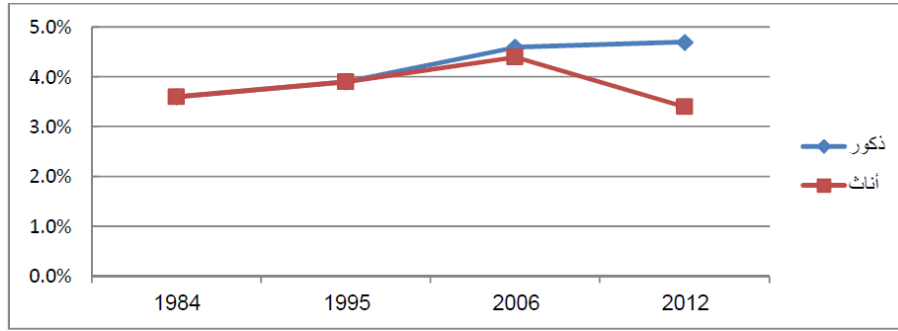
شكل رقم (2)
التوزيع النسبي للسكان الليبيين حسب الفئات العمرية خلال الفترة (1984 – 2006 – 2012)
التوزيع النسبي للسكان الليبيين حسب الفئات (0 – 14)



التوزيع النسبي للسكان الليبيين حسب الفئات (15 – 64)



التوزيع النسبي للسكان الليبيين حسب الفئات (65 فأكثر)



4. السياسة السكانية وأثرها على مؤشر التحضر : قد تواجه الدولة مشكلة الهجرة من الريف إلى المدينة ويؤدي ذلك إلى تضخم المدن الأمر الذي يترتب عليه مشكلة السكن والخدمات والتزام إضافية إلى عملية الزحف على الأراضي الزراعية لغرض تحويلها على مبانى ومساكن(10)، ولذا قد تضع الدولة سياسة سكانية للحد من هذه الهجرة فإذا كانت انعكاس هذه السياسة أدى إلى انخفاض نسبة سكان المدن عن الريف فإن هذا المؤشر يدل على نجاح هذه السياسة

5. العناصر المشتركة للسياسات السكانية : رغم وجود اختلافات بين السياسات السكانية، فإنها تتضمن عددا من العناصر المشتركة التي يمكن تلخيصها فيما يلي :

(أ) المبدأ الأساسي : يتجلى في كون النصوص الرسمية المحدثة للسياسات تبدأ غالبا بتبرير أسباب وضع سياسة سكانية ، أو عرض حوافز هذا القرار، وذلك على شكل تحليل ديمغرافي للمشاكل المتعلقة بالنمو وتوزيع السكان من خلال الأرقام التي تعطي نظرة عن الحاضر والمستقبل .

(ب) الأهداف : يكون المبدأ الأساسي في كثير من السياسات السكانية متبوعا بتصريح حول الأهداف المتوخاة، التي يمكن أن تكون عامة معلنه بشكل إجمالي أو تشكل أحيانا أهدافا محددة أو خاصة .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

ج) تحديد الأهداف والأولويات : يقصد بذلك تحديد السياسات السكانية لأهداف ديمغرافية دقيقة مثل بلوغ مستوى معين من الخصوبة أو الوفيات داخل أجل محدد .

د) الإجراءات السياسية والبرامج : هناك عدد كبير من السياسات تتضمن التدابير والإجراءات والبرامج التي تعتزم البلاد اتخاذها لتحقيق هدف ما .

ه) التنفيذ والتدبير المؤسسي : تحاول عدة بلدان ضمان نجاح تنفيذ سياساتها بتعيين مسؤولين عن التنسيق أو مراقبة السياسة السكانية، أو عن طريق إحداث جهاز خاص يتكلف بهذه المهام . بالإضافة إلى ذلك، ونظراً لإمكانية تأثير بعض القوانين المعمول بها على النمو الديمغرافي، فإن فعالية تطبيق السياسات السكانية تستلزم أحياناً إصلاحات في التشريعات والقوانين . فقد توصي هذه السياسات بإعادة النظر في التشريع الذي له صلة بالموضوع أو بضرورة مراجعة القوانين التي تتعارض مع أهدافها .

إن المصادقة على سياسة سكانية ما، لا تعني ولا تضمن تنفيذها، ولهذا فغالبا ما يتم إنشاء "مجلس للسكان " يجمع بين عدة وزارات أو تعيين وحدة ديمغرافية تقنية، حيث يعتبر هذا التعيين ضماناً لنجاح أنشطة هذه السياسة . (11)

العوامل التي تساهم في تحقيق السياسة السكانية

تواجه السياسة السكانية عوامل نجاح وعوامل إخفاق، تختلف من بلد لآخر، ومن أهم هذه العوامل :

أ - التوافق أو التعارض مع الثقافة السائدة:

لا تتوفر عوامل النجاح للسياسة السكانية التي تسيطر فيها معتقدات دينية أو ثقافات شعبية ذات علاقة بالسلوك السكاني إلا إذا كانت تتوافق مع هذه المعتقدات . لأن هذه المعتقدات تشكل عقبات أمام وضع وتنفيذ السياسات، فيجد المسؤولون أنفسهم أمام وضع حرج وصعب إذا هم تصدوا لهذه العقبات، وبخاصة ما يتعلق منها بالتقاليد الشعبية المتجذرة في أفكار وعقول الناس كالاتجاه نحو الإكثار من البنين وتضخيم حجم الأسرة من أجل التباهي

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

بها، أو الزواج المبكر أو غير ذلك . وهكذا تتجه الحكومات إلى الابتعاد عن التدخل في المسائل السكانية الحرجة.

ب - اهتمام الحكومة والسياسيين بالمسألة السكانية:

تدعم الحكومة البرنامج السكاني وتحدد أهدافه وتعمل على تعميمها فإن هذا يسهل تطبيقها، وخاصة فيما إذا وضحت إمكانية الدعم على مختلف المستويات، فعندها تكون ثمة ضرورة لاقتناع كافة العاملين بجدوى الإجراءات المتخذة في مجال السكان وإلا سيكون مصير البرنامج الفشل.

ج - العوامل التي تساعد على نجاح السياسة السكانية وإمكانية تنفيذها:

1- دعم الجهود الوطنية من خلال برنامج وطني متكامل يعمل على تعزيز الموروث الثقافي الإيجابي والحد من المؤثرات والممارسات السلبية التي تعيق المحاولات الجادة في تنظيم الأسرة والإنجاب وتركيب الأسرة وتحسين موقعها.

2 - تكثيف فعالية المنظمات والاتحادات والنقابات والهيئات الحكومية والمنظمات غير الحكومية لتكوين رأي إيجابي اتجاه القضايا المتعلقة بالسلوك الإنجابي والصحة العامة وبخاصة صحة الأم والطفل.

3- مشاركة الهيئات التشريعية والتنفيذية كافة في تعزيز ودعم المؤثرات الإيجابية المتعلقة بقضايا السلوك الإنجابي والصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة.

4 - تطوير نظم التعليم ومناهجه في مختلف مستوياته بهدف توسيع المعارف المتعلقة بالتربية السكانية والصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة، وكذلك تصميم وتنفيذ برامج تعليمية وإعلامية وخدمية موجهة نحو الحد من الظواهر السلبية في السلوك الإنجابي العام وبخاصة الزواج المبكر، الإنجاب المبكر، زواج القربى، الحد من تفضيل الذكور على الإناث.

5- تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمرأة وتمكينها من اتخاذ القرارات أو المشاركة في اتخاذها وبخاصة المرأة الريفية من خلال تطوير التدريب والإعداد والتعليم

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

المهني، ومشاركة المرأة في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة والعمل على الاستفادة من قدراتها ومؤهلاتها في سوق العمل.

6 - تكثيف الجهود الوطنية لتحقيق أعلى معدلات النمو في الناتج المحلي الإجمالي، وزيادة متوسط دخل الفرد السنوي، وتحسين مستويات المعيشة، والقضاء على مظاهر الفقر والجوع وسوء التغذية والأمية، مع المحافظة على حقوق الأجيال القادمة (التنمية المستدامة) **. وهذا يتم عن طريق:**

أ. تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المحلية.

ب. تحسين مستوى الأداء الاقتصادي عن طريق تنمية الموارد البشرية وبناء القدرات الوطنية وزيادة فرص العمالة والاستخدام، ونقل التكنولوجيا.

ج. تفعيل سياسة التعددية الاقتصادية وتحفيز القطاع العام والقطاع الخاص، لكي يقوم كل قطاع بدوره في عملية التنمية الشاملة، وبخاصة فيما يتعلق بإقامة الصناعات التي تعتمد على المواد الخام المحلية، وتنوع النشاط الإنتاجي بهدف الإحلال محل الواردات.

7 - تهدف السياسة السكانية إلى تحقيق التوزيع السكاني المكاني المتوازن، والذي يلبي احتياجات التنمية الشاملة، ودمج النمو الحضري في سياق التنمية المستدامة وهذا يتطلب:

أ. تعزيز التنمية المستدامة والمنصفة التي تؤدي إلى التوزيع المكاني السكاني الأكثر توازناً، كما تؤدي إلى خفض الهجرة من المناطق الريفية إلى المراكز الحضرية.

ب. تقوية البنى الأساسية للأسرة وتطويرها في المدن الصغيرة، متوسطة الحجم توسيع قدراتها الاستيعابية بهدف تقريب الفوارق بين الريف والمدينة أو بين المناطق لتقليل الهجرة من الريف إلى المدينة.

ج. تشجيع التنمية الريفية وخلق فرص عمل وتأمين دخول إضافية تؤدي إلى جذب واستقرار السكان في المناطق الأقل كثافة.

8 - المحافظة على البيئة وحمايتها عن طريق التحكم بالعوامل التي تؤدي إلى تدهورها وتخفيف الآثار السلبية المتبادلة بين البيئة والسكان، من خلال التخطيط الإنمائي والبيئي

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

والسكاني طويل الأجل وخلق الوعي البيئي لحماية البيئة من التدهور السريع عن طريق الإعلام والاتصال السكاني ومناهج التربية والتعليم. وإصدار التشريعات واللوائح الخاصة بحماية البيئة والمحافظة عليها.

د - العوامل التي تؤدي إلى إخفاق السياسة السكانية:

1 - قصور الدراسات السكانية واختلاف آراء واضعيها يفترض أن يتم وضع السياسة السكانية بالاستناد إلى نتائج ودراسات أنجزت من قبل وضع هذه السياسة، لكن الدراسات السكانية ما تزال قليلة أو غير موجودة وبخاصة في الدول التي تعاني من مشكلات سكانية. 2 - تعرض تنفيذ السياسة السكانية بالواقع وفي حالات كثيرة لصعوبات مالية ناجمة عن عدم القدرة على رصد الأموال اللازمة لتنفيذ بعض ما توصي به ، سواء أكان برنامجاً سكانياً تمويلياً مكلفاً أم كان صعوبات فنية ناجمة عن عدم توفر الاختصاصيين والخبراء القادرين على صياغة أي برنامج سكاني وتنفيذه.

3 - تعارض السياسة السكانية مع المصالح الفردية أو المصالح السكانية العامة فإن الأفراد المستهدفين يعارضون ويقاومون وضع هذه السياسة أو تنفيذها إن وضعت لذلك يجب أن تكون السياسة السكانية غير بعيدة عن عادات وتقاليد الأفراد، بالإضافة إلى أنها يجب أن تلبى احتياجات الأفراد إلى حد كبير (12) < إن تحقيق تنمية السياسة السكانية يعد الشغل الشاغل لأي دولة ، وذلك لأن حل أي مشكلة يجب أن يبدأ بمسببات هذه المشكلة ، والتي تتلخص بعدم وجود استراتيجية سكانية ثابتة .

لذلك فإن صياغة سياسة سكانية مقبولة بات الشاغل الأول لكثير من الدول ، وخاصة دول العالم الثالث، التي يهتما تحقيق اكتفاء ذاتي من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وهذا يعنى الاهتمام بالإنسان فيها والعمل على توعيته وإعداده الإعداد المناسب ليصبح ملماً بالقضايا الحيوية المختلفة ، وبالتالي يصبح عاملاً مساعداً في تحقيق تقدم هذه الدول وليس عاملاً معيقاً .

وبشكل عام يمكن صياغة بعض العوامل الأساسية التي تساهم في تحقيق تنمية

السياسة السكانية المنشودة ، وهي :

1. ضرورة البدء بدعم الموارد البشرية وتحديد مواقع الإفادة من إمكاناتهم وطاقاتهم والكشف عن مواطن الضعف فيهم من نقص في المهارات والقدرات والمعارف والعمل على إزالتها من خلال الدورات التنظيمية والتدريبية في مختلف المجالات والاختصاصات . ومن هنا فإنه يجدر بنا التذكير بأن ليبيا قد قطعت شوطاً لا بأس به في هذا المجال على أساس معدلات النشاط الاقتصادي للذكور والإناث ، حيث حققت معدلات النشاط الاقتصادي الإجمالي للسكان ارتفاعاً ملحوظاً حيث ارتفع من 51.23% عام 1973 إلى 69.68% عام 2006 وسجل هذا المعدل على مستوى النوع تطوراً هو الآخر ليرتفع من 53.0% إلى 70.14% للذكور ومن 49.25 إلى 69.18% للإناث خلال نفس الفترة . كما توضح هذه المعدلات ، أن معدلات نشاط الإناث هي أقل من معدلات نشاط الذكور طيلة الفترة ، إلا أن الفارق بين المعدلين أخذ يتقلص من فترة إلى أخرى حتى بلغ درجة واحدة عام 2006 بعد أن كان 4 درجات في عام 1973⁽¹³⁾.
2. دعم الموارد المتاحة وفق أولويات تسمح بتوظيف المورد البشري المتاح والاستفادة من التقنية المحلية عوضاً عن التقنية الأجنبية ، أي تحقيق الاكتفاء الذاتي المطلوب .
3. التخطيط الفعلي في سبيل تحقيق العدالة النسبية في الفرص الاجتماعية بين الريف والمدينة ، وبين الشرائح الاجتماعية المختلفة . الأمر الذي يقلل من فرص الهجرة من الريف إلى المدينة ، وقد بلغ تعداد السكان في ليبيا لعام 2012 (959434) ، منهم (850911) في الحضر و(108523) في الريف⁽¹⁴⁾ .
4. الاعتماد على التخطيط العلمي في المجالات المختلفة ، الانتاجية والاستهلاكية والخدمية ، خصوصاً تنمية الموارد البشرية ، بالمعنى الشامل لهذه الموارد ، وبالتركيز على مجالات التعليم والتدريب والإعلام والمشاركة .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

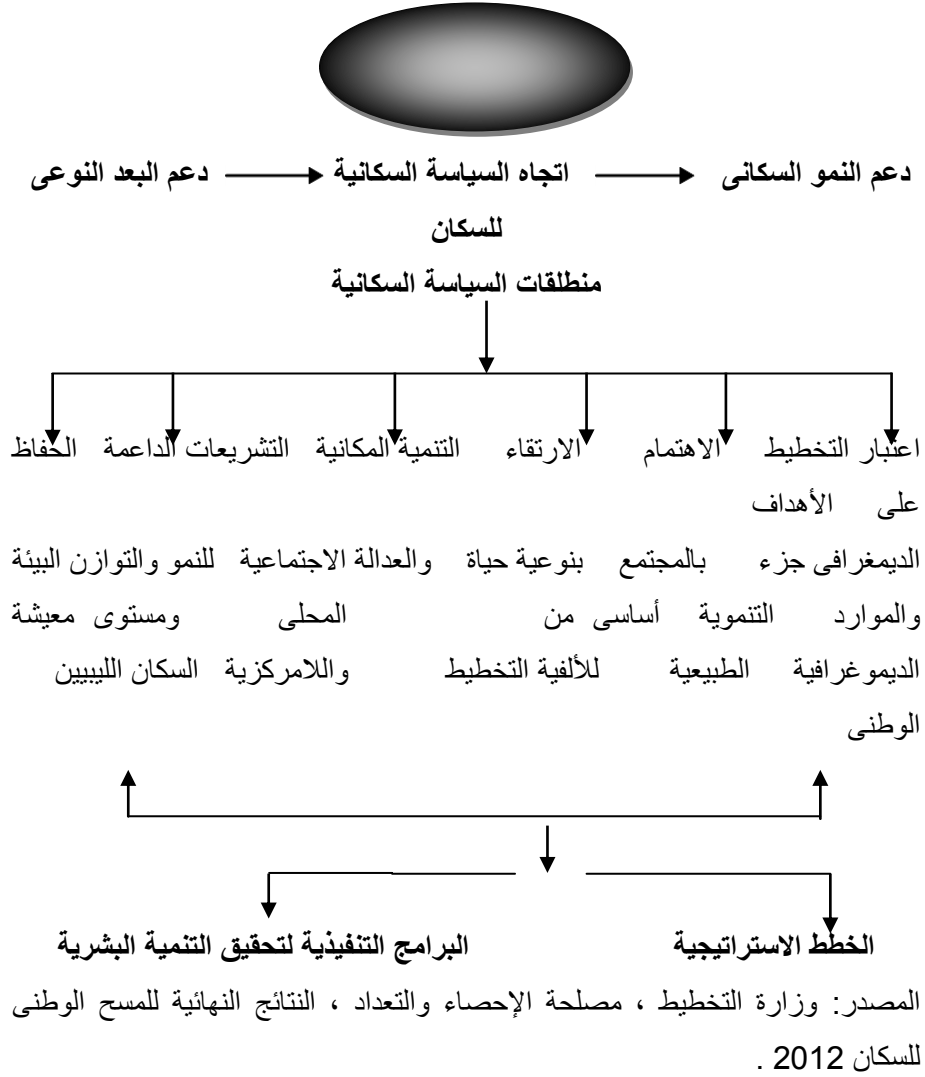
5. التخطيط للتنشئة الاجتماعية والثقافية لنمط استهلاكي يتسق مع الحاجات الأساسية الفعلية والمنتج المحلي ، لمحاصرة الثقافة الاستهلاكية المترفة والإلزام الجماعي بهذا النمط ، فكراً وقيماً وممارسة .

يتضح لنا مما تقدم أهمية تلك العوامل في تحقيق أبعاد تنمية السياسة السكانية التي يجب أن تكون البوصلة الموجهة لتطوير التعليم والعمل وصياغة العلاقة بينهما من ناحية ، وبين التنمية من ناحية أخرى .

ثانياً : تطور السياسات السكانية في ليبيا :

تمثل السياسات السكانية مرجعية بالغة الأهمية في وضع وتفعيل سياسات التنمية البشرية التي تعنى بالدرجة الأولى بتوسيع الخيارات أمام الإنسان الليبي في حياة صحية وتعليم عصري يستجيب لمستجدات العصر وفرص عمل ودخل محترم يتوافق مع متطلبات الحياة الكريمة للإنسان. فالسياسات السكانية هي التي تندرج تحتها جميع البرامج والأنشطة والفعاليات التي تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة في المتغيرات السكانية وبالتالي فهي تلك السياسات التي تقوم بتحديد المبادئ والأهداف التي تتبناها الدولة فيما يخص القضايا المتعلقة بالسكان وذلك من أجل التأثير في الوضع السكاني ويشمل ذلك المتغيرات ذات الصلة بالنمو السكاني والتي تتمثل في الخصوبة – الولادة – الوفاة – التوزيع الجغرافي – التركيبة السكانية مثل الفئات الشابة أو نسبة المسنين إضافة إلى جميع القضايا المرتبطة بالصحة والتعليم ويتم تنسيق السياسات السكانية من خلال قيم وثقافة المجتمع .

الشكل (3) السياسة السكانية في ليبيا



السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

تتخذ الدولة ومؤسساتها المختلفة من إجراءات وبرامج تنفيذية يكون لها علاقة بالسكان وواقع الأمر أنه لا توجد في ليبيا جهة مركزية معينة تضع سياسات سكانية متكاملة يستند عليها في وضع البعد التخطيطي في الدولة .

ومن خلال الاستعراض السابق لوضع السكان في ليبيا ومن خلال الاجراءات التي اتخذت من قبل الجهات المختلفة فإن السياسات الثابتة خلال السنوات الماضية يمكن تحديدها في الآتي :

1. أن توفر المرافق والخدمات الصحية ومن خلال ما تقوم به من تسهيلات في توفير الكثير من وسائل تنظيم الأسرة لمن يرغب في الحصول عليها نجد أن هناك نوع من الدعم غير المباشرة لتنظيم النسل .
2. انتشار الوعي بأهمية تنظيم الأسرة وزيادة نسبة الالتحاق بالتعليم وزيادة نسبة مساهمة المرأة في سوق العمل إضافة إلى ارتفاع تكاليف المعيشة جعل الكثير من الأفراد يلجؤون إلى استخدام وسائل منع الحمل بصورة ذاتية وفي ظل عدم وجود سياسة منظمة ومراكز متخصصة في هذا الجانب ساهم بشكل كبير في انخفاض معدل النمو السكاني خلال الفترة 1973 — 2006 حيث انخفض من (4.21 إلى 1.77) كما مبين بالجدول والشكل التالي .

جدول رقم (3) التغير في معدل النمو السكاني خلال الفترة (1973 — 2006)

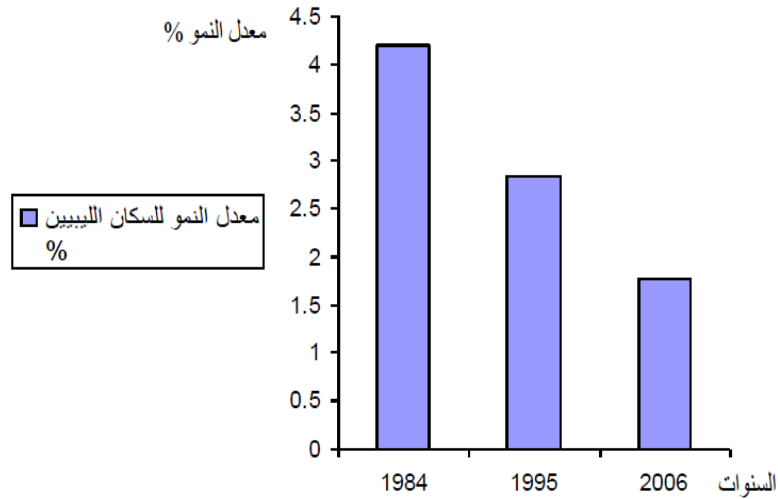
الفترة	التغير في عدد السكان الليبيين	معدل النمو للسكان الليبيين %
1973 — 1984	1178687	4.21
1984 — 1995	1158680	2.83
1995 — 2006	934252	1.77

المصدر :

- وزارة التخطيط ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان للسنوات 1973 — 1984 .
- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان العام 1995 .
- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان 2006 .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

من الجدول السابق نلاحظ أن نمو السكان سجل ارتفاع كبير في الفترة 1973 — 1984 حيث بلغ متوسط معدل نمو السكان الليبي في هذه الفترة 4.21% ، ثم بدأ بالانخفاض التدريجي حتى بلغ 2.83% في الفترة 1984 — 1995 وقد بلغ متوسط معدل النمو السكاني 1.77% في الفترة 1995 — 2006 ، ربما كان لعامل الهجرة دور في معدل النمو السكاني بالفترة 1984 — 1973 أما العوامل الأساسية فهي ارتفاع معدل المواليد الخام وانخفاض معدل الوفيات خاصة ووفيات الرضع . ويمكن استخلاص هذه العوامل من تتبع معدلات الزواج ونسب السكان الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة إلى إجمالي عدد السكان . والشكل التالي يبين التغير في معدل النمو السكاني خلال الفترة (1973 —



. (2006)

شكل رقم (4) التغير في معدل النمو السكاني خلال الفترة (1973 — 2006)

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

3. التشريعات النافذة تقرر منح علاوة عائلة بمعدل 4 دينار للزوجة و2 دينار عن كل طفل وبحد أقصى 16 دينار للموظف الواحد ويلاحظ أن هذه العلاوة بسيطة ولا تأثير لها على معدلات الإنجاب .

4. انعكست السياسة السكانية في ليبيا في شكل عناية بصحة السكان ورفع مستوى التعليم لأفراد المجتمع وذلك من خلال تخصيص وإنفاق مبالغ مالية كبيرة على قطاعي التعليم والصحة .

كل هذه الأمور السابقة توضح أنه ليس هناك سياسات سكانية أو برامج منظمة من خلال سن القوانين أو التشريعات والتي تشمل تدخل المجتمع في عملية تحقيق التوازن بين حجم السكان ووسائل المعيشة من خلال التأثير في معدلات الخصوبة التي تؤثر بدورها في حجم السكان وتوزيعهم الجغرافي وتكوينهم والتي أدت بدورها إلى التأثير في معدلات النمو السكان في اتجاهها نحو الانخفاض إضافة إلى التأثير الواضح في انخفاض الفئات العمرية من (0 — 14) سنة حيث هذا الاتجاه في انخفاض معدلات النمو إذا لم يتم وضع السياسات السليمة في هذا الجانب سيأتي علينا يوماً نجد أن معدل النمو السكاني قد وصل إلى الصفر وهذا سينعكس تأثيره على سوق العمل من خلال نسبة من هم سيدخلون إلى سوق العمل ومن ثم يؤثر ذلك على النشاط الاقتصادي في داخل الدولة .

أن موضوع النمو السكاني والذي يتجه نحو الانخفاض لا بد من أن يعطى الأهمية التي يستحقها بوضع السياسات السكانية الملائمة في هذا الشأن وعليه فإننا في إطار تحليل هذه المشكلة نقترح الآتي :

1. استحداث جهة معينة تكون مسؤولة عن وضع السياسات السكانية بصفة عامة .
2. وضع هدف غير محدد للسياسات السكانية في المجتمع الليبي وقيم نسبة الإنجاز في هذه الأهداف من فترة زمنية إلى أخرى لإجراء التعديلات حسب ما تتطلبه الظروف .
3. انتشار مراكز لتنظيم الأسرة الليبية في جميع المدن الليبية وهذه المراكز يجب أن تمارس نشاطها وفق برامج محددة .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

4. إدخال مفاهيم تنظيم الأسرة والسكان في المناهج الدراسية .
5. إجراء مقارنة بين ليبيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان في البرامج المتعلقة بالسياسات السكانية خصوصاً وأن هذا الصندوق لديه خبرة طويلة في هذا المجال .
6. توفير الإسقاطات السكانية وذلك لإعداد وصياغة السياسات السكانية على ضوء التغيرات الديموغرافية المرتقبة .
7. ضرورة أن تكون هناك خطوات تطبيقية متعلقة بإدماج التغيرات الديموغرافية في عملية التنمية.

السياسة السكانية في مفهومها الشمولي تتقاطع مع كل السياسات بل غالباً ما تكون مرجعية لا غنى عنها لإحداث التنمية البشرية المستدامة في سعيها نحو التحسين النوعي في حياة الإنسان ومهاراته ومقدرته التنافسية بما يتجاوز الأبعاد الكمية رغم أهميتها نحو النوعية، ومما يعطى للسياسات السكانية مكانتها المتميزة في منظومة الفعل التنموي ، متطلبات تحقيق التوازن بين الحجم الفعلي والمتوقع للسكان وبين معدلات النمو الاقتصادي والاجتماعي والسكن والنمو في الطلب على المياه والصرف الصحي والتعليم والمواصلات والرعاية الصحية وقاية وعلاجاً والنمو في فرص العمل وتمكين الإنسان عموماً والمرأة على وجه الخصوص، وتواجه السياسة السكانية الليبية المطلوبة جملة من التحديات والصعوبات بعضها له خصوصيته الوطنية وبعضها الآخر له تواصله العالمي والإقليمي في سياق التعامل التواصلي مع دول الجوار، كما أن الاهتمام بالتمكين وبناء القدرات يدفع باتجاه التعزيز في مستوى أداء الموارد البشرية من جهة وتحقيق الشراكة في صنع التنمية البشرية واستدامتها في تجاوز ثقافة التواكل والقطعية مع مظاهر وسلوكيات التخلف والتهميش والاستبعاد الاجتماعي وتحقيق معدلات أداء عالية في منظومة الأمن والسلم الاجتماعي، ويقع في بؤرة اهتمام السياسة السكانية ضمان حقوق الأجيال القادمة بما في ذلك تفعيل ضمانات حقوق الأطفال وسلامة نموهم وتغذيتهم وضمان حسن تعليمهم وتأهيلهم وحمايتهم من الأمراض السارية والمعدية وتخفيض معدلات وفيات الأمهات والأطفال

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

حديثي الولادة والأطفال دون سن الخامسة وتحسينهم من المظاهر السلوكية المنحرفة وتنمية الإحساس بالانتماء الوطني، كما أن الاهتمام بثقافة التنظيم العائلي والمباعدة بين الولادات يدفع باتجاه جعل السياسة السكانية أكثر استجابة لتوجهات التحسين النوعي للسكان وتشكل المعطيات الوطنية الدينية والثقافية والسياسة والاقتصادية والسكانية وكذلك المعطيات الدولية بما فيها أهداف التنمية الألفية منطلقات مؤطرة للسياسة السكانية الوطنية . ولعل من الأبعاد المهمة التي تواجه تفعيل السياسات السكانية الاهتمام بالانخفاض الملحوظ في معدلات الخصوبة ، والتدهور الحاد في معدلات النمو الديموغرافي للدرجة التي ربما أدت إلى عدم كفايتها لتعويض الفاقد وتزايد فئة كبار السن من الشيوخ وتناقص فئة صغار السن دون سن الخامسة عشرة بما يجعل الهرم السكاني على شكل مقلوب قاعدته من الشيوخ ورأسه من الأطفال وهنا تتجه المشكلة إلى إحداث مشاكل أخرى تتعلق بالرعاية الصحية وتناقص الاستجابة للموارد البشرية الوطنية التي يحتاجها سوق العمل ولكل تداعيات أخرى لها خطورتها وانعكاساتها السلبية .

ومما سبق يمكن القول إن ملامح السياسة السكانية المقترحة لا تخرج عن كونها جملة من المبادئ والمنطلقات والأهداف والفعاليات المباشرة وغير المباشرة التي تسعى لإحداث التأثير النوعي والكمي على المعطى الديموغرافي في أبعاده المختلفة والتي تتقاطع مع كل مطالبات التنمية البشرية الوطنية .

ثالثاً : مسارات ملامح السياسة السكانية المقترحة في ليبيا :

توجد ثلاثة مسارات رئيسية كلامح للسياسة السكانية المقترحة في ليبيا وهي :

المسار الأول : هو المسار الإصلاحى الترميمي الذى يتعامل مع التشوهات فى التركيبة السكانية دون التدخل المبرمج لتغيير المعطى الديموغرافي كماً ونوعاً .

المسار الثاني : هو مسار التغيير الجذري فى آليات وبرامج التعامل مع المعطى الديموغرافي بما يحقق الاستجابة للتحديات المعاصرة ويضمن تحقيق متطلبات الأمن والسلم الاجتماعى ويركز على البعدين الكمي والنوعي .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

المسار الثالث : هو مسار التوفيق الذى يأخذ من مبدأ الإصلاح والترميم جملة من الفعاليات والتوجهات وتوظيفها لتفعيل مسار التغيير الجذري فى مقاربات وتوجهات المعطى الديموغرافي ، وفى كل الأحوال فإن التركيز على المسار الثالث يؤيده تواصله مع مساري الإصلاح الترميمى والتغيير الجذري ويجعله أكثر استجابة ليتجاوز التشوهات فى الحالة السكانية والفعاليات المطبقة والتي لا تعطى للمعطى الديموغرافي تلك الأهمية المرجعية المطلوبة فى التنمية ولا حتى ادماجها فيها بالشكل المطلوب فى سياق أهميتها المرجعية(15)

رابعاً : المبادئ الأساسية لاتجاهات السياسة السكانية فى ليبيا :

توجد جملة من المبادئ الداعمة لتحديد اتجاهات فاعلة ومؤثرة للسياسات السكانية التي منها ما يلى :

1. اعتبار المعطى السكاني مكوناً رئيسياً من مكونات التخطيط الوطني بما يجعله فى علاقة تفاعلية متشابكة مع برامج ومشروعات التنمية البشرية المستدامة وإدماج المعطيات الديموغرافية فى هذا التخطيط .
2. الدفع باتجاه تشجيع الزواج والحد من ظاهرة تأخر سن الزواج .
3. العمل على مراجعة تشريعات الزواج والطلاق خاصة فيما يتعلق بتحديد سن الزواج الأول وتعدد الزوجات .
4. تحقيق أعلى مستوى من التوظيف المنتج للقوى العاملة الوطنية وتحسين دخول الأفراد بما يكفل استجابة هذه الدخول لمتطلبات المعيشة المحترمة وتقليص الفوارق بين الدخول .
5. الاهتمام بإصحاح البيئة والوقاية من الأخطار الصحية للبيئة على السكان بما يهددهم بالمرض والموت .
6. جعل الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية موزعة بشكل عادل على المستوى الجغرافي وفى مستويات تستجيب لأحدث التطورات العلمية وتمكين الكل من الوصول إليها والعمل على الحد من انتشار الأمراض السارية والمعدية .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

7. تطوير برامج تنظيم الأسرة ورعاية الطفولة وتحسين نوعية رياض الأطفال ومراكز رعاية الأمومة والطفولة .

8. العمل على تجاوز مشكلة الخلل في التوزيع المكاني للسكان واعتماد جملة من الإجراءات منها :

أ. التنمية المكانية بما يحقق الاستقرار السكاني وإلغاء حالة المناطق الطاردة للسكان لأسباب تنموية والجاذبة للسكان لنفس الأسباب خاصة من المناطق الريفية إلى مراكز التجمعات الحضرية .

ب . جعل مخططات الجيل الثالث ومستهدفات البرنامج التنموي في خدمة تحسين الأوضاع المعيشية للسكان في المناطق المتخلفة عمرانياً وإيقاف نشوء وتوسع هذه المناطق .

ج. النظر في إعادة التوزيع النوعي للسكان في المجتمعات السكانية وخلق الحوافز والمعطيات الداعمة لذلك .

9. الاتجاه أساساً نحو التحسين النوعي للسكان في سياق من توجهات التمكين وبناء القدرات من خلال العمل على إكسابهم المهارات وتنمية قدراتهم المعرفية بما يدفع باتجاه رفع مقدرتهم التنافسية بما يحقق الاستجابة لمستجدات عصر العولمة والمعرفة الرقمية وجعل التعليم في خدمة هذا التوجه . ويتركز هذا الاتجاه على الاهتمام بنوعية وجودة الخدمات والأنشطة في مجالات التعليم والصحة والسكن والبيئة والإعلام والمياه والصرف الصحي والترفيه الاجتماعي وثقافة المبادرة والقطعية مع ثقافة التواكل والتخلف والتهميش⁽¹⁶⁾ .

النتائج والمقترحات :

يعتبر الإنسان عماد التنمية وهدفها ، لأن عملية التنمية الشاملة عملية إرادية مرتبطة بحركة المجتمع بكل طاقته نحو أهداف محددة وواضحة . كما أن التنمية لا يمكن لها أن تولد إلا بعمل واعٍ ومدروس ومنسق لأجل السيطرة الاقتصادية والاجتماعية على الموارد المحلية وتسخيرها لخدمة المجتمع ، وينبغي لهذه السيطرة أن تكون حصيلة إرادة وطنية ،

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

فلا يمكن أن تفرض من الخارج أو تتحقق بوساطته لأنها في الأساس تغيير عميق في العمل والوجود والتفكير .

هذا وتتطلب عملية التنمية الشاملة التوافق بين السياسات المختلفة السكانية والاجتماعية والاقتصادية ، وهذه المسألة هامة جداً لا تتحقق بسهولة ، ولاشك أن تنمية الطاقات البشرية هي عماد التنمية في أي مجتمع ولكنها تكتسب أهمية خاصة في ليبيا ، البلد الغني جداً بالموارد البشرية حاضراً ومستقبلاً وهذا إذا تمت تنمية طاقاتهم بما يمكنهم من المشاركة الفاعلة في عمليات التنمية المستدامة وبناء القدرات الفنية والمهنية لهذه الموارد وهذه عملية شاقة جداً وتتطلب العديد من الجهود ، ولا يمكن الاستفادة منها إلا من خلال بناء الإنسان عن طريق التعليم والتدريب وتطويرهما بما يتفق والتطورات التقنية في وسائل الإنتاج وبما يؤدي إلى رفع مستوى إنتاجية العامل ، ومما سبق توصلنا إلى النتائج التالية :

1. لا يوجد اهتمام جدى وتطبيق فعلى للسياسة السكانية الموضوعية .
2. تعود عدم معرفة أفراد المجتمع بالقضايا السكانية إلى عدة أمور، أهمها عدم توفر كتب ومراجع علمية تزودهم بالمعلومات اللازمة عن هذه القضايا .
3. يعد دعم الموارد البشرية ووضعها في المواقع الملائمة لإمكاناتها وطاقاتها من أبرز عوامل تحقيق التنمية السكانية وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الريف والمدينة ، إضافة إلى الاعتماد على التخطيط العلمي لنواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية كافة .
4. تأتي خطط التنمية في مجال السكان غير ملبية لحاجات المواطنين ورغباتهم ، لأنها تنطلق من الواقع ، ولا تعمل على تحسينه للوصول إلى مستوى أفضل على الأصعدة كافة .
5. لا تولى الحكومة الاهتمام الكافي لضرورة توعية أفراد المجتمع إلى وجود سياسات سكانية ، إذ أن هذه السياسة توضع دون أن يعرف بها أحد سوى واضعيها .
6. عدم وجود تنسيق فعلى بين السياسات السكانية وعملية تنفيذها على أرض الواقع .

السياسات السكانية في المجتمع الليبي....

7. عدم وجود علاقة بين السياسة السكانية والتنمية السكانية في إطار استراتيجيات التنمية الشاملة .
- وبناءً عليه ، يمكننا وضع مجموعة مقترحات أو تصورات مستقبلية ، يمكن أن تساهم في معالجة بعض أوجه الخلل في وضع كل من الموارد البشرية والتنمية السكانية .
1. تدعيم التوعية حول المسائل المتعلقة بالسكان .
 2. يجب وضع سياسة سكانية تنطلق من الواقع وتعود بالفائدة المرجوة على السكان .
 3. يجب أن توضع السياسة السكانية من قبل فنيين ومختصين في مجال السكان .
 4. تدعيم التربية السكانية عن طريق وضع برامج خاصة في هذا المجال عبر دورات تدريبية .

المراجع :

1. السيد عبدا لعاطى السيد، علم اجتماع السكان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2006، ص364 .
2. السيد عبدا لعاطى السيد ، المرجع السابق ، ص367 .
3. حسن الساعاتي ، عبد الحميد لطفى ، دراسات في علم السكان ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971، ص95.
4. على مصطفى الشريف ، الوضع السكاني وسياسات التعامل مع المسألة السكانية ، وقائع المؤتمر حول السكان والتنمية ، مجلة الدراسات العليا ، 2004 ، ص340 .
5. جوزيف ستايكوس ، السياسات السكانية والإنماء ، الإطار السكاني ، اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا ، الأمم المتحدة ، بيروت ، 1978 ، ص 324 .
6. أحمد خليفى ، السياسات السكانية والتحول الديموغرافي في العالم الثالث ، 1987، ص34.
7. حنا رزق ، السياسة السكانية في الدول العربية ، دراسات سكانية ، المجلس الأعلى لتنظيم الأسرة ، العدد 34، يوليو 1976، ص3 .

8. وزارة التخطيط ، مصلحة الإحصاء والتعداد ،النتائج النهائية للمسح الوطني للسكان ،2012،
9. ملخص أهم نتائج مسح التشغيل والبطالة لسنة 2012 ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، من خلال فلاح خلف الربيعي ، إمكانيات التوافق بين مخرجات النظام التعليمي ومتطلبات سوق العمل الليبي ، مؤتمر تخطيط التعليم والتدريب بين الواقع واحتياجات سوق العمل ، طرابلس ، 2008 .
10. غريب محمد سيد وآخرون ، السكان والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ،1998، ص 22.
11. خليل احمد اسماعيل ، السياسة السكانية وتوزيع السكان ، دار الشروق ، عمان ،2000، ص73.
12. جوزيف ستايكوس ، السياسات السكانية والإنماء ، مرجع سبق ذكره ، ص 340 .
13. التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا ،2010 ، ص101 .
14. وزارة التخطيط، مصلحة الاحصاء والتعداد ، النتائج النهائية للمسح الوطني للسكان ،2012، ص3 .
15. التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا ، مرجع سبق ذكره ، ص138 .
16. التقرير الوطني الأول لحالة السكان في ليبيا ، المرجع السابق ، ص139 .

السيرة النبوية وأثرها في تقرير أحكام السياسة الشرعية غزوة بدر الكبرى أنموذجاً

د: خالد الفلاح
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم أنبياء الله الذي نصره الله وأعزه وآواه، وجعل حياته كلها في سلمه وحربه، وحله وترحاله، وعاداته وعباداته... قدوة للناس، وأسوة حسنة لمن أراد الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، وبعد:

فغزوة بدر هي أول صدام حقيقي بين المسلمين والمشركين، وكانت في السنة الثانية من الهجرة، إنها الواقعة العظيمة التي أعز الله فيها الإسلام ودمغ الكفر وأهله، وسماها: يوم الفرقان، قاله ابن عباس، وعروة بن الزبير ومجاهد والضحاك وقتادة... وغيرهم من المفسرين⁽¹⁾؛ لأنه فرق فيها بين الحق والباطل، فرق فيها بين المسلمين والكافرين فجعل الولاء للدين، والانتساب لجماعة المسلمين وقطع أواصر الصلة ووشائج الرحم مع الكفار المحاربين، وفرق فيها بين من شهد الغزوة ومن لم يشهدها من المسلمين؛ بل ومن الملائكة المقربين، هذه الغزوة كانت بداية لتغيير حقيقي في بلاد العرب؛ بل في العالم كافة.

لقد بدأت قوة المسلمين تظهر بقوة، وتثبت وجودها بين القوى الموجودة في ذلك الوقت، وتهزم أقوى القبائل وأعزها، وتسيطر على طرق التجارة القريبة منها، وتسترد ما سلب من أموالها.... غزوة بدر كانت نهاية لصناديد الكفر والعناد الذين حاربوا دعوة الإسلام، ومارسوا الظلم والاضطهاد ضد أهلها، كانت ملحمة من الصبر، والتضحية، والشجاعة، والإيثار، والتشاور، والرحمة...

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- الوقوف عند الغزوة، والتأمل في أحداثها ونتائجها، واستقراء دروسها الكثيرة والمتجددة.
- 2- البحث عن أسباب الغزوة الحقيقية، لما لها من أهمية في تحديد العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وفي طريقة الدعوة إلى الله سبحانه، ونفي تهمة القتال لأجل المال أو سفك الدماء التي أراد المغرضون إلحاقها بالمسلمين ورسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم .
- 3- بيان أن حروب المسلمين مع غيرهم كانت لأسباب، ولم تكن في يوم من الأيام لمجرد سفك الدماء وإزهاق الأرواح.

خطة البحث:

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول : أسباب الغزوة ، وأحداثها ، وأسباب انتصار المسلمين فيها، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أسباب الغزوة وأحداثها.
 - المطلب الثاني: أسباب انتصار المسلمين فيها.
- المبحث الثاني:** نتائجها، والدروس المستفادة منها، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: نتائج الغزوة.
 - المطلب الثاني: الدروس المستفادة منها.

الخاتمة:

وقد لخصت فيها أهم النتائج وأبرزها.

وفي الختام فما كان في هذا البحث من صواب فهو من الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله منه، وما هو إلا خطوة لإرشاد الباحثين، وطلبة العلم للمزيد من البحوث حول هذه المواضيع وأمثالها.

المبحث الأول: أسباب الغزوة وأحداثها

• المطلب الأول: أسباب الغزوة:

لغزوة بدر أسباب بعضها خاص بها، وبعضها عام في العلاقة التي ساءت بين المسلمين وقريش منذ أن بعث النبي ﷺ وأهم هذه الأسباب هي:

1. العداوة التي ناصبتها قريش للمسلمين؛ حيث قتلت بعضهم بمكة؛ كياسر أبي عمار وزوجته سمية وغيرهما، وسجنت البعض ومنعتهم من الهجرة كعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل، وأبي بصير...، واستولت على أموال المسلمين وتربصت بهم شراء، قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [سورة الأنفال: 30]).
2. الاستيلاء على قافلة لقريش خرجت من الشام راجعة إلى مكة، وهذا مقابل استيلاء قريش على أموال المهاجرين وديارهم وممتلكاتهم في مكة(2).
3. تهديد قريش للمسلمين بالقتال، وتأليب عبد الله بن أبي بن سلول، ومن معه من مشركي المدينة على المسلمين، والاتصال باليهود وتشجيعهم على عداوة المسلمين.
4. الحرب الإعلامية البشعة التي شنها، شعراء، وخطباء، وقصاص قريش على نبي الإسلام ﷺ لصد الناس عن الدخول في هذا الدين؛ ولذلك أمر النبي ﷺ بقتل النضر ابن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وأبي عزة الجمحي بعد غزوة بدر وتوعد غيرهم من الشعراء والمتقولين بذلك لصدّهم عن سبيل الله.
5. خروج قريش بطراً ورناء الناس، بفخرها وخيلائها وإصرارها على الإقامة ثلاثاً ببدر حتى تظهر هيبتها في جزيرة العرب، وهذا الأمر فيه صدّ عن الدخول في الإسلام وإظهار المسلمين بمظهر الضعف فلا تجرؤ قبيلة على معاداة قريش.
6. مطالبة قريش بدم عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون في بعث عبد الله بن جحش.

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

7. من أهم الأسباب إرادة الله لهذا الأمر ليكسر شوكة قريش وهيبتها قال تعالى: (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) [الأنفال: 42].

8. أراد الله للمسلمين (النفير) وهو جيش المشركين، وهو إحدى الطائفتين التي وُعد بها المسلمون ليكسروا شوكة قريش ويرجعوا بالغنائم، بإرادة الله دائماً خير للمسلم، مع إن بعض المسلمين رغب في (العيير) وهي القافلة؛ وذلك لسهولة الانقضاض عليها، وهي التي عبر عنها القرآن بقوله تعالى: (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) [الأنفال: 7].

• المطلب الثاني: أحداثها:

في رمضان من السنة الثانية للهجرة بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً مقلبة من الشام صحبة أبي سفيان صخر بن حرب في ثلاثين أو أربعين رجلاً من قريش، وهي عيرٌ عظيمة تحمل أموالاً جزيلة لقريش، فندب ﷺ الناس للخروج إليها وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً كثيراً إلا أنه خرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً لثمان خلون من رمضان واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء ردّ أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة، ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير وفرس المقداد بن الأسود، ومن الإبل سبعون بعيراً يعتقب الرجال والثلاثة فأكثر على البعير الواحد، فرسول الله ﷺ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً، وزيد بن حارثة وأنسة وأبو كبشة موالي رسول الله ﷺ وحمزة يعتقبون جملاً، وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف على جمل آخر...، وهلم جراً، ودفعت اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب والراية الأخرى إلى رجل من الأنصار، وكانت راية الأنصار بيد سعد بن معاذ، وجعل على الساقة - أي المؤخرة - قيس بن أبي صعصعة، وسار ﷺ فلما قرب من الصفراء⁽³⁾ بعث بسيس بن عمرو الجهني، وعدي بن أبي الزغباء يتحسّسان أخبار العير (قافلة قريش)، وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده، فاستأجر

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخاً لقريش بالنفير إلى غيرهم ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، بلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج، ولم يتخلف من أشرفهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين، وحشدوا ممن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عديّ- قوم عمر بن الخطاب - فلم يخرج معهم منهم أحد...

ولما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش استنثار أصحابه، فتكلم كثير من المهاجرين فأحسنوا، ثم استنثارهم وهو يريد بما يقول الأنصار، فبادر سعد بن معاذ ؓ فقال: يا رسول الله كأنك تُعَرِّضُ بنا(4)، فوالله يا رسول الله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، فسرُّ بنا يا رسول الله على بركة الله... فسُرَّ رسول الله ﷺ وقال: (سيروا وابشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين)(5)، ثم رحل رسول الله ﷺ ونزل قريباً من بدر، وركب ﷺ مع رجل من أصحابه مستخبراً ثم انصرف، فلما أمسى بعث عليّاً وسعداً والزبير إلى ماء بدر يلتئمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش ورسول الله ﷺ قائم يصلي...، فعرف النبي ﷺ أن قريشاً ما بين التسعمائة والألف...، وأحسن أبو سفيان بالخطر فعدل بالغير إلى طريق الساحل فنجأ، وبعث إلى قريش يُعلمهم أنه قد نجا هو والغير ويأمرهم أن يرجعوا.

وبلغ ذلك قريشاً، فأبى ذلك أبو جهل، وقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، ونقيم عليه ثلاثاً، ونشرب الخمر، وتضرب على رؤوسنا القباب فتهابنا العرب أبداً، فرجع الأحنس بن شريق بقومه بني زهرة قاطبة وقال: إنما خرجتم لتمنعوا غيركم وقد نجت... (6)، فبادر رسول الله ﷺ قريشاً إلى ماء بدر، ونزل على أدنى ماء هناك فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله هذا المنزل الذي نزلته أمرك الله به؟ أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟، قال: (بل منزل نزلته للحرب والمكيدة) فقال: ليس هذا بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من مياه القوم فننزله ونُعَوِّرَ ما وراءنا من القُلب(7)، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه فنشرب ولا يشربون، فاستحسن رسول الله ﷺ منه ذلك، وحال الله بين قريش وبين الماء بمطر عظيم

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

أرسله، وكان نقمة على الكفار ونعمة على المسلمين، مهد لهم الأرض ولبدها، وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيه باقتراح من سعد بن معاذ...

ومشى ﷺ في أرض المعركة وجعل يُريهم مصارع القوم واحداً واحداً... قال عبد الله بن مسعود: "فوالذي بعثه بالحق ما أخطأ واحد منهم موضعه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ"، وبات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة⁽⁸⁾ هناك وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان، فلما أصبح وأقبلت قريش في كتائبها قال ﷺ: (اللهم هذه قريش قد أقبلت في فخرها وخيلائها، تُحادُّك وتُحادُّ رسولك)⁽⁹⁾، ورام حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش فلا يكون قتال، فأبى ذلك أبو جهل، وتقاول هو وعتبة، وأمر أبو جهل أخوا عمرو بن الحضرمي - وهو الذي قتله المسلمون في بعث عبدالله بن جحش- أن يطلب دم أخيه عمرو فكشف عورته وصرخ: واعمرها واعمراه، فحمي القوم ونشبت الحرب.

وعدّل رسول الله ﷺ الصفوف، ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر وحده، وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله ﷺ، وخرج عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة ثلاثتهم جميعاً يطلبون البراز⁽¹⁰⁾، فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار وهم: عوف ومعاذ ابنا عفراء، وعبد الله بن رواحة فقالوا لهم: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار، فقالوا: أكفاء كرام، وإنما نريد بني عمنا، فبرز لهم عليّ وعبيدة بن الحارث بن المطلب وحمزة ؓ، فقتل عليّ الوليد، وقتل حمزة عتبة، وقيل: شبيبة، واختلف عبيدة وقرنه بضربتين فأجهد كل منهما صاحبه، فكَرَّ حمزة وعلي فتمما عليه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله فلم يزل طمناً - أي: فاسد الجرح - حتى مات بالصفراء ؓ، ثم حمي الوطيس، واشتد القتال، ونزل النصر، واجتهد رسول الله ﷺ في الدعاء، وابتهل ابتهالاً شديداً، حتى جعل رداؤه يسقط عن منكبيه، وجعل أبو بكر يصلحه عليه ويقول: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك، ورسول الله ﷺ يقول: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض)⁽¹¹⁾، فذلك قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

مُؤدِّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: 9]، ثم أغفى رسول الله ﷺ إغفاءً، ثم رفع رأسه وهو يقول: (أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع)⁽¹²⁾.

وكان الشيطان قد تبدى لقريش في صورة سراقاة بن مالك بن جعشم، زعيم مدلج، فأجارهم وزين لهم الذهاب إلى ما هم فيه، وذلك أنهم خشوا بني مدلج أن يخلفوهم في أهاليهم وأموالهم، فذلك قوله تعالى: (وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفُتَاتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ...) [الأنفال: 48]، وذلك أنه رأى الملائكة حين نزلت للقتال، ورأى ما لا يقبل له به، ففرّ وقاتلت الملائكة كما أمرها الله، وكان الرجل من المسلمين يطلب قرنه فإذا به قد سقط أمامه، ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين فكان أول من فرّ منهم خالد بن الأعم، فأدرك فأسر، وتبعهم المسلمون في آثارهم، يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين وأسرُوا سبعين وأخذوا غنائمهم، فكان من جملة من قُتل من المشركين مَن سَمَّى رسول الله ﷺ موضعه بالأمس: أبو جهل - لعنه الله - قتله معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء، وتمّ عليه عبدالله بن مسعود، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، فأمر بهم رسول الله ﷺ فسُحبوا إلى القليب، ثم وقف عليهم ليلاً، فناداهم بأسمائهم وبكُنتهم وقرعهم وقال: (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً) فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جُفِّوا؟!، فقال: (والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب)⁽¹³⁾، ثم أقام رسول الله ﷺ بالعرصة - أي: ساحة بدر - ثلاثاً، ثم ارتحل بالأسارى والمغانم، وقد جعل عليها عبدالله بن كعب النجاري، وأنزل الله في بدر سورة الأنفال، فلما كان رسول الله ﷺ بالصّفراء قسّم المغانم كما أمره الله تعالى، وأمر بالنضر بن الحارث فضربت عنقه؛ وذلك لكثرة فساده وأذاه لرسول الله ﷺ، فرثته أخته وقيل: ابنته بقصيدة مشهورة، فلما بلغت رسول الله ﷺ قال فيما روي: (لو سمعتها قبل أن أقتله لم أقتله)⁽¹⁴⁾، قال ابن المنير: وليس معنى كلامه - صلى الله عليه وسلم - الندم؛ لأنه لا يفعل ولا يقول إلا حقاً، والحق لا يندم على فعله،

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

ولكن معناه لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها⁽¹⁵⁾ ولما نزل عرق الظبية⁽¹⁶⁾ أمر بعقبة بن أبي معيط فضربت عنقه أيضاً صبراً.

ثم إن النبي ﷺ استشار أصحابه في الأسارى ماذا يصنع بهم؟ فأشار عمر بن الخطاب ﷺ بأن يُقتلوا، وأشار أبو بكر ﷺ بالفداء، وهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر فحلل لهم ذلك، وعاتبه الله في ذلك بعض المعاتبة في قوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 67]...، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أربعمئة أربعمئة⁽¹⁷⁾، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً قد أعلى الله كلمته ومكّن له، وأعزّ نصره، فأسلم حينئذ بشر كثير من أهل المدينة، ومن ثم دخل عبدالله بن أبي بن سلول وجماعته من المنافقين في الدين تَقِيَّةً⁽¹⁸⁾.

وجملة من حضر بدرأ من المسلمين ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قلّ عدد رجال الأوس عن عدد الخزرج وإن كانوا أشدّ منهم وأصبر عند اللقاء؛ لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة، فلما ندبوا للخروج تيسّر ذلك على الخزرج لقرب منازلهم...

وأما المشركون فكانت عدتهم كما قال ﷺ ما بين التسعمائة إلى الألف، وقُتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنتان من الأوس، وكان أول شهيد يومئذ مهجع مولى عمر بن الخطاب ﷺ، وقيل: رجل من الأنصار اسمه حارثة بن سراقة، وقُتل من المشركين سبعون، وقيل: أقل، وأسر سبعون، وفرغ رسول الله ﷺ من شأن بدر والأسرى في شوال.

● **المطلب الثالث: أسباب انتصار المسلمين:**

لا شك أن لانتصار المسلمين العجيب على المشركين في هذه الغزوة أسباب يجب الوقوف عندها، وسبر أغوارها، والاستفادة منها، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

1. قوة إيمان النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وشدة توكلهم على الله؛ فقد كانوا يقاتلون من أجل قضية عظيمة، يدفعهم إيمان عميق، ويقين صادق بصحة ما يفعلون وجدواه في الدنيا والآخرة.
2. قتال الملائكة مع المؤمنين بفضل من الله سبحانه، قال تعالى: (إِذْ تَسْتَعِينُونَ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) [الأنفال:].
3. دعاء النبي ﷺ والمسلمين لربهم واستغاثتهم به؛ فالدعاء والاستغاثة بالله سبحانه — من أعظم الأسلحة التي يتسلح بها المؤمن في حياته ، وضد أعدائه ، ومشاكله وهمومه ؛ وقد دعا النبي ﷺ- ربه في هذه الغزوة كثيرا ، ورفع يديه حتى سقط رداؤه من على منكبيه.
4. تهيئة المكان للمسلمين من الله سبحانه؛ وذلك بنزول الغيث لتطهيرهم وتنشيطهم، وتثبيت الأرض تحت أقدامهم، وكذلك بالنعاس الذي حصل لهم قبيل المعركة من الله سبحانه أمانة وسكينة.
5. أخذُ المسلمين بالأسباب، واستخدام الوسائل المتاحة لهم وتطبيق الخطة التي أعدها الرسول ﷺ والوقوف عند أوامره ونواهيه.
6. استشارة النبي ﷺ لأصحابه وأخذه بأرائهم؛ للاستفادة منها، وللرفع من معنويات أصحابه بهذه المشاركة في الرأي، ولتعويدهم على هذا الأسلوب عند مواجهة الحروب، وإرسال رسالة لكل الأجيال بأهمية الشورى.
7. شجاعة النبي ﷺ وأصحابه، واستبسالهم في سبيل نصرته دينهم والموت في سبيله، فقد ضربوا أروع الأمثلة في البسالة كما تبين من أحداث الغزوة.
8. وضوح النية والقصد عند المسلمين، فهم يقاتلون من أجل غاية سامية ومبدإ عظيم، وقضية عادلة... أمّا المشركون فيقاتلون بطراً ورياء، أو حسداً وحقدًا، أو طمعاً وغروراً، ينتابهم الشك، وليسوا على كلمة واحدة.

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

1. ضمان النتائج عند المسلمين؛ فهم يعلمون علم اليقين أنهم فائزون في كل حال؛ إمّا بالشهادة وهي الطريق إلى الجنة، وإمّا بالنصر والتمكين في الدنيا، وقد بشرهم النبي ﷺ بإحدى الطائفتين.

2. رجوع بعض من خرج مع المشركين لما علم بنجاة أموالهم؛ حيث لم يحرص المسلمون على توسيع دائرة الخلاف مع المشركين، بل كانوا يقللون من أعدائهم قدر المستطاع، ولم يكن كثير من المشركين بذلك في حاجة لعداوة المسلمين.

المبحث الثاني: نتائج الغزوة، والدروس المستفادة منها

• المطلب الأول: نتائج الغزوة:

لقد كان لغزوة بدر الكبرى نتائج باهرة على كل المستويات؛ دينياً، وعسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً، وكانت هذه النتائج في مصلحة المسلمين، ومن أهم هذه النتائج ما يلي:

1. ازدياد الإيمان في نفوس الصحابة، وازدياد ثقتهم في الطريق الذي سلكوه؛ فهذا النصر العظيم الذي حققه الله لهم - مع الفارق الكبير بينهم وبين أعدائهم في العدد والعدة - ليدل دلالة قاطعة على عون الله لهم، ووقوفه بجانبهم، وهو دليل على صحة طريقهم، وصواب اختيارهم، وكذلك ازداد عدد الداخلين في الإسلام بعد هذا الانتصار الكبير، كما ورد سابقاً في أحداث السيرة.

2. ومن النتائج العسكرية التي تحققت لهم:

ازدياد القوة العسكرية والقدرات القتالية، واكتساب الخبرة بهذه التجربة القتالية التي كان النصر فيها حليفاً للمسلمين.

ازدياد عدد المقاتلين في صفوف المسلمين كما هو واضح من خلال غزوة أحد، وهي بعد هذه الغزوة بعام؛ حيث كان عدد جيش المسلمين ألف مقاتل عند خروجهم، ثم استقر على سبعمائة مقاتل بعد انخزال عبد الله بن أبي بن ثلث الجيش، بينما كان عدد المسلمين في غزوة بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ازدياد الروح المعنوية، والشجاعة في القتال في

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

نفوس الصحابة بعد تحقيقهم لهذا الانتصار الباهر، قام النبي - ﷺ - بإرسال البعوث والدوريات والسرايا للمناطق المجاورة للمدينة، لإثبات قوة المسلمين وقدراتهم العسكرية، وتأديب المتربصين الذين يتحينون الفرص لضرب المسلمين ونهب ثرواتهم، وقد آتت هذه السرايا أكلها، وأثبتت جدواها، وفرضت هيبة الدولة الإسلامية، وأشعرت المسلمين، وسكان المدينة عموماً بالأمن والاطمئنان.

3. ومن النتائج الاقتصادية: حصولهم على الغنائم، وقيمة فداء الأسرى، وهو نظام معمول به عند انتهاء الحروب، وقد كان محرماً على الأمم السابقة ثم أحله الله لهذه الأمة. نزلت بعد هذه الغزوة سورة الأنفال مبينة كثيراً من الأحكام الشرعية ومن بين هذه الأحكام ما يتعلق بالغنائم؛ حكمها، وكيفية قسمتها... قال تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً) [الأنفال: 70]، وقد استطاع المسلمون بهذه الغنائم تعويض الأموال التي خسروها بمكة بسبب الهجرة واعتداء المشركين على تلك الأموال.

4. أما من الناحية السياسية، فبعد هذا الانتصار، ترسخت الدولة الإسلامية وصارت واقعا موجودا لا يستطيع إنكاره المشركون أو اليهود، أو قبائل العرب الأخرى؛ ودخل كثير من الناس الإسلام، واضطر المنافقون إلى إظهار الإسلام وإضمار الكفر؛ وذلك لما رأوا من إعزاز الله للمؤمنين ودحر للكافرين، وصالحت بعض القبائل العربية القريبة من المدينة المسلمين وأظهرت حسن الجوار معهم.

5. ومن ناحية أخرى فإن هذا الانتصار كشف المنافقين وأظهر سلوكهم وسوء نواياهم مع المسلمين فإنهم كانوا يتوقعون ويتمنون أن ينتصر المشركون على المسلمين، ويكفونهم مؤونة عداء المسلمين وقتالهم، فلما انتصر المسلمون بفضل الله تعالى كثر اليهود عن أنيابهم، وأظهروا عداوتهم للإسلام ونبي الإسلام.

• **المطلب الثاني الدروس المستفادة من غزوة بدر**

1- استحلال أموال الحربيين، وهم الذين أعلنوا الحرب على المسلمين، واغتصبوا أموالهم في مكة وفي المدينة، وقد سبق بيان إحلال الله - سبحانه - الغنائم للمسلمين تعويضا لهم على ما سلب من أموالهم، وأنه من الأحكام الناسخة لما كان من تحريم لهذه الغنائم في الأمم السابقة، وقد دل خروج النبي - ﷺ - للقافلة على جواز النفيير للغنيمة؛ لأنها كسب حلال (19).

2- الدعوة إلى دين الله وكسر شوكة أعداء الإسلام بالجهاد في سبيل الله أهم من جمع الغنائم والاستيلاء على أموال المحاربين، فجمع الغنائم لم يكن هو المقصد من هذا القتال؛ ولو كان هو المقصود لمكن الله - سبحانه - المسلمين من الاستيلاء على القافلة المحملة بالأموال الكثيرة وهو ما كان يريده بعض المسلمين.

قال تعالى: (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) [الأنفال: 7].

3- أهمية الشورى ومدى تطبيق النبي ﷺ لها عملياً، فمبادئ الإسلام ليست مجرد شعارات، أو نظريات؛ بل هي واقع عملي وتطبيق حقيقي، فإذا كان النبي - ﷺ - المعصوم، والمؤيد بالوحي قام بتطبيقها أيما تطبيق فمن باب أولى أن يطبقها غيره من الساسة والقادة في شتى المجالات، وفي كل الأوقات.

4- إعلان الحرب يخضع للسياسة الشرعية، ويكون حسب ظروف المسلمين العسكرية والاقتصادية، ويكون بعد تشاور مع أهل الحل والعقد، أو مجلس الحرب، أو ما في حكمها إذا اختلفت المسميات.

5- إصرار النبي ﷺ على سماع رأي الأنصار في القتال من عدمه فيه احترام لرأيهم، والتزام بمبدأ بيعة العقبة الثانية التي بايع فيها الأنصار على حماية المسلمين داخل المدينة لا خارجها.

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

- 6- ردّ سعد بن معاذ فيه دلالة على قوّة إيمانه، وإيمان الأنصار، والتزامهم بأحكام الإسلام، وحمايته داخل المدينة وخارجها.
- 7- يجب على المجاهدين خاصة، والمسلمين عامة أن يكون إيمانهم بالله قوياً، وثقتهم بنصره للمسلمين كبيرة، كما كان الصحابة في هذه المعركة ؛ لكي يربحوا الدنيا والآخرة.
- 8- أهمية التضرع إلى الله والاستغاثة به، لا سيما في وقت الحرب، وهو من الأوقات التي تستجاب فيها الدعوة ؛ فالدعاء أفضل سلاح يتسلح به المسلم في هذه الميادين.
- 9- على قدر إيمان المجاهدين وتوكلهم على الله يكون العون لهم من الله سبحانه.
- 10- وضع الخطط العسكرية، وبتث العيون، وتحريض الجند على القتال، واستخدام الوسائل المتاحة مطلوب ومشروع⁽²⁰⁾.
- 11- يجب على المسلم في حال النصر أن يردّ السبب إلى الله سبحانه، وأنه لولا عون الله ومدده لما انتصر المسلمون على أعدائهم.
- 12- بيّنت مسألة الأسرى واستشارة النبي ﷺ فيهم أصحابه أنّ الأولى في مثل هذه الأوقات هو قتلهم، ويجوز فداؤهم كما فعل النبي ﷺ، أو المنّ عليهم بإطلاق سراحهم، حسبما تقتضيه مصلحة المسلمين، ويقرره أهل الحل والعقد منهم.
- 13- يعتبر تحليل الغنائم لهذه الأمة من النعم التي أنعم الله بها عليهم، وهي من خصائص أمة محمد ﷺ، وكانت في الشرائع السابقة تُجمع الغنائم ثم تنزل نار من السماء فتحرقها⁽²¹⁾.

الخاتمة

1. غزوة بدر الكبرى كانت دفاعا عن المسلمين أنفسهم، وأموالهم، وحريتهم في اعتناق الدين الذي آمنوا به ودخل إلى قلوبهم، وهي كسر للهيمنة القرشية التي كانت سائدة في جزيرة العرب وحائلة بينهم وبين حرية الاعتقاد.
2. امتلأت هذه الملحمة بالدروس والعظات والعبر التي تهم المسلم في كل زمان ومكان؛ فكانت بحق كتابا مفتوحا يستقي منه المسلمون الدروس والعبر إلى يوم القيامة.
3. تغيرت بعد هذه الغزوة الكثير من الأحكام الشرعية الخاصة بالتعامل مع الأعداء المحاربين، وأحكام الغنائم، وأحكام الجهاد في سبيل الله... فكانت بحق بداية لمرحلة جديدة من المراحل التي مر بها المسلمون؛ بل التي مرت بها الإنسانية قاطبة.
4. أعطت هذه الغزوة بما فيها من صفح، وحلم، وعفو، ورحمة... الصورة الواضحة عن الدين الإسلامي بقيمه الرائعة، ومبادئه السامية النبيلة.

هوامش البحث :

- 1- الألباني، محمد ناصر الدين ، تخريج أحاديث كتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي ، ط/7، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، 1976م ، وقال : حديث صحيح ، ورواه ابن هشام في السيرة النبوية 60/2.
- 2- قرية كثيرة النخل والمزارع، وهي الطريق بين مكة والمدينة ، عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، بيروت، دار إحياء التراث العربي 1408هـ — 1989م ، ص157.
- 3- أي : تقصدنا، وتعنينا، وكان — صلى الله عليه وسلم — يقصدهم؛ لأنهم أكثر الناس ، ولأن الأنصار بايعوا في بيعة العقبة على حمايته داخل المدينة لاخراجها ، محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، القاهرة، دار السلام 1424هـ — 2004م ص156.

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

- 4- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة ج7 ص230 وقال رواه ابن هشام، وابن أبي شيبة، وروى بعضه البخاري .
 - 5- ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ط/2، بيروت، دار الآفاق الجديدة 1400هـ -1980م ج1 ص299.
 - 6- أي : نردم الآبار، وندفنها ؛ فلا ينتفعون بمائها، سيرة سيد المرسلين، تأليف جماعة من كبار العلماء، ط/2، بيروت دار الآفاق الجديدة، 1399هـ -1979م، ص82.
 - 7- أي: أصل شجرة ؛ وهو ما بقي من جذعها ، اتخذته سترة .
 - 8- مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة دار زهران ج5 ص157 ، وبعضه عند البخاري ، مرجع سبق ذكره ج6 ص231.
 - 9- وذلك أن أبا جهل عيّر عتبة بالجبن لما أراد عتبة أن يرجع بقريش، ابن سيد الناس، مرجع سبق ذكره ج1 ص304.
 - 10- صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، المنصورة، دار الوفاء 1424هـ -2003م ص200.
 - 11- عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مرجع سبق ذكره ، ص165، والثنايا : الأسنان، والنقع : الغبار ، وهو كناية عن مشاركته في القتال .
 - 12- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق إبراهيم الجمل، القاهرة دار القلم للتراث ، ج2 ص155.
 - 13- وقد قالت فيها...
- أحمد يا خير ضنو كريمة
في قومها والفحل فحل معرق
ماكان ضرك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المعنق
- ابن سيد الناس ، مرجع سبق ذكره، ج1 ص349.
- 14- حسن محمد المشاط، الجواهر الثمينة في أدلة عالم المدينة، بيروت، دار الغرب الإسلامي ص260.

السيرة النبوية وأثرها في إحكام السياسة الشرعية...

- 15- عبد السلام هارون، مرجع سبق ذكره ص168 وعرق الظبية : موضع قرب الروحاء
- 16- هذا هو الأدنى، وبلغ الأعلى أربعة آلاف درهم ، أبو الفداء اسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، دمشق دار ابن كثير ج 2 ص261 .
- 17- أي : خرجوا نفاقاً؛ فأظهروا الإسلام ، وأبطنوا الكفر ليكون كيدهم أشد على المسلمين ، ويأمنوا بطش المسلمين بهم .
- 18- تُنظر تفاصيل المعركة عسكرياً ، بشير محمد رمضان، سرايا وغزوات الرسول من المنظور العسكري، بنغازي دار الكتب الوطنية 2000م ص73 وما بعدها .
- (19) أبو عبدالله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت دار الشام للتراث، ج7 ص376.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

د. ميلود محمد مولود الواعر
جامعة الزاوية / كلية التربية ناصر

مقدمة

الحمد لله الذي أنار قلوبنا بالإيمان، وأمرنا بالعدل والإحسان، ونهانا عن الشر والفساد، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

إما بعد،،،

فإن السعي لتحقيق الأمن والاستقرار والنظام والتقدم والازدهار في الدول الإسلامية، يحتاج إلى نظام حكم متين، يكون منطلقاً من مصدر تشريعي أولاً وهو القرآن الكريم، كي يصبح منفذاً للعدل وملتزماً به، وجالباً للحقوق والواجبات بين الأفراد والجماعات ولعل من ذلك فإننا نجد ابن خلدون المفكر السياسي والعالم الاجتماعي، قد كان له دورٌ مُميزٌ وبارعٌ في عرضه لعدد من أنواع الحكم، وبينما هو قد يبدو أفضل حكماً ينبغي السير عليه في الدول العربية والإسلامية خلال القرنين الرابع والخامس الهجري.

فإشكالية هذه الدراسة: ستبحث بشكل تحليلي ومعمق لأجل عرض ما هي أنواع الحكم عند ابن خلدون، مع إبراز ما يحتويه كل نوع بالإضافة إلى تمييز النوع الأمثل الذي كان يتمسك به؟ والذي بفضل نهضة الأمة الإسلامية في تلك الآونة.

أما فرضية الدراسة: فتنركز في اهتمامها على أن هل عند الالتزام بتطبيق أي نوع من أنواع الحكم في تلك الآونة قد ساعد وزاد من إصلاح واستقامة حال المجتمعات الإسلامية، وإلا كان هناك نظام حكم معين يكون قد تمسك به ابن خلدون واعتبره هو الأفضل والمناسب للخروج بالأمة الإسلامية من تمزقها واضطراباتها.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

بينما تكمن أهمية الدراسة لهذا البحث في بيان ما هو أبرز وأهم نظام حكم يكون قد ساعد وأسهم بدوره في التهذيب والإرشاد لتحقيق نظام الدنيا الذي لا صلاح إلا به.

أما الهدف من هذه الدراسة: فهو محاولة الوصول إلى أفضل نظام سياسي كان يميزه ابن خلدون عن غيره، والذي من شأنه ساهم في إصلاح ذلك الوضع السياسي المضطرب خلال القرنين الرابع والخامس الهجري.

أما المنهجية المناسبة لهذا البحث فسيتم اتباع المنهج التحليلي، حيث يكون هذا المنهج متسقا ومنسجما مع طبيعة الموضوع، والذي سيمكننا من إضافة الاطلاع على أهمية الحكم المثالي الذي بدوره يرسى قواعد الأمن والاستقرار في أي دولة كانت.

أولاً: معنى نظم الحكم لغة واصطلاحاً.

النظام مصدر من نظم الأشياء نظاماً، ألفها وضم بعضها إلى بعض، يقال: نظم اللؤلؤ إذا ألفه وجمعه في سلك واحد، والنظام يطلق على الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ⁽¹⁾، ويطلق على ملاك الأمر⁽²⁾، وقد أطلقت لفظة (النظام) على الأحكام التي تنظم في موضوع واحد من ملاك هذا الموضوع فكأنها حبات لؤلؤٍ بخيط واحد.

وقد يكون نظام الحكم إما أن يطلق على ما يتعلق بسياسة الدولة ونظام الحكم فيها، وإما أن يطلق على جانب الحكم فيها، على اعتبار أن نظام الحكم يشمل النظام السياسي، والنظام الإداري والنظام المالي، والنظام القضائي ويتناول الونا أخرى من النظم والأحكام والقوانين التي لا يمكن أن يتصور نظام حكم إلا بها⁽³⁾.

ومن اللغة إلى الاصطلاح أيضاً فقد يعبر عنه بكونه هو (مجموعة القواعد والأجهزة المتناسقة والمترابطة التي تنظم الحكم وطريق ممارسة السلطة الحاكمة للحكم⁽⁴⁾)، متمثلة في حكومة مجلس شورى أورئيس، يكون تصدر عنهما جملة من الأوامر والإرشادات التي تحدد الطريقة التي يجب إتباعها في تصرف معين، مثل النظام الاقتصادي وغيره. فلعلنا من ذلك التحديد والتحليل للمعنيين السابقين، فإننا سنتطرق فيما بعد إلى معرفة ما هي أبرز نظم الحكم وأشرفها عند هذا المفكر السياسي؟.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

ثانياً: نظم الحكم عند ابن خلدون⁽⁵⁾: "أنماط الملك" (Types of Monarch)⁽⁶⁾:

لقد ركز ابن خلدون على المعنى الوظيفي للإمامة فلم يلتفت إلى الناحية الشخصية لمركز الإمام، بل حدد علاقتها بغيرها من أنواع الحكم الأخرى، فرأى أن جوهر كل نظام للحكم إنما هو القانون، فنوع القانون هو الذي يبين طبيعة نظام الحكم، والقانون هو روح كل نظام اجتماعي وأساس وجوده، إن ابن خلدون دائم التأكيد على الحاجة إلى نوع ما من السلطة العليا أو السيادة التي لا يتصور بقاء دولة بدونها.

النوع الأول: الخلافة (Succession):

"هو حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي، في مصالحهم الأخروية والدينيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"⁽⁷⁾، وهذه ما تسمى الخلافة أو الإمامة، وإن سبب تسميته إماماً فتشبيهاً بإمامة الصلاة في إتباعه والافتداء به، ولهذا يقال للإمامة الكبرى، وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة، أي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين وسياسة الدنيا، كما تبين من تعريف الحكم الإسلامي ويقول ابن خلدون: "أن ارتباط الإمامة بالعصبية فهي مهمة، بكونها هي الأساس لدعم الملك إن لم ينصب إمام في إقامة الأحكام الشرعية وتنفيذ القوانين، فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة كانت سياسة عقلية، وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية، نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة"⁽⁸⁾. وبذلك نجد ابن خلدون قد حاول إثبات الوظيفة الدينيوية لأحكام الشريعة واستشهد بصفة خاصة بالخصال التي يتصف بها البدو الرحل من حيث البدائية وعدم الميل للخضوع للسلطة، أما بعد اعتناقهم الدين الإسلامي فإن المثل العليا الجديدة ساعدتهم على التخلص من عاداتهم المتخلفة، والخضوع للحكم المستلهم من وحي السماء، ومن أجل بناء عمران أكثر

د. ميلود محمد الواعر

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

تحضراً، وإقامة حكومة أكثر قوة وبهذا يخلق وازعاً روحياً ينبع من داخل أنفسهم تغلبوا به على نقائضهم"⁽⁹⁾.

تلك هي المزاي التي اعتمد عليها ابن خلدون في دفاعه عن أولوية الحكم القائم على الشريعة، حيث لا يكون الخليفة هو صاحب السيادة العليا ولا مصدر للتشريع، وعلى الرغم من هذه الأولوية والأفضلية فإن ابن خلدون لم يتوقع الرجوع إلى مثل هذا الحكم المثالي، لأنه في تحليله عدّ الانتقال من الخلافة إلى الملك أمراً حتمياً لا مناص منه⁽¹⁰⁾. ومن ثم فإن دعوة ابن خلدون إلى الأخذ بربط العلاقة بين الدين والدولة يعبر عنه كمفكر اجتماعي ومفكر سياسي، واقتصادي ومعلم ومؤرخ للعلوم الإسلامية بقوة أفكاره الخاصة⁽¹¹⁾.

النوع الثاني: الملك الطبيعي:

عرفه ابن خلدون على أنه "حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة"، فهو يقصد بالطبيعة - إنن - الغريزة أو ما ركب في الفرد من ميول وأهواء غريزية، كحب الذات، والرغبة في الاستعلاء، أو الاستبداد، والسعي إلى تحقيق المطامع الفردية المبنية على الأثرة.

وهذا النوع مذموم كله عند ابن خلدون، لأن مثل هذا الحكم غير المقيد لابد وأن ينهار، لأن الناس لا يرضون منح ولانهم لحاكم ظالم عدواني، فيشرعون في عصيانه فتنشب الاضطرابات وتسفك الدماء مما يضع نهاية حكمه⁽¹²⁾.

ولتجنب ذلك يرى ابن خلدون ضرورة التمسك بالفطرة لأنها هي الأساس والإطار التقليدي للقبيلة والعائلة⁽¹³⁾، لعله ينتج عنها وجود حاكم فطن وعادل.

النوع الثالث: الملك السياسي:

ويعرفه بقوله: "هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار"⁽¹⁴⁾.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

حيث يرى ابن خلدون أن الملك السياسي له بعض المزايا كما أن له بعض العيوب، أما المزايا فواضحة حيث يخضع الناس لقوانين عقلية بدلاً من الخضوع للحكم الاستبدادي الفردي – علاوة على ذلك فإن تحقيق قوانين زمنية تمّ التوصل إليها بالعقل يكفل للدولة الاستقرار اللازم لضمان بقاء العمران، ويسد الاحتياجات الدنيوية ولا يكثر الجوانب الدينية للحياة الإنسانية التي تؤمن السعادة في الآخرة.

ثالثاً: السمات الأساسية للملك (Monarch)⁽¹⁵⁾:

عدد ابن خلدون تلك السمات التي لا يتم الملك إلا بها وذلك على النحو التالي:

- 1- استعباد الرعية: وخضوعها للملك بحيث لا تكون هناك كلمة إلا كلمته ولا أمر إلا أمره، بمعنى آخر تكون للملك السلطة العليا المطلقة، أي السيادة بالمفهوم الحديث⁽¹⁶⁾.
- 2- حماية الثغور: ويتحقق عن طريقها منع اعتداء الأفراد داخل الدولة بعضهم على بعض، وحماية الدولة نفسها من أي اعتداء خارجي عليها.
- 3- جباية الأموال.
- 4- إرسال البعوث والرسل.

وقد كان ابن خلدون حريصاً على إبراز الملك في ظل حتمية المجتمع البشري وفي ضوء السمات السالف ذكرها، فلا يؤدي إلى إصدار أحكام جائرة ويجعل الحاكم يسير وفق رغباته وشهوته فتصبح طاعة الأفراد له عسيرة، وبالتالي تعم الفوضى في الدولة. ولذلك وفقاً لرأى ابن خلدون يرفض نوعية ذلك الملك المنصب طبيعياً، ونجده ينادي بنوعية الملك الذي له الخضوع لقوانين سياسية مفروضة يسلم بها الكافة ويلتزمون بأحكامها، وهو يوضح في هذا المجال أن القوانين إذا كانت مفروضة من العقلاء والبصراء والأكابر في الدولة كانت سياسية عقلية، أما إذا كانت مفروضة من الله سبحانه وتعالى بشارع يقرها ويشرعها كانت سياسة دينية، وبالتالي نافعة في الحياة الدنيا والآخرة، ومنها جاء تأكيده على السياسة الدينية لكونها الأفضل من الأولى، وهي الأسمى لأنها تهتم ليس فقط بالأمور الدنيوية، كما في الأولى ولكن بالأمور الأخروية⁽¹⁷⁾، ومن ثم نتج عن توضيحه لمفهوم الملك كمنصب

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

طبيعي ثم للحكم القائم على الالتزام بالقوانين الوضعية السياسية والالتزام بالقوانين الإلهية السياسية، نتج عنه هذه الأنواع الثلاثة من الحكم السابق ذكرها: الخلافة، والملك الطبيعي، والملك السياسي، وصفوة الأمر أن السلطان، بمعنى جوهر الملك أو الحاكم إما أن يكون دينياً، فتكون سياسته شرعية مستندة إلى شرع منزل وأصول وقواعد سماوية، أو تكون سياسة عقلية تستند إلى عقل الإنسان نفسه لا إلى وحي خارج عنه، والسياسة الشرعية بالتالي تقوم فيها وتقبلها على الإيمان بالثواب في الدنيا والآخرة، أما في السياسة العقلية فإن طاعتها تستند إلى ما يتوقع من الحاكم من ثواب وعقاب، وهي إما أن تكون مراعية للرعية ثم السلطان، أو تكون مراعية للسلطان ثم الرعية.

المبحث الثاني: الإمامة وأدلة وجوبها (Imemate)⁽¹⁸⁾

أولاً: تعريف الإمامة حيث من تعريف ابن خلدون السالف ذكره للإمامة بان: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي، في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها⁽¹⁹⁾، ومن حتميتها تتمثل في بعض من الآراء والذي أولهما قال بوجوب "الإمامة" وأن إقامتها فرض على الأمة يجب أن تؤديه هو: رأى أول السنة جميعاً، ورأى المرجئة جميعاً ورأى المعتزلة إلا قليلاً، ورأى الخوارج ما عدا "النجادات" والقول بالوجوب كذلك هو رأى الشيعة جميعاً، إلا أن لهم فهماً خاصاً في معنى الوجوب، أي أن القائلين بالوجوب الأكثرية.

ثانياً: أدلة وجوبها: إن أهل السنة والمعتزلة قالوا بوجوب الإمامة، وإن اختلف الاثنان على من له السبق: العقل أم الشرع، فالإجماع عند أهل السنة أن الإمامة ثابتة بالإجماع: أي بإجماع الصحابة ثم إجماع الأمة، والإجماع أحد المصادر التي يستقي منها الشرع، أما المعتزلة فاتفقوا معهم في الوجوب، ولكن على أساس أن مصدر وجوب الإمامة هو العقل المهم أن كلاً من الفريقين يقرر أنه لا تنافي بين الشرع والعقل، وأن لا تعارض بينهما بل هما منسجمان كل منهما يؤيد الآخر، والرأي الأقرب إلى الصواب هو رأي بعض المعتزلة؛ لأن لو لم يكن للإنسان عقل رشيد ومستنير لم يدرك حقيقة وجوب الإمام من عدمه.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

"هؤلاء هم: الجاحظ⁽²⁰⁾ وأبو القاسم الكعبي⁽²¹⁾، وأبو الحسين الخياط⁽²²⁾، فقد قالوا: إن الإمامة وجبت بالعقل وبالشرع معاً، أي بلا تفاوت بين المصدرين، ولا تفريق بينهما في الزمن أو المرتبة"⁽²³⁾.

وقد تتلخص أدلة وجوب الإمامة في الآتي:

أولاً: إجماع الأمة دليل الوجوب: إذا إجماع الصحابة والتابعين على مبايعة أبي بكر الصديق في اجتماع السقيفة حين خطب في الناس وأبلغهم بوفاة النبي (ﷺ) "وأن محمداً قد مضى بسبيله، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به، فانظروا وهاتوا آراءكم"⁽²⁴⁾.

ولذلك فمن اليقين الواضح أن الإجماع دليل قاطع على وجوب الإمامة، ويذكر ابن خلدون في ذلك "ثم إن منصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله (ﷺ) عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى في عصر من الإعصار واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب الإمام"⁽²⁵⁾.

ثانياً: دفع أضرار الفوضى دليل على الوجوب: يقرر كثير من المفكرين الإسلاميين بما فيهم ابن خلدون أن الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد أن يعيش داخل مجتمع وهو أيضاً محتاج إلى غيره فيوجد بذلك العمران، ومن هنا تبدأ الخلافات والمشاحنات لاختلاف الطباع والآراء.

"وأما القاعدة الثانية: أي مما تصلح بها الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتزمة، فهي سلطان قاهر، تتألف برهبتة الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتنكفي بسطوته الأيدي المتغالبية، لأن في طباع الناس من حيث المبالغة على ما أثروه والقهر لمن عاندوه، ما لا ينكفون عنه إلا بمانع قوي وراذع ملي"⁽²⁶⁾.

وقد حدد ذلك ابن خلدون بقوله: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى ركب في طبائع البشر الخير والشر، كما قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [البلد: 10]، وقال: (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [الشمس: 8]، والبشر أقرب الخلال إليه إذا أهمل في مرعى عوائد، ولم يهذب

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

الاعتداء بالدين، وعلى ذلك الجم الغفير إلا من وفقه الله، ومن أخلاق الشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض، فمن امتدت عينيه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع⁽²⁷⁾.

فإذا ترك الناس أمرهم بدون وازع يؤدي إلى وقوع الضرر لهم وبما أن دفع الضرر واجب على العباد إذا استطاعوا إجماعاً أي شرعاً، وبما أن الضرر لا يندفع إلا بوجود إمام، فإن النتيجة المنطقية⁽²⁸⁾ كما يذكر المتكلمون: إن إقامة الإمامة واجبة، ومن ثم فإن "سلطة الخليفة مستمدة من سلطة الأمة، مادامت هي التي تتولى انتخابه"⁽²⁹⁾.

ثالثاً: من أدلة وجوب الإمامة تنفيذ الواجبات الدينية:

القول بوجوب الإمامة من أعظم الغايات التي من خلالها قصد الشارع تنفيذ الواجبات التي هي متوقفة على وجود الإمامة، ومن أيسر مبادئ الدين أن ما يتوقف عليه الواجب أو ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد ذكر الإمام الغزالي أن الواجبات تنقسم إلى واجبات فردية ذكر فيها "نظام الدين بالمعرفة والعبادة ولا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة القدر من الحاجات: من الكسوة والسكن والأقارب والأمن"⁽³⁰⁾،... ولعمري "من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"⁽³¹⁾، بحذاقها"⁽³²⁾،... فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته، مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته عن وجوه الغلبة متى يتفرغ للعلم والعمل فهما وسيلته إلى سعادة الآخرة"⁽³³⁾.

ثم قال أيضاً: "إن الدنيا والأمن على الأنفس والأحوال لا ينتظم إلا بسultan مطاع، وهذا تشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وأن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج* وعم السيف، وشمل القحط، وهلكت المواشي، وبطلت الصناعات وكان كل من غلب سلب، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم، إن بقي حياً، والأكثر يهلكون تحت ظلال السيوف، ولهذا قيل: "الدين والسلطان توأمان" ولهذا قيل "الدين أس والسلطان حارس وما لا أس له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع"⁽³⁴⁾.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

وبهذا أكد الإمام الغزالي أن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع، وبهذا برهن على وجوب الإمامة، وأما الواجبات الاجتماعية: فهي تلك الواجبات التي فرضها الدين على الأمة كوحدة متضامنة وهي ما سماه الفقهاء "فروض الكفاية" ومنها الجهاد والحسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه تحتاج إلى تدبير وتنظيم وتوجيه، ولا ينهض بذلك إلا سلطة عامة تكون لها إدارة قوية، وتتوفر لها الطاعة، وهذه هي سلطة الإمامة.

وفي هذا الصدد يقول النسفي: "والمسلمون لا بد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم، وإقامة حدودهم وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم، وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق، وإقامة الجمع والأعياد، وقطع المنازعات الواقعة بين العباد، وقبول الشهادات القائمة على الحقوق، وتزويج الصغار والصفائر الذين لا أولياء لهم، وقسمة الغنائم⁽³⁵⁾.

وكما ذكر الشهر ستاني بقوله: "إذ لا بد لكافتهم من إمام ينفذ أحكامهم، ويقيم حدودهم، ويحفظ بيضتهم*، ويحرس من حوزتهم، ويعبى جيوشهم، ويقسم غنائمهم وصدقاتهم ويتحاكموا إليه في خصوماتهم ومناكحتهم ويراعى فيهم أمور الجمع والأعياد، وينصف المظلوم وينتصف من الظالم، وينصب القضاة والولاة في كل ناحية، ويبعث القراء والدعاة إلى كل طرف"⁽³⁶⁾، وهناك رأي يقول: "نعلم علماً يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيها شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود والمقاصات، وإظهار شعار الشرع في الأعياد والجمعيات، إنما هو مصالح عائده إلى الخلق معاشاً ومعاداً وذلك لا يتم إلا بإمام يكون من قبل الشارع يرجعون إليه فيما يعن لهم"⁽³⁷⁾. بكونه هو المكلف بتنفيذ الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا⁽³⁸⁾.

رابعاً: تحقيق العدل دليل على الوجوب:

إن العدل المراد لا يتحقق إلا في وجود حكومة إسلامية قائمة على أساس من الدين إما إن العدل المطلق فهو العدل الإلهي الذي تشتمل عليه الشرائع السماوية، دون القوانين

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

الوضعية، وما الإمامة إلا تكملة النبوة، وما هي إلا استمرار لقيادة الأنبياء وهدايتهم للناس، وما هي إلا احتفاظ بالمبادئ والعقائد التي دعوا إليها وجاهدوا من أجلها.

وقد تحدث "ابن أبي الربيع" عن أركان المملكة فقال: إن لها أركاناً أربعة: الملك والرعية، والعدل، والتدبير⁽³⁹⁾، وقصد بالعدل: الدين كما أوضح وعرفه بأنه "حكم الله تعالى في أرضه" إن أركان المملكة أو الدولة خمس، هي الوزارة، والرعية، والقوة، والمال والحصون ومنها الرجال، وهذه الأركان الخمسة لها قاعدة هي قاعدة الملك، ولكن – كما قال – هذه القاعدة وأركانها الخمسة لها أساس لا تثبت إلا عليه، فإذا فقد هذا الأساس اختلت الأركان، واضطربت القاعدة وأفضى الأمر إلى هدم الجميع⁽⁴⁰⁾.

ثم نرى ابن خلدون يتكلم في ذلك فيقول: "إن هذه الدنيا ليست هي الغاية من وجود الإنسان، وأنها ليست إلا مرحلة في الطريق، وأنها وسيلة إلى غاية أخرى هي الحياة الباقية في الدار الآخرة، والأحكام السياسية إنما تنظر إلى مصالحة في هذه الحياة الدنيا، أما الإمامة فهي في الحقيقة وريثة مقام النبوة وهي التي تعمل على تنفيذ أحكام الله سبحانه وتعالى، فهي تهدف إلى تحقيق مصالحة في الحياتين الدنيا والآخرة، ولكن مع جعل الآخرة هي المقياس: فثنون الدنيا يحكم عليها بحسب ما تؤدي إلى سعادة الإنسان أو شقائه في الدار الآخرة، حتى الملك، فهو واقع تحت هذا المقياس أيضاً وبهذا تتضح الخلافة وتتميز بالنسبة لغيرها من نظم الحكم، ويتبين وجوبها".

ومن نصوص ابن خلدون في ذلك قوله: إن الخلق ليس مقصود بهم دنياهم فقط، وإنما كلها عبث وباطل، إذ غايتها الموت والفناء، والله يقول: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) [المؤمنون: 15]، فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضي بهم إلى السعادة في آخرتهم: (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) [الشورى: 53]، فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الإنساني، فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محطوطاً بنظر الشارع "فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب... فجور وعدوان، ومنموم عنده..." وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

الأنبياء، ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء... والنتيجة التي يستخلصها من ذلك كله هي "فوجب، بمقتضى الشرائع، حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم" (41).

النتائج والتوصيات:

مما تقدم يمكن للباحث أن يسجل النتائج والتوصيات التي توصل إليها هذا البحث، وهي على النحو الآتي:

أولا النتائج:

1. إن مقتضى نظام الحكم بمفهومه العام، هو كل ما يصدر عن مجلس شورى، أو رئيس لدولة ما، يكون منحصرا في مجموعة الأوامر والنواهي التي تحدد الطريقة التي يجب إتباعها في تصرف معين، ومنه النظام الإداري، والنظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي.

2. من نتيجة حظي الاهتمام لدى ابن خلدون في مجال الحقل الفلسفي السياسي، نجده كان يتحدث عن عدة أنواع من نظم الحكم، فالنوع الأول: يتمثل في الخلافة السماوية الشرعية (الإمامة)، وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينيوية الراجعة إليها، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا، أما النوع الثاني: يسمى بالملك الطبيعي العلماني الاستبدادي، وهو حمل الكافة على مقتضى الغضب والشهوة، والأخير: فهو الملك السياسي العقلي الوضعي، وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدينيوية ودفع المضار. كما أضاف ابن خلدون على تلك الأنواع من الحكم بقوله: ينبغي أن تكون هناك سمات أساسية للملك ألا وهي:

أ. استعباد الرعية: وخضوعها للملك، بمعنى أن تكون للملك السلطة العليا المطلقة، أي السيادة بالمفهوم الحديث.

ب. حماية الثغور: ويتحقق عن طريقها منع اعتداء الأفراد داخل الدولة بعضهم على بعض، وحماية الدولة نفسها من أي اعتداء خارجي عليها.

ج. جباية الأموال

د. إرسال البعوث والرسل.

3- كما أن ما يمكن إبرازه خلال هذه الدراسة لأنظمة الحكم الثلاث عند ابن خلدون، نجد اغلب تركيزه كان ينصب على النوع الأول من الحكم ورآه الأفضل، إلا وهو حكم الإمامة المرتبط بالعصبية، وذلك لما لعبته في خلال تلك القرنين من اهتمام بالأمور الدينية والدنيوية، مما دفع به الأمر إلى القول بان للإمامة أدلة وجوب تعبر عن حتميتها فهي تنحصر في الآتي:

- إجماع الأمة دليل الوجوب.
- دفع أضرار الفوضى دليل الوجوب.
- من أدلة وجوب الإمامة تنفيذ الواجبات الدينية.
- تنفيذ العدل دليل على الوجوب.

ومن بعد الدراسة والتحليل في هذه الورقة البحثية لأنواع الحكومات السياسية، والوصول لأفضلهم عند ابن خلدون ألا وهو حكم (الإمامة) والذي يصعب تطبيقه في هذا الوقت بكامل ما تتضمنه وتحتويه، ولكن قد يؤخذ منها بعض المهام والواجبات التي نجدها أحيانا تتفق وتنسجم مع أنظمة الحكم المعاصرة، مثل مدي التزام أي نظام حكم بالشريعة الإسلامية أوأهما لهالها من حيث إتباعا لأوامر والنواهي، وما الصفات الواجب توفرها في ذلك الحاكم، وما ينبغيان يلتزم به أي حاكم عند اختياره كرئيس أو حاكم لأي دولة إسلامية؟، حتى تمكنا من أنقاص بعض الدول العربية التي تعاني من الفوضى والاضطراب، والتحول بها إلى حياة الأمن والتقدم والازدهار في هذا القرن الواحد و العشرين والوصايا هي:

أ- ينبغي على أنظمة الحكم في الدول العربية الإسلامية، الالتزام والأخذ من مبدأ الدين منطلقا واضحا في تنظيم شئون الحياة وعند تكوين الدساتير على أنه نابع من التشريع الإسلامي.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

ب- كما أوصي أيضا بأن على كل من يتولى منصباً لقيادة دولة إسلامية أن يتحلى بأسمى آيات الحكمة وصور الأخلاق، فيكون أكثر رحابة بالصدر، ورجاحة في العقل، واتساع في الأفق، لكي تمكنه من دفة الأمور في الدولة بكل يسر وإحسان، لينال من ورائها السعادة في الدنيا والآخرة.

وَألا يجعل من نهج الليبرالية علماً مهماً له فيذهب في هواها فتصير شخصيته منسلخة عن الدين وبعيدة منه.

لكنه الديمقراطية المماثلة للشورى الإسلامية كما سطرها الصحابة والتي أخذت عنها الولايات المتحدة فكرة المجتمع الانتخابي بدوره الفعال في اختيار الرئيس والذي يماثل فكرة أهل الحل والعقد.

وبجدر بنا التأكيد على أن الحياة السياسية بواقعها الأخلاقي والعملية يمكن أن تنهض بفعالية فائقة إذا ما أخذت عن الدين قيمة، وعن الإنسان سلوكياته، وعن العلم تقنيته المعاصرة لينتفع الإنسان بكل مقدرات الحياة ويتزود منها للآخرة.

ت- كما أمل من جميع الأمراء والرؤساء لدول العالم الإسلامي سواء في الوقت المعاصر أو مستقبلاً عليكم الإيمان بمبدأ الديمقراطية المباشرة والنزبية احتراماً لإرادة الشعوب وحقوقها دون الميول إلى طموحاتكم التي قد لا تجعل حياة الشعوب في أمنٍ واطمئنانٍ وتقدم وازدهار، مثلما حدث ولأزال في دولة كل من (تونس، مصر، ليبيا، اليمن، وسوريا) سنة 2011م.

ولكن الرأي الصائب والأمثل هو ينبغي أن ننظر في أساليب الحكم والإدارة للدول في مختلف أنحاء العالم، فنأخذ من هذه الأساليب والوسائل أحسنها وأكثرها موافقة لنظام السياسة والحكم في الإسلام. ولاسيما بعد أن سبقتنا الدول الغربية أشواطاً كثيرة في تطبيق أحسن الوسائل وأجملها لتحقيق أنظمتها، والإسلام يحث على هذا ولا يمنع.

هوامش البحث

* القرآن الكريم. المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم.

1. مختار الصحاح، الفخر الرازي، محمد حلاق، إحياء التراث، بيروت، 1999، ص 692.
2. القاموس المحيط، الفيروزبادي، مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991، 281/4.
3. النظرية السياسية في الإسلام، عبد العزيز محمد الخياط، ط2، دار السلام، القاهرة، 2004، ص 20.
4. نظام الحكم في الإسلام، محمد فاروق النبهاني، مطبوعات جامعة الكويت، 1974، ص 20.
5. هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن خلدون، ولد في تونس في أول رمضان سنة (732هـ)، وتوفي في مصر في 25 رمضان سنة (808هـ)، وقد كان فقيها ومفكر سياسي وعالم اجتماعي، ينظر، حياته، وتراثه الفكري، ابن خلدون، محمد عبد الله عنان، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1933م، ص12، ص13.
6. معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، د. سامي محمد الصلاحات، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006، ص222.
7. المقدمة، ابن خلدون، علي عبد الواحد وافي، (ج2) ط3، دار النهضة الفجالة، القاهرة 1401هـ، ص578.
8. المقدمة، ابن خلدون، (ج2)، نفس المصدر، ص577.
9. المقدمة، ابن خلدون، (ج2) نفس المصدر، ص517.
10. المقدمة، ابن خلدون، (ج2) نفس المصدر، ص633.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

11. Gollier, Macmillan, The Encyclopedia of Philosophy, Volumes 3 and 4, The Macmillan Company & The free press, London, New York, 1972.

12. المقدمة، ابن خلدون، (ج2)، مصدر سابق، ص575، 578.

13. Sir Thomas Arnold The Ledacy of Islam sir Thomas Arnold and Alfreguilauame the Legacy of Islam oxford, 1931. p. 284.

14. المقدمة، ابن خلدون، (ج2)، مصدر سابق، ص578.

15. معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، د. سامي محمد الصلاحيات، معجم سابق، ص222.

16. المقدمة، ابن خلدون، ص576؛ ونقلاً عن د. حورية توفيق أمجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999، ص282.

17. المقدمة، ابن خلدون، المصدر نفسه، (ج2)، ص577.

18. معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، د. سامي محمد الصلاحيات، معجم سابق، ص38.

19. المقدمة، ابن خلدون، علي عبد الواحد وافي، ج2، ص578.

20. هو ابوعثمان عمر بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، (159 هـ - 255هـ)، أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ينظر في البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ط1، إحياء التراث العربي، بيروت، 2009 م، ص3.

21. هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، عالم مشهور وهو من كبار المعتزلة، يقال لهم الكعبية، وان نسبته الى الكعبي، لانه ينسب الى بن كعب، والبلخي نسبة إلى البلخ إحدى مدن خراسان، وكان من كبار المتكلمين، وله اختيارات في علم الكلام. وهو صاحب مقالات، توفي سنة (317 هـ) رحمه الله. ينظر وفيات الأعيان،

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

- ابن خلكان، د. يوسف علي طويل وآخرون، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص34.
22. هو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، كان فقيها صاحب حديث واسع لمذاهب المتكلمين، (245هـ)، ينظر كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، د.نيبرج، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1925 م، ص15.
23. المواقف وشرحه الشريف الجرجاني، عضد الدين الإيجي، ج8، د.ط، د.م، د.ت، ص345.
24. نهاية الأقدام في علم الكلام تصحيح الفريد هيوم، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، د.ط، دار النشر اكسفورد، لندن، 1931، ص479.
25. المقدمة، ابن خلدون، (ج2)، مصدر سابق، ص579.
26. أدب الدنيا والدين، الماوردي، مصطفى السقا، ط3، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص133.
27. المقدمة، ابن خلدون، (ج2)، مصدر سابق، ص482.
28. المقدمة، ابن خلدون، (ج2)، مصدر سابق، ص580.
29. السلطات الثلاثة، محمد الطماوي سليمان، ط1، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، 1986، ص56.
30. الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، عنه به أنس عدنان الشرفاوي، ط2، دار المنهاج، جدة، 2011م، ص292.
31. سنن الترميذي المسمى (الجامع الصحيح)، أبي عيسى محمد بن عيسى، احمد محمد شاكر، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1398م، (2346).
32. الحذافير: الجوانب. أي عندما تتوفر له تلك النعم والمتطلبات، وتمكن من الانتفاع بها، فهي نعمة عظيمة تكاملت في حقه النعمة، وهذا من فضل الله عز وجل وعليه أن يحمده

د. ميلود محمد الواعر

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

ويشكره، ينظر سنن ابن ماجه، ابن ماجه، د. محمد فؤاد عبد الباقي، في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر، د.م، د.ت، (4141).

33. الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، عنه به أنس عدنان الشرقاوي، مصدر سابق، ص292.

* الهرج: الفتنة وشدة القتل وكثرته.

34. نفس المصدر، نفس الموضع.

35. شرح العقائد النسفية، التفتازاني، الإمام النسفي، ط القاهرة، 1993م، ص142، 143. * البيضة، أصل القوم ومجتمعهم، وبيضة القوم ساحتهم.

36. نهاية الأقدام في علم الكلام، الشهرستاني، مصدر سابق، ص478.

37. المواقف، عضد الدين الايجي، مصدر سابق، ص346.

38. المقدمة، ابن خلدون (ج2)، مصدر سابق، ص587.

39. سلوك المالك في تدبير الممالك، أحمد بن محمد بن أبي الربيع، طبعة صبري الكردي، (د.م)، 1329هـ، ص80-90.

40. المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبد الرحمن بن عبد الله، طبعة أبو شادي، دن، د.م، 1326هـ، ص14-20.

41. المقدمة، ابن خلدون (ج2)، مصدر سابق، ص577-578.

المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع العربية.

* القران الكريم. برواية حفص عن عاصم.

1- أدب الدنيا والدين، الماوردي، مصطفى السقا، ط3، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.

2- الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، عنى به أنس محمد عدنان الشرقاوي، ط2، دار المنهاج، جدة، 2011 م.

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

- 3- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009 م. 21
21- وفيات الاعيان
- 4- حياته، وتراثه الفكري، ابن خلدون، محمد عبد الله عنان، مطبعة دار الكتب
المصرية، القاهرة، 1933 م.
- 5- السلطات الثلاثة، محمد سليمان الطماوي، ط1، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة
1986م
- 6- سلوك المالك في تدبير الممالك، احمد بن محمد بن أبي ربيع، طبعة صبري
الكردي، د.م، 1329هـ.
- 7- سنن ابن ماجة، ابن ماجة، ت: د. محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، في الفتن باب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، د. ت.
- 8- سنن الترميذي، المسمى (الجامع الصحيح)، احمد محمد شاكر، ط2، مطبعة مصطفى
الباي الحلبي، القاهرة، 1398 م.
- 9- شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، ط القاهرة، 1993 م.
- 10- الفكر السياسي من افلاطون الى محمد عبده، حورية توفيق أمجاهد ط3، مكتبة
الانجلوا المصرية، 1999م.
- 11- القاموس المحيط، الفيروزبادي، مجد الدين أبوطاهر بن يعقوب، مؤسسة الرسالة،
بيروت، 1991م.
- 12- كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، ت: د. نيبيرج، ط1، مكتبة الدار
العربية للكتاب، القاهرة، 1925م. 19
- 13- مختار الصحاح، الفخر الرازي، محمد حلاق، احياء التراث، بيروت، 1999م.
- 14- معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، سامي محمد الصلاحات، ط1، مكتبة
الشروق الدولية، القاهرة، 2006 م

د. ميلود محمد الواعر

أنواع الحكومات السياسية وأشرفها عند ابن خلدون

15- المقدمة، ابن خلدون، علي عبد الواحد وافي، ط3، ج1+ج2، دار النهضة، الفجالة، القاهرة، 1401هـ.

16- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبد الرحمن بن عبد الله، طبعة ابو شادي، دن، دم، 1326هـ.

17- المواقف وشرحه الشريف الجرجاني، عضد الدين الإيجي، ج8، د، ط، د، م، د، ت.

18- نظام الحكم في الإسلام، محمد فاروق النبهان، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1974م.

19- نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، تصحيح الفريد هيوم، د، ط، دار النشر اكسفورد، لندن، 1931 م.

20- وفيات الأعيان، ابن خلكان، يوسف علي طويل وآخرون، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ثانيا المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1- Gollier, Macmillan, The Encyclopedia of Philosophy, Volumes 3 and 4, The Macmillan Company & The free press, London, New York, 1972.
- 2- Sir Thomas Arnold The Ledacy of Islam sir Thomas Arnold and Alfreguilaume the Legacy of Islam oxford, 1931.

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية اللببية

أ . عادل امحمد برقيق
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

مقدمة :

للألوان سحر تآثر به الإنسان منذ بداياته الأولى لوجوده على الأرض ، حيث ظهر ميله للتعبير عن ذاته بالألوان عبر عدد من الرسومات التي تم العثور عليها في الكهوف حاول فيها التعبير عن ما يدور في خاطره ويؤمن ويشعر به ، وما يريد إيصاله من رسائل وفي بلاد اليونان ظهرت لوحات الفسيفساء ، فانتشرت عند الرومان والبيزنطيين في العصور الوسطى ، ومع ظهور المخطوطات المزخرفة إحدى أنواع الفنون التشكيلية التي تُصنع من قبل الرهبان ، ظهر العديد من الفنانين في إيطاليا أمثال: جيوتو، وليوناردو دافنشي، ورفائيل ، وفي بداية القرن السادس عشر، كانت اللوحة التشكيلية في أوج تطورها وتعد الألوان مركزاً للتواصل الإنساني حيث تلعب دوراً كبيراً في توجيه المتلقي للعمل الفني والإحساس به ، فالألوان لغة بصرية كاملة المواصفات الحسية وغنية بالقيم الجمالية ، فهي ذو غرض وظيفي لتحقيق شروط الجمال فيما يتم رسمه من الطبيعة وفي ما تراه العين وتدركه من ألوان ، وذلك يترك أثراً حسناً في نفوس الناس ، فالألوان وسيلة مهمة لتعبير الفنان عما يراه من جمال ، وعما يريد أن ينقله من فكرة إلى الطرف الآخر ، وبوصف الألوان من العناصر المهمة في تكوين اللوحة التشكيلية ، ولابد من الموازنة بين القيمة اللونية في الظلال والأضواء للبيئة الواقعية مضافاً إليها إحساس الفنان وذوقه الجميل ومهاراته وتقنياته ، لأن انفعالات الفنان ستنتقل إلى المتلقي ، وبهذه الحالة يكون التبادل بين ما هو ذاتي خاص وجمالي عام ، ومع ما يتناسب والموضوع الذي هو بصدد العمل عليه ويذكر شاكر عبد الحميد أن الألوان تكتسب قيمتها من خلال علاقاتها بالألوان الأخرى ومن خلال تدرجات الضوء ، ومن خلال درجات التشبع والإشعاع اللوني ، وكذلك

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية اللببية

انعكاسات الألوان وتبادل انعكاسات الضوء والظل كما أن عمليات المزج البصري للألوان قبل وأثناء العمل يكون لها دورها (1) الكبير أيضاً، فاللوحة التشكيلية جوهرة الفنون البصرية ، بما أنتجه الفنانون من أعمال إستحوذوا بها على ذكريات الفردية والانفعالات البصرية لدى المتلقي ، فهي ملتقى الفنون ومركزاً للتواصل الإنساني ، وقد شهدت اللوحة التشكيلية في إظهار مدارس كثيرة للفنون و عدة تحولات فنية ، أثرت بشكل كبير في إنتاج مفاهيم جديدة أسهمت في إثراء كافة الأنشطة الثقافية والمعارف الإنسانية، واعتمدت اللوحة التشكيلية عند الفنان على الشكل واللون ، للتعبير عن معتقداته وعاداته بطريقة مختلفة ، يختلف أثرها عن رؤية الآخرين لها ، حتى ولو كانوا من المتخصصين ويذكر شاكر "الفنان المبدع يفتح عيوننا على عالم الضوء واللون ، ويكشف لنا بطريقة يمكن أن تكون جديدة وحيوية" (2) و من هنا جاءت الحاجة الى تقديم ، المنظور اللوني في اللوحة الطباعية ، بحيث تتمكن من إدراك المنظور اللوني ، وفهم مكوناتها التي تساهم في استثارة الإحساس الجمالي لدى المتلقي ويتفاعل معها بصدق وألفة عندما تستدعي ذاكرته بالإثارة والانجذاب أثناء مشاهدة اللوحة فهي قابلة للإدراك بمستويات متفاوتة من كل الفئات العمرية وهي تأثر فيهم جميعاً.

مشكلة البحث :

يعد الفن ضرورة ملحة أكثر منه حاجة جمالية فحسب ، ذلك لأنه المجال الأوسع الذي من خلاله يعبر الفنان ويفصح عن لغة قيمة تفوق في قوة تعبيره صراحة الكلمات أو اللغة التواصلية العادية ، لذا تعددت جوانب نشاطه الفني والتعبيري و أصبح النشاط الفني ظاهرة يواجه بها احتياجاته الشخصية والاجتماعية والروحية وأصبح الفن تعبيراً عن الإنسان و أماله وكرهه كون الفن نشاط بشري أصيل يعبر من خلاله الإنسان عن نفسه وبذلك سعى الإنسان لمعرفة ما كان وما هو كائن وما قد يكون واستكشاف كيف كان على مر العصور (3)، من الطبيعي أن تكون اللوحة الطباعية المجال الحيوي لأصحاب الاختصاص من الفنانين ومن شريحة واسعة من الذواقة الهواة والمحترفين من صحفيين ونقاد فن

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

وأكاديميين، ومحط أبصارهم ومناهل مداركهم وتفكيرهم وفي نهاية المطاف الوقوف أمامها موقف مُتذوق عابر ، أو متأمل مُفكر، وآخر ناقد ، وتختلف عمليات التواصل البصري والمعرفي والجمالي مع محتوى ومضمون اللوحة تبعاً لثقافة ووعي وميول المتلقي ، وانحيازه لذاكرته الشخصية وأفكاره وهي مسألة طبيعية وإشكالية بأن معاً تضع العمل الفني واللوحة في مصيدة الترجمة الذاتية والنقد الذاتي بعيداً عن موضوعية التلقي ومفاعيل النقد .

أن اللون احد الثوابت التي يلعب دوراً كبيراً في إدراك اللوحة الطباعية وهنا يجب إيضاح ما يعرف بقوانين الفيزياء ، ببساطة تبين هذه القوانين تنظيم المنبهات الفيزيائية والحسية التي نرى من خلالها الألوان كما نعرفها وليس كما تبدو ، ومن المعروف ان الحركة الانطباعية كانت قد درست وحللت الألوان المخفية في الظلال ، وقد جاءت هذه التطورات التي تحققت من خلال التجريب والتحليل شبه العلمي، منذ عصر النهضة ، بمعنى انه كان هنالك تحليل مستمر خلال الأعمال التي يمكن أن يصطلح عليها بالواقعية العلمية ، التي تتطلب موقفاً تقديرياً عقلياً. وهذه التجارب والتحليل أدت دوراً مهماً فيما يتعلق بالتغييرات الفنية ، "أن الألوان الملازمة للأشياء تتغير عادة في العالم الواقعي من خلال التأثيرات الخاصة بالضوء والجو" (4) من هنا حطمت الانطباعية ثبات الإدراك اللوني الذي أعاق الرسامي السابقين من إدراك التأثيرات القوية للإضاءة العرضية على لون الأجسام ، التي أسهمت في ما وصلت إليه اللوحة اليوم، ومن هنا يرى الباحث أن المنظور اللوني في اللوحة الطباعية لا ينتمي إلى عالم اللون فحسب وإنما إلى مجموعة مفاهيم معرفية يجب على كل فنان ودارس للفنون أن يكون لديه دراية بها .

أهمية البحث :

- يختص البحث الحالي بدراسة واحد من أهم مجالات الرسم ألا وهو فن الطباعة عبر تناول المنظور اللوني
- يفيد البحث الحالي الطلبة و الفنانين والمهتمين باللوحة التشكيلية .

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

- يكشف دور المنظور اللوني في اللوحة الطباعية .
- يكشف دور اللون في معالجة إدراك المسافة والعمق في اللوحة.
- تسهم في الإثراء المعرفي والعلمي فيما يتعلق بالمنظور اللوني .
- يكشف القيم البعدية للون

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى التعرف على المنظور اللوني من خلال القيم الألوان و تجاوزها وقوانين الفيزياء في الفنون لإدراك المسافة والعمق في اللوحة الطباعية

حدود البحث :

يقتصر البحث على دراسة المنظور اللوني في اللوحة الطباعية لفنانون معاصرون من ليبيا.

المنهج البحثي:

أتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي من اجل تحقيق هدف البحث الحالي وهو التعرف على المنظور اللوني في اللوحة الطباعية اعتمد الباحث صفات وتجاور الألوان والملامس وقوانين الفيزياء لإدراك المسافة والعمق التي توصل إليها في سياق الإطار النظري كأداة لتحليل عينة البحث الحالي.

المصطلحات :

المنظور اللوني: هو تمثيل الأجسام المرئية على سطح منبسط (اللوحة) لا كما هي في الواقع ولكن كما تبدو لعين الناظر في وضع معين وعلى بعد معين من خلال زوايا رؤية مختلفة (5).

الإدراك: هو تلك العملية النفسية التي تسهم في الوصول إلى معاني ودلالات الأشياء والأشخاص والمواقف التي يتعامل معها الفرد عن طريق تنظيم المثيرات الحسية المتعلقة بها وتفسيرها وصياغتها في كليات ذات معنى (6).

خصائص الإدراك : من أبرز ما يمكن ذكره فيما يتعلق بخصائص الإدراك ما يلي:

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

- 1- عملية تتوسط العمليات الحسية والسلوك وهذا يعني أنها عملية غير قابلة للملاحظة المباشرة وإنما يستدل عليها بالاستجابات الصادرة عن الفرد.
 - 2- عملية تستخدم للإحساسات الصادرة عن المنبه والخبرة الماضية وتكامل بينهما ، وهذا ما يجعل الإدراك عملية فردية فريدة بمعنى أنها لا تتأثر بالمحيط الفيزيائي فحسب وإنما تتأثر بذكريات الفرد وانفعالاته.
 - 3- عملية ملء للفرغات أو تكملة للأشياء أو الأشكال فليس من الضروري لإدراك الموضوع ظهور كل أجزائه (7)
- مقومات الإدراك :** يتطلب الإدراك السليم للمثيرات أو الظواهر المختلفة نوعاً من التأهب العقلي قوامه:

- 1- القدرة على التمييز بين المدركات بناءً على سلامة عمليتي التجريد (استخلاص الصفات الأساسية المثير الحسي) والتعميم ويتطلب هذا سلامة عمليتي الإحساس والانتباه.
 - 2- القدرة على التمييز بين شكل المدرك أو صيغته الإجمالية العامة أو الخلفية البيئية التي يسند إليها (مثل الصورة والظل والكتابة على الصبورة)
 - 3- القدرة على غلق المدرك الحسي لتكوين مدرك عام أو مفهوم ذي معنى (8) .
- الإدراك البصري:** عملية معرفية مركبة ومرحلة أساسية من مراحل تجهيز المعلومات القادمة من العالم الخارجي ومن خلال المنافذ البصرية لأجل تفسيرها وإعطائها المعاني ومن ثم تنظيمها في البناء المعرفي لدى الفرد والاستجابة أثناء الحاجة ، أيضاً فبالخبرة السابقة تمكن الفرد من ترجمة إحساساته التي يتلقاها من العالم الخارجي (9) .

نظريات الإدراك البصري

نظرية الجشطالت: يرى أنصار هذه النظرية أن العقل قوة منظمة تحول ما بالكون من فوضى إلى نظام وذلك وفقاً لقوانين خاصة ، ويفعل عوامل موضوعية تشترك من الطبيعة هذه الأشياء نفسها وتعرف هذه القوانين بقوانين التنظيم الإدراك الحسي ، وهي عوامل فطرية لذلك يشترك فيها الناس جميعاً وبفضل هذه القوانين تنظيم المنبهات الفيزيقية

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

والحسية في أنماط أو صيغ كلية مستقلة تبرز في مجال إدراكنا ، ثم تأتي الخبرة اليومية والتعلم لكي يعطي هذه الصيغ معانيها (10).

نظريات إدراك المسافة والعمق: هناك عدد من النظريات التي عالجت إدراك المسافة والعمق أهمها ثلاث نظريات : هي النظرية التجريبية وهي تركز على دور عملية التعلم والخبرة السابقة للفرد في إدراك الأشياء ونظرية جيبسون وهي ترى أن المنبهات البصرية غنية بمعلومات المسافة والعمق ولذلك تركز على دور العمليات العقلية في الإدراك ، والنظرية الحسابية وهي تركز على كيفية حساب البعد الثالث من خلال بعض قوانين الفيزياء والهندسة التي يتم استخدامها في تحليل المنبهات التي تحولها إلى المشهد البصري كما ركزت على دور أجهزة الكمبيوتر في معالجة هذه المعلومات (11).

نظرية ثلاثية الرؤية للألوان: تفترض أن البشر لديهم ثلاثة أنواع من الخلايا المخروطية المستقلة للضوء في شبكية العين ، وكل نوع منها حساس لموجات ضوئية محددة في الطيف حيث تثير لدينا إحساساً نفسياً بلون معين من الألوان الأساسية المكونة للطيف وهي : الأحمر والأخضر والأزرق ، بمعنى أن كل نوع من ألوان الطيف الأساسية الثلاثة (12)، وفي عام 1964 استطاع عالمان أمريكيان أن يحللا الخصائص الامتصاصية للصبغات المخروطية كلا على حدة ، وأثبتت ملاحظتهما أن شبكية العين تملك نماذج ثلاثة رئيسية من الصبغات المخروطية تؤدي إلى إيجاد ثلاثة نماذج من وحدات الاستقبال ، ويرتبط كل منها بطول معين (موجات طويلة = أحمر ، موجات متوسطة = أخضر ، موجات قصيرة = أزرق (13).

العوامل التي تقوم عليها عملية الإدراك البصري (14)

العوامل الذاتية:

هي تتعلق بالشخص المشاهد للعمل بميوله الخاصة واستعداداته العامة أي حالة التأهب إزاء هذا العمل الذي أمامه أو الموقف الذي يشاهده وخبرته السابقة أو الحصيلة العامة لمجموع المواقف التي سبق أن مر بها من قبل من أعمال فنية مسطحة أو مجسمة .

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

أ- **العوامل الموضوعية** هي الشروط التي توجد في الموضوع الخارجي أو العمل الفني المسطح أو المجسم فهي مستقلة عن أي عامل ذاتي مرتبط بالشخص المشاهد وهذه الشروط قد تكون داخلية في تركيب العمل الفني ذاته أو قد تكون مكتسبة من وجود هذا العمل في مجال ما يحيط به قد يكسب هذا العمل بعض الخواص المعينة .

ب- **قوانين تنظيم المجال البصري** أن الإنسان يستخدم إستراتيجية معينة لتجهيز المعلومات بهدف تنظيم الإدراك البصري للأشياء المرئية فالإنسان :

- يدرك الأشكال الشكلية .
- يميز العلاقة بين الشكل والأرضية .
- يقوم بتجميع عناصر منفصلة في نماذج موحدة .
- يفترض ثبات الشكل والحجم واللون والضوء .

المنظور اللوني في اللوحة التشكيلية

التدرج الظلي : التدرجات الظلية إحدى الطرق الأدائية المستخدمة للتعبير عن التجسيم الإيهامي على المسطح ثنائي الأبعاد (15) حيث تؤثر الظلال في الإحساس بالعمق الفراغي (16) ويزداد الإحساس بالعمق كلما زاد التباين في شدة الإضاءة الساقطة على المساحات ، كذلك يقل الإحساس بالعمق كلما تقاربت شدة الإضاءة بين المساحتين حتى نصل إلى الإحساس بالتسطيح (17) حيث إن التباينات بين الفاتح والغامق تعمل على إبراز الأبعاد المختلفة في العمل الفني (18)

الألوان: أن كلمة لون تعني الإحساس البصري المترتب على اختلاف أطول الموجات الضوئية في الأشعة المنظورة ، وهو أيضاً ذلك التأثير الفسيولوجي الناتج عن شبكية العين ، سواء كان ناتجاً عن المادة الصباغية الملونة أو عن الضوء الملون ، فهو إذن إحساس وليس له أي وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية (19) .

خواص اللون:

1. **قيمة اللون :** هي التي بها نقصد أن اللون فاتح أم غامق ، بمعنى آخر أنه بالقيمة يمكننا أن نفرق بين الأحمر الفاتح والأحمر الغامق إذا ما مزجنا أسود وأبيض إلى اللون ، فإننا بذلك نغير من قيمته وليس من أصله أو كنته ، فإذا ما تخيلنا الفرق الذي ندركه بين لون جزئي سطح أحمر يقع نصفه في الظل والنصف الآخر في النور ، فبرغم أن أصل اللون لم يتغير إلا أنه من المؤكد أن نرى اختلافاً كبيراً في درجة نصوص اللون (20) .

2. **كنة اللون :** أن المقصود بذلك أصل اللون وهي تلك الصفة التي نميز ونفرق بها بين لون وآخر نسميه باسمها أنها تترجم بالصفات فنقول هذا لون (بنفسجي – أزرق – أخضر – أحمر...) ويمكن أن نغير في كنة اللون (أصل اللون) بمزجه بلون آخر ، فعند مزج مادة حمراء بأخرى صفراء ، فإنها تنتج مادة برتقالية وهذا هو تغير في كنة اللون (21) .

3. **الكروما :** هي الخاصية أو الصفة التي تدل على مدى نقاء اللون أي درجة تشبعه ، ويرتبط تشبع اللون بمدى نقائه أي بمدى اختلاطه بالألوان المحايدة وهي كل من الأبيض والرمادي ، وهناك أحوال ثلاثة لنقص تشبع اللون ، ولكل منها تعبير مستقل :

1. **نقص التشبع لإختلاط أصل اللون بقدر من الأبيض ، وفي هذه الحالة يقال أن أصل اللون قد خفف فأصبح فاتحاً أو باهتاً أو شاحباً .**

2. **نقص التشبع لإختلاط أصل اللون بقدر من الأسود ، وفي هذه الحالة يقال أن أصل اللون قد ظلل أو صار أغمق أو أدكن .**

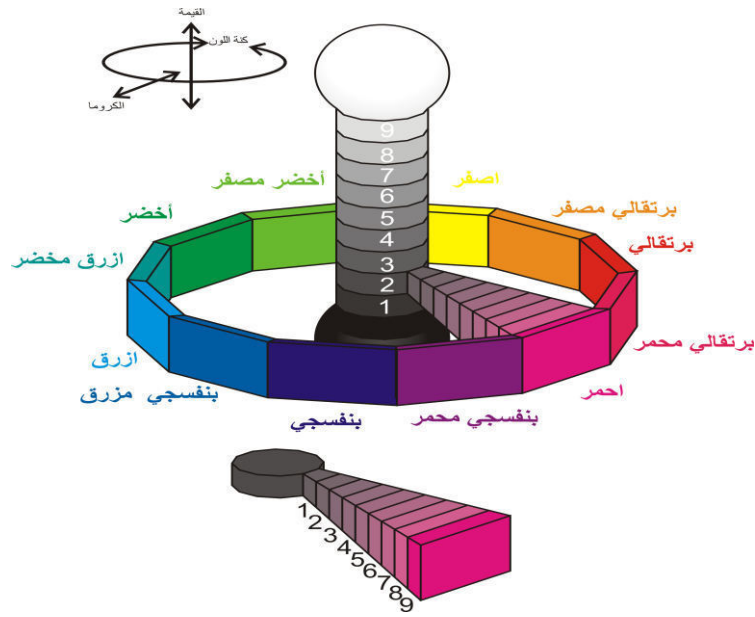
3. **نقص التشبع لإختلاط أصل اللون بقدر من الرمادي ، وهنا يقال أن أصل اللون قد حُويِد أو عُوْدِل أو صار أغمق أو أدكن (22) .**

نظام الألوان مونسل:

هو فضاء لوني يحدد الألوان اعتماداً على ثلاث أبعاد لونية صبغة اللون قيمة اللون وصفاء اللون وقد وضعه ألبرت هنري مونسل في العقد الأول من القرن العشرين (23) .

نظام الالوان مونسل

أصل اللون $\frac{\text{القيمة}}{\text{الكروما}}$ (24)



دائرة الألوان:

يذكر شوقي كثير من علماء اللون قد قام بترتيب الألوان من خلال دوائر مختلفة ، وهذا الترتيب المبسط قام بتنظيمه يوهانز ايتين على دائرة الألوان ذات الاثنى عشر لوناً ، حيث تتكون من ثلاث قوائم هي (25):

المنظور اللوني في اللوحة الطباعة الليبية



1. الألوان الأساسية :

أوضح رياض أنها الأزرق والأصفر والأحمر ، وأطلق عليها ألوان أساسية ، لكونها لا يمكن الحصول عليها نظرياً عن طريق مزج الألوان الأخرى ، إلا أن مزجها يؤدي إلى الحصول على الألوان الأخرى (26)

2. الألوان الثانوية :

ويعرفها شوقي بأنها الألوان التي يمكن الحصول عليها عن طريق مزج لونين أساسيين معاً ، والتي تحتل موقعاً متوسطاً بين الألوان الأساسية في دائرة الألوان البرتقالي : ونحصل عليه بمزج الأصفر والأحمر وهو أول الألوان الثانوية وأقلها امتصاصاً للضوء ، وتتوقف درجة تأثيره في الأبصار على مقدار النور الساقط عليه ومسافة بعده عن النظر ونلاحظ أن ضوء الشمس يزيد توهج مظهر البرتقالي كما يزيد من توهج كل الألوان التي يدخل في تركيبها هذا اللون.

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

الأخضر : ونحصل عليه بمزج الأصفر مع الأزرق وهو ثاني الألوان الثانوية ويقف وسطا من حيث الامتصاص والانعكاس بين الأسود والأبيض ويعتبر لونا كامل الظل عندما يتركب من ثلاثة أجزاء من الأصفر وثمانية أجزاء من الأزرق.

البنفسجي : ونحصل عليه بمزج الأحمر والأزرق وهو ثالث الألوان الثانوية وهو أقرب الألوان ظلا إلى الأسود ، لأنه يعكس قدراً من النور (27) .

3. الألوان الثلاثية:

يوضح شوقي أن الألوان الثلاثية تقع ما بين الألوان الأساسية والثانوية حيث تنشأ من خلط لون أساسي باللون الثانوي التالي له ، وينتج عنه ستة ألوان متوسطة ، تشير أسماء هذه الألوان إلى مكوناتها ، مثل (أصفر – برتقالي) – (أحمر – برتقالي) – (أحمر – بنفسجي) – (أزرق – بنفسجي) – (أزرق – أخضر) – (أصفر – أخضر) . وعلى هذا الأساس يتم تكوين دائرة الألوان ذات الاثنى عشر لونا ، بحيث يحتل كل لون منها مكاناً معيناً ومحدداً ويجب التأكيد على أن ترتيب هذه الألوان هو نفس ترتيب قوس قزح أو الطيف الطبيعي ، ويقع كل لونين متكاملين في الدائرة متقابلين تقابل قطري مار بمركز الدائرة (28) .

4. الألوان المحايدة:

أن الألوان المحايدة أو المحايدة هي (الأبيض والأسود والرماديات العديدة التي تنتج عن خلط الأبيض والأسود) والرماديات التي تنتج من مزج الألوان الأساسية وسميت بالألوان المحايدة

- انها غير متواجدة على الدائرة اللونية
- كما أنها لا لون لها
- تتفق مع أي مجموعة لونية (29)

5. الألوان المتكاملة :

يشير رشدان أن هذا المصطلح يعبر عن الموجتين الطولتين إذا امتزجا يعطينا إحساساً باللون الرمادي حيث إن كلاً منهما يبطل عمل الآخر أما إذا امتزجت موجتان غير متتامتين ينتج إحساس بلون آخر بينهما ، وهي الألوان المتقابلة في دائرة الألوان . فاللون الأصفر الأساسي يكمله ويقابله اللون البنفسجي والمكون من مزج اللونين الأساسيين الباقيين من الألوان الأساسية . فاللون الأحمر المكمل له اللون الأخضر المتكون من الأزرق والأصفر اللون الأزرق المكمل له هو اللون البرتقالي المتكون من الأصفر والأحمر (30) .

تباين الألوان :

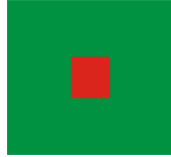
هي تلك الاختلافات التي تحدث بين الألوان عند تجاورها مع بعضها وهذا الإخلاف يكون عند تجاور بين لوان مختلفان هو الزيادة في درجة الاختلاف يكون التباين بينهما ، أي أن اللون الفاتح يبدو أفتح مما هو عليه فعلاً وأن اللون الغامق يظهر أعمق مما هو عليه وهذا التباين في درجة اللون ، وليس التباين مقصوراً على اختلاف كنه أو أصل اللون ، فقد يكون التباين في درجة الألوان ، فالألوان بتجاورها ، إذا ما اختلفت في درجة فإن الفاتح منها يظهر أفتح مما هو عليه في الحقيقة والغامق يظهر أعمق ، وقد يكون التباين يجمع بين أصل اللون ودرجة اللون معاً ويوضح رشدان أن التباين ظاهرة تتصل بما يسمى بظاهرة الانتشار البصري ، وهي المساحة الصغيرة من لون أبيض على أرضية سواد تبدو أكثر من مساحتها الحقيقية ، لأن هذه المساحة البيضاء تضئ الأرضية فتبدو أكثر من مساحتها الواقعية وتبدو الأرضية الغامقة كأنها تتناقض ، ويتصل بالتباين أيضاً ظاهرة أخرى تتعلق بقيمة اللون أنه إذا وضعت مساحتين متساويتين من الرمادي على أرضية فاتحة ولتكوين بيضاء ، والثانية على أرضية غامقة ولتكون سواد ، فإن المساحة الأولى تبدو للنظر أفتح من الثانية وهذا معناه أن الأبيض إذا تجاور مع لون آخر فإنه يزيد من قيمته ، وأن الأسود إذا حاور لوناً غيره يخفض من قيمته (31) .

التباين المتلازم: (32)

يذكر إسماعيل شوقي يجذب التضاد المتلازم الانتباه عند خلط الألوان بعضها ببعض ويمكن للتضاد أن يغير في طريقة إدراك اللون وقد يكون التضاد نتيجة التغير في الكنة أو القيمة أو في الشدة وينتج التضاد كذلك من تجاوز الألوان التي تثير الرؤية والمقابلة على دائرة الألوان.

(أ) التغير في الكنة من خلال التباين:

إذا أحيط لون ما بلون آخر فإن هذا اللون المحيط يؤثر في كنة اللون المحاط لأنه يدمج بصرياً بعد رؤية الصورة باللون المحيط الذي يختلف في الكنة فعلى سبيل المثال إذا أحيط مربع برتقالي بخلفية خضراء (الأخضر هو اللون المكمل للأحمر) فإن هذه الخلفية الخضراء تؤثر في المربع البرتقالي وتجعله يبدو أكثر احمراراً.



(ب) التغير في القيمة من خلال التباين:

يظهر التغير في القيمة إذا كانت الخلفية أفتح أو أغمق عن اللون المحاط فإن الخلفية الفاتحة تجعل اللون المحاط بها يبدو أغمق وإذا أحيط نفس اللون بخلفية أغمق فإنه يبدو أفتح فعلى سبيل المثال إذا أحيط المربع البرتقالي بأرضية رمادية فإنه يبدو أكثر احمراراً ولكن إذا أحيط نفس المربع البرتقالي بخلفية سوداء فإنه يبدو أكثر اصفراراً.



(ج) التغير في الكروما من خلال التباين:

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

يكشف التغير في الكروما عن ظاهرة التذبذب (التلألأ) اللوني ، فإذا أحيط لون باللون المكمل له فإن هذا اللون يبدو أكثر شدة ويصبح هذا اللون متوهجاً ومشعاً .
فإذا أحيط المربع البرتقالي باللون الأزرق المكمل له فإنه بذلك يظهر خاصية التوهج والتلألأ.

ولكن إذا أحيط هذا اللون البرتقالي بلون أحمر فإن هذا التجاور يضعف الكروما لأن اللون البرتقالي سيبدو وكأن به رمادي ضعيف.

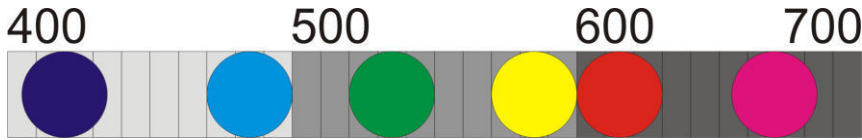


الملمس:

يلعب الملمس في اللوحات الثنائية الابعاد دوراً كبيراً في تغيير الألوان ، فهو وهمي مرتبط بالإدراك البصري للأسطح الخشنة والناعمة ، ويمكن ملاحظة التأثيرات اللونية المختلفة التي يحدثها ، في التعبير عن ملامس الأسطح والمناطق المتجاورة ، الناتجة من انعكاسات الظل والضوء الساقط عليها ، والإحساس باختلافها ، ويوضح برنار مايرز "أن أنواعاً معينة من الملمس سوف تؤثر في اللون كما ستؤثر في اللونين الفاتح و القاتم فالملمس الناعم يتجنب الظلال في حين يساعد الملمس الخشن في ظهور الظلال" (33) ويرى أسماعيل شوقي أن المناظر المرئية تحتوي على عدة اسطح قد تكون على مسافات مختلفة من الشخص الملاحظ ولها بالطبع تفاصيل مرئية وعلى هذا فإن مفهوم التدرج الملمسي يتضمن أن سطوحاً كثيرة تتضاءل طبيعياً بطريقة ما فدرجة وضوح التفاصيل تتوقف على بعد الهيئات عن المناظر لها فكلما اقتربت من العين أمكن رؤية تفاصيلها وكلما ابتعدت هذه الهيئات تضاءلت بالتدرج ويمكن فهم هذا إلى حد ما فيما يقوم به الفنانين والرسامين لتمثيل البعد الثالث في لوحاتهم فما هو قريب يظهر واضحاً ومفصلاً عما هو بعيد الذي يقل في الوضوح " (34).

القيم البعدية للون :

يوضح إسماعيل شوقي عند النظر إلى اللون الأحمر كلون من الألوان الساخنة تبدو وكأنها تقترب من عين المشاهد ، كما تبدو أكبر في المساحة ، وعندما النظر إلى الألوان الباردة فأنها تبدو كأنها تبتعد وتقل عن مساحتها الحقيقية على الرغم من أن المساحتين اللونيتين متساويتين ومتجاورتين وعلى مسافة واحدة من عين المشاهد إلا أنها تبدو وكأنها تتراجع ، وهذا الإحساس هو نفس الإحساس المتكون عندما ينظر المشاهد إلى جسمين متساويين متواجدين على مسافتين مختلفتين . والسبب في ذلك هو أن أشعة الضوء ذات الطول الموجي المختلف عندما تمر من عدسة العين وبالتالي تمر الألوان من البؤرة ولكن على مسافات مختلفة من العدسة فاللون الأزرق تقع بؤرته أمام الشبكية واللون الأحمر تقع بؤرته خلف الشبكية أما اللون الأصفر فالعين أكثر حساسية له وعلى هذا يكون هو الوحيد الذي يمر بالبؤرة تماما (35) . كما يوضح روبرت جيلام سكوت أن كل لوين في الطيف له طول موجي معين يمكن قياسه بجهاز تحليل الطيف (36) .



الألوان الساخنة والباردة : (37)

ويشير رياض من أهم التأثيرات اللونية الباردة والحارة في التكوين ما يلي:

1. الإحساس بالعمق .
2. الألوان الساخنة توحى بالتقدم والإشعاع وتبدو أخف ثقلاً .
3. الألوان الباردة توحى بالانكماش والتقلص وتبدو أكثر ثقلاً .
4. خلق انطباع قوي وسريع من خلال إحداث التأثيرات السيكولوجية في مجال الرؤية البصرية المتدرجة ، فالألوان الساخنة الصفراء والبرتقالية والحمراء لها دلالات في التصميم أو التكوينات فتظهر للمشاهد أقرب وأكثر تقدماً من الألوان الباردة بصفة الإشعاع

أ . عادل أمحمد برقيق

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

والانتشار أما الألوان البارد فلها صفة الانكماش والتقلص ، كما أن لهذه الألوان تأثيرات نفسية مختلفة تؤثر على كيانها المادي ويجب على المصمم أن يتعرف على تلك التأثيرات ليستطيع مراعاتها في تصميماته ، لذلك فإن الأشكال المجسمة ذات الألوان الباردة والفاتحة تبدو أخف ثقلاً من تلك الملونة بالألوان الدافئة القائمة .

تحليل العينات



العيونة رقم (1)

أسم الفنان: بشير الرني

التقنية: قلفونة على زنك

أسم اللوحة: رقصة الطوارق








الوصف:

عمل لتسعة أشخاص بلباس الطوارق خمسة منهم يرقصون يتقدمهم اثنان من الأمام وثلاثة في الخلف والأربعة الآخرون جالسون في الخلف وخلفهم غابة من النخيل ومنزلين في أطراف الغابة










المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية



المنظور اللوني: التحليل: التدرج الظلي :
تتكون اللوحة من أربعة تدرجات ظلية

التدرج الرابع	التدرج الثالث	التدرج الثاني	التدرج الأول	التدرج الظلي الألوان
- اللون الأول لون محايد ،  أبيض $\frac{10}{0}$	- اللون الأول لون محايد ،  أبيض $\frac{10}{0}$	- اللون الأول لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$	- اللون الأول لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$	- اللون الأول لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$
- اللون الثاني لون ثانوي ،  برتقالي $\frac{0}{4}$	- اللون الثاني لون ثانوي ،  برتقالي $\frac{0}{4}$	- اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{4}$	- اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{4}$	- اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{4}$
- اللون الثالث لون ثانوي ،  برتقالي $\frac{0}{3}$	- اللون الثالث لون ثانوي ،  برتقالي $\frac{0}{3}$			
- اللون الرابع لون ثانوي ،  برتقالي $\frac{0}{1}$				

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{4}$</p>  <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{3}$</p>  <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p>  <p>- لا يوجد تباين بين برتقالي $\frac{0}{4}$ و برتقالي $\frac{0}{3}$</p>  <p>- لا يوجد تباين بين برتقالي $\frac{0}{4}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p>  <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{0}{4}$ و برتقالي $\frac{0}{3}$</p>  <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{0}{3}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{4}$</p>  <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{3}$</p>  <p>- لا يوجد تباين بين برتقالي $\frac{0}{4}$ و برتقالي $\frac{0}{3}$</p>  <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{0}{4}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$ و برتقالي $\frac{0}{4}$</p> 		<p>التباين المتلازم</p>
<p>- ملمس وهمي خشن</p>	<p>- ملمس وهمي خشن</p>	<p>- ملمس وهمي خشن</p>	<p>- ملمس وهمي ناعم</p>	<p>الملمس</p>
<p>- اللون الأول لون مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة</p> <p>- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p> <p>- اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p> <p>- اللون الرابع لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>- اللون الأول لون مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة</p> <p>- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p> <p>- اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>- اللون الأول لون حار مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p> <p>- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p>		<p>البعد اللوني</p>

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

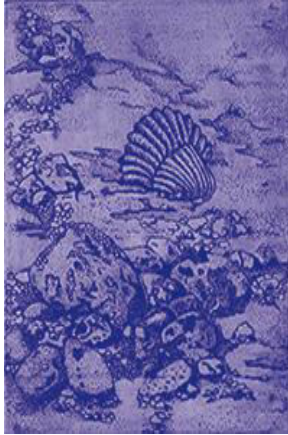


العينة رقم (2)

أسم الفنانة: سهير العجيلي. التقنية: حفر بالحامض على زنك. أسم اللوحة: شاطئ

الوصف:

تتكون اللوحة من رمال لشاطئ بحر ومن فوق على اليمين رمال وبعض الأحجار الصغيرة ومن اليسار أحجار وصخور كبير متراكمة في صفوف وتنزل حتى تغطي النصف السفلي من اللوحة ومن فوقهم صذفة كبيرة الحجم تتوسط اللوحة.





أ . عادل أمحمد برقيق

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

المنظور اللوني: التحليل: التدرج الظلي :

تتكون اللوحة من تدرج ظلي واحد

التدرج الأول	التدرج الظلي الألوان
 <p>- اللون الأول لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$</p> <p>- اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	
 <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{9}{4}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	التباين المتلازم
	الملمس - ملمس وهمي ناعم. - ملمس وهمي خشن
	البعد اللوني - اللون الأول لون حار مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615. - اللون الثاني لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته.



العينة رقم (3)

أسم الفنان: عادل الفقي ..التقنية: أبرة على نحاس. أسم اللوحة: طبيعة صامته

أ . عادل امحمد برقيق

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

الوصف: لوحة دائرية الشكل تتكون من حبل في نصف اللوحة على اليمين مضفور ضخم لربط السفن ورفع الأشياء الثقيلة ونهايات أطرافه مفتوح ومتشابكة ومفروشة في أسفل اللوحة وجرة لشرب الماء مائل وفمها إلى الامام بهي تقوب لخروج الماء في نصف اللوحة من اليسار.



المنظور اللوني: التحليل: التدرج الظلي :

تتكون اللوحة من تدرج ظلي واحد

التدرج الأول	التدرج الظلي
<ul style="list-style-type: none">- اللون الأول لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$- اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{4}$- اللون الرابع لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$	الألوان
<ul style="list-style-type: none">- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{9}{1}$ و برتقالي $\frac{0}{4}$- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{9}{1}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{0}{4}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$	التباين المتلازم
<ul style="list-style-type: none">- ملمس وهمي ناعم.- ملمس وهمي متوسط الخشونة- ملمس وهمي خشن	الملمس
<ul style="list-style-type: none">- اللون الأول لون حار مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.- اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته	البعد اللوني

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

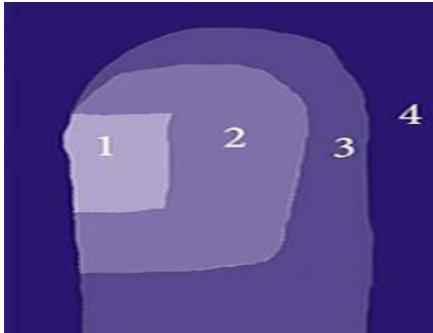


العينة رقم (4)

أسم الفنان: محمد الخروبي...التقنية: حفر على الزنكأسم اللوحة: مساحة للنور

الوصف:

ممر مظلم باقواس ، به باب قديم مصنوع من جذوع النخيل مفتوح إلى الداخل على يمين الممر، داخلة منه إضاءة ساقطة على الباب والأرضية في وسط اللوحة



المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

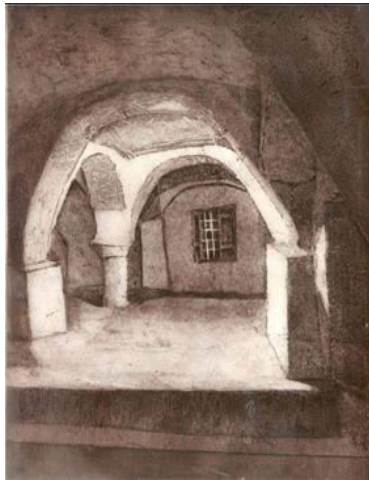
المنظور اللوني: التحليل: التدرج الظلي :

تتكون اللوحة من أربعة تدرجات ظلية

التدرج الرابع	التدرج الثالث	التدرج الثاني	التدرج الأول	التدرج الظلي الألوان
<p>- اللون الأول لون ثانوي ، برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	<p>- اللون الأول لون محايد ، أبيض $\frac{10}{0}$</p> <p>- اللون الثاني لون محايد ، برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- اللون الثالث لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	<p>- اللون الأول لون محايد ، أبيض $\frac{10}{0}$</p> <p>- اللون الثاني لون ثانوي برتقالي $\frac{9}{1}$ ،</p> <p>- اللون الثالث لون ثانوي برتقالي $\frac{2}{3}$ ،</p> <p>- اللون الرابع لون ثانوي برتقالي $\frac{0}{1}$ ،</p>	<p>- اللون الأول لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{0}{1}$ و برتقالي $\frac{2}{3}$</p>	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p> <p>- لا يوجد تباين بين برتقالي $\frac{2}{3}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{9}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$ و برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p>		التباين المتلازم

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

		- لا يوجد تباين بين برتقالي $\frac{2}{3}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$		
الملمس	- ملمس وهمي ناعم.	- ملمس وهمي خشن	- ملمس وهمي متوسط الخشونة	
البعد اللوني		- اللون الأول لون حار مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615. - اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615. - اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته	- اللون الأول لون مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة - اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615. - اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته	



العينة رقم (5)

أسم الفنان: محمد الخروبي...التقنية: حفر على الزنك...أسم اللوحة: لا يوجد

الوصف:

أ . عادل امحمد برقيق

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

منزل أو مسجد من الداخل ، يحتوي على أقواس بأعمدة الظاهر منها ثلاثة اعمدة في الأمام عمودان مربعان وخلفهم عمود دائري ، وفي الخلفية جدار بأقواس في وسط القوس نافذة أحد أبوابها مفتوحة وبه حديد حماية يقع في مركز اللوحة.



المنظور اللوني: التحليل: التدرج الظلي :

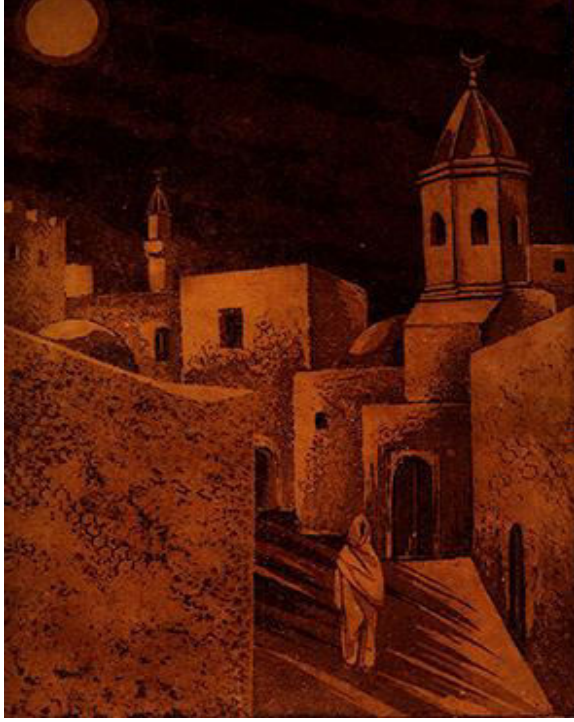
تتكون اللوحة من أربعة تدرجات ظليلة

التدرج الرابع	التدرج الثالث	التدرج الثاني	التدرج الأول	التدرج الظلي
- اللون الثاني ، لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$ 	- اللون الأول لون محايد ، أبيض $\frac{10}{0}$ - اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$ - اللون الثالث لون ثانوي ، برتقالي $\frac{2}{3}$ - اللون الرابع لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$ 	- اللون الأول لون محايد ، أبيض $\frac{10}{0}$ - اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$ - اللون الثالث لون ثانوي ، برتقالي $\frac{2}{3}$ 	- اللون الأول لون محايد ، أبيض $\frac{10}{0}$ - اللون الثاني لون ثانوي ، برتقالي $\frac{9}{1}$ - اللون الثالث لون ثانوي ، برتقالي $\frac{2}{3}$ - اللون الرابع لون ثانوي ، برتقالي $\frac{0}{1}$ 	الألوان الظلي
- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و $\frac{0}{1}$	- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و $\frac{0}{1}$	- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{9}{1}$	- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{9}{1}$	التباين المتلازم

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

<p>برتقالي $\frac{9}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و</p> <p>برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و</p> <p>برتقالي $\frac{0}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$ و</p> <p>برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$ و</p> <p>برتقالي $\frac{0}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{2}{3}$ و</p> <p>برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	<p>و برتقالي $\frac{9}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$</p> <p>و برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$</p> <p>و برتقالي $\frac{2}{3}$</p>	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و</p> <p>برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين أبيض $\frac{10}{0}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$ و برتقالي $\frac{2}{3}$</p> <p>التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{9}{1}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي $\frac{2}{3}$ و برتقالي $\frac{0}{1}$</p>	<p>الملمس</p> <p>- ملمس وهمي متوسط النعومة.</p> <p>- ملمس وهمي خشن</p>	<p>البعد اللوني</p> <p>- اللون الأول لون مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة</p> <p>- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p> <p>- اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p> <p>- اللون الرابع لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>
<p>- ملمس وهمي متوسط الخشونة</p> <p>- لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>- اللون الأول لون مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة</p> <p>- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p> <p>- اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p> <p>- اللون الرابع لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>- ملمس وهمي ناعم</p> <p>- ملمس وهمي متوسط النعومة.</p> <p>- اللون الأول لون مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة</p> <p>- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p> <p>- اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>- ملمس وهمي متوسط النعومة.</p> <p>- ملمس وهمي خشن</p>	<p>- اللون الأول لون مرتفع القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة</p> <p>- اللون الثاني لون حار منخفض القيمة ، يقترب ويبدو أكبر في المساحة والطول الموجي 615.</p> <p>- اللون الثالث لون حار منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p> <p>- اللون الرابع لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية



العينة رقم (6)

أسم الفنان: محمد بركة...التقنية: حامض والقفونة زنك...أسم اللوحة: زيارة ليلية

الوصف:

زقاق في أحد الشوارع في المدينة القديمة طرابلس في هذا الشارع توجد امرأة بالزي الطرابلسي التقليدي (الفراشية) وفي نهاية الشارع باب جامع به مأذنة وقبة وبعض المنازل ومأذنة بعيدة ظاهرة من أعلى والسماء بها بعض السحب والقمر بدر في أعلى اللوحة من اليسار .







المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية



المنظور اللوني: التحليل:،،التدرج الظلي :
تتكون اللوحة من ثلاثة تدرجات ظلّية

التدرج الثالث	التدرج الثاني	التدرج الأول	التدرج الظلي
<p>- اللون الأول لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{7}{6}$</p> <p>- اللون الثاني لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{3}{8}$</p> <p>- اللون الثالث لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{0}{3}$</p> <p>- اللون الرابع لون ثلاثي ، برتقالي</p>	<p>- اللون الأول لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{7}{6}$</p> <p>- اللون الثاني لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{3}{8}$</p> <p>- اللون الثالث لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{0}{3}$</p> <p>- اللون الرابع لون ثلاثي ، برتقالي</p>	<p>- اللون الأول لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{7}{6}$</p> <p>- اللون الثاني لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{3}{8}$</p> <p>- اللون الثالث لون ثلاثي ، برتقالي</p> <p>مصفر $\frac{0}{3}$</p> <p>- اللون الرابع لون ثلاثي ، برتقالي</p>	<p>الألوان</p>

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

مصفر $\frac{0}{1}$	مصفر $\frac{0}{1}$	مصفر $\frac{0}{1}$	
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{3}{8}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{3}{8}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{3}{8}$</p> 	التباين المتلازم
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$</p> 	
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{7}{6}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{3}{8}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{3}{8}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{3}{8}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$</p> 	
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{8}{3}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{8}{3}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{8}{3}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين بين برتقالي مصفر $\frac{0}{3}$ و برتقالي مصفر $\frac{0}{1}$</p> 	
<p>- ملمس وهمي ناعم - ملمس متوسط الخشونة - ملمس وهمي خشن</p>	<p>- ملمس وهمي ناعم - ملمس متوسط الخشونة - ملمس وهمي خشن</p>	<p>- ملمس وهمي ناعم - ملمس متوسط النعومة</p>	الملمس

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية



العينة رقم (7)

أسم الفنان: محمد بركة...التقنية: قلفونة...أسم اللوحة: أسماك

الوصف:

قاع البحر به مجموعة من الأسماك المختلفة الأشكال والأحجام وشعاب مرجانية وأعشاب



المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

المنظور اللوني: التحليل: التدرج الظلي :

تتكون اللوحة من ثلاثة تدرجات ظلية

التدرج الثالث	التدرج الثاني	التدرج الأول	التدرج الظلي
<p>- اللون الأول لون أساسي ، أزرق</p>  <p>$\frac{9}{1}$</p> <p>- اللون الثاني لون أساسي ، أزرق</p>  <p>$\frac{5}{2}$</p> <p>- اللون الثالث لون أساسي ، أزرق</p>  <p>$\frac{3}{2}$</p> <p>- اللون الرابع لون أساسي ، أزرق</p>  <p>$\frac{0}{1}$</p>	<p>- اللون الأول لون أساسي ، أزرق</p>  <p>$\frac{5}{2}$</p> <p>- اللون الثاني لون أساسي ، أزرق</p>  <p>$\frac{3}{2}$</p> <p>- اللون الثالث لون أساسي ، أزرق</p>  <p>$\frac{0}{1}$</p>	<p>- اللون الأول لون أساسي ،</p>  <p>أزرق $\frac{0}{1}$</p>	الألوان
<p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>  <p>بين أزرق $\frac{9}{1}$ و أزرق $\frac{5}{2}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>  <p>بين أزرق $\frac{9}{1}$ و أزرق $\frac{3}{2}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>  <p>بين أزرق $\frac{9}{1}$ و أزرق $\frac{0}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>  <p>بين أزرق $\frac{5}{2}$ و أزرق $\frac{3}{2}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>	<p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>  <p>بين أزرق $\frac{5}{2}$ و أزرق $\frac{3}{2}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>  <p>بين أزرق $\frac{5}{2}$ و أزرق $\frac{0}{1}$</p> <p>- التغير في القيمة من خلال التباين</p>  <p>بين أزرق $\frac{3}{2}$ و أزرق $\frac{0}{1}$</p>		التباين المتلازم

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

 بين أزرق $\frac{5}{2}$ و أزرق $\frac{0}{1}$ - التغير في القيمة من خلال التباين  بين أزرق $\frac{3}{2}$ و أزرق $\frac{0}{1}$			
<p>- ملمس وهمي ناعم - ملمس وهمي متوسط النعومة - ملمس وهمي متوسط الخشونة - ملمس وهمي خشن</p>	<p>- ملمس وهمي ناعم - ملمس وهمي متوسط النعومة - ملمس وهمي متوسط الخشونة</p>	<p>- ملمس وهمي ناعم</p>	<p>الملمس</p>
<p>اللون الأول لون بارد مرتفع القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته والطول الموجي 485. - اللون الثاني لون بارد منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته والطول الموجي 485. - اللون الثالث لون بارد منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته والطول الموجي 485 - اللون الرابع لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>اللون الأول لون بارد منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته والطول الموجي 485. - اللون الثاني لون بارد منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته والطول الموجي 485 - اللون الثالث لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>- اللون الأول لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته - اللون الثاني لون بارد منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته - اللون الثالث لون منخفض القيمة ، يبدو أبعد وتقل مساحته</p>	<p>البعد اللوني</p>

النتائج

- من خلال دراسة وتحليل الباحث للوحات الفنانين للكشف عن المنظور اللوني أجرى الباحث تحليلاً على بعض من لوحاتهم وتوصل إلى عدة نتائج أهمها:
- (1) ضرورة دراسة التدرج الظلي للون والتباين المتلازم والملمس و القيم البعدية للون عند إعداد العمل الفني حيث يعزز من القدرة على التأثير للإيهام بالعمق والفراغ.
 - (2) يؤثر المنظور اللوني على العمل الفني سلباً في حالة لم يؤخذ في الاعتبار التدرج الظلي للون والتباين المتلازم والملمس و القيم البعدية للون.

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليبية

- (3) أن للألوان الحارة والباردة دوراً مهماً في القيم البعدية للون ولها دلالات تساعد على تنمية الإحساس بالعمق والفراغ والتقدم والإتساع والبعد والقرب والتقلص والإنكماش .
- (4) الملامس المختلفة المستخدمة في اللوحة تسهم في التعبير عن القيم البعدية للون وتلعب دوراً كبيراً في تغيير الألوان.
- (5) تفكيك الألوان وبنائها بالشكل الصحيح يساهم في التأثير الفسيولوجي الناتج عن شبكية العين للتعبير عن التجسيم الإيهامي على المسطح ثنائي الأبعاد بمعلومات المسافة والعمق في اللوحة الطباعية.
- (6) استخدام التباين المتلازم يمكن أن يغير في طريقة إدراكنا للألوان عندما يكون التضاد نتيجة التغير في الكنة أو القيمة أو في الشدة الناتجة عن التضاد و تجاور الألوان التي تثير الرؤية و يسهم في تعزيز بنية اللوحة الطباعية جمالياً وتعبيرياً ودلالياً.

المراجع

- (1) شاكر عبد الحميد ، العملية الإبداعية في فن التصوير ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1987 م ، ص 191 .
- (2) شاكر عبد الحميد ، العملية الإبداعية في فن التصوير ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1987 م ، ص 27 .
- (3) أرنست فشر ، الاشتراكية والفن ، ترجمة اسعد حليم ، دار القلم ، بيروت ، 1980 ، ص 164
- (4) شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، عالم المعرفة ، الكويت ، 2001 م ، ص 269 .
- (5) منظور- لوني/ <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/منظور-لوني>
- (6) نبيل عبد الفتاح حافظ ، صعوبات التعلم والتعليم العلاجي، مصر، مكتبة زهراء الشرق ، ط 3 ، 1889، ص 25

المنظور اللوني في اللوحة الطباعية الليلية

- (7) نادية طيري ، صعوبة الإدراك البصري وعلاقته بصعوبة تعلم الكتابة لدى تلاميذ السنة الثالثة ابتدائي ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية ، جامعة محمد خيضر ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العام الجامعي 2014-2015 ، ص 21
- (8) نادية طيري ، صعوبة الإدراك البصري وعلاقته بصعوبة تعلم الكتابة لدى تلاميذ السنة الثالثة ابتدائي ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية ، جامعة محمد خيضر ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العام الجامعي 2014-2015 ، ص 22
- (9) نادية طيري ، صعوبة الإدراك البصري وعلاقته بصعوبة تعلم الكتابة لدى تلاميذ السنة الثالثة ابتدائي ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية ، جامعة محمد خيضر ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العام الجامعي 2014-2015 ، ص 23
- (10) راضي الوقفي، صعوبات التعلم النظري والتطبيق ، عمان-الأردن، منشورات كلية الأميرة ثروت ، ط1 ، 2003 ، ص120.
- (11) عدنان يوسف العتوم ، علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق ، الأردن ، دار المسيرة للنشر ، ط1 ، 2004 ص176
- (12) أنور محمد الشرفاوي ، دراسة لبعض العوامل المرتبطة بصعوبات التعلم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4 ، 1987 ، ص144
- (13) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب ، القاهرة، ط2 ، 1997 ، ص93
- (14) إسماعيل شوقي ، الفن والتصميم ، القاهرة ، 2001 ، ص60.
- (15) نيرفانا عبد الباقي محمد لطفي ، البعد الثالث كقيمة جمالية في استحداث تصميمات للمعلقات النسجية ذات سمة إسلامية معاصرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ، 2012م ، ص 15.
- (16) إسماعيل شوقي ، التصميم عناصره وأسسها في الفن التشكيلي ، الناشر والمؤلف 2005 م ، ص94.

المنظور اللوني في اللوحة الطباعة الليبية

17 عمرو حمدي أحمد الليثي ، الاستفادة من الخداع البصري لعناصر الطبيعة في تصميم المعلقات النسجية ، رسالة ماجستير ، كلية الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ، 2008 م ، ص19 .

18 نيرفانا عبد الباقي محمد لطفي ، البعد الثالث كقيمة جمالية في استحداث تصميمات للمعلقات النسجية ذات سمة إسلامية معاصرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ، 2012 م ، ص15 .

19 محمود البسيوني ، أسرار الفن التشكيلي ، عالم المعرفة ، القاهرة ، 1994 ، ص315

20 أحمد حافظ رشدان ، التصميم في الفن التشكيلي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1994 ، ص

21 أحمد حافظ رشدان ، التصميم في الفن التشكيلي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1994 ، ص 27

22 عبد الفتاح رياض ، التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط 3 ، 1995 ، ص327

23 نظام الألوان _ مونسل <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/مونسل>

24 أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 1997 ، ص123

25 إسماعيل شوقي ، التصميم عناصره وأسسها في الفن التشكيلي ، بدون ، مصر ، 2006 ص112

26 عبدالفتاح رياض ، التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط 3 ، 1995 ، ص347

27 إسماعيل شوقي ، الفن والتصميم ، القاهرة ، 2001 ، ص190

28 إسماعيل شوقي ، الفن والتصميم ، القاهرة ، 2001 ، ص190

29 إسماعيل شوقي ، الفن والتصميم ، القاهرة ، 2001 ، ص195

30 أحمد حافظ رشدان ، التصميم في الفن التشكيلي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1994 ، ص 30

أ . عادل محمد بريق

المنظور اللوني في اللوحة الطباعة الليبية

(31) أحمد حافظ رشدان ، التصميم في الفن التشكيلي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1994، ص

33

(32) إسماعيل شوقي ، الفن والتصميم ، القاهرة ، 2001 ، ص193-194.

(33) برنار مايزر، ترجمة سعد المنصوري ومسعد القاضي ، الفنون التشكيلية وكيف

تندوقها، الجمعية المصرية للنشر ، ص243

(34) إسماعيل شوقي ، الفن والتصميم ، القاهرة ، 2001 ، ص 116

(35) إسماعيل شوقي ، الفن والتصميم ، القاهرة ، 2001 ، ص 121

(36) روبرت جيلام سكوت ، أسس التصميم ، ترجمة عبد الباقي محمد إبراهيم وآخرون ،

دار النهضة ، مصر ، ص27

(37) عبدالفتاح رياض ، التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط 3

، 1995، ص 336

Age and second language acquisition: is there a critical period

أ . رندة عبد المولى
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

مقدمة

لقد كان تأثير اكتساب اللغة (على كل من اللغتين الأولى والثانية) مصدرا للاختلاف بين الباحثين و وزارات التعليم والآباء الذين يرغبون بانخراط أبنائهم في بيئة ثنائية اللغة. إنهم قلقون حول أفضل عمر لبدء الطلبة الصغار في تعلم لغة ثانية أو أجنبية ، نتج هذا بسبب فكرة الفترة الحرجة التي انبثقت من عمل علماء الأحياء والذين فرضوا أن هذه الفترة تكون مع سن البلوغ (حوالي 12 سنة). يمكن تعريف هذه الفترة بأنها الفترة التي تحدد إكساب اللغة بسهولة أما بعدها فسيصبح اكتساب هذه اللغة صعب.

لقد تم دراسة عامل الفترة العمرية مع الفترة الحرجة بالنسبة للغة الأولى ولكن بعض العلماء مثل سكوفل (1988) أشار أن هناك فترة حرجة للغة الثانية كما التي توجد للغة الأولى . ولهذا كل الدراسات التي أجريت علي اللغة الأولى طبقت نتائجها علي اللغة الثانية. لاحظت العديد من الدول التأثير القوي لعمر التعرض للغة على إكساب هذه اللغة، و لهذا السبب لقد تقرر تعليم اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية لمراحل عمرية مبكرة. وزارة التعليم في ليبيا على سبيل المثال وضعت تدريس اللغة الإنجليزية على قائمة المواد المهمة التي يتم تدريسها من الصف الرابع الابتدائي، لكن أغلب المدارس الخاصة تبدأ تدريس أبنائهم هذه اللغة من مرحلة الحضانة، و ربما لهذا السبب يرغب العديد من الآباء في تعليم أبنائهم في هذا النوع من المدارس.

بصفة عامة، كفاءة الأجيال الجديدة في تعلم نطق مفردات اللغة الإنجليزية أفضل من الأجيال السابقة ، لأنهم تعلموا هذه المفردات في مرحلة عمرية مبكرة. كمعلم للغة

Age and second language acquisition

الإنجليزية لاحظت أن مقدرة الأطفال على إكساب علم الأصوات تتفوق على مقدرة الكبار على الرغم من أن المتعلمون الكبار يتفوقون في تعلم القواعد النحوية. لقد استنتجت هذا عندما قمت بمقارنة مقدرة نطق طلبة الثالث الابتدائي و طلبة السنة الأولى في كلية الطب لبعض المفردات. وكانت النتيجة أن طلبة الثالث الابتدائي استطاعوا نطق هذه الكلمات بشكل أفضل من طلبة كلية الطب.

تهدف هذه الورقة البحثية لتقييم العمر و علاقته بالفترة الحرجة و عرض الدراسات التي دعمت، رفضت و اتخذت جانب محايد لفكرة الفترة الحرجة بالإضافة إلى شرح أهم النظريات العلمية المتعلقة بإكساب اللغة الثانية.

Introduction

The effect of age on language acquisition (both first and second languages) has been an issue of disagreement between the scholars, Ministries of Education and parents who want to put their children in bilingual environment. They are worried about the best age for the young learners at which learners have to learn a second or a foreign language. This was partly as a result of the concept of Critical Period (CP) which was emerged from the work of the biologists. CP can be defined as the period of life which is biologically determined and by when language acquisition can occur easily. However, language acquisition beyond this period is difficult.

The age factor and CP were studied in relation to first language acquisition but many scholars like Scovel (1988) insists that there is a CP for second language (L2) just as the one exists for

Age and second language acquisition

first language (L1). Consequently, all the studies which were conducted to study L1 were applied to the studies of L2.

Many countries have noticed the influence of the age of exposure to a language on language acquisition. Therefore, they decided to teach second or foreign language at early stages. The Ministry of Education in Libya, for example, has placed teaching English on the top list of the curriculum. They insist to teach this language from the fourth grade in primary schools. However, many private schools start teaching English from nursery, so many parents prefer to educate their children in these schools at least for the first five years of their education. In general, the proficiency levels of the new generation are much better than the old one because they started learning another language while they still in primary schools.

As a teacher of English, I have noticed that children are better in acquiring phonetics than adults. Nevertheless, the adult learners are better in learning grammatical structure than the young learners. I have concluded this when I compared the proficiency of third grade students in private school, when I taught them instead of my friend for two weeks, with that of medical school students. I found that the former learners were able to imitate the sounds exactly like native speakers but the

Age and second language acquisition

latter ones did not manage to accurately pronounce many words, although they gained full marks in tests related to grammar. The aim of this paper is to evaluate the age factor in relation to CP and to consider the early theories of second language acquisition.

Early theories of language acquisition

1. There are two main theories that have had big debate about first and second language acquisition. Each of these theories tries to protect its points of view as well as principles. These theories can be elaborated as follows:

1.1 Behaviorism theory

According to Brown (2007), this theory emerged in 1950s. It was introduced by the work of psychologists like Pavlov and B. F. Skinner. Skinner, who was regarded as the father of this theory, thought of language acquisition as a habit formation. In other words, the process of language acquisition is stimulus, response and then reinforcement. Moreover, the behaviorism theory states that all children are born without any ability to use a language, but their brains are *tabula rasa*, a white paper which is formed and structured by the surrounding environment. On the other hand, many theories came either to support or broaden the basis of behaviorism theory. One of these theories was the *mediation theory*. In this theory, the meaning of words

Age and second language acquisition

was connected with the concept of linguistic stimulus which leads to self-stimulating meditation.

In 1959, Noam Chomsky (American linguist and psychologist) criticized the principles of behaviorism theory. He insists that Skinner's verbal behavior is not adequate for acquiring and developing language. Moreover, he criticized the main concept of behaviorism which is *children acquire language by repeating what they hear*, on the base if that was true why children create sounds and utterances that they never heard. This conclusion leads Chomsky to present the *mentalist theory*, (Spada and Lightbown 2010).

1.2 Mentalist theory

Brown (2007) points out this theory came as a reaction to the principles of the Behaviorism theory. It is also called *Natives theory*. Mentalists, like Chomsky, insist that language acquisition is an innate process because all people are born with innate capacity which helps in language perception. Chomsky (1965) claims that all humans are genetically provided with *innate capacities* which enable them to master their native languages in short time, he calls this ability *Language Acquisition Device (LAD)*. One the other hand, one of the most important concepts that caused debate between the previous theories is the Critical Period.

Age and second language acquisition

1. Critical Period Hypothesis (CPH)

As was mentioned earlier, the CP can be defined as the period of life which is biologically determined and by when language acquisition can occur easily and language acquisition beyond this period is difficult. This period has a start and an end point of time, these points can be discussed as follows:

2.1 When does the Critical Period start?

Lenneberg (1967) conducted some research on deaf children. In this research, he compared some children who deafened before the end of their second year with those who were congenitally deaf. He found that it was easier to train the former group than the latter one. Consequently, the Critical Period starts around the age of two years.

On the other hand, Singleton and Ryan (2004) state that this result was not widely accepted as Lenneberg only tested the deaf children. However, children start to differentiate between some sounds at the age of four months and this ability is developing as long as the baby is growing.

Singleton and Ryan (2004) carry out a study which focused on infants' Voice Onset Time (VOT) which proves that infants who are one month old can differentiate between many phonological categories exactly like adults. When the vocal

Age and second language acquisition

chords start vibrating, this period of time is called VOT. Furthermore, another study was conducted by the aforementioned scholars reveal that American infants were able to distinguish between some speech sounds that were produced synthetically like [b] and [p], but they failed to discriminate between the sounds that were emerged from the same VOT. However, infants can classify the sounds of their languages and develop these sounds.

Another research was conducted by Stark (1986) in which she studied the pre-speech segmental phonology of infants. She found that during their first post natal year, infants develop their vocal stages. However, the earliest vocalizing contributes to the later phonological development.

2.2 When does CP end?

Singleton and Ryan (2004) point out that the highest limit of the CP is the early teens (the age at which childhood ends and adolescence begins). There are two evidences for CP's end which can be illustrates as follows:

2.2.1 Neurological evidence

According to Singleton and Ryan (2004), neurology and neurologists were interested in the existence of CP. They agree on that child's brain differs from adult's brain and immature brain is more flexible than mature brain. Moreover, human

Age and second language acquisition

beings are able, at specific maturational level, to turn the damaged language area to stable and healthy area especially the children. These writers confirm that children are able to learn language again after disorder or injury which damage speech area. Nevertheless, speech recovery in adults is more difficult because their brains are rigid and inflexible after the age of nine.

On the other hand, Adams (1997) proves that acquiring language after CP is difficult. He reached to this conclusion when he studied the language and speech development of a boy whose age was 8 years and 2 months. This boy underwent an operation for his brain's left hemisphere at 8 years and 6 months years, but he did not speak before the surgery. At the age of nine, the boy started to acquire a language. His language acquisition was measured frequently between nine and fifteen years. His scores at the age of fifteen were similar to a normal learner whose age is between eight and ten years. The following section will present more specific cases related to the end of the CPH.

2.2.2 Evidences from wild children

Singleton and Ryan (2004) assess that the wild children are those who were isolated from any contact with human beings. They were deprived from usual linguistic interaction until they

Age and second language acquisition

became mature, so they failed to learn the language exactly like those who exposed to language at normal age. There are two famous cases of the wild children which are: Victor, the wild boy of Aveyron and Genie, the American girl.

a) Victor

This boy was found in 1797, running naked and looking for some food in woods in south France. Although he was captured to be taken to live with human beings, he escaped many times because he did not want any contact with them. When he was twelve years old, he was taken to *Institute for Deaf-mutes*. It was noticed that he responded only to specific subjects of his needs like *food* and there was no development in his intellectual and cognitive abilities. Nevertheless, doctor Itard, from that institution tried to train him. The doctor noticed two things. First, after a short time of the training program, Victor managed to reach puberty. Second, Victor only acquired a few words like the word *lait* (milk) which he learned to spill out.

Moreover, Victor learned to say some phrases by action. For example to learn the phrase *break a cup*, he dropped a cup to break it and the verb *eat*, he took a small piece of bread to eat it. For Victor, however, spoken language was more difficult than written language. He was not able to produce some sounds to

Age and second language acquisition

help him to imitate many words accurately. That is why Itard taught him speech articulation by visual manners.

Itard attributed Victor's failure to completely develop his language to the effect of Critical Period, because Victor started his learning after the age of puberty. Furthermore, Itard did not deny the other reasons that prevented Victor from being fluent learner like *isolation*. However, it can be noticed that the environment in which he received his learning was very narrow. It was restricted to his teachers only, (Singleton and Ryan 2004).

b) Genie

According to Singleton and Ryan (2004) Genie was an American girl whose father isolated her and kept her in a closed dark room when she was 20 months old. At the age of 13 years and 9 months, she was found without learning. After four weeks in children's hospital, she started to respond and she was curious to live.

Although it was not known whether or not Genie talked before her isolation, she managed to produce some sounds and she was able to understand a few words that herself could not utter. After two years, she developed some grammatical structures, for example *singular and plural nouns, possessiveness, the use of propositions and negative and affirmative sentences.*

Age and second language acquisition

However, her progress in speech production was very slow as well as her sound production was strange and weak. With regard to syntax, Genie was able to combine three or four words to make a sentence and to produce a negative form of that sentence. Nevertheless, she faced particular difficulties in written language and she could not fully understand the different ranges of WH questions. It was concluded that, Genie's linguistic problems resulted from her isolation and the effect of not being in the suitable environment for acquiring a language.

In general, Genie made very slow progress in language acquisition compare it with that of normal English speakers. However, her language was better than Victor's; she managed to produce many rule-governed sentences and to understand speech while Victor's communicative language was very poor. In another vein, the concept of CPH was a source of argument between the scholars, biologists and language teachers. This is due to the fact that some of them support this concept while the others were either challenges or moderates. The following points will highlight the different points of view related to this concept.

Age and second language acquisition

2.3 Supports for CPH

Lenneberg (1967), who is regarded as the father of CPH, insists that the effect of CP is responsible for insufficient learning that occurs after the age of puberty. The work of many researchers came to support this concept. The study of Johnson and Newport (1989), for instance, proves the reality of CPH. They conducted a study in which the correlation between the age of first exposure to a language and the accuracy of morpho-syntactic in that language had been established. The subjects of the study were 46 native speakers of Korean and Chinese who studied English as a second language and went to USA between the age of three years and 39 years. They were divided to four groups according to their age of arrival (from three to seven years, from eight to ten years, from 11 to 15 and from 17 to 39). In order to find out their awareness of English morpho-syntax, the subjects were asked to elaborate the grammar of some English sentences.

The results of the test revealed that there was a correspondence between the subjects' age of arrival and their performance. Learners who aged between 3 and 7 years performed like native speakers. However, the overall scores of the subjects who exposed to English between 8 and 10 years were very high but lower than the first group. The third group

Age and second language acquisition

(who aged between 11 and 15) scored less than the second group, yet the third group's scores were higher than adult arrivals (who aged between 17 and 39 years).

From these results Johnson and Newport (1989) concluded that gaining native-like proficiency in a second language is impossible after the age of puberty. Moreover, those researchers discovered that human brain is maturing at the time of CP (between infancy and puberty), so maturation affects language learning. On the other hand, Scovel (1988) argues that CP only exists in the scope of pronunciation. He points out that using syntactic structure to learn new word lists is different task from producing and/ or uttering words. However, if a person acquires the neuromuscular structure of second language, which is different from first language, before the end of CP, s/he will attain native like accent.

It may seem that Scovel's (1988) interpretation is logical because, as I noticed from my work as an English language teacher, gaining native like accent after the age of puberty is difficult. However, brain maturation helps to understand the complexity of a language.

2.4 Challenges to CPH

Long (1990) criticizes the findings of Johnson and Newport (1989). He points out that there are many learners of second

Age and second language acquisition

language who gain native or near native proficiency after the end of CP. White and Genesee (1996) carry out a research in which they tested 89 speakers of English to find out if the proficient adults who acquired English as a Second Language were as proficient as the native speakers. The subjects were tested by using three types of tests, which are: *grammaticality judgment task*, *question formation task* and *an interview* by which the researchers examined the subjects' fluency, choice of vocabulary and the performance of pronunciation. The researchers found that despite of their age of first exposure to English (which was after CP), some subjects managed to gain near native levels of proficiency. Moreover, the performance of near native subjects in the grammaticality judgment task was similar to native speakers. On the other hand, White and Genesee (1996) did not ignore the relation between the age of first exposure to a language and the perfect attainment in that language. They state that young learners are more likely to gain native like performance than adults.

A further study to challenge the CPH was conducted by Birdsong and Molis (2001). In this study, the subjects were Spanish. Those researchers used the same materials and methodology that were used by Johnson and Newport (1989) but there was gap number between the Spanish subjects of

Age and second language acquisition

Birdsong and Molis (2001) who performed like natives, and Johnson and Newport's (1989) Chinese and Korean subjects, who gained near native proficiency. In the grammaticality judgment test, one of the latter scholars' 23 subjects who arrived late got 92% while the latter scholars' 13 out of 32 late arrivals subjects scored 92%. From these results, Birdsong and Molis (2001) concluded that the concept of CP is not completely valid.

It may seem that the result of Birdsong and Molis (2001) is questionable. They used Spanish subjects, whose language is quite close to English language, to criticize Johnson and Newport's (1989) results. It would be better for the former scholars if they used other Asian subjects like Japanese or Taiwanese in order to get trustworthy results.

On the other hand, it can be noticed that the previous studies are different. In Johnson and Newport's (1989) study, one case of negative relation between age and the attainment of second language is that after CP. That means the curiosity to learn a language and the ultimate attainment in that language for the late arrival and pre pubertal learners is declining when they become older. On the other hand, the post pubertal learners reached a steady level of achievement, because their brains finished the process of maturation. With regard to Birdsong and

Age and second language acquisition

Molis' (2001) study, the researchers found that there was not a level off of the adult arrivals' scores.

While the study of White and Genesee (1996) challenged the CPH on the ground of grammatical ability, Bongaerts et al (1997) challenged it on the ground of pronunciation ability. They tested the ability of Dutch speakers to acquire the pronunciation of British English. The subjects did not expose to English before the age of 18 years. There were two groups of judges who compared the subjects' speech samples with some native speakers of English. The results showed that some subjects (6 out of 11) scored like natives, yet there were some subjects who gained higher scores than the natives themselves.

2.5 Moderates on CPH

As a reaction to the studies which challenged, or even supported, the concept of CP, many writers redefined the function of CP and its relation to SLA. Dekeyser (2000), for example, maintains that finding adults who managed to perform like native speakers is not enough evidence to oppose CP, but an evidence to re-evaluate its limitations. He assesses that all human beings have language specific mechanisms of implicit learning (only exists during the CP) and general mechanisms of explicit learning. To restudy the research of Johnson and Newport (1989), Dekeyser (2000) tested the morpho-syntactic

Age and second language acquisition

performance of 57 Hungarian learners of English language in USA. He measured the verbal ability of those subjects. The study revealed that there was a negative relation between subjects' age of first exposure to English and their grammaticality performance. Moreover, when he re-examined the subjects who got high scores in grammaticality test, Dekeyser found strong relation between adult learners' proficiency and high verbal aptitude.

On the other hand, Moyer (1999) claims that it is enough to use the age factor as evidence for or against the perfect achievement in second language. She carried out a research of which the subjects were 24 native speakers of English who graduated in German and did not expose to German before the end of CP. To test her subjects, this researcher used a group of pronunciation tasks like reading word lists and natural activities (talking about selected topics). The speech was recorded and then evaluated by native speakers of German. The subjects did not gain native like accent, so Moyer (2000) concluded that these results emphasizes the relationship between the age of first exposure to a language and the attainment of that language.

Although those subjects did not manage to beat the biological limitations of their age of first exposure, the results revealed that

Age and second language acquisition

the age is not the only responsible for learners' proficiency. There were other factors like culture and motivation. It was found that some subjects whose aim is related to professional writing or translation in German scored closer marks to natives than their colleagues.

On the other hand, Flege (1999) confirms that learners who exposed to language before the end of CP are more likely to outperform others who exposed to language after the age of puberty. His study focused on providing understandable views for some factors that affect second language pronunciation. He introduced the term Speech Learning Model (SLM) by which he found that learners' first and second languages affect each other. Moreover, SLM proposed that the pronunciation of a bilingual is not only controlled by the age of first exposure to a second language, but also by the use or misuse of first language. Consequently, if the speakers overuse their first language, the phonology of the second language will be affected. To prove that, this scholar conducted a study in which the subjects were two native Italian groups who migrated to Canada at the age of five. They were asked to read some English sentences after dividing themselves to frequent and infrequent users of Italian. Their readings were judged by native speakers as definitely English or Italian

Age and second language acquisition

speakers and probably English or Italian speakers. He found that many subjects had foreign accent. With regard to (SLM) hypothesis, there was difference between frequent and infrequent users of Italian. The frequent users were judged to have stronger foreign accent than the infrequent users. From these data, Flege (1999) concluded that second language is not only influenced by maturation but there are other factors like the overuse of first language.

All the previous studies lead to one important question which is: *can late learners achieve native like accent?* The next section will try to answer this question.

2. Can late learners achieve a native like accent?

As was mentioned earlier, Scovel (1988) argues that there is only a CP for pronunciation but not for any other components of language. Phonological production is expected because it has neuromuscular basis whereas acquiring words or syntactic and morphological structure do not require neuro-motor entailment as well as do not have physical reality. He insists that to achieve native like accent, language should be acquired before the end of CP (around 12 years). Consequently, learners who started acquiring second language after CP cannot be regarded phonologically natives.

Age and second language acquisition

Furthermore, Bongaerts et al (1997) point out that in terms of acquiring accent, children are able to pick up language quickly and easily, while their parents face some difficulties to attain high level of proficiency. However, many adult learners achieved high levels of proficiency in second language regarding vocabulary, syntax and morphology but they failed to attain native like accent. Bongaerts et al (1997) carried out a study in which 70 Cuban immigrants, whose ages were between 7 and 19 years and most of them lived in USA for five years, were asked to read four English sentences loudly. There was a control group which consists of 30 native speakers of English. The recorded sentences were judged by 19 native speakers who classified the subjects' readings to four points scale starting from (native) and ends by (completely foreign accent). The results showed that no one of the subjects achieved native like accent. Moreover, there was strong relation between subjects' age of arrival to USA and the characteristics of their pronunciation. Subjects whose age of arrival were between one to six years gained native accent while others who arrived at age of 7 to 11 years were judged to have near native accent. The last group whose age of arrival was from 11 to 13 was noticed to have foreign accent. From these results,

Age and second language acquisition

Bongaerts et al (1997) concluded that adult learners cannot achieve native like accent.

Another study was conducted by Neufeld (1977) who found out that adults are able to achieve native like accent in second or foreign language. In this study, 20 Canadian students, who aged between 19 and 22 years, studied the pronunciation of Japanese and Chinese sound patterns. The subjects were asked to repeat some sentences five times. Three native speakers of Chinese and Japanese, who were given some instructions, judged the subjects' last try. This scholar found that nine subjects gained Japanese native like accent and other eight subjects were judged to have native Chinese accent.

However, Scovel (1988) points out that the study of Neufeld (1977) has some drawbacks. The former analyzed the scores of the latter's subjects and discovered that only one student gained full marks in both languages and two students got the same scores in Japanese language. In addition, Neufeld's (1977) results were affected by the instructions that were given to the judges, who were not told that the subjects were native English speakers. The judges thought that the subjects were Chinese and Japanese immigrants. A further drawback is that Neufeld did not explain either the grammatical structure or the meaning of the sentences to the subjects

Age and second language acquisition

Conclusion

The age factor affects language acquisition as the supporters for CP proved. However, many writers ignored the concept of CPH as its explanations did not convince them. This paper evaluated the different views of CPH in order to find out which of them is more convincing than the others. It was concluded that the concept of CPH exists only in regard to pronunciation because, as many studies revealed, the young learners are better than adults in acquiring phonetics. However, there is no CPH for grammar or vocabulary because if a learner gets older, his/her ability to grasp grammar increases. This is because the mature brain is more capable to understand the complex parts of a language than the immature brain.

It would seem that it is better for students to start learning a second language at early stages if they want to attain a native like accent. In Libya, it was decided to teach English from the fourth grade of primary schools and they have very interesting textbooks which match the students' level as well as needs. This was very effective because it was found that many students managed to gain high scores in all types of English tests. In spite of this effectiveness, students should start learning English from nursery because, as I noticed, children are eager to learn another language.

Age and second language acquisition

Reference

- Adams, C. (1997) 'Onset of speech after a left hemispherectomy in a 9 year old boy'. *Brain* 120, 159-82
- Birdsong, D. and Molis, M. (2001) 'On the evidence for maturational constraints in second language acquisition'. *Journal of Memory and Language* 44, 235-246
- Bongaerts, T. et al (1997). 'Age and ultimate attainment in the pronunciation of a foreign language'. *Studies in Second Language Acquisition* 19, 447-465.
- Brown, H. D (2007) *Principles of language learning and teaching*. 5th ed. Longman.
- Chomsky, N. (1965). *Aspects of theory of syntax*. Massachusetts.
- DeKeyser, R. (2000) 'The robustness of critical period effects in second language acquisition'. *Studies in Second Language Acquisition* 22, 493-533.
- Flege, J. E. (1999) 'Age of Learning and Second Language Speech'. In *Second Language Acquisition and the Critical Period Hypothesis*. ed. by Birdsong, D. Mahwah, NJ. Lawrence Erlbaum Associates: 101-131
- Johnson, J., and Newport, E. (1989) 'Critical period effects in language learning: The influence of maturational state on

Age and second language acquisition

the acquisition of English as a second language'.
Cognitive Psychology 21: 60-99

Lenneberg, E. (1967) *Biological Foundation of Language*. New York: Wiley

Long, M. (1990) 'Maturational constraints on language development'. *Studies in Second Language Acquisition* 12: 251-85

Moyer, A. (1999) 'Ultimate attainment in L2 phonology: The critical factors of age, motivation and instruction'. *Studies in Second Language Acquisition* 21: 81-108

Neufeld, G. G. (1977) 'language learning ability in adults: a study on the acquisition of prosodic and articulatory features'. *Working Papers on Bilingualism* 12:46-60

Scovel, T. (1988) *A Time to Speak: A Psycholinguistics Inquiry into the Critical Period for Human Speech*. New York: Harper and Row

Singleton, D. and Ryan, L. (2004) *Language Acquisition: The Age Factor*. Clevedon: Multilingual Matters

Spade, N. and Lightbown, P.M. (2010) 'Second Language Acquisition.' In *An introduction to applied linguistics*. 2nd ed. ed. by Schmitt, N. Hodder education: 108-123

Stark, R (1986) 'Pre-speech Segmental Features Development'. In *Language Acquisition: Studies in First Language*

Age and second language acquisition

Development. ed. by Fletcher, M. and Garman, M.
Cambridge: Cambridge University Press

White, L., and Genesee, F. (1996) 'How native is near-native?
The issue of ultimate attainment in adult second
language acquisition'. *Second Language Research* 12:
233-265

الوطن العربي والعولمة

د. عبد الحكيم عمار نابي

كلية العلوم السياسية وعلوم الاتصال/ جامعة

الزاوية

المقدمة:

كثيراً ما تطمح شعوب العالم الثالث إلى تحقيق آمليها وتغيير واقعها الاقتصادي خصوصاً ولكنها قد تصطم بالواقع فتلجأ للاستعانة بالغير، الذي قد يجبرها عن التخلي عن بعض من خصوصياتها وقيمها ومبادئها.

إن الشعوب التي تفقد هويتها بالتخلي عن مبادئها وعقيديتها، تضعف وتصبح عرضة للنهب والاحتلال والذل والهوان، بسبب عدم اتفاق أهلها وتخليها على سياسة موحدة في جميع مناحي الحياة وكنتيجة لتصادم التيارات الفكرية فيها واختلاف وتباين الرؤى والاتجاهات لدى فئات كثيرة من أبنائها، وبالتالي تصبح هذه الشعوب والدول تعيش حياة ضنكة صعبة مأسوية، وهذه هو حالنا نحن العرب.

إن العالم شهد منذ انطلاق الكشوف الجغرافية قديماً في أواخر القرن الخامس عشر، ازدياداً في العلاقات المتبادلة بين الأمم، كتبادل السلع والخدمات وانتقال رأس المال وانتشار للمعلومات والأفكار، وتأثر الشعوب بقيم وثقافات وعادات وتقاليد شعوب أخرى، مما جعل الدول الوطنية كياناً ضعيفاً هشاً لا يستطيع التصدي لهذا المشروع ومقاومته في ظل زوال الحواجز الثقافية والاقتصادية والسياسية بين الدول، وأصبح الانفتاح هو السمة السائدة، وهو ما أصبح يهدد النشاط الاقتصادي والمخزون الفكري والثقافي والاجتماعي والأمني لكثير من دول العالم وخصوصاً دول العالم الثالث الفقيرة الضعيفة المتخلفة في ظل وجود قطب واحد مسيطر على العالم تحت شعار العولمة.

إن العولمة لم تأت فجأة، بل نمت وترعرعت في كنف النظام الاقتصادي القديم وخرجت من رحمها، وبدأت تظهر ملامحها الأولى على شكل قالب جديد في العصر الحديث منتصف الستينات، واتضحت توجهاتها في السبعينيات، وتسارعت وتأثرها في الثمانينات، وبانت لنا معالمها وأساسياتها في بداية التسعينيات.

الوطن العربي والعولمة

وسوف نتعرض لهذه الظاهرة ولآثارها وكيفية الحد من هيمنتها على دول الوطن العربي في الصفحات القادمة.

مشكلة الدراسة:

إن الوطن العربي يعيش ظاهرة قديمة جديدة تتمثل في (العولمة) التي تشكل تحدياً لمعظم الدول، هذا التحدي الذي برز بصورة أوضح وبدأت وتيرته تتسارع في الفترة الأخيرة نتيجة لثورة المعلومات والاتصالات والتطور في مجالات التكنولوجيا. وفي إطار دراسة هذه الظاهرة وآثارها وتداعياتها على الوطن العربي ونظامه الإقليمي وهويته، فإن إشكالية الدراسة تتمثل في دراسة العلاقة بين هذه العولمة وقدرتها على التأثير على العرب ونظمهم الاقتصادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وحتى العسكرية، ومحاولة إيجاد وسيلة أو بديل عنها للحد من تأثيراتها السلبية عليهم.

فرضية الدراسة:

تتطلب هذه الدراسة من فرضية أساسية ترى أن الدول العربية بوضعها الاقتصادي والسياسي والعسكري والاجتماعي والأمني الحالي لم ولن تكون قادرة على مجاراة ظاهرة العولمة وتفاذي ما تحدثه من تغيرات على واقعها سواء على مستوى كل دولة من دوله على حدة أو على مستوى الوطن العربي ككل إلا من خلال تحقيق اتحادها ووحدتها في جميع مجالات الحياة، وتطوير نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية، وبما يحقق الوحدة العربية الحقيقية الشاملة.

تساؤلات الدراسة:

إن هذه الدراسة تطرح عدة أسئلة في محاولة للإجابة عنها وتشمل هذه التساؤلات:

- ما هي العولمة؟
- كيف نشأت؟
- وما هي أهدافها؟
- هل العولمة أمراً لا مفر منه؟
- هل العولمة وصيغتها الحالية أمر مبالغ فيه سواء من حيث درجة الشمول أو من حيث تأثيرها على السيادة الوطنية؟

- هل تتعدى بالتالي على السيادة الوطنية والقومية وتلغيهما؟
- هل هناك مجالات وطرق أمام العرب للعمل تجاهها؟ بمعنى هل هناك خيار بديل عنها؟ وكيف يمكن مواجهتها والتخلص منها؟

أهمية الدراسة: تأتي أهمية هذه الدراسة من متابعة ظاهرة العولمة وما أحدثته من تغيرات في قيم العرب وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وتفكيرهم واستهلاكهم وروابطهم الاجتماعية والثقافية، ونظامهم الإقليمي العربي، واستخلاص النتائج منها ومعرفة كيفية التصدي لها عربياً.

هدف الدراسة: التعرف على ظاهرة العولمة ووصفها وتبيان آثارها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية المختلفة، وطرق التعامل معها للحد من هذه التأثيرات على الوطن العربي.

منهجية الدراسة: استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل الدراسة النظرية والأدبية لموضوع العولمة والمجتمعات العربية، وذلك لمعالجة موضوعات هذه الدراسة.

ولأسباب عدة قام الباحث بتقسيم البحث إلى تسعة محاور رئيسة وذلك على النحو التالي:

أولاً- مفهوم العولمة: العولمة هية ترجمة حرفية لكلمة (Globalization) المشتقة من كلمة (Globe) بمعنى الكرة الأرضية، أي جعل الشيء على مستوى عالمي، كانتقال البضاعة ضمن حدود الدولة الإقليمية في ظل مراقبة صارمة من قبل سلطات الجمارك⁽¹⁾.

ومن الناحية اللغوية العولمة: مصدر اشتقاقى لفعل مستحدث عولم يعولم عولمة، فيقال مثلاً إن الحياة تعولمت بعد أن تعولم الاقتصاد⁽²⁾.

ويقال أيضاً عولمة بمعنى صيره وجعله ونشره وعممه عالمياً أو على مستوى العالم كله، وهي فعل مشتق على وزن فاعل، واسم لفعل مضارع على غرار القولية والعوربة والأوربة، وتعني صبهُ في قالب أو حالة الفعل، فيقال عوربه بمعنى صاعه على شكل عربي وغوربه بمعنى قولبته في نموذج غربي⁽³⁾.

والعولمة لغةً مثلها مثل القوننة أو الحوقلة أو الرودنة، على وزن فوعلة، وهي من المصادر القياسية في اللغة العربية، وقد تنوب مناب الفعل، فيكون معناها أداء الفعل الذي مادته الجذر اللغوي وهو العالم، وقد يكون المصدر مفعولاً مطلقاً مؤكداً لفعله، والمصدر في الأصل أسم دال على حدث جار على فعله⁽⁴⁾.

الوطن العربي والعولمة

أما اصطلاحاً: فالعولمة اندماج لأسواق العالم في أبواب التجارة العالمية وانتقال الأموال والقوى والثقافات والاستثمارات المباشرة، ضمن إطار من رأسمالية وحرية الأسواق وخضوع للأسواق العالمية بما يؤدي إلى اختراق الحدود الإقليمية والقومية وانحصار سيادة الدولة لصالح الشركات الرأسمالية الضخمة المتعددة الجنسيات⁽⁵⁾.
والعولمة عرفت بالعالمية نسبة للعالم والتدويل نسبة للدول والكوننة والكوكبة نسبة للكون والكوكب الأرضي⁽⁶⁾.

ثانياً- تعريف العولمة: إن مسألة الوصول إلى تعريف دقيق موحد لمفهوم العولمة تعتبر أمراً صعباً شاقاً، لتعدد تعريفاتها التي تعكس رؤى الباحثين وانحيازهم إلى أفكار وأيدولوجيات واتجاهات مختلفة وحسب اهتماماتهم وتبعاً لتأييدهم ومعارضتهم لها، وبالتالي لا يوجد تعريف دقيق وموحد يمكن الاتفاق عليه والالتفاف حوله لكلمة العولمة. وفي جميع الأحوال والظروف والحالات ومهما اختلفت تعريفاتها، تبقى العولمة شيء أو حدث يستحق البحث والدراسة من جميع الجوانب والنواحي.

وحول تعريف العولمة نجد أن (برهان غليون) يرى أنها "عملية ديناميكية حديثة تبرز داخل إطار العلاقات الدولية، يصبح فيها العمل الخارجي ذو أهمية كبيرة في تحديد مصير الوحدات الوطنية المكونة لهذا الإطار المندمج وبالتالي لهوامشها أيضاً"⁽⁷⁾.

أما (نورمان جيفان) فيعرفها بأنها: "مجموعة شاملة من العمليات الاقتصادية والسياسية والأيدولوجية، التي تؤدي من الناحية الاقتصادية إلى تدويل التمويل والإنتاج والتجارة والاتصالات عن طريق أنشطة الشركات العابرة للأوطان والقارات، واندماج رأس المال والنقود وتضافر تقنيات الكمبيوتر والاتصالات السلوكية واللاسلكية"⁽⁸⁾.

وفي هذا السياق يشير (غالب أحمد عطايا) إلى العولمة بأنها: "حرية حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والإقليمية"⁽⁹⁾.

كما يعرفها الدكتور (صبري عبد الله) بأنها "ظاهرة تتداخل فيها الأمور الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسلوكية، ويكون الانتماء فيها للعالم كله، عبر الحدود السياسية للدول"⁽¹⁰⁾.

الوطن العربي والعولمة

ويعرفها آخرون بأنها "نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على الإبداع التقني غير المحدود دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم"⁽¹¹⁾.

وفي مناسبات ومواقع وأماكن كثر يشير البعض إلى أن العولمة تعني الهيمنة والتبعية، حيث ذكر (عبد الإله بلقزير) ذلك عندما أشار إلى العولمة بأنها "الدرجة العليا في علاقات الهيمنة والتبعية للإمبريالية، ولحظة تنويع النظام الرأسمالي وانتصاره وخروجه عالمياً وكونياً، وهو الذي خرج من رحم الدولة الوطنية التي تعيد إنتاجه بشكل متساوٍ داخل أراضيها أو خارجها"⁽¹²⁾.

أما التعريف المبسط للعولمة فقد قدمه لنا (كمال مجيد) في كتابه العولمة والديمقراطية عندما قال: هي عملية انتقال شيء من وطنه الأصلي إلى بلد آخر بقصد تنفيذ غاية مفيدة لذلك الشيء مكوناً من مجموعة من الناس كالقبيلة أو مؤسسة كشركة تجارية أو حكومية أو جيش وما شابه ذلك"⁽¹³⁾.

وإذا أردنا أن نعرف العولمة كمصطلح معاصر استعمله الكثير من الباحثين في مجالات الاقتصاد والسياسة والآداب والثقافة والاجتماع فإننا نجد أن العولمة هي "النظام الذي من خلاله تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها في كل أوجه حياتها ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وتقنياً وبيئياً"⁽¹⁴⁾.

أما (صادق جلال العظم) يعود إلى صياغة تعريف عام للعولمة عندما أشار إلى أنها "حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاً في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ"⁽¹⁵⁾.

وعموماً العولمة هي الاتجاه المتزايد نحو الانتشار الجغرافي الواسع والمكثف للأنشطة الاقتصادية من إنتاج السلع والمواد الخام وتمويل ودعم وتسويق وتصدير لكل السلع والخدمات والتقنية والمعلومات"⁽¹⁶⁾.

ومهما اختلفت الرؤى والأفكار والتعريفات حولها، تبقى العولمة مسألة أو شيء أو حدثاً جديداً قديماً يستحق من الجميع البحث والدراسة من جوانب عدة، وهي ما نسعى إليه في الصفحات اللاحقة.

ثالثاً - نشأة العولمة وجورها التاريخية:

العولمة كانت موجودة منذ مئات السنين، وتزايدت وبشكل كبير في منتصف القرن الماضي، فهي ليست حديثة النشأة ولم تأت فجأة ولكنها مرت بمراحل عدة، ابتداءً من مسألة التقارب والتواصل والتعاون بين شعوب الأرض عندما دعت الديانات السماوية البشر جميعاً إلى التقارب والتكامل والتواصل وإنشاء روابط وقيم الخير والأخلاق واحترام الإنسان مهما كان عرقه وكونه وأصوله الاجتماعية وثروته⁽¹⁷⁾.

وعندما تكونت وبرزت الإمبراطوريات القديمة (الإغريقية، الرومانية، الفارسية، العثمانية، العباسية... وغيرها) حاولت صبغة وطبعة الشعوب التي تسيطر عليها بتقافتها، وترشيدها وتوجيهها وفق أنماط حياتية مختلفة عن ما كان سائداً لديها⁽¹⁸⁾.

ومنذ أكثر من ثلاثة قرون شهد العالم ظهور النظرية الرأسمالية في شكل نظام اقتصادي يهدف إلى التبادل التجاري والتكامل الاقتصادي وزيادة الروابط المالية بين شعوب ودول العالم⁽¹⁹⁾.

ثم شهد العالم مرحلة نشأة المؤسسات الدولية الخاصة بالاتصالات والعلاقات الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وعصبة الأمم، وأنصب الاهتمام فيها على مواضيع كالقومية والعالمية والمواطنة وادمج مجتمعات غير أوروبية كدول العالم الثالث في المجتمع الدولي⁽²⁰⁾.

لقد سادت الهيمنة الاجتماعية أو العرقية قديماً، أعقبها الهيمنة العسكرية التي شهدت انتشار الاستعمار في العديد من الدول للسيطرة على الثروات والأرض⁽²¹⁾.

وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية شهد العامل في القرن العشرين نهاية الحرب الباردة وانهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي والمنظومة الشيوعية الاشتراكية التابعة له في كل أوروبا الشرقية، وبدأت الدعاية والترويج لقيام عالم أحادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وتم إزالة سور برلين عام 1989، وتدمير دولاً كانت قوية كالعراق، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة الوحيدة المسيطرة والمهيمنة على العالم، انفردت من خلالها بالتحكم في المجريات والأحداث الدولية وفق رغباتها باسم العولمة، وشاع خلال

الوطن العربي والعولمة

هذه المرحلة أيضاً بيع وشراء وامتلاك الأسلحة الذرية بكل سلاسة وحرية، وأنشأت العديد من المؤسسات والشركات العالمية القوية، وتطورت فيها وسائل الاتصال والمعلومات (22). تسارعت وتائر العولمة وشاع استخدامها كمصطلح في العصر الحديث بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، زمن حكم (غورباتشوف)، وارتبطت فكرتها بالمفهوم الحديث للرأسمالية التي أسست لمعالم النظام العالمي، والتي انطلقت من المجتمعات الأوربية - إبان عصر النهضة الذي شهد مظاهر التقدم العلمي بكل أشكاله - باعتبارها دولاً صناعية تمثل مركز هذا النظام وتتحكم فيه من خلال الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات وخصوصاً في مجال الاتصالات والتجارة التي أدت إلى زيادة حجم التبادل بين الأمم وانتقال رؤوس الأموال وانتشار المعلومات والأفكار واقتباس أمم كثيرة لعادات وسلوكيات وممارسات وقيم شعوب أخرى، وبقت دول العالم الثالث ومن بينها الدول العربية على هامش هذا النظام (23).

وبعد الاطلاع على كثير من الكتب والموسوعات والبحوث والدوريات المنشورة وعلى ماكتبه المفكرون والباحث يمكننا رصد وتتبع العولمة وتقسيم مراحل نشأتها إلى الآتي:

المرحلة الأولى: التي امتدت من بدايات القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر في أوروبا، وهي المرحلة التي نمت فيها كما اسلفت، فكرة المجتمعات القومية مقابل إضعاف القيود التي كانت سائدة هناك وظهور نظريات جديدة عن العالم والجغرافيا والإنسان وغيرها (24).

المرحلة الثانية: وظهرت في أوروبا أيضاً من منتصف القرن الثامن عشر حتى العام 1870، وتبلورت خلالها المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية، وزاد فيها الاهتمام بالمواطنة باعتبار أن المواطنين كأفراد لهم حقوق على بلادهم، وشهدت قيام مؤسسات خاصة بالعلاقات الدولية والاتصالات بين الدول، ودخلت مجموعات دولية أخرى غير الأوربية في زمنها إلى المجتمع الدولي. (25)

المرحلة الثالثة: وهي التي بدأت من العام 1870 م حتى عشرينات القرن الماضي، وبرزت فيها مفاهيم كالكون، والهوية الوطنية، والقومية، وشهدت انطلاق الألعاب

الوطن العربي والعولمة

الأولمبية، والحرب العالمية الأولى، وميلاد هيئة الأمم، وأدمجت العديد من المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي⁽²⁶⁾.

المرحلة الرابعة: استمرت هذه المرحلة من بداية عشرينيات القرن العشرين الماضي حتى منتصف الأربعينات من نفس القرن وشهدت قيام الخلافات والحروب الفكرية وصراعات كونية حول صور الحياة، وميلاد عصابة الأمم وقيام الحرب العالمية الأولى⁽²⁷⁾.

المرحلة الخامسة: وانطلقت مع مشروع (مارشال) الأمريكي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الذي هدف إلى إعمار أوروبا الغربية المدمرة بعد الحرب، وشهدت ظهور اتفاقية (بريتون وودز) التي أسست صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وتنظيم العلاقات النقدية وأسعار الصرف وطرق وأدوات الدفع دولياً، وإنشاء الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة عام 1947 التي عرفت لاحقاً باتفاقية (الجات) وخلالها أيضاً أنشئت منظمة الأمم المتحدة بشكلها الحالي⁽²⁸⁾.

المرحلة السادسة: استمرت خلال النصف الثاني من خمسينات وستينات القرن العشرين عندما ظهرت الكتل الاقتصادية الكبرى والاتحادات الجمركية الدولية والمناطق الحرة، وتحرير حركة التجارة العالمية بعد معاهدة (روما) وإنشاء السوق الأوروبية الموحدة، وظهور الفضاء التجاري الاقتصادي الأوروبي إثر عقد اتفاقية (ماستريخت)⁽²⁹⁾.

المرحلة السابعة: وكانت من نهايات ستينات القرن العشرين الماضي ومنتصف السبعينات منه وكان من نتائجها جولة طوكيو لتحرير التجارة والخدمات⁽³⁰⁾.

المرحلة الثامنة: وجاءت بانهيار الاتحاد السوفيتي وقيام ثورة (البيروستروكيا) عام 1985 على يد الرئيس الروسي الأسبق، (ميخائيل غورباتشوف)، وانهار صور برلين عام 1989، وقيام حرب الخليج الثانية، وشهدت نهاية الحرب الباردة بين القطبين، وانتقال عدد كبير من دوله السابقة إلى دولاً رأسمالية تنتهج الاقتصاد الحر أو اقتصاد السوق، وإنشاء منظمة التجارة العالمية 1995م، وشاع فيها بيع وشراء الأسلحة الذرية من دول شرق أوروبا السابقة، وقيام المؤسسات الكونية الكبرى، وانتهاء نظام القطبية الثنائية وقيام نظام القطب الواحد، وهياً فيها الجو المناسب للولايات المتحدة الأمريكية لقيادة العالم والسيطرة عليه⁽³¹⁾.

الوطن العربي والعولمة

رابعاً- أسباب العولمة⁽³²⁾: من الأسباب التي أدت إلى تسريع وتسهيل ظاهرة العولمة وإبرازها الآتي:

- انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المعسكر الشرقي الذي كان يقاسم الولايات المتحدة ويشاركها في زعامة العالم، وبالتالي انتهاء المواجهة بين الشرق والغرب واختفاء الحرب الباردة بين المعسكرين، الأمر الذي أسهم في انهيار الأسوار الحديدية التي حمت ولفترة طويلة الدول الشيوعية مما كانت الدول الرأسمالية تقوم به وتدعو إليه.

- ثورة الاتصالات والتطور التكنولوجي والإلكتروني أو ما يعرف بالثورة المعلوماتية التي شهدتها العالم، وساهمت في إحداث طفرة تقنية هائلة في مجالات الاتصالات وتحسينها وانتقال المعلومات بكل سلاسة والانخفاض الكبير في تكاليف الاتصالات الإلكترونية السريعة وشبكات المعلومات والاتصالات والحاسبات، واختراع تكنولوجيا الهاتف المحمول والإنترنت التي ساهمت في مد أواصر التواصل بين الشعوب.

- الفائض في الإنتاج بالدول الصناعية الكبرى وحاجتها إلى تسويقه إلى خارج حدودها، بسبب فقدانها للدول التي كانت تستعمرها في الماضي واستقلالها عنها، وهي الدول التي كانت تصدر لها منتجاتها، فكان لزاماً عليها البحث عن أسواق بديلة لصرف هذا الإنتاج الكبير.

- تدفق وتنقل رؤوس الأموال تنقلاً حراً بين الدول والبحث عن أسواق استثمار جديدة للدول خارج أراضيها، بسبب الاستقرار السياسي والاقتصادي العالمي والإرتفاع في دخول الصناعات الرأسمالية والتسابق على جذب الاستثمارات الأجنبية، والبحث عن أسواق بها أيدي عاملة رخيصة مدربة كأسيا وأفريقيا.

- إنشاء وتشكيل التكتلات الاقتصادية الإقليمية العملاقة كالاتحاد الأوروبي وغيرها.

- ظهور منظمة التجارة العالمية عام 1995، خلفاً لاتفاقية (جات) الخاصة بالتعريف الجمركية، وهي التي ساعدت على إزالة الحواجز بين الدول وشجعت التجارة الحرة بينها وألغت أحياناً وخففت أحياناً أخرى القيود على تدفق السلع والخدمات بين دولها وأدت إلى انفتاح الأسواق الوطنية على اقتصاديات الدول الأخرى خدمة للتوجهات الرأسمالية وسيطرت الدول الرأسمالية على العالم.

الوطن العربي والعولمة

- التحسينات في وسائل النقل والمواصلات وصناعة السفن والطائرات الكبيرة والسريعة التي ساعدت على تخفيض تكلفة نقل البضائع بين الدول وقللت وقلصت من وصول السلع والأفراد وجعلته زمنياً قياسيياً.
- التوسع في أسواق الأوراق المالية واندماجها وسرعة نقل الأموال عبر وسائل الاتصال دون قيود.
- توفر الأيدي العاملة الماهرة الرخيصة في العديد من دول العالم وخصوصاً في آسيا وأفريقيا واستخدامها في صناعات كثيرة، وقلة القيود المفروضة على الصناعة والتجارة في بعض الدول.
- إنشاء مؤسسات التمويل الدولية وتساعد نشاطات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ودورها وجهودها في تحويل الديون إلى استثمارات في كثير من الدول، وترسيخ العولمة ودمج الاقتصاديات النامية في الاقتصاد العالمي.

خامساً- أهداف العولمة:

- هناك من يرى أن للعولمة أهدافاً تحمل في مضمونها الخير ورغيد العيش للشعوب وتحقق آمالها وطموحاتها وسعادتها، ويعتبرون أن للعولمة وجهٌ زاهر البياض. إلا أن آخرون يرون أنها تمثل الشر والدمار وضمك العيش والتعاسة والشقاء والحرمان والخوف والجوع والحروب للشعوب وتقضي على آمالها وطموحاتها ويعتبرون أن للعولمة وجهٌ حالك السواد.
- ومن هذا كان لزاماً علينا التعرض ولو بإيجاز لأهداف العولمة على النحو التالي:

1- **داعموا العولمة وأهدافها**⁽³³⁾: يرى مساندوا العولمة إن لها أهدافاً تتمثل في الآتي:

- توفير السلع والخدمات اللازمة للأفراد والأسعار والجودة المناسبين.
- زيادة كمية ونوعية الإنتاج المحلي والعالمي من السلع والخدمات.
- إقامة وتنفيذ مشروعات البنية التحتية.
- المساهمة في تحقيق النمو الاقتصادي لكثير من الدول.
- خلق فرص لتنتقل رأس المال بكل حرية بين الدول.
- تحرير الأسواق أمام السلع والمنتجات والخدمات.

- زيادة حجم التجارة والتبادل بين الدول.
- تحقيق الاستقرار والانتعاش الاقتصادي.
- خلق فرص عمل للعمالة وخصوصاً المدربة والرخيصة في الأجور.
- المساهمة في تحقيق الاستقرار السياسي لكثير من الدول.
- المساهمة في حل المشاكل التي تواجه بني البشر
- فتح المجال بمصراعيه أمام المنافسة الاقتصادية الحرة.
- تسهيل الحصول على المعلومات، وتوفير وسائل الاتصال المتطورة، والاستفادة من الجوانب الحسنة لثورة المعلومات.
- 2- **معاندوا العولمة وأهدافها⁽³⁴⁾**: أما مخالفوا العولمة فيرون أهدافها تتمثل في الآتي:
 - إنها تساهم في إعادة الاستعمار لدول العالم الثالث بشكل جيد وبدون أسلحة.
 - التحكم في مركز صنع القرار السياسي وجعله يخدم المصالح الأمريكية .
 - التحكم في الاقتصاد العالمي عن طريق حرية السوق والتعامل المشترك بين الدول، واخضاعه لسيطرة الدول الغربية ومصالحها.
 - تفكيك وتحطيم الهوية الوطنية والقومية وثقافات الشعوب لصالح هويات وثقافات أخرى، وبالتالي القضاء على الروابط المضادة للعولمة كالعروبة وغيرها، وتلاشي ثقافات الشعوب وتراثها لصالح ثقافات وقيم تقرضها العولمة.
 - استعمار ممتلكات وخيرات دول العالم الثالث، والاستيلاء على مصادر الثروات بها ونهبها، الأمر الذي يؤدي إلى ازدياد الدول الغنية غنى والدول الفقيرة فقراً، من خلال فرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية على الدول وشعوبها.
 - تأمين أسواق استهلاك جديدة للدول الصناعية الكبرى.
 - تكريس وإحكام سيطرة الدول الرأسمالية الكبرى على العالم بما يجعلها تتفرد بالقوة الاقتصادية والتقنية والثقافية والعسكرية.
 - تلميع صورة النظام الرأسمالي واعتباره المخلص والمنقذ للبشرية من التخلف والعوز.

الوطن العربي والعولمة

- تدمير وتحطيم النسيج الاجتماعي والأخلاقي والحضاري للشعوب، وإبعاد المواطن عن الولاءات والمشاعر الاجتماعية والوطنية الخاصة به.
- تقسيم الدول والقوميات والكيانات وتفكيك الأوطان وتشنيتها وشرذمتها وتجزئتها وتحويلها إلى كيانات ضعيفة تتصارع من أجل المصالح، بتذكير وتأجيج النزعات العرقية الطائفية، من أجل إعادة بناء هيكلية دول العالم على هيئة كيانات عرقية أو دينية أو قبلية أو طائفية أو لغوية تعيش في حالة صراع مستمر.

سادساً- صور العولمة وأشكالها وأبعادها وجوانبها المختلفة: لقد ارتبط ظهور وبروز ظاهرة العولمة بانتهاء الحرب الباردة والمواجهة بين الشرق والغرب، وسقوط وتفكك الاتحاد السوفيتي، وبزوغ فجر ثورة المعلوماتية والتقنية التي شهدت تطوراً هائلاً في مجال الاتصالات والصناعات الالكترونية وانتقال المعلومات دون حدود، إلى جانب انشاء منظمة التجارة العالمية في العام 1995، تنوياً لأنتصار ولأنتشار المذهب الرأسمالي القائم على التبادل الحر واقتصاد السوق.

إن العولمة برزت وظهرت بأشكال وصور وأوجه كثيرة، وشملت العديد من مجالات الحياة منها:

1- **العولمة الثقافية:** إنها أخطر صور العولمة وأبعادها لأنها تعتمد على الغاء الهوية الثقافية الوطنية واستبدالها بالثقافة العالمية، وتحطيم وإزالة الحدود والحوالز أمام الثقافات الغربية⁽³⁵⁾.

لماذا...؟ لأن الثقافة هي صورة واضحة عن نشاطات البشرية، وأداة نقلها وسائل الإعلام المختلفة التي تدعم المواقف وتؤثر في السلوك الإنساني وتطرح مفاهيم جديدة على الناس⁽³⁶⁾.

إن العولمة الثقافية تظهر الثقافة وتبرزها كسلعة عالمية قابلة للتسويق، وتغرس مفاهيم وقناعات وأفكار ثقافية عالمية وتصنع الشعوب في قوالب فكرية موحدة وتبعدها عن ثقافتها وموروثاتها الفكرية والحضارية⁽³⁷⁾.

إنها تسعى إلى فرض وسيادة قيم ثقافية غريبة على دول العالم وشعوبها، ومسح وإزالة القيم والثقافات والحضارات وخصوصيات هذه الدول والشعوب⁽³⁸⁾، عن طريق

الوطن العربي والعولمة

التدخل في شؤون الدول دون اعتبار للحدود والسيادة الوطنية أو الانتماءات الوطنية، دون الحاجة إلى موافقة حكومات هذه الدول⁽³⁹⁾.

2- **العولمة الاقتصادية:** بعد انهيار الاتحاد السوفيتي شهدت فترة التسعينات من القرن العشرين سيطرة وسيادة النظرية الاقتصادية الرأسمالية الغربية على الاقتصاد العالمي، واعتمدت في ذلك على حرية الاقتصاد والمنافسة في الأسواق وتعظيم دور القطاع الخاص والانفتاح الاقتصادي وتوسيع وفتح الأسواق أمام السلع والخدمات وهو ما عرف فيما بعد بالعولمة الاقتصادية.

إن ظاهرة العولمة رافقتها العديد من المفاهيم والمصطلحات مثل "عولمة راس المال" و "عولمة التدفقات المالية" و "عولمة الإنتاج" وظهرت من خلالها مؤسسات وشركات عالمية جديدة ذات حجم كبير وقوة هائلة جعلت لها نفوذاً وسيطرة كبيرين على الاقتصاد العالمي عرفت بالشركات متعددة الجنسية⁽⁴⁰⁾.

ولم تترك العولمة الاقتصادية شيء إلا وعملت عليه، سواءً على مستوى السلع والخدمات والأفراد أو على مستوى رأس المال والتكنولوجيا والمعلوماتية، ومن أبرز ملامحها انتصار النظام الرأسمالي الليبرالي وظهور المؤسسات المالية الكبرى كصندوق النقد الدولي والمصرف الدولي، وزيادة التبادل التجاري بين الدول، وإزالة القيود والعوائق الجمركية والحدود الجغرافية أمام السلع وتخفيض القيود والإجراءات على دخولها، وإلغاء الدعم السلعي والخدمي بكافة أشكاله، وتقليل تكاليف النقل وتحرير التجارة البيئية وخلق قوانين جديدة للاستثمار وسهولة تنقل رأس المال وحقوق الملكية الفكرية⁽⁴¹⁾.

هذا إلى جانب تحرير أسعار الخدمات من التدخل الحكومي وتركها لآليات السوق الحر، وتعويم أسعار صرف العملات المحلية وتركها لقوى العرض والطلب وتحرير أسعار الفائدة في سوق النقد، وخصخصة المشروعات العامة وبيعها، وتقليص دور القطاع العام في النشاط الاقتصادي لصالح القطاع الخاص⁽⁴²⁾.

إن البعد الاقتصادي للعولمة يعتمد على حرية الأسواق وانفتاح اقتصاديات العالم على بعضها البعض بما يضمن اتحادها واندماجها وتحولها إلى اقتصاد دولي كبير يلغي ويحطم الاقتصاديات المحلية⁽⁴³⁾.

الوطن العربي والعولمة

3- **العولمة السياسية:** إن العولمة السياسية لا تقل خطورة عن العولمة الثقافية والعولمة الاقتصادية، لأنها مشروع مستقبلي ومرحلة متقدمة ومتطورة وهدف نهائي لهما، وتهدف إلى تحويل العالم إلى نظام يسيطر ويتحكم فيه طرف واحد قوي لكي يؤمن لنفسه الأهداف الاستراتيجية بعيدة الأمد، وإنشاء وظهور عالم بلا حدود ولا سيادة وتغيير في ظل مفهوم الدولة والسيادة الوطنية والولاء للوطن والأمن، وبالتالي إلغاء سيادة الدولة واستقلالها وانتهاك حدودها والعمل من أجل تحقيق ذلك كله بكل الأساليب والوسائط والرسائل وكل أنواع التدخل حتى استخدام القوة وبالطرق والأشكال والأساليب المناسبة⁽⁴⁴⁾.

إن شعوب العالم الثالث كانت لا تعرف الحدود السياسية الحالية وكانت تعيش في قبائل وإمارات متجاورة ومتداخلة، فقام الغرب الرأسمالي بتقسيم تلك الشعوب إلى دويلات ذات حدود سياسية من صنعه خدمة لمصالحه⁽⁴⁵⁾.

ويتجسد البعد السياسي للعولمة في الدعوة إلى الديمقراطية الليبرالية الغربية والتعددية الحزبية واحترام حقوق الإنسان، أي تعتمد على الحرية الغير محدودة في الرأي والمنافسة والتفكير والاعتقاد⁽⁴⁶⁾.

إن التغيير الملحوظ الذي حدث في قوة الدولة يعد في واقع الأمر من أبرز مظاهر العولمة السياسية، فلم تعد هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، وبدأ دورها يتضاءل أمام تدخل رؤوس الأموال، وصارت هي التي تتحكم في الخيارات السياسية والقرارات المصيرية للدول قبل أن تصدرها الدولة وصارت الشركات الكبيرة متعددة الجنسيات تأخذ مكانة الدولة وتفقر فوق حدودها، إلى جانب هيمنة الولايات المتحدة، مما أدى إلى ازدواجية المعايير في تطبيق مبدأ حقوق الإنسان حسب المصالح، والاستخدام السيء لفكرة التدخل باسم الشرعية الدولية⁽⁴⁷⁾.

4- **العولمة الاجتماعية:** لأول وهلة يظهر للبعض أن العولمة في صورتها الاجتماعية تدفع إلى الالتقاء والتقارب وزيادة التفاعل بين المجتمعات والشعوب والحضارات⁽⁴⁸⁾. ولكنها في الحقيقة تهدف إلى خلق مجتمعات تابعة ومُنساقة وراء القيم الاجتماعية الغربية التي لا تمت لها بصلة من حيث خصوصيتها والمبادئ التي نشأت وترتبت عليها⁽⁴⁹⁾.

الوطن العربي والعولمة

إنها تجلب أنماط من السلوك الاجتماعي الغربي وتعمل على نشره بيننا بصرف النظر عن مدى رفضنا أو قبولنا لها، عن طريق وسائل الإعلام ووسائل الاتصال والمعلوماتية التي دخلت على كل المجتمعات واخترقت المدن والقرى والبيوت⁽⁵⁰⁾.

كما أنها تعمل وتقوم على إلغاء الهويات الخاصة بالمجتمعات ودفعها إلى اكتساب هوية عالمية، بحيث تصبح الأنماط السلوكية الغربية والاستهلاكية هي السائدة في العالم الثالث مع طمس كل الحضارات الإنسانية من أجل فرض الحضارات الغربية والأمريكية⁽⁵¹⁾.

إنها جاءت نتيجة للفوضى الاقتصادية، وأدت إلى أبعاد اجتماعية خطيرة تمثلت في انتشار المدخرات العالمية والبطالة والفقر وزيادة عدد المحرومين والمعوزين، وتفشي الأمراض وانتشار ظاهرة العنف والإجرام المنظم⁽⁵²⁾.

كما تؤدي إلى إهمال البعد الاجتماعي الإنساني وإضعاف التماسك الاجتماعي على مستوى العائلة والمجتمع، وخلق عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية جديدة وقيم أخلاقية وأنماط سلوكية مناقضة لما هو معروف، وتقليص الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة، وضعف مسؤوليتها في خلق وإيجاد فرص عمل شريفة لمواطنيها، وخلق حالات من النور الاجتماعي وزرع روح الاغتراب⁽⁵³⁾.

وباختصار فإن العولمة جعلت كل شيء مفتوح أمام المواطن ويصل إلى ما يريد دون مشقة وعناء ودون أي موانع، وتعمل على تخريب البنى الاجتماعية عن طريق الكم الهائل والسيل العرم من المعلومات من خلال وسائل الإعلام المتقدمة⁽⁵⁴⁾.

5- **العولمة التقنية (الاتصالية):** وهي ما يعرف بثورة المعلوماتية التي تمثلت في طفرة التقنية الهائلة في مجال الاتصالات الالكترونية، وسهول انتقال المعلومات عبر الفضاءات والحدود⁽⁵⁵⁾.

إن الإعلان عن العولمة الاتصالية وظهورها وانتشارها كان بمثابة إحداه ثورة علمية معرفية كبرى في هذا العصر، برزت لنا من خلال البث التلفزيوني بواسطة الأقمار الصناعية، وشبكة الإنترنت التي تربط بين الناس في أرجاء المعمورة⁽⁵⁶⁾.

الوطن العربي والعولمة

ونتيجة لعولمة الاتصالات أصبح كل شيء مفتوحاً أمام البشر يتحصلون عليه بدون أي مقابل ولا موانع، نتيجة للسيل والكم الكبير من المعلومات التي تبت وتنتشر عن طريق وسائل ووسائط الإعلام وما تضيفه عليها من إجراءات وجاذبية تصيب نظام القيم الوطنية المحلية وتحدث فيها شخراً ينزع منها المحتوى الإنساني المتميز الخاص، وتعزز عن طريقها القيم النفعية الأثانية ذات النزعة المادية والغرائز المجردة من أي محتوى آدمي⁽⁵⁷⁾. لماذا...؟، لأن الإعلام هو أداة التبشير والتطوير والنشر، وأن وسائله هي الأداة الناقلة للثقافة وتساعد على دعم المواقف الثقافية والتأثير فيها وتحفز الأنماط السلوكية وتعززها وتطرح مفاهيمها على الناس من خلال النشر والشرح والبت، وإيضاً الذي يلعب دوراً أساسياً في بلورة الثقافة وتنظيفها مما علق بها من أوساخ وقاذورات وإزالة التشوهات التي لصقت بها، وقد تضي عليها طابعاً ديموقراطياً من نوع آخر⁽⁵⁸⁾.

إلا أن هذا التطور الذي حدث في مجالات التكنولوجيا والاتصالات والمعلوماتية له جوانب سلبية عدة، فقد يؤدي إلى الاختراق الثقافي ونشر قيم ومفاهيم وأفكار غريبة، ويذكي الانقسامات والنزاعات الداخلية والتفكك المجتمعي وخصوصاً في مجتمعات دول العالم الثالث التي من بينها الدول العربية⁽⁵⁹⁾.

6- **العولمة العسكرية:** وهي أن تصبح قوة عسكرية لدولة ما كالولايات المتحدة الأمريكية الطرف الأقوى والوحيد القادر على السيطرة على دول العالم بقوة السلاح، وهي تعني أيضاً القضاء على الجيوش والقوات المسلحة في دول العالم الثالث والوطن العربي وتفكيكها وتغيير مسمياتها إلى جيوش وطنية للدفاع عن البلاد فقط، وإقامة كيانات ومليشيات مساندة تتحكم في مصير الدول، وتسيطر عليها وتتحكم فيها.

كما أنها تعني: استخدام القوة المسلحة في تغيير أنظمة الحكم في كثير من الدول، تحت شعار حقوق الإنسان وتطبيق الديموقراطية بأخذ الشرعية من المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة أو بدونها.

فالولايات المتحدة مثلاً أنشئت قوة عسكرية كبيرة لردع دول أخرى ولاستعمالها في الحرب والتدخل عند الضرورة كتدخلها في أوروبا أثناء الحرب العالمية الأولى، أو تدخلها في أوروبا وشرق آسيا في الحرب العالمية الثانية.

الوطن العربي والعولمة

لقد قررت الولايات المتحدة إنشاء هذه القوة العسكرية الضخمة لمواجهة أي حرب عالمية محتملة بعد تنامي مصالحها الاقتصادية في العالم، وبعد بروز تهديدات قوية لهذه المصالح من قبل أوروبا الموحدة بقيادة ألمانيا، واليابان في آسيا، ولكي تضمن بها السيطرة العسكرية على العالم بأسره، من خلال بناء ترسانة نووية ضخمة، وفرض سيطرتها على البحار والأجواء والفضاء بتقوية سلاحها البحري، والجوي بإنفاق مبالغ مالية كبيرة جداً في هذا المجال⁽⁶⁰⁾.

سابعاً- آثار العولمة على الوطن العربي: في حديثنا عن آثار العولمة على الوطن العربي، يجب أن نشير إلى أنها أدت إلى عدد من الآثار الإيجابية الحسنة على دوله تتمثل في الآتي:

- تقدم وتطور وسائل الاتصال ونقل المعلومات وإحداث تطور في الاتصالات ووسائل الإعلام والقنوات الفضائية في عدد كبير من الدول العربية.
- إنها أحدثت تطوراً في كثير من الجوانب الاقتصادية والعسكرية لبعض الدول العربية نتيجة لارتباط هذه الدول بعلاقات مميزة مع المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.
- شهدت الكثير من الدول العربية تغيرات سياسية مهمة في أنظمتها، في خطوة نحو بناء الديمقراطية القائمة على مبدأ المشاركة السياسية للجميع.
- أنها جعلت الكثير من النظم السياسية العربية تقف عند مبدأ حقوق الإنسان وضمان حرية المرأة ومشاركتها للرجل في مجالات عدة.
- إقامة العديد من المشاريع الكبرى (الصناعية، والزراعية، والخدمية) بالوطن العربي بمشاركة شركات دولية كبرى، وإلى عقد مؤتمرات دولية عدة، والمشاركة في تأسيس وإنشاء مؤسسات دولية جديدة.
- تطوير التعليم في دول كثيرة بسبب التعاون والاستشارات التي قدمتها مؤسسات دولية في هذا المجال.

الوطن العربي والعولمة

ومن ناحية أخرى يجب ألا نغفل الآثار السلبية للعولمة التي أحدثتها في الوطن العربي الكبير ودوله، حيث ارتبطت العولمة بمجموعة من الآثار السلبية وعدد من المخاطر والتهديدات التي سببتها واتضح معالمها على العرب نؤجزها في الآتي⁽⁶¹⁾:

1- تبعية معظم الاقتصاديات العربية وانكشافها وإضعاف الأمن الاقتصادي العربي بسبب التقلبات الاقتصادية الخارجية على الدول العربية، وجعلت الاقتصاديات العربية تتأثر بالأزمات الاقتصادية العالمية.

2- سوء توزيع الدخل والثروة بين الأفراد، وتضاعف حدة عدم المساواة بين الطبقات الاجتماعية، وتركيز النشاط الاقتصادي في يد مجموعة قليلة وتهميش الباقي وإقصاؤه، واتساع هوة الدخل بين دول الوطن العربي فيما بينها، وهو ما يعني زيادة الفقراء فقراً وزيادة الأغنياء ثروةً وغنىً.

3- انخفاض إيرادات بعض الدول العربية من الرسوم الجمركية التي كانت تفرضها على السلع الرأسمالية المستوردة، بسبب خفض قيمة الضرائب، أو إلغاء التعريفات الجمركية وبالتالي انخفاض قدرتها على التمويل والإنفاق على المشروعات العامة الخدمية أو الصناعية.

4- أجبرت العديد من الدول العربية على التخلص من جزء لا يستهان به من صناعاتهم وعطلت التقدم الصناعي بها.

5- التقليل من نسب النمو الاقتصادي في كثير من الدول العربية وتعميق الفجوة في ذلك بينها وبين الدول الصناعية.

6- انخفاض مستوى معيشة الأفراد ورفاهيتهم في كثير من الدول العربية مقارنة بالدول الصناعية الكبرى.

7- إغراق الأسواق العربية بالواردات من السلع الصناعية المستوردة من الدول المتقدمة بسبب فتح أسواقها أمام التجارة العالمية وإغائها لنظام التعريفات والرسوم الجمركية.

8- جعل البلاد العربية سوقاً استهلاكية للمنتجات الغربية، وفرض أدواق جديدة على سكانها وتغيير عاداتهم الاستهلاكية المحلية.

الوطن العربي والعولمة

- 9- تنامي مؤشرات البطالة وتفشيها في كثير من الدول العربية، بسبب استعمال واستخدام الآلات الحديثة والحاسبات والإنسان الآلي في العديد من النشاطات الاقتصادية والمشروعات، والاستهتار بالبيئة بسبب الرغبة في التطور الصناعي.
- 10- تحجيم الدور الاقتصادي للدولة وتنامي ظاهرة الخصخصة للمشروعات العامة، بسبب تقييد حكومات الدول العربية عند اتخاذ القرارات الاقتصادية بتعليمات المنظمات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة التجارة العالمية التي تسيطر عليها الدول الكبرى جميعاً وبالتالي تهيمش المصلحة العامة في ظل سيطرة الاقتصاد الحر، وتوقف الكثير من الشركات المحلية عن العمل بسبب بيع رأس مالها للشركات الدولية وسيطرتها على المشروعات العامة.
- 11- تعرض أغلب اقتصاديات الدول العربية سواءً فيما تقدمه من سلع أو خدمات بجميع أنواعها لهجمات تنافسية من السلع والخدمات المستوردة من الدول الصناعية الكبرى.
- 12- جعلت اقتصاديات الدول العربية تعتمد على سياسات تصدير الثروات الباطنة، والمواد الخام الأولية، واليد العاملة والكفاءات الفنية والعلمية ورأس المال النقدي للخارج، ناهيك عما تتعرض له أسعار المواد الخام التي يصدرها العرب من انخفاض في السوق العالمية من فترة لأخرى، وهذا يعني في مجموعه تقليل الفرص أمامهم لزيادة حجم صادراتهم السلعية الصناعية.
- 13- انهيار شديد في الموارد العامة للدول العربية، بسبب قلة الإيرادات من الضرائب الجمركية على السلع المستوردة، إلى جانب استنزاف ثرواتها ومواردها الطبيعية.
- 14- جعلت الدول العربية تدخل في تكتلات اقتصادية دولية أو إقليمية وإيعادها عن السوق العربية، مع انخفاض نصيبها من الاستثمارات الدولية لصالح دول أخرى من دول العالم الثالث.
- 15- تعميق الفجوة الغذائية في عدد من الدول العربية التي لازالت تعد ضمن فئة بلدان العجز الغذائي.

الوطن العربي والعولمة

- 16- تدمير القدرات والطاقات العربية ومنعها من متابعة مسيرتها نحو النمو والتطور، وانخفاض المستوى التنافسي بين الاقتصاديات العربية وخصوصاً في مجالي الصناعة والزراعة وعدم تطبيق نظام التخصص في المنتجات.
- 17- تعطيل مشروعات التنمية المستقلة للبلاد العربية، مع فرض السيطرة الغربية على مشروعات النفط والغاز سواءً بالإنتاج أو التسويق.
- 18- لم تعد حكومات الدول العربية هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي، بل أصبحت تشاركها منظمات دولية ودول كبرى تملي عليها السياسات التي يجب أن تتبع.
- 19- أدت إلى تعزيز التسلمية السياسية وفجرت العديد من النزاعات الأهلية بعدد كبير من دول الوطن العربي.
- 20- تدويل الأمن الوطني والإقليمي للدول العربية وتهديد الاستقلال وتراجع مفهوم الأمن القومي العربي لصالح الأمن الوطني لكل دولة على حده، مع تراجع مفهوم الانتماء للأمة العربية والقومية العربية لدى المواطن العربي.
- 21- حجب التقنية العسكرية عن الدول العربية، وفرض عقوبات على بعض منها، ومنعها من امتلاك الأسلحة الرادعة، وبالتالي إحداث خلل في ميزان القوى والتوازن الإستراتيجي، وجعله لصالح الكيان الصهيوني، وجعل القوى العسكرية العربية خاضعة لسيطرة القوى الكبرى وتحت رحمتها.
- 22- كما أدت إلى تراجع الدور الاجتماعي للدولة في الدول العربية .
- 23- تعميق أزمة الهوية والتراجع عن سياسة بناء الثقافات الوطنية، واستهداف اللسان العربي والعقيدة والتراث وجعل الإنسان العربي منلقياً وليس مبدعاً، وطغيان لغات أخرى على العربية.
- 24- تفتت الروابط الاجتماعية العربية كالعائلة والقبيلة والعشيرة وتراجع دور الأسرة وغيرها لكي يبقى الفرد تائهاً وبدون أي سند ولا دعم.
- 25- تلاشي العلاقات العائلية الحميمة والصدقة بسبب زيادة ساعات عمل الأفراد من أجل شراء السلع الاستهلاكية والبضائع مرتفعة الأسعار .

الوطن العربي والعولمة

26- كما سببت الابتعاد عن الأخلاقيات والعقائد الإسلامية وعدم التمسك بالقيم الدينية وتهميشها، والتقليل من المشاعر الدينية التي تأمر بالفضيلة وتراجع القيم العربية الأصيلة، وأدت إلى انحلال الأخلاق وانتشار للعلاقات غير الشرعية داخل المؤسسات التعليمية العربية، وانتشار الجريمة والعنف والاعتصاب والغش والرشوة والمخدرات، وذلك كله بسبب سلبيات القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت والهواتف المحمولة، كما أدت إلى انتشار الكثير من الأمراض الاجتماعية كالخيانة الزوجية والزواج العرفي وعقوق الوالدين وغيرها، وشيوع الثقافة السطحية كالرقص والطرب وغيرها.

27- تبعية العديد من المفكرين العرب والمنقذين والنخب والمؤسسات العربية للثقافة الغربية ومؤسساتها المختلفة، وشيوع الاتكالية بين العرب والاعتماد على الآخر غير العربي.

28- انخفاض الاهتمام بالجوانب الروحية والعلاقات الاجتماعية والتركيز فقط على الجوانب المادية.

ثامناً- النتائج: من خلال ما تناولته من معلومات في هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

- إن العولمة ليست آلية من آليات التطور الرأسمالي ولكنها أيولوجيا للسيطرة عن العالم وفرض إرادة الهيمنة الأمريكية.

- العولمة سلاح خطير يكرس الثنائية ويؤدي إلى انشطار الهوية الثقافية الوطنية، ويعمل على أفراغ الهوية الوطنية الجماعية من كل محتوياتها ويدفعها إلى التفتت والتشتت، ويربط الأفراد بعالم اللاوطن واللامأمة والألدولة ويشعل فتيل الحرب الأهلية بينهم.

- العولمة تجسد ثقافة الاختراق التي تقوم على سياسة التطبيع مع الهيمنة والتبعية.

- إن لفظ العولمة استخدم فعلياً وبدأ يظهر على الساحة الدولية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، لبيان أنها شيء جديد وظاهرة تشمل جميع الناس وإنها إيجابية وحتمية لا مفر منها، وهي شيء حسن حل محل شيء سيء (الاشتراكية)، فهي بمثابة الإعلان عن انتصار المعسكر الغربي الرأسمالي على المعسكر الشرقي، وانفراد الرأسمالية العالمية بالمجال الاقتصادي الدولي بعد سقوط الاشتراكية .

الوطن العربي والعولمة

-إنها عملية تستهدف القضاء على الدين الإسلامي (العدو الثاني) بعد الاشتراكية ومحاربتة في العالم.

-إنها فكرة صهيونية قديمة وردت في بروتوكولات بني صهيون، ترى ضرورة قيام حكومة عالمية تقودها دولة قوية في كل المجالات يخضع لها الجميع ويتحكمون هم فيها ويسيطرون بها على العالم وتلبي رغباتهم في الهيمنة وتفتيت الشعوب والقوميات وبالتالي انحراف أخلاقهم وإبعادهم عن الديانات السماوية الأخرى غير اليهودية، وأن يصبح اليهود هم سادت العالم من خلال الدولة اليهودية الكبرى.

-إنها تقف وراء عدم قيام السوق العربية المشتركة وعدم تفعيل إتفاقية التعاون العربي المشترك عن طريق سياسات السوق المفتوح وحرية التملك على العلاقات التجارية، وجعلت الكثير من الدول العربية تدخل في تكتلات وشراكة غير عربية كبديل.

-كانت سبباً في تفتيت جيوش عربية كثيرة وتحطيمها وتجزئتها تحت مبدأ الشرعية الدولية، وباستخدام مصطلحات حقوق الإنسان والحرية، ووسائل إعلام عالمية متطورة، وكانت عائقاً أمام تطبيق إتفاقية الدفاع العربي المشترك في كثير من الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية، وجعلت الدول العربية تدخل في تحالفات عسكرية غير عربية والاستئجاد بقوى وأحلاف أخرى غير عربية.

-كانت سبباً في إسقاط أنظمة حكم عربية لأنها كانت تقف ضد المصالح الرأسمالية الغربية واليهودية في المنطقة باستخدام مصطلحات الديمقراطية والتعددية الحزبية، وحرية التعبير والمشاركة وحقوق الإنسان وغيرها باسم الشرعية الدولية .

-أنها أضرت بقيم الديمقراطية في الوطن العربي لأنها شعار فكري موجه سرعان ما ينتهي ويزول.

-أنها حالت دون تفعيل دور الجامعة العربية ومؤسساتها المختلفة، بل جعلت الجامعة العربية في كثير من المواقف والإشكاليات تتلقى تعليماتها من الدول الكبرى في اتخاذ القرارات المصيرية المهمة.

-إنها كانت سبباً في اختراق الثقافة العربية وتغيير سلوك الشباب العربي ونمط استهلاكه وإبعاده عن أعراف وتقاليد العرب وحضارتهم ولغتهم.

الوطن العربي والعولمة

-إنها كانت سبباً في تحطيم وتخريب عدد كبير من المناطق والمدن الأثرية في المنطقة العربية التي أنشأتها الحضارات القديمة والتي كانت شاهداً على عراقة المنطقة العربية وقدم تاريخها الإنساني، في محاولة لطمس تاريخ المنطقة والعرب وجعلهم بلا هوية ولا تاريخ ولا أصل.

-إنها مغالطة تاريخية وهم وفخ نصب وشييد لغرض الحد من تطلعات الشعوب العربية في إقامة نظامها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الخاص بها. وأخيراً نرى: إن العولمة جعلت الدول العربية ونظمها الاقتصادية والسياسية والثقافية والأخلاقية ضعيفة عاجزة عن مواجهة التحولات التجارية وتعيش حالة من الفوضى والاضطراب والقلق لأنها لا تملك أي وسيلة للتأثير على مصيرها ومستقبلها.

تاسعاً- التوصيات: ليس جديد عن الوطن العربي ودوله الانسياق والانجرار وراء القيم الوافدة وبخاصة القيم الغربية، ففي زمن "تابليون بونابرت" الذي أعد الأساطيل والجيوش للسيطرة على جزء من الوطن العربي في القرن الثامن عشر الميلادي، ساعده في ذلك النجاح إنهار عدد كبير من النخب السياسية والثقافية العربية بالقيم الغربية والحدثة الوافدة معه، واعتبرها عرب كثر بمثابة طوق النجاة والطريق الوحيد والوسيلة إلى الحدثة والحضارة والمدنية، والتطور والرقى، وبداية الثورة على قيمهم ومعتقداتهم التقليدية القديمة المتخلفة، والتي كانت، وحسب وجهة نظرهم مسؤولة المسؤولية الكاملة عن تأخر نهوض بلادهم والتحاقها بالعالم الغربي المتطور، فهللوا وصفقوا وفرحوا أيما فرح بذلك وكانوا سبباً في دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة.

وها هي المسألة تتكرر اليوم في الوطن العربي نتيجة لتحطيم الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتي، والتي كانت بمثابة قوة كبيرة تنصدي للولايات المتحدة الأمريكية وشركائها عندما كانت تحاول الدخول للمنطقة العربية والسيطرة عليها ونشر أفكارها فيها. إن انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وحلفائه وتقسيم دوله أدى إلى اختفاء نظام القطبية الثنائية الذي كان سائداً في العالم، وظهور نظام عالمي جديد يقوم على القطبية الأحادية الذي يجسد هيمنة وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم وانفرادها بالقرار الدولي تحت شعار "العولمة" و "الشرعية الدولية" .

الوطن العربي والعولمة

ولقد كانت حرب الخليج الثانية بمثابة الكارثة الكبرى على الأمة العربية والقشة التي قصمت ظهر البعير، وكانت سبباً في ضرب القيم والمعتقدات العربية والنظام الإقليمي العربي، نتيجة لقيام الولايات المتحدة الأمريكية بخطوة مآكرة شيطانية كبيرة هدفها الظاهر تحرير الكويت واسترجاعه من العراق، وفي حقيقتها اختراق وتحطيم والوطن العربي واحتلاله وتجزئته واستنزاف ثرواته، فشكلت بداية التدخل الحقيقي للقوى الخارجية وبصورة واضحة في الشؤون العربية، ونتج عنها أيضاً تهميش وتحطيم العديد من القيم والمعتقدات والاتفاقات العربية وصلة القرابة ورابطة الدم والتعاون العربي .

فكيف يمكن للعرب لمواجهة العولمة والتصدي لها؟

بمعنى هل هناك خيار بديل عنها أمام العرب ؟ وما هي المجالات التي يعمل العرب من خلالها؟ وكيف يمكن التخلص منها؟

في ظل هذه الظروف وتلك لم يعد للعرب نصير يحميهم من هذه الظاهرة وهذه الغطرسة والسيطرة إلا طريق واحد للنجاة من خلال معرفة حقيقة ذاتهم وتوحيد صفوفهم وجهودهم وإمكاناتهم لمواجهة هذه العولمة والتصدي لها.

وفي نظري لا يتم ذلك إلا من خلال اتباع التوصيات التالية:

- **من الناحية الاقتصادية:** الاتجاه نحو التنمية الشاملة وتعميق جهودها، وإقامة المشروعات الصناعية المشتركة الكبرى، وإنشاء المصانع وفقاً للتخصص وتنويع الإنتاج بكل دولة، وتطوير التعاون العربي وإزالة الحدود أمام السلع العربية وإقامة السوق العربية المشتركة، والإسراع في تنفيذ برامج الإصلاح الاقتصادي والمالي والإداري بما يضمن تحقيق معدلات نمو اقتصادي عالية ومتطورة، وتطوير الموارد البشرية بالتعليم والتدريب وبما يحقق الاستثمار في البشير، والاهتمام بالأسواق العربية المالية وتطويرها وربطها ببعضها وتطبيق المواصفات القياسية العالمية ومكافحة الغش التجاري في كل السلع المستوردة، والاستفادة من منجزات التقنية الفضائية والانترنت والحاسبات الآلية.

- وان تعتمد الاستثمارات العربية على إمكانات الدول العربية نفسها ولا تعتمد اعتماداً كبيراً على الاستثمارات الأجنبية المباشرة دون إنشاء نظاماً مالياً مصرفياً حقيقياً كالنموذج الآسيوي.

- كما يجب الاتجاه نحو إنشاء جهاز عربي للتكامل الاقتصادي، وإقامة نظام عربي موحد للشركات المساهمة، وإنشاء هيئة عربية للمواصفات والمقاييس الموحدة، ومحاربة الفساد والرشوة، وإنشاء

الوطن العربي والعولمة

بنوك عربية متخصصة في جميع المجالات الاقتصادية، ووضع خطط إعلامية لترسيخ التكامل الاقتصادي العربي، وتفعيل دور صندوق النقد العربي وتنشيطه، وإقامة شبكات واسعة من الطرق ووسائل النقل المختلفة والمواصلات لربط الدول العربية ببعضها.

- إلى جانب ذلك يجب على العرب زيادة حجم التجارة البينية بينهم، ومعرفة ودراسة كل الثروات العربية وكيفية الاستفادة منها عربياً. مع تفعيل وإنشاء منطقة التجارة العربية الحرة، وتنسيق الجهود والمواقف والسياسات العربية تجاه منظمة التجارة العالمية، والعمل على تسهيل وتذليل الصعاب أمام حركة مرور وعبور الأفراد بين الدول العربية، وفوق كل ذلك توافر الإرادة السياسية والاقتصادية العربية لخوض غمار التنمية من خلال التكامل العربي.

- **أما من الناحية السياسية:** فيجب على الدول العربية تحقيق الإصلاح والاستقرار السياسي باستخدام آليات سلمية لتداول السلطة بين القوى السياسية النشطة في المجتمع، من خلال قيام نظم سياسية ديمقراطية مناسبة تسمح بحرية الرأي وحرية العمل السياسي والتعبير، واختلاف الآراء والأفكار، وتكوين الأحزاب السياسية، وتنظيم انتخابات حقيقية، ودعم مؤسسات المجتمع المدني بصورة صحيحة، وإجراء مصالحات عربية شاملة تتضمن عودة الكثير من الدول العربية إلى الصف العربي.

- **وفي الناحية الاجتماعية:** على الدول العربية إعادة بناء مفهوم الدولة بها، وتعريف دورها ووظيفتها الاجتماعية، وتعزيز مكانة المجتمع المدني ودوره تجاه المؤسسات والنخب الحاكمة معاً، وأن تعمل الحكومات العربية على توفير الحد الأدنى للحياة الكريمة لطبقات المجتمع كافة من بينها فئة محدودي الدخل، وتحقيق الرعاية الاجتماعية.

هذا إلى جانب عدم ترك القيم والعادات والتقاليد والثقافة العربية والمحافظة عليها بما يضمن الحفاظ على الهوية العربية التي تتميز بالعديد من الميزات ولها خصوصية خاصة.

- **ومن الناحية الأمنية والعسكرية:** على العرب ضرورة إقامة منظومة أمنية عربية لتأمين الوطن العربي من داخل النظام العربي بدلاً من استيراد ذلك من الولايات المتحدة الأمريكية مقابل أموال تدفع أو تنازلات سياسية تقدم، مع ضمان حريات وحقوق المواطنين وتطبيق القانون والعدالة تحت مبدأ سيادة القانون وتحقيق العدالة، وتوقيع اتفاق وميثاق شرف عربية لوضع آلية لفض المنازعات العربية، وإقامة محكمة عدل عربية وتحقيق المصالحة العربية، إلى جانب إنشاء قوة عسكرية عربية موحدة تحت راية الجامعة العربية للحيلولة دون اعتداء أي قطر عربي على قطر عربي

الوطن العربي والعولمة

آخر، وأن تحتفظ الدول العربية وحكوماتها بقدرتها على فرض السياسات الملائمة لمصلحة الشعب.

- أما من الناحية الثقافية: فيجب على العرب الالتفات إلى التراث العربي والإسلامي والالتفاف حوله، والاعتماد عليه، وجعل اللغة العربية عاملاً موحداً للأمة والاهتمام بطرق تدريسها، وإعداد برامج تثقيفية تربوية وتعلمية وإعلامية تحصينية تجعل الشباب العربي يرتبط بمجتمعاته وهويته الثقافية ويحافظ على آثارها وحضاراتها، مع العناية بالبرامج والمسلسلات والأفلام واختيار المناسب منها لخدمة التراث والحضارة العربية ويحمي العرب من الاختراق والغزو الثقافي، والسعي نحو إعادة المركزية الذاتية الثقافية والتمحور نحو الذات الذي لا هوية من دونه.

وأخيراً... يجب على العرب جميعاً أن يقوموا بمراجعة شاملة للمفاهيم والمصطلحات التي يستعملونها في تصنيف الأفكار والأفعال، وأن يعملوا على مواجهة أوضاعهم الحقيقية، وظروف معيشتهم وعلاقاتهم مع الآخرين بكل حرية ووعي.

هوامش البحث

- (1) خالد حسب الله، العولمة الاقتصادية ومخاطرها، منشورات جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية الشريعة والقانون، 2001، ص 2.
- (2) غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، ورقة عمل مقدمة للملتقى التربوي الأول، المنعقد في الفجيرة، الإمارات العربية المتحدة، بتاريخ 29-2002/4/30، ص 3.
- (3) د. محمد الفرغ الخطراوي، العولمة الاقتصادية بين السلبيات والإيجابيات، مجلة الجزيرة -السعودية، ط1، العدد 10071، الصادر بتاريخ 2000/4/25، ص 1.
- (4) خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد-العراق، ديوان الوقف السني، ط1، 2009، ص ص 106-107.
- (5) غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاسها عن الوطن العربي، مرجع سابق ذكره، ص 3.
- (6) د. ممد الفرغ الخطراوي، العولمة بين السلبيات والإيجابيات، مرجع سابق ذكره، ص 1.
- (7) برهان غليون، العرب وتحديات العولمة الثقافية (مقدمات في عصر التشريد الروحي)، محاضرة أقيمت في أبو ظبي بتاريخ 1999/1/10م. -انظر كذلك: برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، الطبعة الأولى، دمشق، 1999، ص22.
- (8) مصطفى النشار، ضد العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 1999، ص 57.
- (9) غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، مرجع سابق، ص 3.
- (10) محمد بن سعد التميمي، العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، ط1، 2001، ص 28.

- (11) فائز صالح محمود، الفكر السياسي المعاصر، نماذج مختارة، الطبعة الأولى، دار العابد للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق 2008، ص ص 67-75.
- (12) خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مرجع سابق، ص ص 88-113.
- (13) كمال مجيد، العولمة والديمقراطية، دراسة لأثر العولمة على العالم والعراق، ط1، 2000، دار الحكمة شارع كارلتون، لندن، ص 9.
- (14) د. يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مشروع الشرق الأوسط الكبير، دار وكتبة الكندي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2016، ص 232.
- (15) صادق جلال العظم، ماهي العولمة، ورقة بحثية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996م.
- أنظر كذلك: السيد ياسين، في مفهوم العولمة، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1998م، ص 28.
- (16) د.محمد الفرغ الخطراوي، العولمة الاقتصادية بين السلبيات والإيجابيات، مرجع سابق، ص1.
- (17) عز الدين إسماعيل، العولمة وأزمة المصطلح، مجلة العربي-الكويت، العدد (498)، ص110.
- (18) علي الشكري، حقوق الإنسان في ظل العولمة، مجلة المستقبل العربي، عمان، دار اسامة للنشر والتوزيع، 2006، ص ص 50-55.
- انظر كذلك: السيد ياسين، في مفهوم العولمة، مرجع سابق، ص 23-34.
- انظر كذلك: محسن أحمد الخضير، العولمة الاجتياحية، القاهرة، مجموعة النيل العربية للنشر، 2001، ص15.
- انظر كذلك: حازم البيلاوي، نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي، القاهرة، دار الشروق للنشر، 1999، ص 35.
- (19) عز الدين إسماعيل، العولمة وأزمة المصطلح، مرجع سابق، ص 110.

- انظر كذلك: د. محمد الفرج الخطراوي، العولمة الاقتصادية بين السلبيات والإيجابيات، مرجع سابق، ص 1.
- (20) السيد ياسين، مفهوم العولمة، العرب والعولمة، مرجع سابق، ص ص 23-32.
- انظر كذلك: محسن أحمد الخضير، العولمة الاجتياحية، مرجع سابق، ص 15.
- انظر كذلك: حازم الببلاوي، نحن العرب عصر المواجهة أم التلاقي، مرجع سابق، ص 35.
- (21) د. يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص 231.
- (22) محسن أحمد الخضير، العولمة الاجتياحية، مرجع سابق، ص 15.
- انظر كذلك: د. يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مرجع سابق، ص 231.
- انظر كذلك: السيد ياسين، مفهوم العولمة، العرب والعولمة، مرجع سابق، ص ص 23-35.
- انظر كذلك: حازم الببلاوي، نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي، مرجع سابق، ص 35.
- انظر كذلك: د. ممد الفرج الخطراوي، العولمة الاقتصادية بين السلبيات والإيجابيات، مرجع سابق، ص 2.
- انظر كذلك : أ.د. صلاح ياسين محمد الحديثي، ومعر خالد عبد العزيز، التأثيرات السلبية والإيجابية للعولمة في القضايا الاجتماعية الثقافية والسياسية والاقتصادية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل -العراق، 2011/6/29، ص 543.
- (23) صلاح سالم زرنوقة، العولمة والوطن العربي، القاهرة، جامعة القاهرة، 2002، ص 14.
- انظر كذلك: غالب أحمد عطايا، العولمة وإنعكاساتها على الوطن العربي، مرجع سابق، ص 3.

- انظر كذلك: علي الشكري، حقوق الإنسان في ظل العولمة، مرجع سابق، ص 60.
(24) انظر في ذلك كل من:
- رولاندو برتسون، تخطيط الوضع الكوني، العولمة باعتبارها المفهوم الرئيسي في :
Global culture : Nationalism , Globalization and modernity: A Theory;
culture and society special issue, edited by (mike Featherstone).
London ; New bary park: sage publication, 1990. Pp. 15-30.
- السيد ياسين، في مفهوم العولمة، العرب والعولمة، مرجع سابق، ص ص 29-35.
(25) نفس المرجع السابق.
(26) المرجع السابق نفسه.
(27) السيد ياسين، في مفهوم العولمة، مرجع سابق، ص ص 29-35.
(28) محمد سعيد بن سهو أبو زعرور، العولمة، أهميتها، نشأتها، أهدافها، دار البيارق،
عمّان - الأردن، ط1، 1998، ص ص 16-30.
-انظر كذلك: محمد افرج الخطراوي، العولمة الاقتصادية بين السلبيات والإيجابيات،
مرجع سابق، ص 2.
انظر كذلك: د. الشاذلي العياري، الوطن العربي وظاهرة العولمة، الوهم والحقيقة، مجلة
المنتدى، العدد 140، مارس 1997، عمّان -الأردن، ص 15.
-انظر كذلك: غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، مرجع سابق،
ص 5
(29) تامر الخزرجي، العولمة وفجوة الأمن في الوطن العربي، دار مجدلاوي للنشر
والتوزيع، عمّان-الأردن، ص ص 21-22.
- انظر كذلك: د. الشاذلي العياري، الوطن العربي وظاهرة العولمة، مرجع سابق،
ص 15.
- انظر كذلك : محمد سعيد بن سهو أبو زعرور، العولمة ماهيتها، نشأتها، أهدافها،
مرجع سابق، ص 20.
(30) غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، مرجع سابق، ص 5.

- (31) تامر الخزرجي، العولمة وفجوة الأمن في الوطن العربي، مرجع سابق، ص ص 23-24.
- انظر كذلك: د. الشاذلي العياري، الوطن العربي وظاهرة العولمة، مرجع سابق، ص 18.
- انظر كذلك: محمد سعيد بن سهو أبو زعرور، العولمة، ماهيتها، نشأتها، أهدافها، مرجع سابق، ص ص 16-20.
- (32) مجلة حصاد الفكر العدد (135) مايو 2003، عرض كتاب (بدائل العولمة)، للدكتور: سعيد اللاوندي، عرض: عبد الباقي حمدي، ص 36.
- انظر كذلك: د. محمد فرج الخطراوي، العولمة الاقتصادية بين السلبيات والإيجابيات، مرجع سابق، ص 2.
- انظر كذلك: غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، مرجع سابق، ص 5.
- انظر كذلك: الموقع الإلكتروني :
<http://Lazemtefham.com/2016/01/blogpost-4.html>
- (33) انظر في ذلك:
- سيار الجميل (العولمة: اختراق الغرب للقوميات الآسيوية، متغيرات النظام الدولي القديم، رؤية مستقبلية)، مجلة المستقبل العربي، العدد (217)، مارس 1999.
- انظر كذلك: د. يوسف المرشدة، العولمة واثرها على العالم العربي، مرجع سابق، ص 233.
- انظر كذلك: بئينة حسنين عمارة، العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصري، القاهرة، ط1، 1990، ص 20.
- انظر كذلك: د. محمد مظفر الأدهمي، مجلة آفاق عربية، وزارة الثقافة والإعلام العراقية -بغداد، العدد (3) مارس، يونيو 1997.
- انظر كذلك: حسين كامل بهاء الدين، التعليم والمستقبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، مهرجان القراءة للجميع، ص 15.

- انظر كذلك: نايف علي عبيد (العولمة والعرب) مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (221) يوليو 1997، أبو ظبي، ص ص 15-25.
- انظر كذلك: محمد سعيد بن سهو أبوزعرور، العولمة، ماهيتها، نشأتها، مرجع سابق، ص ص 26-37.
- انظر كذلك: د. عبد الناصر جرادات وآخرون، قراءات في العولمة وأثرها على دول وشعوب العالم، المؤتمر العلمي، جامعة الجنان، طرابلس-لبنان من 15-19/ ديسمبر 2012، ص 7.
- انظر كذلك: جريدة العرب اليوم، العدد (198) الصادر بتاريخ 30 نوفمبر 1997، الجزء الثاني، من ورقة عمل الاستاذ (عقل)، بعنوان اتفاقية الشراكة الأوروبية الأردنية.
- انظر كذلك: علي السيد، العولمة والتحول، النمو، وأهمية الانتقال بالعالم العربي عبر الاقتصاد العالمي الجديد، مجلة أخبار النفط والصناعة، محاضرات للبنك الدولي، العدد (323) يوليو 1997، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة .
- (34) نفس المرجع السابق.
- (35) د. يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مرجع سابق، ص 233.
- (36) محمد حسين ابو العلا، دكتاتورية العولمة، قراءة تحليلية في فكر المثقف، مطبعة مديولي-القاهرة، د1، 2004، ص ص 90-91.
- (37) علاء زهير الرواشدة، العولمة والمجتمع، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 70.
- (38) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص ص 279-308.
- (39) السيد ياسين، مفهوم العولمة، مرجع سابق، ص 33.
- (40) أسامة أمين الخولي وآخرون، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1998، ص 368.
- انظر كذلك: السيد ياسين، في مفهوم العولمة، مرجع سابق، ص 32.

- (41) عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر، مجلد 28، العدد (2)، أكتوبر/ديسمبر 1999، ص ص 39-94.
- (42) د. عبد خرابشة، العولمة الاقتصادية، المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان-الأردن، 2001، ص 25.
- انظر كذلك: غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، مرجع سابق، ص 7.
- (43) د. يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مرجع سابق، ص 233.
- (44) هالة مصطفى، العولمة ودور جديد للدولة، مجلة السياسة الدولية، العدد (134)، الصادر في أكتوبر 1998، ص ص 43-47.
- (45) فائز صالح محمود، الفكر السياسي المعاصر، نماذج مختار، دار العابد للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط1، 2008، ص ص 69-75.
- (46) د. يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مرجع سابق، ص 232.
- (47) انظر في ذلك:
- توفيق حمودة، بحث مقدم حول العولمة وعلاقتها بالكامل والاندماج، جامعة قسطنطينية، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية، 2000، ص ص 5-6.
- (48) انظر في ذلك:
- عبد الإله بلعزيز، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، العدد (229)، 1998، ص 56.
- انظر كذلك: سهيل حسين الفتلاوي، تحديات العولمة للهوية العربية ودور الجامعات العربية في مواجهتها، مجلة العلوم السياسية كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (31)، 2005، ص 50.
- انظر كذلك: محمد القفاص، دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة، مكتبة الاسة - القاهرة، 2004، ص 115.

- انظر كذلك: ياسين خضير البياتي، الفضائيات (الثقافة الوافدة وسطلة الصور)، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، العدد (267)، 2001، ص 51.
- انظر كذلك: مصطفى جاسم حسين، العولمة والأمن القومي العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2001، ص 115.
- انظر كذلك: أمل فؤاد، الحوار المتمدن، العدد (1782) بتاريخ 2007/1/1.
- انظر كذلك: أحمد خليلي، العولمة وأبعادها، مطبوعة موجهة لتكوين أساتذة التعليم الأساسي في مادة العلوم الاجتماعية، مركز التكوين (مريم بوعتورة)، قسطنطينة - الجزائر، ص 52.
- انظر كذلك: سعاد لمقدم، وسميرة قويدري، أثر العولمة الاقتصادية على اقتصاديات البنوك، بحث مقدم لنيل درجة الليسانس في العلوم الاقتصادية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، 2012-2013، ص 22.
- انظر كذلك: حكمت عبد الله القزاز، العولمة والتربية، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 2001، ص ص 35-36.
- انظر كذلك: عبد الخالق عبد الله، العولمة، جذورها وفروعها، وكيفية التعامل معها، مرجع سابق، ص ص 93-94.
- انظر كذلك: د. عبد الناصر جرادات وآخرون، قراءات في العولمة وأثرها على دول العالم الثالث، مرجع سابق، ص 6.
- انظر كذلك: يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مرجع سابق، ص ص 232-233.
- (49) المرجع السابق.
- (50) نفس المرجع السابق
- (51) نفسه
- (52) نفسه

- (53) نفسه.
- (54) نفسه.
- (55) مجلة حصاد الفكر، العدد (135)، يوليو 2003، عرض لكتاب بدائل العولمة للدكتور: سعيد اللاوندي، عرض عبد الباقي حمدي، ص 36.
- (56) السيد ياسين، الكونية والأصولية وما بعد الحداثة، الجزء الثاني، القاهرة، المكتبة الأكاديمية للنشر، 1995م.
- انظر: كذلك السيد ياسين، في مفهوم العولمة، مرجع سابق، ص 53.
- (57) عبد الإله بلقزيز، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مرجع سابق، ص 56.
- انظر كذلك: سهيل حسين الفتلاوي، تحديات العولمة للهوية العربية ودور الجامعة العربية في مواجهتها، مرجع سابق، ص 50.
- (58) نايف علي عبيد، مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية، ط1، 2001، ص ص 23-24.
- انظر كذلك: أ.د. صلاح ياسين ومعتز خالد عبد العزيز، التأثيرات السلبية والإيجابية للعولمة في القضايا الاجتماعية، مرجع سابق، ص ص 516-517.
- (59) د. يسوف المرشدة، العولمة وأثرها على الوطن العربي، مرجع سابق، ص 233.
- (60) بول سالم، الولايات المتحدة والعولمة، معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين، العرب والعولمة، بحوث ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، السيد، ياسين وآخرون، تحرير سمير أمين الخولي، يونيو 1998، ص ص 210-213.
- (61) انظر في ذلك:
- جلال أمين، العولمة والتنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2001، ص ص 21-188
- توفيق حمودة، بحث حول العولمة وعلاقتها بالإنتاج والتكامل، مرجع سابق، ص 28.

- أثر العولمة على سيادة الدول، منتديات أخبار مكتوبة، تاريخ التسجيل 2008، الموقع الإلكتروني: www.news.maktoob.com
- أ. ورم العيد، البعد الثقافي للعولمة واثرها على الهوية الثقافية للشباب العربي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البشير الإبراهيمي، الجزائر، ص 7.
- غالب أحمد عطايا، العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، مرجع سابق، ص ص 9-15.
- د. عزبي محمد، تحديات العولمة واثرها على الوطن العربي، مجلة اقتصاديات شمال أفريقيا، العدد (6)، جامعة الشلف، الجزائر، ص ص 25-38.
- د. يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على العالم العربي، مرجع سابق، ص ص 235-238.
- د. محمد الفرج الخطراوي، العولمة الاقتصادية بين السلبيات والإيجابيات، مرجع سابق، ص ص 5-6.
- الموقع الإلكتروني: <http://www.startimes.com/f.aspx?t=9388214-1>
- حسين علي إبراهيم، العولمة ومستقبل السيادة في العالم الثالث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 1999، ص 23.
- رعد سامي عبد الرزاق، العولمة والتنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة النهريين، كلية العلوم السياسية - بغداد، 2006، ص 119.
- ميشيل شو مودفسكي، عولمة الفقر، ترجمة علي حسين، بيت الحكمة للنشر - بغداد، ط 1، 2001، ص ص 44-59.
- محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر (العولمة، وصراعات الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية)، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، 1997، ص 140.

- أحمد صدقي الدجاني، قضية التعريب في ضوء سنن التفاعلات الحضارية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، العدد (220)، 1997، ص 67.
- محمد مهدي شمس الدين، الفكر العربي المعاصر، في محمد حسن الأمين وآخرون، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، العدد (3)، 1998، ص 74.
- نعيمة شومان، العولمة بداية ونهاية، ط1، دار الفرابي للنشر، بيروت، 2007، ص 35.
- حميد جاعد الدليمي، العولمة والإعلام والعرب، فرضيات ونتائج، في، أحمد ثابت وآخرون، ط2، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 206.
- محمد الدعمي، الإسلام والعولمة، الاستجابة العربية والإسلامية لمعطيات العولمة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبوظبي، العدد (91)، 2003، ص 39.